بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) :علي بن صالح بن محمد المـقـوشـي

كـلـيـة : الدعوة وأصول الدين قسم :العقـيـدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الـدكـتوراه في تخصص : العقيـدة

عنوان الأطروحة : ((المسيح المنتظر بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى – عرض ونقد)).

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٣/٣/٣ هـ – بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صـيغتها النهائيـة المرفقـة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ....

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم :أ. د. محمود محمد مزروعة	الاسم :أ . د . أحمد عبد الرحيم السايح	الاسم : أ . د . سعود بن عبد العزيز الخلف
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ....

يعتمد

رئيس قسم : العقيـدة

الاسم : د. عبدالعزيز بن أحمد الحميدي

التوقيع : ....



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى ـ بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا

المسيح المنتظر

بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى

عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب

علي بن صالح بن محمد المقوشي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

محمود محمد مزروعة

المجلد الثاني

١٤٢٣ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني

عقيدة النصارى في الصلب والقيامة

الفصل الثاني

عقيدة النصارى في الصلب والقيامة

الصلب هو النهاية للمجيء الأول للمسيح عيسى عليه السلام في اعتقاد النصارى . ويتضمن هذا المعتقد ثلاث قضايا رئيسة ، سنودع الحديث عن كل قضية منها مبحثاً من مباحث هذا الفصل ، وهي على ما يأتي :

المبحث الأول : الصلب تكفيراً عن الخطيئة الأولى ، أو ما يعرف بـ: الخطيئة والتكفير ، أو الصلب والفداء .

المبحث الثاني : القيامة .

المبحث الثالث : الصعود ، استعداداً للعودة الثانية المنتظرة في إطار « المسيح المنتظر » القادم .

المبحث الأول

الصلب

معتقد الصلب أحد المعتقدات الهامة في الديانة النصرانية . بل يكـاد ذلـك المعتقـد أن يكون أصل الدين تقريباً .

يقول بعض البـاحثين : « مسـألة الصلـب ... النصـارى جعلوهـا أسـاس العقـائد وأصل الدين ، فمن فاته الإيمان بها فهو في الآخرة من الهالكين ، ومن آمـن بـها علـى الوجه الذي يقولونه ويدعون إليه كان هو الناجي الفائز بملكـوت السـماء مـع المسـيح والرسل والقديسين » .

وأصبحت بذلك « عقيدة صلب المسيح فداءً عن البشر ... عندهم .. أصل الدين وأساسه »[1] .

ويعدُّون منكر الصلب كافراً[2] .

ولا يقتصر الاعتقاد بالصلب على النصارى .

بل يتعدّى ذلك إلى كون الاعتقاد بصلب المسـيح عيسـى عليـه السـلام هـو محـل إجماع الديانتين الكتابيتين : اليهودية والنصرانية معاً .

كلا الفريقين يزعم أن المسيح عيسى عليه السلام عُلِّق على خشبة الصليـب حتـى مات .

ويراه اليهود لذلك دعياً كاذباً ليس هو المسيح الحق الذي لا زالوا ينتظرونه .

---

(١) انظر : تفسير المنار – لرشيد رضا (٦ : ٢٣ – ٢٤) .

(٢) انظر : كتاب أبي عبيدة الخزرجي (٧٣) .

والنصارى الذين أقاموا دينهم على اعتقاد أن المسيح - عليه السلام - قد صلب ، يرون أن الصلب هو الذي كشف لهم حقيقة ابن الرب ، الإله الابن رباً إلهاً مخلّصاً ، وأن المسيح ما مات ولا صلب إلا لأجل خلاص أولئك الذين يؤمنون به مخلّصاً ، وكفارةً عن خطيئتهم أو خطاياهم .

وعن النصارى ومعتقدهم هذا نتحدث هاهنا .

فالاعتقاد بموت عيسى عليه السلام مصلوباً من الأهمية بمكان في عقيدة النصارى . بل هو الأساس في العقيدة النصرانية[١] . فكل النظريات النصرانية - كما يقول أحد الباحثين : « عن الله ، وعن الخليقة ، وعن الخطيئة ، وعن الموت ، تستمد محورها من المسيح المصلوب . وكل النظريات (النصرانية) عن التاريخ ، وعن الكنيسة ، وعن الإيمان ، وعن التطهر ، وعن المستقبل ، وعن الأمل ، إنما تنبع من المسيح المصلوب »[٢]. لهذا تراهم يتحدثون عن « حتمية الفداء » وأنه لابد من الفادي، ولابد من الفداء[٣] .

ولو سقطت دعوى الصلب لسقطت الديانة النصرانية كلها على حد تعبير بولس حين قال : « لو لم يكن المسيح قد قام ، لكان تبشيرنا عبثاً وإيمانكم عبثاً »[٤] .

وهو وإن كان يتحدث عن القيامة . لكنها كما هو معلوم نتيجةٌ من نتائج الصلب . فلو لم يكن هناك صلبٌ لَمَا كانت هناك قيامة . ولو لم تكن هناك قيامة للمسيح لَمَا كان لوجود هذه الديانة النصرانية القائمة على هذا الاعتقاد أي مبررٍ وأي معنى . إذ لا مبرر ولا مستند للحديث بعدئذٍ عن ألوهية المسيح أو بنوته لله أو الخلاص والخطيئة والكفارة ، والمنتظر بطبيعة الحال .

---

(١) أو على حد تعبير صاحب : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، أن هذه المسألة تعد رأس الإيمان في العقائد النصرانية - انظر الكتاب المذكور - ص (٥٦) .

(٢) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء - أحمد ديدات (١٠) ترجمة علي الجوهري .

(٣) هل المسيح هو الله - القس لبيب ميخائيل (٨٣ - ٨٤) .

(٤) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس (١٥ : ١٤) .

أما قصة الصلب التي توردها الأناجيل - والتي تُعدُّ في نظر كثيرٍ من الباحثين أعظم مدخلٍ للتشكيك في قصة الصلب نفسها - فيمكن إيجازها قدر الإمكان فيما يلي :

قام يهوذا الإسخريوطي الحواري الثاني عشر ببيع سيده المسيح عيسى عليه السلام على اليهود بمبلغٍ من المال . وبدأ اليهود في الإعداد لكمينٍ يوقعون فيه بالمسيح عليه السلام بدلالة يهوذا ، وكان ذلك . فقد واتتهم تلك الفرصة أثناء الاحتفال بعيد الفصح اليهودي . وكان عيسى عليه السلام يقيم في تلك الآونة مع حوارييه في بستان خارج المدينة المقدسة . وكانت تلك الفرصة الذهبية المواتية ليهوذا كي يذهب إلى شيوخ اليهود ورؤساء كهنتهم الذين استأجروه للقيام بهذه المهمة .

كان الوقت مناسباً للغاية . فقد انفضت جموع المتابعين والمؤيدين والمهللين الذين رافقوا دخول موكب المسيح عيسى عليه السلام إلى المدينة المقدسة قبل فترة قصيرة .

انشغلت تلك الجموع بالعيد . وهاهو المسيح عيسى عليه السلام يقيم في هذا البستان النائي مع ذلك النفر القليل من خُلَّص أصحابه . وانطلق في تلك اللحظة في تلك الليلة المظلمة البائسة يهوذا الخائن دليلاً يقود جمعاً عظيماً « أرسلهم رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ » اليهود . وبعد أخذٍ ورد اعتقل المسيح عيسى عليه السلام - حسب رواية الأناجيل - واقتيد إلى رئيس الكهنة اليهودي « قيافا » على الفور .

بدأت محاكمةٌ سريعةٌ ومجهزةٌ مسبقاً . وكانت النتيجة بالطبع توجيه تهمة « الخيانة العظمى » إلى المسيح عيسى عليه السلام بِعِلَّة « التجديف » لأنه يزعم أنه « ابن الله » - كذا زعموا - .

وفي الصباح الباكر تم نقل المسيح عيسى عليه السلام إلى الوالي الروماني « بيلاطس » . وتغيَّرت التهمة عندئذٍ . وحتى يستطيع اليهود إدانة المسيح عيسى عليه السلام أمام الوالي الروماني لم تكن التهمة هي التجديف كما هو الحال سابقاً . إذ أن الوالي الروماني لن يقبل سماع هذه التهمة أصلاً . وأصبحت التهمة التي يُقدَّمُ بموجبها

المسيح للحساب أمام السلطة الرومانية هي تهمة : ادعاء أنه « المسيح المنتظر » و« ملك اليهود » . وهي تهمةٌ لا غبار عليها في عالم السياسة . وبعد أخذ ورد وافق بيلاطس بعد مناقشة طويلة وترددٍ أطول ، على تسليم عيسى عليه السلام إلى اليهود ليصلبوه .

وتواصل الأناجيل روايتها – على اختلافٍ في بعض التفاصيل بينها – حول قصة صلب المسيح المزعومة . فتقول : إن اليهود نقلوه إلى موقع الصلب حيث عُلِّق على الخشبة صباح يوم الجمعة . وأنه أسلم الروح قبل غروب شمس ذلك اليوم مُعلَّقاً على الصليب . وفي المساء تم إنزال جثمانه من فوق الصليب وتم تسليمه لرجلٍ يدعى « يوسف الرامي » أحد أعضاء المحكمة اليهودية العليا وأحد أتباع عيسى عليه السلام في الخفاء[1] . وقام يوسف بدفن جثمان عيسى عليه السلام – كما يزعمون – في قبرٍ منحوتٍ في الصخر كالكهف . وأغلق عليه مدخل القبر بحجر ثقيل[2] .

وبهذا تنتهي قصة الصلب لندخل بعدئذٍ في أكذوبة جديدة هي : قصة القيامة من القبر . مكانها المبحث الثاني من هذا الفصل .

أما الغاية من الصلب أو مبرر الصلب عندهم ، فإنهم يذكرون أن عيسى عليه السلام حينما صلب : فَدَاهُمْ بدمه ونجَّاهم من عذاب جهنم ، ورفع عن أعناقهم وزر الخطيئة الأولى ، وأن كل من آمن به وبصلبه نال الخلاص ، أما من شك في ذلك أو جحده فلا يخلص من وزر تلك الخطيئة[3] . ليس هذا فحسب . بل تكفير خطايا الماضي والمستقبل لكل من آمن بالصلب[4] .

---

(١) التفسير التطبيقي للعهد الجديد (١٨٩) .

(٢) عن قصة الصلب : انظر : (إنجيل متى / ٢٦ : ١٤ – ٦٨) (٢٧ : ١ – ٦٠) (إنجيل مرقس / ١٤ : ١٠ – ٦٥) (١٥ : ١ – ٤٦) (لوقا / ٢٢ : ٤٧ – ٧١) (٢٣ : ١ – ٥٤) (يوحنا / ١٨ : ١ – ٤٠) (١٩ : ١ – ٤٢) . وانظر تفاصيل المحاكمة في التفسير التطبيقي للعهد الجديد (٣٧٥) .

(٣) انظر كتاب أبي عبيدة الخزرجي في الرد على النصارى – الصفحات (٥٩ – ٦١) .

(٤) هل المسيح هو الله – القس لبيب ميخائيل (٩٧) .

وثمة غاية أخرى لهذا الصلب ، ألا وهي : أن ينال الحظوة لأتباعه لدى الرب باستسلامه للموت والصلب . وبذلك اكتمل الفداء[١] .

فالمسيح إذاً مات من أجل أن يحمل خطايا البشر. على حد قول بولس : « المسيح مات من أجل خطايانا »[٢] . وبذلك تحصل لهؤلاء البشر الحظوة عند الرب لأنهم طاهرون مخلَّصون .

وأعجبُ عبارةٍ في تبرير هذا الصلب قول أحد متأخريهم : إن عيسى كان ذبيحةً على شرف معاهدةٍ بين الله والجنس البشري . كما يفعل أهالي المنطقة من البدو حين يعقدون المعاهدات ، فإنهم ينحرون الذبائح . وأن عيسى سُمِّي لأجل ذلك « حَمَلَ الفصح » لأنه أُخِذَ أيام عيد الفصح الذي كان من عادة اليهود فيه تقديم ذبيحة (حمل) فيه لله .

وقد حاول هذا القائل الجمع بين مقالتهم في ذلك ومقالة القرآن ، فقرر أن عيسى صلب وقتل ومات موتاً حقيقياً . لكنه في الحقيقة ما قتل وما صلب . وإنما قتل الجسد . أما كلمة الله فلم يستطع اليهود القضاء عليها[٣].

وتلك بدعةٌ من بدعهم الجديدة ، كأسطورة التثليث في وحدة ، والوحدة في تثليث .

وأعجب من هذا التبرير قول آخر في تقديم تبريرٍ سخيفٍ للصلب : إن الله سمح للناس أن يفعلوا ذلك – أي صلب ابنه – لِيُظهر لهم مدى عمق الشر في قلوبهم[٤] .

---

(١) القيامة والصعود – للأب متى المسكين (١٠٤) (٢١٩) ط. أولى / ١٩٨٢ م .

(٢) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس (١٥ : ٣) .

(٣) هل صلب المسيح – الأسقف دافيد براون – ترجمة : جاد المنفلوطي (٦١ / ٦٥ / ٧٠ / ٨٧ – ٨٨ / ٩٠ / ٩٤ / ١٠٧ / ١١٢ – ١١٣ / ١١٥) دار الجيل – مصر / طبعة وتاريخ : بدون .

(٤) هل المسيح هو الله – القس لبيب ميخائيل (١١٩ – ١٢٠) .

وعناصر مسألة الصلب أو عقيدة الفداء أو الخطيئة والكفارة إذاً على ذلك ثلاثة :

١ - أن هناك خطيئة أصلية .

٢ - أن الرب متصفٌ بالعدل الذي يقتضي العقوبة على الخطيئة ، ومتصفٌ كذلك بالرحمة التي تقتضي العفو . والعدالة الإلهية تقتضي أن يكون هناك قصاصٌ بسفك دمٍ مقابل الخطيئة الأولى . فكان التوفيق بين هذين بتقديم الابن فداءً لذلك .

٣ - أن عيسى عليه السلام هو الذي دفع حياته ثمناً لذلك بدلاً عن بقية البشر[١].

والعجيب في الأمر أن النصارى - قبل صدور وثيقة التبرئة أخيراً ١٩٦٤ م - كانوا يعدُّون اليهود ونسل اليهود عبر مئات السنين مجرمين مذنبين يحملون دم المسيح عليه السلام في أعناقهم ، ويتحمَّلون مسئولية قتله وصلبه - حسب اعتقاد الفريقين - . مع أن ذرية قتلته - على فرض صحة زعمهم - لا يتحملون وزر فعل آبائهم .

ولئن كان هذا - أي صلب المسيح وقتله - أمراً مقبولا بل مطلوباً في اعتقاد اليهود لا غضاضة عليهم في مثل ذلك الاعتقاد إذ هو عدوهم كما هو معلوم . فإن العجيب الغريب هو أن النصارى يطلبون طلب اليهود ويرومون تحقيق مرادهم ، ولا يفتأون يرددون قصة صلب المسيح وقتله ، وينكرون على من ينكرها .

فالفريقان متفقان على النتيجة . كلاهما يريد تقرير صلب المسيح وقتله .

اليهود بتهمة التجديف والخيانة .

والنصارى يريدونه أن يموت ليكون مخلِّصاً لهم من الخطايا والآثام مدى الزمان حتى يعيشوا بقية أيامهم مطمئنين أنهم مهما عبُّوا من الآثام والخطايا فلا عتب عليهم ما داموا قد اعتقدوا هذا الاعتقاد ، فالمسيح قد رفع عنهم وزر تلك الخطايا مُقدَّماً .

---

(١) الغفران بين الإسلام والمسيحية - إبراهيم خليل أحمد (١٠٧) .

ولذا لا نعجب حين نعلم أن أكثر النصارى اليوم يحتفلون - أي نعم يحتفلون - بيوم الجمعة المبارك (؟؟) لأنه اليوم الذي صلب فيه المسيح . فبدلاً من أن يجعلوه يوم مناحةٍ وحزن جعلوه يوم فرحٍ وعيد .

والعجيب العجيب بعد كل ذلك أن بعضهم قرر أن يوم الصلب هو يوم الأربعاء ، فبدأ أولئك الاحتفاء والاحتفال بيوم « الأربعاء المبارك » . كل ذلك هرباً من تناقضات الأناجيل التي قالت : إنه دفن يوم الجمعة قبل غروب الشمس وخرج من قبره صباح الأحد بعد أن أقام في القبر ثلاثة أيام بلياليها[١] .

فاعجبْ لأمةٍ تُصحح لربها غلطةً في الحساب في كتاب دينها وشرعتها .

ومع كل هذا فمسألة الصلب وتقريرها ، أثارت موجة معارضةٍ عند بعضهم .

وأول من يُقدِّم لنا وجهة نظرٍ معارضة في هذا الشأن وقصةً مختلفةً عن القصة التي يذكرونها ، برنابا في إنجيله ، ذلك أنه أورد قصة خيانة يهوذا للمسيح عليه السلام . لكنه لم يذكر إطلاقاً أن الجنود الذين جاؤوا مع يهوذا قاموا بإلقاء القبض على المسيح . بل ذكر وجهة نظرٍ تطابق وجهة النظر القرآنية تماماً . يقول : إن الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة بإنقاذ عيسى ورفعه إلى السماء ، وألقى شبه عيسى على الدليل الخائن يهوذا الإسخريوطي . وعندئذٍ أخذ الجنود يهوذا ظناً منهم أنه المسيح عيسى عليه السلام . وأن يهوذا هو الذي صلب ومات ودفن[٢] .

وقد أنكر بعض متأخريهم قصة الصلب هذه[٣] ، يقول أحدهم : « لا يوجد متدين مهما كان مذهبه .. يعتقد أن الله .. قد أرسل ابنه الوحيد ... لكي يعاني موتاً

---

(١) مسألة صلب المسيح (٥٨) (١٥٠ - ١٥٢) .

(٢) إنجيل برنابا - الفصول (٢١٤ - إلى - ٢١٧) .

(٣) انظر : النصرانية - للدكتور مصطفى شاهين (٨١) وما بعدها / دار الاعتصام - القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون .

وحشياً فوق الصليب ، لترضيه النقمة الإلهية على البشرية ، ولكي يساعد .. على أن يغفر للبشرية ... وإذا كان الله قد أذن بالصلب لأجل ترضيته فإنه يكون مشترِكاً في الذنب مع السفاكين »[١] .

ويعترف آخر : أن مصدر هذه الشبهات هو بولس ، وأنها مجرد شبهات ، وأن القصة الحقيقية هي تلك التي يوردها القرآن الكريم[٢] .

هذا ما يتعلق بقضية الصلب . أما نقض معتقد الصلب فله مكانٌ آخر من هذا الباب في الفصل الأخير المخصص للمناقشة والنقد .

---

(١) انظر : محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن – إبراهيم خليل أحمد (١٠٣) دار المنار – القاهرة / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م / طبعة : بدون .

(٢) انظر : محاضرات في مقارنة الأديان – إبراهيم خليل أحمد (١٣١) دار المنار – القاهرة / ط. ثانية / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

المبحث الثاني

القيامة

القيامة التي نعنيها هنا هي القيامة الأولى . وهي تلك القصة اللاحقة لأحداث الصلب كما ترويها الأناجيل .

والقصة كما توردها الأناجيل تقول : إن عيسى عليه السلام بعد أن صلب صباح الجمعة ثم أسلم الروح قبل غروب شمس ذلك اليوم أخذ ودفن ، وأنه بعدئذٍ أقام في قبره ثلاثة أيامٍ بلياليها (؟) ثم إنه قام من بين الأموات يوم الأحد « اليوم الأول من الأسبوع ، بعد انتهاء السبت » يوم التوقف عن العمل بحسابهم . وأن عدداً من تلاميذه وأتباعه شاهدوه عياناً بعد قيامته تلك قريباً من مكان دفنه . ثم التقى به عددٌ من تلاميذه بناءً على موعد سابق على جبلٍ بمنطقة الجليل ، وأنه لقي اثنين من التلاميذ قبل ذلك في قريةٍ قريبة من المدينة المقدسة وأنهما استضافاه وكلماه . فأكل من طعامهما . وأكد لهما أنه عيسى بنفسه وأنه حيٌّ في تلك اللحظة . وأنه كان على هيئةٍ غير الهيئة التي كانوا يعرفونه بها - أي أنه كان متنكراً - لكنهم عرفوه بعد أن عرَّفهم بنفسه . وذكَّرهم بأنه قال لهم فيما مضى : إنه سيموت ثم يرجع بعد ثلاثة أيام .

ثم إنه لقي كذلك مجموعة من تلاميذه على شاطيء بحيرة طبرية . فعرفه التلاميذ ورافقهم في رحلة صيد سمكٍ في البحيرة ورافقهم بعد نزولهم إلى الشاطئ[١] .

أما بولس فيؤكد في إحدى رسائله أن عيسى عليه السلام ظهر بعد قيامته في اليوم الثالث من بين الأموات لعددٍ كبيرٍ من التلاميذ زعم أن عددهم يناهز الخمسمائة[٢] .

---

(١) انظر (إنجيل متى / ٢٨: ١ — ١٨) (إنجيل مرقس / ١٦: ١ — ١٥) (إنجيل لوقا / ٢٤ : ١ — ٤٤) (إنجيل يوحنا / ٢٠ : ١ — ٣١) (يوحنا / ٢١ : ١ — ٢٥) .

(٢) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس (١٥ : ٣ — ٧) .

وكل هذا التأكيد من بولس يشرح لنا طبيعة الموقف آنذاك عند انتشار هذه الفرية . ذلك أن عدداً من أتباع المسيح عيسى عليه السلام مثل برنابا وغيره ، رفضوا القبول بمعتقد الصلب أساساً وما ترتب عليه من معتقدات فاسدة ، كالقول بالقيامة من بين الأموات .

ولهذا كان بولس يردد الحديث عن هذا المعتقد وينافح عنه بقوة ، ويهاجم مخالفي هذا المعتقد من النصارى قائلاً : « كيف يقول بعضكم إنه لا قيامة للأموات ، فإن كانت قيامة الأموات غير موجودة . فمعنى ذلك أن المسيح لم يقم أيضاً . ولو لم يكن المسيح قد قام لكان تبشيرنا عبثاً وإيمانكم عبثاً ، ولكان تبين عندئذٍ أننا شهود زورٍ على الله ، إذ إننا شهدنا على الله أنه أقام المسيح ، وهو لم يُقمه ... » إلى أن قال « ولو كان رجاؤنا في المسيح يقتصر على هذه الحياة ، لكنا أشقى الناس جميعاً »[١] .

وصدق والله وهو كذوب . فهم ورب البيت شهود زورٍ على الله ، وهم كذلك والله أشقى الناس بالمسيح ، غَلَوْا فيه فضلُّوا وأضلّوا .

حلَّ الموت بعيسى عليه السلام ودفن . على ما في اعتقاد النصارى مدة ثلاثة أيام بلياليها[٢] ، مع أن الأناجيل كلها لم تذكر أكثر من يوم وليلتين ما بين وقت الدفن ووقت القيامة .

---

(١) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس (١٥ : ١٢ – ١٩) وانظر : اليهودية والمسيحية للأعظمي (٢٧٣ – ٢٧٤) .

(٢) يبنون اعتقادهم هذا على عبارة وردت في إنجيل لوقا تقول : إن ملكين قالا للنساء اللواتي جئن يبحثن عن عيسى في القبر صبيحة يوم الأحد فلم يجدنه : اذكرن ما كلمكم به – أي عيسى – إذ كان بعد في الجليل فقال : إن ابن الإنسان لابد أن يُسلَّم إلى أيدي أناسٍ خاطئين فيصلب وفي اليوم الثالث يقوم » (لوقا / ٢٤ : ٦ – ٧) ويزعمون أن سبب بقائه في القبر ثلاثة أيام لأجل أن لا يشك أحد أنه مات موتاً حقيقياً (تجسد الكلمة / القديس أثناسيوس الرسولي / ترجمة القس : مرقس داود / ٨٢ / دار الجيل – القاهرة / ط. وتاريخ : بدون) .

واستمر بقاء المسيح في حال الظهور بعد القيامة وقبل الصعود ، مدة أربعين يوماً[1] .

جعل النصارى من معتقد القيامة - وقبل ذلك الصلب كمبررٍ للقيامة بالطبع - أساساً للإيمان عندهم . وبإلغاء هذا المعتقد تفقد هذه الديانة كل مقومات بقائها . فهم يستمدون الدلالة على ألوهية عيسى وبنوته وعقيدة الفداء والكفارة وعقيدة المنتظر وغير ذلك ، يستمدون كل هذه العقائد من هذا الأصل . فإذا سقط هذا الاعتقاد سقطت الديانة بأكملها . ولا غرو بعدئذٍ أن يهاجم بولس بكل حِدَّةٍ كل من لا يؤمن بالقيامة . لأن عدم الإيمان بها يستلزم الاعتراف بعبثية هذه العقيدة وهذا التبشير[2] بهذه الديانة على حد اعتراف بولس نفسه الذي نقلناه في مطلع هذا المبحث .

ولهذا يعترف كبار الباحثين النصارى بأهمية وخطورة هذا المعتقد . حتى بلغ الأمر بأحد متعصبيهم إلى أن يقول : « حقيقة قيامة المسيح قد تكون أردأ خدعةٍ دُسَّتْ على عقول البشر ، أو أنها أروع حقائق التاريخ » . يقول هذا مع أنه يؤكد في بحثه ذلك أنه يستبعد كل النظريات الفاسدة التي تُفسِّر حادثة الصلب والقيامة بأنها : إما أن تكون إغماءةً ، أو خطأً في القبر ، ونحو ذلك . مؤكداً على أنه لا يرضى بغير المعنى الصريح لكلمة الموت ، أي : موتٌ حقيقي ثم قيامةٌ حقيقية من بين الأموات . ومع ذلك فإنه يتنازل ويُقرُّ أنه لو ثبت أنها خدعة ، فستكون أضخم خدعةٍ منيت بها البشرية عبر التاريخ[3] .

ولهذا تجاسر بعضهم وتجرأ مستجمعاً كل ما أوتي من شجاعة وقوة زاعماً أن

---

(١) أعمال الرسل (١ : ٣) .

(٢) القيامة والصعود – الأب متى المسكين (٤١ / ٤٥ / ١٠٦ / ١٥٥ / ١٨١ – ١٨٢ / ١٩٦ / ٢٠٨ / ٢٠٩ / ٢٧٦ / ٢٧٩ / ٢٩٠) فهم يعتقدون أن الكرازة أي التبشير انطلقت من لحظة القيامة .

(٣) برهان يتطلب قراراً – جوش مكدويل (٢٢٥ – ٢٢٦ / ٢٢٩) .

القيامة أقوى حقيقةٍ مدعومةٍ في التاريخ[1] . يقول هذا وهو يهتز من داخله لعلمه الأكيد أن تلك الحقيقة الساطعة سرعان ما تذوب أمام أهون تحقيقٍ منظّم .

والقيامة في نظرهم : حدثٌ فوق الطبيعة وخرقٌ لكل قوانينها . والإيمان بها يتضمن الإيمان بأن جسد المسيح لم يكن جسد إنسانٍ بل جسد إلهٍ متأنس . تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً .

ويسمونها بعدة أسماء مثل : النعمة العظيمة والتبرير وغيرها . وهي شرط الفداء ، ولولاها لكان الصلب عاراً في اعتقادهم .

وسر القيامة يكمن في أن المسيح عليه السلام بقيامته من بين الأموات أحرز النصر النهائي ، وهزم الموت وانتصر على الشيطان ، وغلب كل قوى الشر . وقد وهب أتباعه من بعده ذلك الانتصار .

والقيامة جسدية في اعتقادهم ، أي أن المسيح قام بجسده . ويعتقدون كذلك أنه بعد قيامته لم يعد للموت عليه سلطان[2] .

والقيامة في اعتقادهم ثلاثة أنواع :

النوع الأول : القيامة الحاضرة الأولى . ويسمونها كذلك : التبرير . وهي القيامة التي نتحدث عنها هاهنا . وهي قيام المسيح بعد صلبه من بين الأموات .

الثاني : نوعٌ يسمونه القيامة الحاضرة . ولا ندري ماذا يعنون بذلك .

---

(١) المسيحية الأصيلة – جـ. ر. و. ستوت – تعريب القس : ريد زخاري (٥٥ – ٥٦ / ٦٢) دار منشورات النفير – بيروت / طبعة وتاريخ : بدون .

(٢) القيامة والصعود – الأب متى المسكين (٢٥ / ٧٩ / ١٩٥ / ٢٧٦) وانظر كذلك : هل صلب المسيح – للأسقف دافيد براون (٩٥) .

الثالث : القيامة المستقبلَة الثانية . وهي القيامة العتيدة المرتقبة ، أو الرجاء الحي الذي يتحقق الوعد فيه بمجيء المسيح ثانيةً ، وابتداء زمن المسيا والمجد الماسياني على حد تعبيرهم . وإن كانوا يعتقدون كذلك أن ذلك المجد قد انطلقت شرارته منذ حادثة القيامة الأولى[١] . لكن استكمال ذلك الرجاء لا يتحقق إلا بعودة الغائب المنتظر في مملكته القادمة .

أما إنكار القيامة بين النصارى رغم أهمية هذا الاعتقاد بين جمهورهم ، فإن بعض باحثي النصارى يعترف بأن أخبار القيامة في باديء الأمر لم تكن مقبولة عند الكثيرين وشكوا في صحتها . ثم خَفَتَ ذكر المعارضين وسيطر تيار البولسيين المؤيدين بتعصبٍ ظاهر مبدأ الاعتقاد بالقيامة . وساد ذلك الصوت أزمنة طويلة .

ويقال إن تياراً قوياً ينطلق في أوروبا وأمريكا اليوم يميل إلى جحد وإنكار معتقد القيامة جملةً وتفصيلاً تأثراً بالعقلانية والمادية على ما يبدو[٢] .

ويبقى مع ذلك قول الجمهور الأعظم الذي يجعل من القيامة أساس الماضي وأساس الحاضر وأساس المستقبل . أما الماضي فهو منطلق القول بألوهية المسيح ، وأما الحاضر فهو منطلق التبشير والدعوة العالمية ، وأما المستقبل فهو المنطلق لترقب غائبٍ منتظر .

بقي في ختام حديثنا عن قيامة المسيح الأولى من بين الأموات التي يدعيها له النصارى أن ننبه إلى ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن اليهود بحسب زعم أناجيل النصارى كانوا يتوقعون تلك القيامة واتخذوا كل الاحتياطات اللازمة لمنع تحققها ، لكنهم فشلوا . يذكر متى في

---

(١) القيامة والصعود (٧٤ / ١٩١ – ١٩٢ / ١٩٩ – ٢٠٢) .

(٢) تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي (٩٣ – ٩٤) والقيامة والصعود للأب متى المسكين (٢٨ / ١٨٣) .

إنجيله أنه بعد ما تم الصلب والدفن وقبل حدوث القيامة : « تقدّم رؤساء الكهنة والفريسيون معاً إلى بيلاطس ، وقالوا : يا سيد . تذكّرنا أن ذلك المضلل قال وهو حي : إني بعد ثلاثة أيام أقوم . فأصدِرْ أمراً بحراسة القبر بإحكام إلى اليوم الثالث ، لئلا يأتي تلاميذه ويسرقوه ، ويقولوا للشعب : إنه قام من بين الأموات ، فيكون التضليل الأخير أسوأ من الأول » . فأجابهم بيلاطس : عندكم حراس ! فاذهبوا واحرسوه كما ترون . فذهبوا وأحكموا إغلاق القبر ، وختموا الحجر ، وأقاموا حراساً »[1] .

الأمر الثاني : أنهم يعتقدون أن تلك القيامة الأولى لم تكن قاصرةً على المسيح وحده . بل شملت كثيرين من الأموات آنذاك . يقول متى : إنه بعدما حدث الصلب « تفتَّحت القبور ، وقامت أجسادٌ كثيرة لقديسين كانوا قد رقدوا ، وإذ خرجوا من القبور ، دخلوا المدينة المقدسة بعد قيامة يسوع ، ورآهم كثيرون »[2] .

وشملت تلك القيامة حسب تقدير بعض أساقفتهم خمسمائة من الأموات[3] .

الأمر الثالث : أن بعض طوائف النصارى يذكرون اعتقاداتٍ لهم في مسألة القيامة ، ويقولون إنها وقعت للمسيح بعد الصلب وقبل القيامة .

يقولون : إن المسيح لَمَّا صلب ودفن ، انفصل ناسوته عن لاهوته ، فبقي ناسوته في القبر ونزل لاهوته إلى جهنم ، وأنه عُذِّب في الجحيم لكنْ لم يُصبْهُ بأس (؟) - كذا زعموا - وأن اللعنة لحقته كذلك ، وأنه مارس الكرازة والتبشير بين أهل الجحيم كما مارس التبشير بالإنجيل بين أهل الأرض ، ثم إنه خلَّص من الجحيم كل من كان فيها ، زعموا أنه أخرج منها آدم ونوحاً وإبراهيم وجميع الأنبياء عليهم السلام ، وأنهم جميعاً

---

(١) متى (٢٧ : ٦٢ – ٦٦) .

(٢) متى (٢٧ : ٥٢ – ٥٣) .

(٣) السماء - للأنبا يؤانس (١٠١ – ١٠٢) بواسطة : اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام – للدكتور فرج الله عبد الباري (٤٣٧ – ٤٣٨) .

كانوا فيها لأجل خطيئة أبيهم آدم عليه السلام بأكله من الشجرة ، ولم يتحرروا من تلك الخطيئة حتى فداهم المسيح بجسده حين قدَّمه للصلب فاستحقوا بذلك الفداءِ النجاة من الجحيم . وأنه بعد أن أخذ معه كل من كان في الجحيم من المعذبين جاء إلى قبره فخلَّص ناسوته ، فلما انضم ناسوته إلى لاهوته صعد هو وبقية الأنبياء عليهم السلام إلى السماء .

ومع أن هذا الاعتقاد لم يرد في أناجيل ورسائل العهد الجديد ، إلا أن بعض الطوائف النصرانية تجعله من المسلَّمات في أبواب عقائدها . بل صرَّح بعض قساوستهم بكفر من يُنكر نزول المسيح إلى الجحيم . وهم يزعمون أن ذلك وإن لم يكن موجوداً في الأناجيل ، لكنه موجودٌ في (قانون الإيمان) أو (قانون إيمان الرسل) الذي وضعه تلاميذ المسيح من الحواريين الاثني عشر بعد رفعه . ولذا نجد هذا المعتقد مثبتاً في صيغة الصلوات الكنسية لبعض الكنائس في إنجلتره وإيرلنده[1] .

هذا ما كان من أمر القيامة المزعومة ، أما نقض معتقدهم هذا فمحله في باب المناقشة والنقد حين نتناول بالذكر نقض قضية الصلب وما نتج عنها .

---

(١) انظر : تحفة الأريب للميورقي (١٢٧ - ١٢٩ / ١٤٤) وإظهار الحق - لرحمة الله الهندي (٢٧٦ - ٢٧٨ / ٣٨٩) ط. أولى / ١٤١٣ - ١٩٩٣ م / دار الكتب العلمية - بيروت .
وانظر كذلك : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير (٩٧ - ٩٨) .

المبحث الثالث

الصعود

لئن كانت قضية أو دعوى الصلب من المسائل الاتفاقية بين اليهود والنصارى . ولئن كانت عقيدة القيامة من المسائل التي انفرد بها النصارى .

فإن القول بالصعود - أي صعود المسيح عيسى عليه السلام إلى السماء - من القضايا الاتفاقية بين المسلمين والنصارى . إلا أنهم يختلفون في التفاصيل السابقة والمواكبة لذلك الصعود .

ونحن هنا ملتزمون بعرض معتقد النصارى في هذه القضية وقولهم فيها .

فقد أشارت بعض المصادر النصرانية إلى أمر صعود المسيح أو رفعه إلى السماء[1]، بعد أن ساقت ما هو معروفٌ في اعتقادات النصارى من الصلب والدفن والبقاء في القبر ميتاً فترةً معينةً ، ثم القيامة حياً من بين الأموات ، والظهور لأتباعه وبقائه على الأرض فترةً معينةً كذلك .

ثم أعقبت ذلك بذكر الرفع أو الصعود .

أما متى ويوحنا فلم يذكرا أمر الصعود ولا أشارا إليه . لكنَّ النصارى مع ذلك مجمعون على هذا الاعتقاد غير مختلفين فيه .

وهم يستنتجون من هذا الاعتقاد بصعود المسيح حياً إلى السماء بجسمه ، القول بألوهيته . وأنه حيٌّ في السماء الآن[2] . وينتظرون عودته في المجيء الثاني مسيحاً ملكاً منتظراً .

---

(١) إنجيل مرقس (١٦ : ١٩) إنجيل لوقا (٢٤ : ٥١) وسفر أعمال الرسل - للوقا أيضاً (١ : ٩) .

(٢) انظر : النصرانية في الميزان - للطهطاوي (٢٣٩) .

وقد أشرنا قبلاً إلى اعتقاد بعضهم في صعوده بلاهوته وناسوته مصطحباً معه باقي الأنبياء عليهم السلام إلى السماء[١] .

وكان موعد ذلك الصعود بعد أربعين يوماً من القيامة الأولى من بين الأموات[٢].

أما مقامه بعد الصعود فلم يذكر في ذلك أحدٌ من أصحاب الأناجيل شيئاً غير مرقس ، الذي قال : إنه - أي المسيح - حين رفع « جلس عن يمين الله »[٣] .

وهم يقدمون بعد ذلك تفسيراتٍ لاحقة للصعود تجعل فيه سراً معيناً ، وتستخرج منه دلالاتٍ معينة لها أثرها الماثل في الواقع .

فهم باديء ذي بدء يجعلون الصعود سر التثليث ، ذلك أن الصعود هو الطريق إلى التثليث باعتقادهم . ولهذا دلالاته الخطيرة ، ذلك أنهم يقولون : إن المسيح حين صعد إنما كان يعلن بصعوده عن استلامه لسلطان الله ومجده وملكوته من يدي الإله الأب . ذلك أنه بجلوسه معه تساوى به - أعاذنا الله من مقالات الضلال هذه - وبجلوسه عن يمينه أكد نيابته التامة عنه في كل شيء . وهو بصعوده وجلوسه عن يمين الرب صار هو الطريق الوحيد إلى السماء وملكوت الله . وبجلوسه أضحى هو ملك الملوك ورب الأرباب وسيد الدهور .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل هناك ما هو أخطر من ذلك في هذا التسلسل اللامنطقي ، إذ يزعمون بعد ذلك أن سلطان المسيح الذي لا يُحدُّ في السماء ولا في الأرض ، انتقل إلى كنيسته التي تعمل على وجه الأرض ، وهو ما يُعطي للكنيسة - على حد تعبيرهم - « قوةً ورجاءً .. لا يُقهر ولا يقف عند حد »[٤] . ولهذا جاءت

---

(١) تحفة الأريب للترجمان الميورقي (١٢٩ / ١٤٤) .

(٢) سفر أعمال الرسل (١ : ٣) .

(٣) إنجيل مرقس (١٦ : ١٩) .

(٤) القيامة والصعود - الأب متى المسكين (١٧٢/٢٢٨/٢٩٤ - ٢٩٥/ ٣١٥ - ٣١٦/ ٣١٩ - ٣٢٠).

كنيسة روما تزعم لنفسها أنها الكنيسة الكاثوليكية العالمية . فيما يمارس مبشرو البروتستانت هذه العملية في الواقع المعاش ، تاركين الشعارات لكنيسة روما الكاثوليكية .

والنتيجة النهائية لذلك الصعود ستظهر في زمانٍ لاحقٍ بعد العودة المنتظرة . حين يُعطى المسيح حق الدينونة أو الحساب للعباد[١] . وهو ما سنعرض له لاحقاً في الفصل الخاص بـ« المنتظر » .

---

(١) القيامة والصعود (٣١٧) .

الفصل الثالث

المسيح المنتظر في المصادر النصرانية

الفصل الثالث

المسيح المنتظر في المصادر النصرانية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : عن نبوءات العهد الجديد عن المسيح المنتظر عند النصارى . نستعرض فيه ما ورد حول ذلك المسيح المنتظر في أسفار العهد الجديد[1] المقدسة عندهم ، وبخاصةٍ في الأناجيل الأربعة من هذه الأسفار .

المبحث الثاني : نشير فيه إلى نبوءات نصرانية متفرقة حول ذلك المنتظر . وتوقعاتهم بشأنه ووقت مقدمه وزمان ظهوره . مع صلة الماضي بالحاضر بالإشارة إلى ما يحدث في العصر الحاضر من ترقبٍ بالغٍ يُخالطه تعجلٌ وشغفٌ وتوهمٌ مستطيل ، أن زمن ظهوره قد حلَّ أو قارب الحلول ، اعتماداً على ظاهرة تاريخية . هي انقضاء الألفية الميلادية الثانية ، والتخطي إلى عتبة الألفية الثالثة « السعيدة » باعتقادهم .

ولمثل ذلك التلهف والترقب والتعجل آثاره العملية في كل مجالات حياتنا الحاضرة . فكانت الإشارة إلى ذلك والتنبيه عليه من الأهمية بمكان ، دحضاً لمثل تلك التخرصات التي انتقل الاعتقاد بها - والعياذ بالله - إلى أذهان جمهورٍ غفيرٍ من

(١) أسفار العهد القديم عند النصارى مصدرٌ مقدسٌ معتمدٌ كأسفار العهد الجديد تماماً . إلا أن تلك النبوءات الواردة في أسفار العهد القديم لا تتحدث عن العودة الثانية لعيسى مسيح النصارى المنتظر . وإنما تتحدث عن أوصافٍ عامةٍ لمنتظرٍ ما . لذلك يحاول النصارى جاهدين لَيَّ أعناق تلك النصوص لتتطابق مع وجهة نظرهم حول منتظرهم . فلذلك قصرنا الحديث على ما في أسفار العهد الجديد وحدها .
لأنها - في نظري - هي التي تُمثِّل وجهة نظر النصارى الخالصة في هذا المجال . أما تلك التنبوءات الواردة في أسفار العهد القديم . فهي عامةٌ يأخذ بها اليهود للاستدلال على منتظرهم . ويحاول النصارى أن تتطابق مع واقع منتظرهم .
لذلك جعلوه من نسل داود عليه السلام لينطبق عليه على سبيل المثال أحد الأوصاف الواردة في نبوءات العهد القديم ، التي تنص على أنه من نسل داود عليه السلام .

المسلمين . وفيهم من يُنسب للعلم أو ينتسب إليه . وآثار ذلك في المجال الفكري عند المسلمين من حيث الاهتمام بتأليف الكتب التي تتحدث عن « عمر الأمة » أو « نهاية العالم » ونحو ذلك .

المبحث الثالث : نهاية المسيح المنتظر في المصادر النصرانية . كيف ستكون ؟ وماذا يحدث بعده ؟

المبحث الرابع : عن المسيح الدجال في المصادر النصرانية . فكما تحدثت المصادر النصرانية عن المسيح المنتظر ، تحدثت كذلك عن « ضد المسيح » أو « المسيح الدجال » . ووجدنا في ذلك إشاراتٍ كثيرة دفعتنا إلى إفراد هذا الأمر في مبحثٍ مستقلٍ لطرافته وندرته .

وكان في ذلك تصديقاً لقوله ﷺ أنه ما من نبي إلا وحذَّر أمته منه . جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب »[1] .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٥٩) كتاب الفتن - باب ذكر الدجال .

المبحث الأول

نبوءات العهد الجديد عن المسيح المنتظر

المبحث الأول

نبوءات العهد الجديد عن المسيح المنتظر

المسيح المنتظر عند النصارى هو عيسى عليه السلام . أو يسوع حسب تعبيرهم . يقطعون بذلك ويجزمون به بلا تردد . فالمنتظر هو عيسى بشخصه وروحه لا يُجادل في ذلك مجادلٌ منهم .

إذن فشخصُ المنتظر عندهم مجزومٌ به . لا يحتاجون كاليهود إلى وضع صفاتٍ لشخصه . وهم في ذلك يوافقون المسلمين في تحديد شخص المسيح المنتظر . لكنهم يختلفون معهم في تحديد الغاية التي يجيء من أجلها .

وسنجد في كتبهم ما ينقض دعواهم في هذا الجانب ويخيِّب آمالهم وينسف كل توقعاتهم .

أما التفصيل الذي نجده عند النصارى حول المنتظر ، فهو حول موعد قدومه وعلامات قدومه وظهوره ، وما يسبق ظهوره من ملاحم وحوادث عظيمة ، ثم ما يصاحب تلك العودة من أمور ، وما يحدث أثناء ذلك من حوادث ، وما يتبعها من قيام « الملك الألفي السعيد » . ثم ما يحدث بعد تلك الألف السعيدة من « نهاية العالم » .

والحديث عن هذا كله في أسفار العهد الجديد ، لا نجده مجموعاً في مكان واحد. بل هو مبثوث هنا وهناك .

على أنه مما يلاحظ هنا أن الحديث عن كل أمور المنتظر لا تجد منه إلا نتفاً قليلة في الأناجيل الأربعة المعتمدة ، وشذرات لا تكفي لإيضاح هذه الفكرة أو بيانها .

والتفصيل الموسع إنما يرد في باقي أسفار العهد الجديد .

وأوسع التفاصيل وأدقها هي تلـك الـتي وردت في « سـفر الرؤيـا » الـذي تضمَّـن تفاصيل مذهلة ومروِّعة ، تتحدث عن تلك العودة المنتظرة وما يسبقها أو يصحبـها أو يتبعها من حوادث .

ويمكننا أن نصوغ عناصر الحديث في هذا المبحث في المطالب التالية ، طلباً للمزيد من الإيضاح والتنظيم والترتيب :

المطلب الأول : ألقاب المسيح المنتظر .

المطلب الثاني : علامات قدوم المنتظر .

المطلب الثالث : عودة عيسى عليه السلام المسيح المنتظر (المُلْك الأَلْفي) .

المطلب الرابع : الصراع بين المسيح المنتظر وبين يأجوج ومأجوج .

المطلب الخامس : نهاية العالم .

فإلى التفصيل في ذلك .

المطلب الأول

ألقاب المسيح المنتظر

لم أجد عدداً عديداً من الألقاب التي أطلقتها أسفار العهد الجديد على ذلك المنتظر . بعد استبعاد العديد من الألقاب التي أُطلقت على عيسى عليه السلام في بعثته الأولى . أو الألقاب التي لا تتناسب مع عودته الثانية المظفرة المرتقبة التي ترمز إلى الانتصار . لا إلى تلك النهاية في مجيئه الأول .

ولذلك جاء تلقيبه أثناء الحديث عن عودته المنتظرة في الإطار الألفي والمملكة السعيدة بـ« ملك ملوك الأرض »[١] و« رب الأرباب وملك الملوك »[٢] .

وهي ألقابٌ تتناسب والصيغة المفترضة التي تقدمها أسفار العهد الجديد لذلك المنتظر وموقعه في خارطة تلك الأحداث القادمة . مع الربط بينها وبين الاعتقاد الأساسي للنصارى في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حتى قبل أن يعود ملكاً مسيحاً .

ومن الألقاب التي يطلقونها عليه استنتاجاً من مجمل دعوته إلى اللين والرفق والتعامل مع الأعداء قبل الأصدقاء بالحسنى ، لقب « أمير السلام »[٣] . لكنه لم يرد منصوصاً عليه في أناجيلهم ومصادرهم المقدسة .

---

(١) سفر الرؤيا (١ : ٥) .

(٢) الرؤيا (١٧ : ١٤) .

(٣) مسألة صلب المسيح – أحمد ديدات (٤٦) .

المطلب الثاني

علامات قدوم المنتظر

يسبق ظهور المسيح المنتظر عند النصارى ، أو قدومه في عودته الثانية عدة علاماتٍ تتحدث عنها أسفار العهد الجديد بنوع تفصيل .

وبعد استعراض تلك العلامات خطر لي أنها أقرب ما تكون إلى نوعين من العلامات :

- علامات صغرى عامة - إن صح التعبير - .

- وعلامات كبرى ، وهي تلك التي تتضمن عدداً من الأحداث الخطيرة يمكن إفراد كل علامةٍ منها بالحديث على حدة .

وعليه نسوق الحديث عما نسميه بالعلامات الصغرى في فقرة واحدة . ثم نتبعها بالحديث عن كل علامةٍ من العلامات الكبرى بعد ذلك .

والعلامات حسب ما استخرجتها من أسفارهم هي على النحو التالي :

أولاً : علاماتٌ صغرى عامة . أو « أول المخاض » حسب تعبيرهم[1] أشبه ما تكون بعلامات الساعة الصغرى عند المسلمين .

ومن تلك العلامات العامة : حروب / أخبار حروب / تنقلب أمة على أمة ومملكة على مملكة / مجاعات في عدة أماكن / ضيقةٌ عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء العالم إلى الآن ، ولن يحدث . ولولا أن تلك الأيام ستختصر ، لما كان أحدٌ من البشر ينجو / زلازل شديدة / وأوبئة في عدة أماكن كذلك / علامات مخيفة وآيات عظيمة من السماء /[2] .

---

(١) متى (٢٤ : ٨) ومرقس (١٣ : ٨) .

(٢) متى (٢٤ : ٦ - ٧ / ٢١ - ٢٢) ومرقس (١٣ : ٧ - ٨ / ١٩ - ٢٠) ولوقا (٢١ : ١٠ - ١١) .

ثانيا : علاماتٌ كبرى مخصوصة . أشبه ما تكون بأشراط الساعة الكبرى عند المسلمين .

تسبق عودة المنتظر . وهي كالمقدمة لمجيئه . أو تبدأ أحداثها قبل عودته . وفي أثناء ذلك يحين موعد عودته ليشارك في تسيير تلك الأحداث .

ومن تلك العلامات الكبرى التي يذكرونها :

١ - **ظهور المسيح الدجال** : أو « ضد المسيح » قبل العودة الثانية المنتظرة للمسيح عيسى عليه السلام .

ويُلقّبُ النصارى الدجال بالوحش . والإنسان المتمرد ابن الهلاك . ويرمزون له بالرقم ستمائة وستة وستين[١] .

وسنترك تفصيل الحديث عن « المسيح الدجال » عند النصارى . إلى المبحث الرابع من هذا الفصل ، الذي خصصناه للحديث عنه .

٢ - **خروج رجل ينعتونه بـ« الأمين الصادق »** :

يجيء راكباً على حصانٍ أبيض - كما تقول نبوءتهم - .

ويذكرون في صفته أنه « يقضي ويحارب بالعدل » .. « كُتب على جبهته اسمٌ لا يعرفه أحدٌ إلا هو » .. « الأجناد الذين في السماء يتبعونه راكبين خيولاً بيضاء » (كأنهم يشيرون إلى نصرته وتأييده بالملائكة) « يخرج من فمه سيفٌ حادٌ ليضرب به الأمم ويحكمهم بعصاً من حديد ، ويدوسهم في معصرة شدة غضب الله »[٢] .

---

(١) رسالة يوحنا الأولى (٢ : ١٨) والرسالة الثانية إلى مؤمني تسالونيكي (٢ : ٣) وسفر الرؤيا (١٣ : ١٨) . وانظر : التفسير التطبيقي للعهد الجديد (٩٢٣) .

(٢) سفر الرؤيا (١٩ : ١١ - ١٥) .

ويذكرون أنه يقاتل الدجال فينتصر عليه ويقضي عليه قضاءً مبرماً .

تقول النبوءة : « الوحش وملوك الأرض وجيوشهم ... احتشدوا ليحاربوا هذا الفارس وجيشه » ثم تكون نتيجة الصراع أن ينتصر هذا الفارس الأمين الصادق . ويُطرح الدجال في النار . ويقتلَ الفارسُ « جميع الباقين » . كما تقول النبوءة[1] .

٣ - **اجتماع مئتي مليون محارب عند نهر الفرات** : « أُطلِقوا ليقتلوا ثلث البشر » يركبون خيولاً تلفظ من أفواهها « ناراً ودخاناً وكبريتاً »[2] .

٤ - **جفاف نهر الفرات وعبور الملوك القادمين من الشرق عليه**[3] : ويبدو عند الربط بين هذه العلامة والعلامة التي قبلها . أن تلك الجيوش الضخمة تجتمع عند نهر الفرات تحت قيادة ملوك الشرق المذكورين في العلامة الأخيرة . وحينئذٍ ينقطع ماء نهر الفرات ويجف[4] ، وتظهر أرض النهر ، فتعبر تلك الجيوش إلى هدفها الأبعد

---

(١) سفر الرؤيا (١٩ : ١٩ - ٢١) .

(٢) سفر الرؤيا (٩ : ١٤ - ١٧) .

(٣) الرؤيا (١٦ : ١٢) .

(٤) العجيب أن نهر الفرات في عصرنا الحاضر يتعرض لتجفيفٍ متعمد ومكثف . فقد أقيمت عليه من السدود الكبيرة في تركيا عند منبعه ، وسوريا حيث يمر ، إلى العراق حيث ينتهي مداه ، ما يكفي لتجفيفه إذا أغلقت تلك السدود خلال فترة وجيزة . ومن أكبر تلك السدود ، سد أتاتورك في تركيا ضمن خطةٍ تركية ضخمة ، لبناء عدد كبير من السدود عليه (ما بين ١٤ إلى ٢٢ سداً ، حسب بعض التقارير الأخبارية) والعجيب أن بعض التقارير يذكر أن بعض الحكومات والشركات الغربية تساهم في تمويل بناء هذه السدود ، (صدقةً جاريةً على المسلمين الأتراك ، الإخوة الأعداء) . وأن إجمالي تمويل المشروعات يزيد على الثلاثين مليار دولار ، وأن نصف المبلغ قد تم تدبيره . وهذا عجيب . إذ ما سر حرص الممولين الغربيين حكومات وشركات ، على دعم هذا المشروع بهذه الكثافة وبهذه القوة . لولا أنهم يهيئون لهذا الأمر ويعدون له العدة ، وينفذون الخطط العملية .

وحين تم إنشاء بعض تلك السدود وأرادت تركيا ملء خزاناتها بالماء أقفلت ماء الفرات عن العراق وسوريا . فكاد نهر الفرات أن يجف حينها . ولا يزال حتى يومنا هذا دون ما كان عليه . وقد تناقلت ذلك الخبر في حينه وكالات الأنباء العالمية . أما سوريا فأقامت عليه سداً ضخماً (سد وبحيرة الأسد) وأقام العراق كذلك عليه العديد من السدود .

(سهل هرمجدّون الآتي ذكره) . لا عجزاً عن عبور ماء النهر ، بل علامةً من علامات اقتراب ظهور المنتظر .

٥ – حصار أورشليم بالجيوش وخرابها :

تُحاصَرُ أورشليم (القدس) بالجيوش ، فتسقط – على ما يبدو – في يدي محاصريها . وتتعرض للتخريب والتدمير التام . وتصبح حسب تعبيرهم « رَجَاسة الخراب »[١] .

يقول لوقا على لسان عيسى عليه السلام : « عندما ترون أورشليم محاصرةً بالجيوش ، فاعلموا أن خرابها قد اقترب . عندئذٍ ليهرب الذين في منطقة اليهودية إلى الجبال .... فإن هذه الأيام أيام انتقام ... لأن .... غضباً شديداً سينزل بهذا الشعب ، (يريد به حسب سياق النص فيما يظهر : الشعب اليهودي) فيسقطون بحدِّ السيف ويُساقون أسرى إلى جميع الأمم ، وتبقى أورشليم تدوسها الأمم »[٢] . « مدة اثنين وأربعين شهراً »[٣] .

٦ – اندلاع معركة هرمجدُّون العالمية المدمِّرة :

« هرمجدّون » . أو « معصرة غضب الله العظمى » . أو « وليمة الله الكبرى »[٤] .

يحشد الدجال بعد ظهوره كل قوى الشر والباطل في صف أتباعه . وحين يتمكن من بسط نفوذه على « جميع سكان الأرض » . يخرج مَنْ سمَّوه « الأمين الصادق »

---

(١) متى (٢٤ : ١٥) ومرقس (١٣ : ١٤) .

(٢) لوقا (٢١ : ٢٠ – ٢٤) .

(٣) الرؤيا (١١ : ٢) والمدة تعادل ثلاث سنوات ونصف السنة .

(٤) الرؤيا (١٤ : ١٩) و(١٦ : ١٦) و(١٩ : ١٧) .

فيحاربه[١] . ويحتشد « ملوك الأرض جميعاً » خلف الدجال . وتحتشد « جيوش العالم كلها في ... هرمجدون »[٢] وتقع الملحمة . فيجيء المسيح عيسى عليه السلام لقتال الدجال وحشوده ، ولينصر أهل الحق أتباع الأمين الصادق . وتنتهي تلك الملحمة بهزيمةٍ ساحقةٍ للدجال وجيوشه العالمية . وانتصارٍ كاملٍ لجيوش الحق تحت راية المسيح الحق عيسى عليه السلام والرجل الذي يسمونه « الأمين الصادق »[٣] .

٧ - **سقوط بابل العظمى الزانية الكبرى**[٤] :

ويرمزون ببابل لمدينةٍ عالميةٍ كبرى . أقل ما يقال عنها بعد قراءة ما يقولونه عنها : أنها أم عواصم الدنيا . يكون لها شأنٌ في تلك الأحداث العظمى . وذكروا في وصفها أنها : « أم زانيات الأرض وأصنامها المكروهة »[٥] « التي سقت أمم العالم من خمر زناها »[٦] « والتي زنى معها ملوك الأرض ، وسكر أهل الأرض من خمر زناها » . وَوُصِفَتْ كذلك بأنها سكرت « لكثرة ما شربت من دم القديسين » والشهداء[٧] .

ومن الواضح أن الحديث في هذه العلامة أشبه ما يكون بالرموز ، لكنه يحمل الكثير من الدلالات والإشارات التي يمكن فهمها بسهولة . والتي لا يحار المرء في فهمها طويلاً . رغم استخدام عبارات هذه العلامة لمصطلحاتٍ على سبيل الكناية والرمز .

---

(١) الرؤيا (١٣ : ٨) و(١٩ : ١١ - ٢٠) .

(٢) الرؤيا (١٦ : ١٤) و(١٦ : ١٦) .

(٣) انظر : سفر الرؤيا (١٧ : ١٤) (١٩ : ٢٠) .

(٤) الرؤيا (١٧ : ٥) (١٨ : ٢) .

(٥) الرؤيا (١٧ : ٥) .

(٦) الرؤيا (١٤ : ٨) .

(٧) الرؤيا (١٧ : ٢ / ٦) .

خذ على سبيل المثال عبارة « زنى معها ملوك الأرض » . ففي هذه الجملة من الإيحاءات والدلالات السياسية ما فيها . إذ أنها تعني أن ملوك الأرض يخطبون ودّ تلك البلاد التي تكون تلك المدينة كالرمز لها أو العاصمة المالية أو السياسية . ثم لا يكتفون بمقدمات الود والهيام ، بل يمارسون معها ولأجل خاطر عينيها كل أنواع العهر السياسي طلباً لرضاها ، وإظهاراً لبالغ الغرام والعشق والهيام بها ، حتى يكونوا في هذا الباب أكثر مَلَكية من الملِك نفسه ، كما يقول أصحاب المصطلحات السياسية .

أما بقية وصف هذه المدينة العظيمة العجيبة . فقد جاء فيه وصفها بأنها متعددة الشعوب والجماهير والأمم واللغات[١] . وأنها « المدينة العظمى التي تحكم ملوك الأرض »[٢] .

كما وُصِفَتْ بالترف الباذخ . حتى إن « تجار الأرض اغتنوا من كثرة ترفها »[٣] . وفي المقابل فإنها كانت تشتري بضائع تجار الأرض . وبعد أن ذكرت النبوءة العديد من أصناف المشتروات ، أضافت بعد ذلك أنها تشتري كذلك « الأجساد والنفوس البشرية »[٤] . كما وُصف تجارها بأنهم « سادة الأرض » . ووصفت هي بأنها « ضلّلت جميع الأمم » بسحرها[٥] .

وفي خضم الملحمة الكبرى بين الوحش الدجال وقوى الشر ، وبين أهل الحق ، تذكر النبوءة أن عشرة ملوك (أي عشر دول) على وفاقٍ مع هذه المدينة العظمى

---

(١) الرؤيا (١٧ : ١٥) .

(٢) الرؤيا (١٧ : ١٨) . ولك أن تقارن ذلك بمفهوم النظام العالمي الجديد الأحادي القطب . وبالقوة العظمى الأولى عالمياً ، المهيمنة على مقدرات بقية الأمم والشعوب ، المؤثرة في قراراتها السياسية والعسكرية والاقتصادية .

(٣) الرؤيا (١٨ : ٣). وقارن ذلك بنظام الوكالات التجارية وعمليات الاستيراد المعروفة في عصرنا الحاضر.

(٤) الرؤيا (١٨ : ١١ - ١٢ - ١٣) . وقارن ذلك إن شئت بمسألة هجرة العقول والأدمغة البشرية .

(٥) الرؤيا (١٨ : ٢٣) . وقارن ذلك إن شئت بقضية حلم الهجرة إلى أرض الأحلام بالنسبة لكثيرٍ من أبناء الأمم الفقيرة في كل أصقاع العالم .

« التي أفسدت الأرض » . ينقلبـون ضدهـا ويبغضونـها ويعزلونـها . ثـم « يحرقونـها بالنار » . وسيتحالفون مع الوحش ضدها[١] .

وتصف النبوءة تلك الكارثة المروعة التي ستحل بهذه المدينة العظيمـة . فتقـول : « ستنقض عليها البلايا في يومٍ واحد ، من موتٍ وحزنٍ وجوعٍ ، وسـتحترق بالنـار ، ... وسيبكي عليها ملوك الأرض الذين زنوا وترفّهوا معها ، وسينوحون وهم ينظرون إلى دخان حريقها[٢] ، .... وسيبكي تجار الأرض ويحزنون عليها ، لأنـه لم يبـق أحدٌ ليشتري بضائعهم ، .... ويقف قادة السفن وركابها وملاّحوهـا ... على بعدٍ منـها ينظرون إلى دخان حريقها ، فيصرخون : أية مدينةٍ مثـل هـذه المدينـة العظمـى ؟ .... اشمتوا بها أيها القديسون ... فقد أصدر الله حكمه عليـها بعدمـا أصـدرت أحكامـها عليكم »[٣] .

ثم تضيـف النبـوءة : « وتنـاول مـلاكٌ قـوي حجـراً .. وألقـاه في البحـر قـائلاً : « هكذا تدفع وتطرح .. المدينة العظمى ، فتختفي إلى الأبد ! لـن يُسـمع فيـك عـزف موسيقى بعد ، .... ولن تقـوم فيـك صناعـةٌ بعـد الآن ، ... ولـن يضـيء فيـك نـور مصباح »[٤] .

العجيب أن عمر هذه الكارثة - كما تقول النبوءة - لا يزيد عن ساعةٍ واحدة[٥].

---

(١) الرؤيا (١٧ : ١٦) .

(٢) هل هذه نبوءة أيضاً بوجود تلفزةٍ تنقل الأحداث مصورةً أو حيةً على الهواء إلى كل أرجاء الأرض .

(٣) هذه إشارة عجيبة . لها الكثير من الدلالات والإيحاءات .

(٤) الرؤيا (١٨ : ٨ - ٢٣) .

(٥) حرقٌ بالنار يقضي عليها في ساعةٍ واحدة ! هل سيكون ذلـك قصفـاً بصواريـخ نوويـة تدمرهـا وتحرقـها وترمي بها في البحر في ساعةٍ واحدة .

وأعادت ذلك النبوءة وكررته : « في ساعةٍ واحدة حلَّ بـكِ العقـاب »[١] . « زال هـذا الغنى كله في ساعة واحدة » . « ها هي في ساعةٍ واحدةٍ قد زالت »[٢].

وحينئذٍ يحين موعد عرس الحمل[٣] . أي موعد قدوم المسيح المنتظر .

٨ – حلول الدمار بمدن الأمم ، ودمار الأرض :

تقول النبوءة : « وحلَّ الدمار بمدن الأمـم ... وهربـت الجـزر كلـها ، واختفـت الجبال . وتساقط من السماء على الناس بَرَدٌ كبير »[٤] .

وعندما تتدمَّر الأرض يأذن الله لمسيحه بالنزول إليـها ليملكـها ، وليخلِّصـها ممـن دمروها ، وليُهلك « الذين كانوا يُدمِّرون الأرض »[٥] .

٩ – آيات سماوية متعددة :

تذكر نبوءات أسفار العهد الجديد أن آخر ما يظـهر مـن تلـك العلامـات ، عـدة آيات سماوية . وربما أضافت بعض الأسفار على تلك الآيات السماوية بعض الآيـات الأرضية . لكننا سنفرد الآيات الأرضية بعدئذٍ .

---

(١) الرؤيا (١٨ : ١٠) .

(٢) الرؤيا (١٨ : ١٧ / ١٩) .

(٣) الرؤيا (١٩ : ٧) .

(٤) الرؤيا (١٦ : ١٩ – ٢٠) . هل يا تُرى تتحدث النبوءة عن الشتاء النووي . والدمارُ الذي يحلُّ بكل هذه المدن – مدن جميع الأمم – هل يكون نتيجة تراشقٍ نووي بالصواريخ النووية يقضي على كـل هـذه المدن الكثيرة في وقتٍ واحد . كما هو مخطط الحرب النووية الموجود منذ عقود .
وهل يُشير هذا إلى حدوث ما يشبه الاحتباس الحراري الهائل في الأرض ، أو التبدل المناخي نتيجة ظـرفٍ ما ، مما يؤدي إلى ذوبان الجليد في القطبين ، فيرتفع منسوب المياه في محيطات العالم وبحاره ، مما يؤدي إلى غرق كل الجزر والأراضي الساحلية المنخفضة في هذا الكوكب .

(٥) الرؤيا (١١ : ١٥ – ١٨) .

وقد أشار متى في إنجيله إلى أن ظهور ابن الإنسان أو عودة المسيح المنتظر ، تسبقه عدة آيات سماوية . يقول : « تُظلم الشمس ، ويحجب القمر ضوءه ، وتتهاوى النجوم من السماء ، ... وعندئذٍ ... يرون ابن الإنسان آتياً »[١] .

ومثل ذلك ذكر مرقس في إنجيله[٢] .

أما لوقا فذكر قريباً من ذلك . يقول : « ستظهر علاماتٌ في الشمس والقمر والنجوم ، ... البحر والأمواج تعج وتجيش ، ويُغمى على الناس من الرعب ومن توقُّع ما سوف يجتاح المسكونة .... عندئذٍ يرون ابن الإنسان آتياً »[٣] .

١٠ - آيات أرضية متعددة :

ويُسمُّونها : « البلايا السبع الأخيرة » ، التي ستنزل بالأرض . أو « كؤوس غضب الله السبع » . وهي على التوالي :

١ - قروحٌ خبيثة (أمراض وبائية) تصيب أتباع الوحش (الدجال) .
٢ - تلويث البحر . حتى يصبح لونه كلون الدم .
٣ - تلويث الأنهار وينابيع المياه . ويصبح لونها كلون الدم .
٤ - حرٌّ شديد . « أعطيت الشمس أن تحرق الناس بنارٍ ، فاحترق الناس من الحر الشديد » .
٥ - ظلامٌ دامس[٤] .
٦ - جفاف ماء نهر الفرات (وقد أشرنا إليه فيما سبق) .
٧ - زلزالٌ عنيفٌ جداً « لم تشهد الأرض له مثيلاً منذ وُجِدَ الإنسان على الأرض » بالإضافة إلى سقوط بَرَدٍ كبير ، وبروقٌ وأصواتٌ ورعودٌ[٥] .

---

(١) متى (٢٤ : ٢٩ - ٣٠) .
(٢) مرقس (١٣ : ٢٤ - ٢٦) .
(٣) لوقا (٢١ : ٢٥ - ٢٧) .
(٤) هذا أشبه ما يكون بالشتاء النووي الذي يُعقب قيام الحرب النووية . الذي يتحدثون عنه في السيناريوهات الافتراضية .
(٥) الرؤيا (١١ : ١٩) و(١٥ : ٦ / ٨) و(١٦ : ١ - ٢١) .

المطلب الثالث

عودة عيسى عليه السلام المسيح المنتظر

في أول الأمر ، كان النصارى يظنون أو يتمنون أن تكون العودة المنتظرة قريبة الزمن من واقعة الاختفاء بعد محاولة الصلب المزعومة ، ورفع المسيح عليه السلام إلى السماء ، فأكَّد أولئك الأتباع في غمرة دهشتهم وفجيعتهم أن العودة عمَّا قريب ، بل زعم متى في إنجيله أن المسيح عليه السلام قال في وصيةٍ له : بعد أن حثَّهم على القيام بالدعوة في كل مدن إسرائيل « لَنْ تفرغوا من مدن إسرائيل إلى أن يأتي ابن الإنسان » . وكرر ذلك الزعم وأكَّده في موضعٍ آخر من إنجيله حين ذكر أن المسيح عليه السلام قال : « الحق أقول لكم : إن بعضاً من الواقفين هنا لن يذوقوا الموت ، قبل أن يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته »[1] .

ورغم أن تلك التوقعات لم تتحقق ، لكنها مع ذلك بقيتْ مسطورةً في إنجيلٍ معتمدٍ عند كل طوائف النصارى . وأُلغيتْ الكثير من الجمل والعبارات . لكنَّ هذه العبارات المزيفة - بلا شك - بقيتْ شاهدةً على كذب الكاتب وبُعْد معلوماته عن الدقة ، فضلاً عن كونها مقدسة .

لكنها مع ذلك فتحت فيما بعد لبعض طوائف النصارى أبواباً من التأويلات في هذه المسألة . كزعم الكاثوليك أن ذلك الملكوت قد قام ممثلاً بالكنيسة الكاثوليكية ، وقيامها وفرض سيطرتها الروحية على جميع النصارى . مما سنبينه عند الكلام على الملك الألفي في مبحثٍ لاحق .

أما حديثنا هنا فسيكون عن نبوءات أسفار العهد الجديد بشأن العودة القادمة الثانية المنتظرة : كيف ستكون ؟ وماذا سيفعل مُنتظَرها ؟ وهل يُمكن معرفة وقتها ؟ هذا ما سنراه في الفقرات التالية :

---

(١) متى (١٠ : ٢٣) (١٦ : ٢٨) .

١ - **العودة المنتظرة** : « تظهر آية ابن الإنسان في السماء ، فتنتحب قبائل الأرض كلها ، ويرون ابن الإنسان آتياً ... بقدرةٍ ومجدٍ عظيم . ويرسل ملائكته بصوت بوقٍ عظيم ليجمعوا مختاريه من الجهات الأربع ، » « من أقصى الأرض إلى أقصى السماء »[١] .

٢ - **موعد العودة** : أما موعد تلك العودة فلا يعرفه أحد . ولن يعرفه أحدٌ ، « أَمَّا ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعرفهما أحد ، » ... « فاسهروا إذن ، لأنكم لا تعرفون في أية ساعةٍ يرجع ... لأن ابن الإنسان سيرجع في ساعةٍ لا تتوقعونها »[٢] .

فموعد العودة إذن غير معروفٍ على الإطلاق . ولا يمكن لأحدٍ كائناً مَنْ كان التنبؤ بزمن أو وقت حدوثه مطلقاً .

وفي هذا ما يكفي لبيان التناقض والتضارب في كتبهم المقدسة عندهم ، وفيه ما يكفي للرد على مزاعمهم الحاضرة حول الألفية الثالثة القادمة ، ونهاية الألفية الميلادية الثانية ، وارتباط هذا التوقيت بالعودة الثانية المنتظرة دون دليلٍ من مصادرهم المعتمدة .

بل في أناجيلهم المعتمدة ما ينطق صراحةً بتكذيبهم ونسف كل مزاعمهم .

فما بقيَ لهم بعدئذٍ معتمدٌ غير تخرصات معشر يهود في أسفار عهدهم القديم ، وهي دلائل واهيةٌ ، أوهى من بيت العنكبوت .

٣ - **صفة العودة** : أو كيف يعود ؟ :

الجواب : أن أسفار العهد الجديد قد ذكرت صفة تلك العودة . فقالت :

---

(١) متى (٢٤ : ٣٠ - ٣١) وانظر كذلك (مرقس / ١٣ : ٢٦ - ٢٧) (لوقا / ٢١ : ٢٧) .

(٢) متى (٢٤ : ٣٦ / ٤٢ / ٤٤) . وانظر (مرقس / ١٣ : ٣٢) و(لوقا / ١٢ : ٤٠) .

أ - : إنها ستكون مفاجئةً . « .... يدهمكم ذلك اليوم فجأةً ، فإنه سوف يُطبق كالفخِّ على جميع الساكنين على وجه الأرض كلها »[١] .

ب - سريعة الحدوث ، سريعة الإيقاع - إن صح التعبير - . « فكما أن البرق يُومض من الشرق فيضيء في الغرب ، هكذا يكون رجوع ابن الإنسان . »[٢] .

جـ - ستكون واضحةً للجميع لا لبس فيها ولا ارتياب ، ولا شك في وقوعها بعد ظهورها للعيان بكل جلاء . أما كيف يكون ذلك ؟ فقد ذكرت الأسفار له صفةً مخصوصةً . قالت : « سوف ترون ابن الإنسان ... آتياً على سُحُب السماء ». « ها هو آتٍ مع السحاب ! ستراه عيون الجميع ، »[٣] .

٤ - مِنْ أين يأتي ؟ : الجواب في ذلك واضحٌ من السياق. يقولون : « إن يسوع ، هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء ، سيعود منها مثلما رأيتموه منطلقاً إليها » .

أي أنه « سينزل من السماء »[٤] .

٥ - رفاق العودة : لا تقتصر العودة على المسيح عيسى عليه السلام وحده في اعتقاد النصارى حسب ما هو مدونٌ في أسفار عهدهم الجديد . بل سيرافقه في العودة جمعٌ من قديسيه . ولربما كان ذلك الاعتقاد من نصيب فريقٍ منهم .

ذلك أننا لا نجد تلك المقالة إلا عند بولس الذي ردد الفكرة وأكّد أن المسيح سيظهر« عائداً مع جميع قديسيه » . وأن أولئك القديسين الأموات سيقومون من قبورهم حالما ينفخ رئيس الملائكة في البوق الإلهي بأمرٍ من عيسى نفسه . وحينئذٍ

---

(١) لوقا (٢١ : ٣٤ - ٣٥) .

(٢) متى (٢٤ : ٢٧) وانظر (لوقا / ١٧ : ٢٤) .

(٣) متى (٢٦ : ٦٤) (مرقس / ١٤ : ٦٢) (الرؤيا / ١ : ٧) .

(٤) أعمال الرسل (١ : ١١) . والرسالة الأولى إلى مؤمني تسالونيكي (٤ : ١٦) .

تحدث تلك القيامة ، ويجتمع أولئك القديسون خلف عيسى عليه السلام في السحاب[1] .

وتتوالى أحداث العودة بعد ذلك على نحوٍ مثير . ينزل المسيح عيسى عليه السلام من السماء ، وحينئذٍ تقع تلك الأحداث المثيرة لقصة العودة الثانية المنتظرة للمسيح المنتظر عيسى عليه السلام .

ولمزيدٍ من الترتيب سنوردها في فقراتٍ محددة استكمالاً للفقرات الأولى لتظهر قصة العودة بشكلٍ متكاملٍ وتام . فإلى ذلك .

٦ - الخطف :

أول أعمال المسيح المنتظر إذا عاد ، في اعتقاد بولس والنصارى من بعده ، هو الخطف .

والخطف : رفعٌ بالجسد . أيْ أن المسيح عيسى عليه السلام حين يظهر عائداً على متن السُحُب مع جمعٍ من قديسيه الأموات بعد أن قاموا ، يخطف أتباعه من الأحياء من جحيم وهول معركة الملحمة (هرمجدون) إلى حيث يكون فوق السُحُب . كي ينجو أولئك الأتباع - باعتقادهم - من آثار تلك الكارثة الماحقة . حتى إذا انتهت تلك الكارثة ، وهبط المسيح إلى الأرض أخيراً هبطوا معه ، وشهدوا بأُمِّ أعينهم قيام مملكته . وأيدوه في تشييدها .

ورغم أهمية مثل هذا المعتقد وغرابته ، إلا أننا لا نجد له ذكراً على الإطلاق في أيٍّ من الأناجيل الأربعة . وإنما ذكره بولس في رسالته الأولى إلى أتباعه في تسالونيكي . حيث يقول : « حالما يُدوِّي أمرٌ بالتجمُّع ، وينادي رئيس ملائكةٍ ،

(١) الرسالة الأولى إلى مؤمني تسالونيكي (٣ : ١٣) (٤ : ١٦) .

ويُبوَّق في بُوقٍ إلهيٍّ ، عندئذٍ يقوم الأموات في المسيح أولاً . ثم إننا ، نحن الباقين أحياءً ، نُختطف جميعاً في السُحُب للاجتماع بالربِّ (؟) في الهواء . وهكذا نبقى مع الرب (؟) على الدوام . لذلك عَزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام »[1] .

وعلى هذا الكلام الذي خطَّته يدا بولس ، ثم ألبسه ثوب القدسية والعصمة والإلهام والوحي ، بنى النصارى اعتقادهم في : الخطف ، وفصَّلوا القول في ذلك ، وزادوا وأعادوا . وهاهم حتى يومنا هذا ينتظرون الخاطف المنتظَر وخطفته . أوهامٌ تتدلَّى عن أوهام ، وفهومٌ تفهم لا كبقية الأفهام .

ومن الواضح أن بولس كتب تلك العبارات في سياق الأمنيات بعودةٍ قريبةٍ للمسيح ، استعجالاً لرفع الظلم والاضطهاد - الذي كان حينئذٍ على أشده - عن أتباعه .

يشهد لذلك إشارة بولس ، إلى أن الخطف سيشمله هو ومَنْ معه . يقول : « إننا نحن الباقين أحياءً نختطف » .

فهي على الحقيقة أمنيةٌ ، وترقبٌ وتعجُّلٌ للفرج والظفر .

والذي يشهد لهذا ويؤكده قوله في ختام تلك العبارة : « عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام » .

فالأمر إذاً من أساسه مجرد تخفيفٍ للآلام ، وتعزيةٌ وتهدئةٌ للمظلومين . ثم بُنِيَ على هذا الوهم بعد تقادم الأيام ومرور السنين وخفوت الأمل ، الاعتقاد بأن ذلك الخطف سيتحقق إبَّان العودة الثانية القادمة للمنتظر في آخر الزمان قبل نهاية العالم . فلينتظروا الخطف الموهوم إذن !!!

---

(١) الأولى إلى مؤمني تسالونيكي (٤ : ١٦ - ١٨) .

٧ - المختومون :

المختومون من بني إسرائيل ، في اعتقاد النصارى المؤمنين بالعودة ، هم : نفرٌ من اليهود يلتحقون بركاب المسيح المنتظر عيسى عليه السلام ، ويؤمنون به بعد مجيئه الثاني ، ويصبحون من أتباعه الداخلين في ملكه . فمتى نزل المسيح عيسى عليه السلام في اعتقاد النصارى ، واختطف أتباعه من النصارى على حد زعمهم ، أيقن حينئذٍ أولئك النفر من اليهود أنه المسيح الحق لا مسيح الضلالة ، فاتبعوه وأصبحوا من المخلَّصين .

أما عدد المختومين من اليهود حينذاك فمئةٌ وأربعةٌ وأربعون ألفاً . إثنا عشر ألفاً من كل سبطٍ من الأسباط الإثني عشر - حسب زعمهم[1] - .

٨ - **الملك الألفي** : وتتوالى أحداث العودة لِتُتَوَّج بالملك الألفي الذي يشيده المسيح الحق المنتظر عيسى عليه السلام . ويريدون بعبارة الملك الألفي : أن المسيح عيسى عليه السلام حين ينزل من السماء ويقضي على قوى الشر ، يقيم مملكته ، ويملك « ألف سنة »[2] .

وبعد انقضاء هذه الألفية السعيدة ، ألفية السلام والعدل حسب أوصافهم . يتداعى هذا العالم ، ويُسرع نحو نهايته المحتومة ، ورغم انتهاء الألفية السعيدة ، إلا أن المسيح عيسى عليه السلام لا يتخلَّف ذكره في بعض الأحداث اللاحقة التي تؤذن بزوال العالم . وهذا مفهومٌ على ضوء اعتقادهم ألوهيته . مما سنراه في المطلب بعد اللاحق .

---

(١) الرؤيا (٧ : ٤ - ٨) .

(٢) الرؤيا (٢٠ : ٤ - ٦) .

المطلب الرابع

الصراع بين المسيح المنتظر وبين يأجوج ومأجوج

حين تنقضي الألفية السعيدة ، يحين أوان آخر الملاحم التي تسبق نهاية العالم ، بخروج الشيطان من سجنه - حسب زعم الأسفار - وتضليله للأمم ، وتهييجه للأمتين العظيمتين الهمجيتين « جوج وماجوج » .

وتبدأ أحداث آخر الملاحم وخاتمة الأحداث الكبرى .

يجمع إبليس هذه الأمم لقتال أهل الحق « معسكر القديسين » ، وتبدأ الملحمة .

يصف سفر الرؤيا هذه الملحمة بنوعٍ من الإسهاب . فيقول : « .. حين تنقضي الألف سنة ، يُطلَق الشيطان من سجنه ، فيخرج لِيُضلِّل الأمم في زوايا الأرض الأربع ، جوج وماجوج ، ويجمعهم للقتال ، وعددهم كثيرٌ جداً كرمل البحر . فيصعدون على سهول الأرض العريضة ، ويُحاصِرُون من كل جانبٍ معسكر القديسين والمدينة المحبوبة ، ولكنَّ ناراً من السماء تنزل عليهم وتلتهمهم . ثم يُطرح إبليس الذي كان يُضلِّلهم ، في بحيرة النار والكبريت ، ... هناك سوف يُعذَّبون نهاراً وليلاً ، إلى أبد الآبدين »[1] .

وبعد كل هذه الملحمة المروِّعة خاتمة الملاحم ، تبدأ أحداث النهاية ، بل تبدأ النهاية نفسها ، متسلسلةً على النحو الذي سنراه في المطلب اللاحق .

(١) الرؤيا (٢٠ : ٧ - ١٠) .

المطلب الخامس

نهاية العالم

يرتبط الحديثُ عند النصارى عن المسيح عيسى عليه السلام في مجيئه الثاني المنتظر، بالحديث عن نهاية العالم الأبدية ، وقدوم « يوم الرب » أو « يوم الله الأبدي » . المقابل لمصطلح « يوم القيامة » عند المسلمين . لذلك يشيرون دائماً إلى أنه حين « يُنادَى ببشارة الملكوت ... في العالم كله » أي حين يجيء المسيح المنتظر الحق في مجيئه الثاني ، حينئذٍ « تأتي النهاية »[١] .

تبدأ النهاية بقيام الملحمة ، ملحمة آخر الزمان « معركة هرمجدُّون العالمية » .

وبعد أن تستمر الملحمة مدة اثنين وأربعين شهراً (ثلاث سنوات ونصف سنة) تدوس خلالها الأمم المدينة المقدسة[٢] .

وبعد أن ينزل المسيح عيسى عليه السلام ، المسيح الحق المنتظر ، وبعد أن ينتصر الحق على الباطل ، تنفيذاً لـ« خطة الله الخفية » حسب عبارة سفر الرؤيا ، و« وفقاً لِمَا أعلنه لعبيده الأنبياء »[٣] .

وتجيء أيام الألفية السعيدة والملك الألفي للمسيح عيسى عليه السلام .

وخلال هذه الألف سنة - ألفية السلام والخير والعدل - تقول الأسفار : إن الشر يُقهر قهراً مطلقاً بالقبض على الشيطان اللعين - إبليس - وتقييده ، وسَجْنه خلال الألف سنة « حتى يكفَّ عن تضليل الأمم ، إلى أن تنقضي الألف سنة »[٤] .

---

(١) متى (٢٤ : ١٤) .

(٢) الرؤيا (١١ : ٢ / ١٣ : ٥) .

(٣) الرؤيا (١٠ : ٧) .

(٤) الرؤيا (٢٠ : ١ - ٣) .

وبعد القضاء على يأجوج ومأجوج . ندخل في النهاية ذاتها ، على نحوٍ ما ، يمكن تصوره كالتالي :

١ - يوم الله الأبدي / يوم الرب :

يأتي يوم الرب فجأةً ، كما يحدث قدوم المنتظر فجأةً ، وكما أن المسيح المنتظر يسبق قدومه ما ذكرناه من علامات ، فإن كل تلك العلامات بما فيها ظهور المنتظر وانتهاء ملكه الألفي ، وظهور جوج ومأجوج ، والنهاية المروعة التي يلقونها . كل تلك مقدماتٌ وعلاماتٌ لقرب حلول يوم الرب ، وإيذانٌ بانتهاء عمر هذا العالم .

إلاَّ أن العلامة المميزة والأخيرة التي تسبق هذا اليوم هي : انقضاء كل الملاحم والأحداث المثيرة ، وحلول السلام والأمن في أرجاء الأرض . عندئذٍ - كما تقول الأسفار - فلينتظر الناس ذلك اليوم عن قريب .

يقول بولس : « يوم الرب سيأتي كما يأتي اللص في الليل . فبينما الناس يقولون : حَلَّ السلام والأمن . ينزل بهم الهلاك المفاجيء »[١] .

أما ماذا يحدث في ذلك اليوم . فيقول عنه بطرس في رسالته الثانية ضمن أسفار العهد الجديد : « يوم الرب سيأتي كما يأتي اللص في الليل . في ذلك اليوم ، تزول السماوات محدثةً دويّاً هائلاً وتنحلّ العناصر محترقةً بنارٍ شديدةٍ ، وتحترق الأرض وما فيها من منجزات » .

أما الصالحون (القديسون حسب عبارة السفر) فيجب عليهم أن يظلوا منتظرين « يوم الله الأبدي وطالبين حلوله بسرعة »[٢] .

---

(١) الرسالة الأولى إلى مؤمني تسالونيكي (٥ : ٢ - ٣) .

(٢) رسالة بطرس الثانية (٣ : ١٠ - ١٢) .

٢ - الدينونة :

يقولون : إن يسوع (؟) المسيح أعطي سلطةً من الله ليدين كل العالم في ذلك اليوم « دينونةً نهائية » . « وهذه الدينونة غير قاصرة على غير المؤمنين فقط ، بل سيقف المؤمنون أيضاً أمام كرسي المسيح ، فرغم أن مصيرهم الأبدي مضمون ، فإن ... يسوع (؟) سيكشف كيف تصرفوا .... وفي وقت الدينونة سينقذ الله الأبرار ويدين الأشرار »[1] .

أي أنهم بعبارةٍ أخرى : يجعلون الحساب والعرض من حق المسيح ، أي أن المسيح هو الذي يُعرض أمامه الناس ، وهو الذي يحاسبهم ويجازيهم . وهذا مفهومٌ على ضوء ادعائهم ألوهيته .

يقول متى : « ابن الإنسان سوف يعود في مجد أبيه مع ملائكته ، فيُجازي كل واحدٍ حسب أعماله »[2] ويُخرج جميع المفسدين ومرتكبي الإثم من ملكوته فيطرحهم في النار[3] .

ويمنحنا متى بعد ذلك تفصيلاً أكثر لأحوال يوم الدينونة الأكبر . فيقول : « عندما يعود ابن الإنسان في مجده ومعه جميع ملائكته ، فإنه يجلس على عرش مجده ، وتجتمع أمامه الشعوب كلها ، فيفصل بعضهم عن بعض ... عن يمينه ، و.. عن يساره ، ثم يقول ... للذين عن يمينه : تعالوا يا من باركهم أبي ، رِثُوا الملكوت الذي أُعِدَّ لكم منذ إنشاء العالم . ... ثم يقول للذين عن يساره : ابتعدوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعَدَّة لإبليس وأعوانه . ... فيذهب هؤلاء إلى العقاب الأبدي ، والأبرارُ إلى الحياة الأبدية »[4] .

---

(١) التفسير التطبيقي للعهد الجديد (٦٩) .

(٢) متى (١٦ : ٢٧) .

(٣) متى (١٣ : ٤١ - ٤٢) .

(٤) متى (٢٥ : ٣١ - ٤٦) .

٣ - سماء جديدة وأرض جديدة :

وختام ذلك أن يُنشيء الله بعد ذلك « سماءً جديدةً وأرضاً جديدةً » - على حد تعبيرهم - ينتقل إليها عباده المؤمنون مع المسيح عيسى عليه السلام . « لأن السماء والأرض القديمتين قد زالتا » . وحينئذٍ - حسب تعبيرهم - يُصبح « مسكن الله مع الناس » .

وليس ثمت هيكلٌ تمارس فيه العبادة . « لأن الرب الإله القادر على كل شيء والحَمَل (عيسى المسيح) هُمَا هيكلها . » حسب تعليلهم[1] .

وبهذا ينتهي الحديث في هذا المبحث عن نبوءات العهد الجديد حول المسيح المنتظر ، وعلامات ظهوره ، وأحداث العودة الثانية وما يتبع ذلك .

---

(١) رسالة بطرس الثانية (٣ : ١٣) وسفر الرؤيا (٢١ : ١ / ٣ / ٢٢) .

المبحث الثاني

نبوءات نصرانية

المبحث الثاني

نبوءات نصرانية

وفيه أربعة مطالب :

– **المطلب الأول** : علامات المجيء الثاني .

والعلامات اثنتا عشرة علامة ، على النحو التالي :

العلامة الأولى : انتشار الإنجيل في العالم ، ودعوة الأمم .

العلامة الثانية : تنصُّر بعض اليهود .

العلامة الثالثة : ارتدادٌ عظيمٌ في الكنيسة .

العلامة الرابعة : دخول الكنيسة في ألفيةٍ جديدةٍ تكون فيها مهيمنةً على العالم .

العلامة الخامسة : عودة اليهود إلى فلسطين .

العلامة السادسة : إنشاء إسرائيل الكبرى .

العلامة السابعة : استيلاء اليهود على القدس .

العلامة الثامنة : هدم الأقصى وبناء الهيكل الثالث .

العلامة التاسعة : تجفيف نهر الفرات .

العلامة العاشرة : حصار أورشليم بالجيوش .

العلامة الحادية عشرة : خروج المسيح الدجال .

العلامة الثانية عشرة : إشعال معركة هَرْمَجدُّون .

المطلب الأول

علامات المجيء الثاني

يذكر النصارى عدداً من العلامات للمجيء الثاني للمسيح .

وقد فصَّل متأخروهم القول في ذلك ، ووسعوا البحث في تلك العلامات . وقد استقصيت في هذا المطلب ما ذكرته أسفارهم من ذلك ، أو ذكروه في هذا المجال مما استخرجوه بتخريجاتهم هم من كتبهم ، وميَّزوه وأفردوه .

فاجتمع لي من كل ذلك بعد طول بحثٍ واستقصاء - بعونٍ من الله وتوفيق - اثنتا عشرة علامة .

وها هي مبثوثةٌ في هذا المطلب على التفصيل ، مع تفاوتٍ فيما بينها ، بحسب أهمية كل علامة ، ونصيبها من التطبيق ، وحضورها وأثرها البالغ في الواقع ، وكثرة ما يذكرونه فيها ، وما يستخرجونه منها ولها من دلالاتٍ واستدلالات .

فإلى تلك العلامات على هذا الترتيب الذي اخترته :

العلامة الأولى : انتشار الإنجيل في كل العالم ودعوة الأمم لينضموا إلى الكنيسة[١] .

وليس مرادهم بذلك أن يصبح كل الخلق نصارى . بل يقولون : إن « المقصود أن الإنجيل بعد أن كان (انتشاره) محدوداً في مكانٍ واحد ، وبقعةٍ محدودة ، سيصل إلى جميع بلاد العالم ، وسيسمع جميع الناس عن .. المسيح ودعوته .. »[٢] .

---

(١) حقائق أساسية (٢٦٣) .

(٢) حقائق أساسية (٢٧٥) .

وقد تحققت في اعتقادهم هذه العلامة بسبب نشاطاتهم التنصيرية الهائلة في العصر الحاضر . يقول أحدهم : « لدينا الآن ٤٠ ألف بعثة إنجيلية خارجية حول العالم . لقد وصلت الدعوة إلى جميع الأمم . »[1] .

ومن العجائب التي يُشار إليها هاهنا ، أنهم يقومون بترجمة الإنجيل إلى كل اللغات المعروفة في العالم .

ومما يُذكر في ذلك أنهم لـمَّا دخلوا أراضي ما كان يُعرف باسم : الاتحاد السوفييتي بعد انهياره قبل ما يُقارب العقد من الزمن . قاموا بترجمة الإنجيل إلى كل اللغات واللهجات المكتوبة في كل الدول المستقلة عن الاتحاد السوفييتي ، وبلغ تعدادها مئةً وستين لغة ولهجةً مكتوبة . وفرغوا من ذلك خلال أربع سنوات . ثم وضعوا الخطط لترجمة الإنجيل خلال فترةٍ مماثلةٍ ، إلى كل اللهجات الشفوية المحكية غير المكتوبة في تلك البلدان .

(١) النبوءة والسياسة - غريس هالسل (٨٠) .

العلامة الثانية : تنصُّر بعض اليهود . يقولون : إن من علامات المجيء الثاني للمسيح ، رجوع بعض اليهود إلى النصرانية . ولذلك دعا الحرفيون البروتستانت المتأخرون إلى ضرورة احتضان اليهود ، زاعمين أن خلاصة اليهود سوف يتبعون المسيح عندما يعود ، أما بقية اليهود من الرافضين للإيمان بالمسيح آنذاك فسوف يقتلون مع باقي أعداء المسيح[١] .

وقد استنبطوا ذلك مما في سفر يوحنا (سفر الرؤيا) : « أن عدد المختومين مئة وأربعة وأربعون ألفاً ، من جميع أسباط بني إسرائيل »[٢] .

وكل أولئك المتحولين إلى النصرانية ، سيشاركون ويساهمون في مملكة المسيح الألفية الحقيقية على الأرض ، التي عاصمتها القدس[٣] .

ولذلك اعتبر بعض النصارى المؤيدين للعودة : هذا العمل (أي إعادة اليهود إلى فلسطين) من صميم أعمالهم التنصيرية ، وأعمالهم الممهدة لظهور المنتظر . لأن ذهاب اليهود إلى فلسطين كما يقولون : سيفتح الباب لتنصُّرهم . فتكسب النصرانية أولئك الداخلين الجدد من اليهود في النصرانية .

وقد أُسست جمعيات لهذا الغرض ، مثل جمعية لندن للتبشير بالنصرانية بين اليهود التي تأسست في وقتٍ مبكرٍ جداً عام ١٨٢٥ م[٤] .

وقد استغل اليهود المتأخرون هذه العلامة ، واستغفلوا النصارى خاصةً البروتستانت منهم ، وركبوا ظهورهم لتحقيق مراميهم .

---

(١) حقائق أساسية (٢٦٣) وحمّى سنة ٢٠٠٠ - لعبد العزيز كامل (١٤٢) .

(٢) الرؤيا (٧ : ٤) .

(٣) النبوءة والسياسة (٧٩) .

(٤) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - إسماعيل الكيلاني (١٨ - ١٩) .

ولذلك تَمَّ الكشف عن وجود عملاء (راقدين) يهوداً داخل كثيرٍ من المنظمات الدينية النصرانية النشطة ، خاصةً الإنجيلية في أمريكا . ويقوم أولئك المندسُّون الدخلاء بأدوارٍ نشطةٍ للغاية لصالح اليهود ودولتهم : إسرائيل .

وحتى لا يلفت أولئك الأنظار إليهم ، كانوا يقومون باعتناق النصرانية قبل الانضمام إلى تلك المنظمات حتى لا يثيروا الشكوك مِنْ حولهم . مدَّعين أنهم من اليهود الذين رأوا النور كما رآه شاول (بولس) قبلاً . مظهرين الحماسة الشديدة لتلك المنظمات وأهدافها التي تخدم اليهود وخططهم .

بل إن بعضهم « أصبحوا قساوسة في مختلف الكنائس الأميركية »(١) .

فَمَنْ يا تُرى ضَحِكَ عَلَى ذقن مَنْ ؟ النصارى أمَّلوا أن يتنصر بعض اليهود. بل قليلٌ منهم . ومتى ؟ عند رجوع المسيح المنتظر .

أما اليهود فأنجزوا فعلاً تهويد قطاعٍ كبير من ثالث طائفة نصرانية كبرى (طائفة البروتستانتية) ويطمعون في المزيد .

وقد ذكر بعض مفسري الكتاب المقدس هذه العلامة . لكنه لم يجعلها علامةً للمجيء الثاني . وإنما جعلها أمراً مواكباً للمجيء الثاني . أي أنها تقع بعد المجيء الثاني ، لا قبله . يقول : إن المسيح متى عاد ، وأقام مملكته ، وبُني الهيكل . جاء اليهود لتقديم ذبائحهم على المذبح في الهيكل الجديد ، فلا تنزل حينئذٍ نارٌ من السماء لتأكلها . فحينئذٍ يتحوَّلون إلى الإيمان بالمسيح(٢) .

---

(١) انظر : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٣٧٧ / ٣٨٣ - ٣٨٤) .

(٢) انظر : حقائق أساسية (٢٩٣) .

العلامة الثالثة : ارتدادٌ عظيم في الكنيسة :

يُقابل ذلك الأمل الذي لم يتحقق بعد ، خيبة أملٍ يُظنُّ أنها تحققت في حاضر النصرانية اليوم .

وقد عدَّ النصارى من بين علامات المجيء الثاني لمسيحهم أن يقع في كنيستهم وبين أتباعهم ارتدادٌ عظيم ، لِيُختتم ذلك النكوص والخروج على الكنيسة بخروج ضد المسيح ، الذي سيحشد كل القوى لمضادَّة المسيح .

أما أبرز مظاهر ذلك الارتداد فهو : حدوث انهيارٍ أخلاقي أو إباحيةٍ بين أتباع الكنيسة . وتصف الأسفار أفراد ذلك الجيل بأنهم « أناسٌ مستهزئون » . وتنعتهم بأنهم من الـ« منجرفين وراء شهواتهم الخاصة » .. « يعيشون منغمسين في شهواتهم ... وينساقون وراء غرائزهم الحيوانية » . وأما زمان ذلك فهو « آخر الأيام » و« نهاية الزمان »(١) .

وهذا هو الحاصل في عالم نصارى الغرب اليوم . وهم أكثر النصارى . لا يحتاج إثبات ذلك إلى شواهد . بل الشواهد الناطقة الواضحة المتكررة كل لحظةٍ خير شاهد ودليلٍ على ذلك .

---

(١) رسالة بطرس الثانية (٣ : ٣) ورسالة يهوذا (١ : ١٨ - ١٩) وانظر : حقائق أساسية (٢٦٣ / ٣١٤) .

العلامة الرابعة : دخول الكنيسة في ألفيةٍ جديدة تكون فيها مهيمنةً على العالم.

ومعنى ذلك أن يكثر النصارى حتى يكونوا أكثر أهل العالم . وتصبح مُقدَّرات الأمم والسيادة على العالم بأيديهم مدة ألف سنة . ثم يثور ضدهم كل مَنْ يُسمُّونهم « أعداء المسيح » . وحينئذٍ تقع الملاحم . وينزل المسيح[١] .

وللكنيسة البابوية الكاثوليكية في روما ، وسيدها الأعظم بابا الفاتيكان الحالي البابا يوحنا بولس الثاني مشروعان عظيمان للهيمنة في هذا الإطار . لإعادة كنيسة روما إلى سالف أمجادها ، ولإظهار عظمتها وهيمنتها . وقد عُرف ذلك على الخصوص عن البابا الحالي ، وله في ذلك جهودٌ هائلة مشهورة .

أما المشروع الأول فهو المساهمة بتفكيك إمبراطورية الشر (الاتحاد السوفييتي) وهدم الستار الحديدي ، واستنقاذ دول شرق أوروبا من براثنه[٢] .

ورغم دوره الرئيس في هذا المجال ، وكونه من أوائل مَنْ دعموا حركة تضامن البولندية الثائرة ضد الشيوعية ، والتي كانت أول مسمارٍ يُدقُّ في نعش الشيوعية في دول أوروبا الشرقية . فإن دوره مع ذلك يجيء تالياً ورديفاً للدور الأمريكي .

وحين انتهى هذا المشروع ، وأصبح ما يعرف بالاتحاد السوفييتي واتحاد دول حلف وارسو (دول أوروبا الشرقية مع روسيا) في ذمة التاريخ . انتقل البابا إلى المشروع الثاني الذي يطمح أن يمهله الأجل حتى يرى تحققه ، ويطمح كذلك أن ينجح فيه كما نجح في سابقه .

---

(١) انظر : حقائق أساسية (٢٦٣) والنبوءة والسياسة (٨٠) . وهل يعني هذا أن حلم الرايخ الثالث الألماني الذي يمتد ألف سنةٍ ، الذي ابتدعه وحاول بنائه لهم هتلر ، مستوحىً من هذه الفكرة ؟ ربما .

(٢) وقد أصبح هذا الأمر معروفاً للجميع . وكتبت عنه المجلات السياسية المتابعة جملة مقالات . مثل مقالة صحيفة الجارديان البريطانية في العام ١٩٩٠ م . التي استند إليها المرجع الذي اعتمدنا عليه هنا (الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي / إسماعيل الكيلاني / ١٩) .

وهذا المشروع الثاني الذي ظهرت ملامحه في العام الأخير . هو إعادة بسط سلطان الكنيسة (ولو جزئياً) ومد نفوذها السياسي والديني في أرض الإنجيل والعهد القديم ، حيث عاش أنبياء التوراة والعهد القديم ، والمسيح عليه السلام .

وفي إطار هذا المشروع ، أو العلامة ، جاءت زيارة الحبر الأعظم وبابا الفاتيكان على رأس الألفية الميلادية الثالثة ، إلى فلسطين ، ودخوله المسجد الأقصى ، وزيارته كذلك لمصر ، ودخوله إليها دخول الفاتحين . واستعلانه فيها بدينه واعتقاده الباطل ، بإقامته قداساً كبيراً فيها تحت رعاية الدولة ومساندتها . ثم ذهابه إلى الأردن ، وفعله مثل ذلك ، وزيارته لجبل نبو بشرق الأردن الذي تذكر التوراة أن موسى عليه السلام مات فيه .

أما دخوله إلى فلسطين . فكان بياناً لإعلان بداية تلك الألفية التي تكون الكنيسة فيها مسيطرةً على العالم ، مسيِّرة له . فزار بحيرة طبرية ، وكنيسة البشارة بالناصرة ، وأقام فيها قداساً حاشداً. ثم زار كنيسة القيامة ببيت المقدس . وصنع فيها مثل ذلك . وزار بيت لحم . وختم كل ذلك بزيارة المسجد الأقصى - مع أنه أبعد الناس عن الاعتقاد في أفضليته وكونه مسجداً - .

ثم زار حائط المبكى الذي يتخذه اليهود لهم معبداً بحذاء المسجد الأقصى من ناحية الغرب .

واحتفى به اليهود والمسلمون والنصارى على السواء .

فكأنه جاء ليعلن عن ابتداء تحقق هذه العلامة وتأكّدها .

أما ما كان من نفوذ الكنيسة في العالم اليوم ، وهيمنتها وسيطرتها على مُقدَّراتٍ هائلةٍ تستخدمها في التنصير . فأمرٌ متواترٌ . ومجالُ بحثٍ عظيم . كُتبت فيه العشرات من المؤلفات والبحوث والدراسات . وكل ذلك غيضٌ من فيض . فالذي نسمعه ونقرأه ونعلمه عن ذلك يزيد يوماً بعد يوم . فيثير في القلب كَمَداً ، ويهيج في الخاطر أحزاناً ، وفي البال أشجاناً . على ما بلغناه من الذلّة ، حتى غُزِيَ المسلمون في عقر دارهم . وهم بذلك عالمون راضون . متواطئون . فإلى الله المشتكى .

العلامة الخامسة : عودة اليهود إلى فلسطين :

وهي أهم العلامات ، وأكثرها جدلاً وإثارةً .

وكانت بداية هذه القضية العلامة مع اعتماد النصارى لأسفار العهد القديم مصدراً مقدساً في مقامٍ واحد مع أسفار العهد الجديد .

اعتمد النصارى أسفار العهد القديم التي تضمنت بكل وضوح وجلاء ، الحلم اليهودي القديم المتجدد منذ السبي الأول في بابل بالعودة إلى أرض الميعاد . ثم إعادة صياغة ذلك الحلم بعد تدمير الهيكل على يد الرومان على شكل أمنيةٍ متوقعة وبشرى مستقبلية تحمل اليهود على بساط الريح إلى فلسطين ، وتبعث المنتظر من بين صفحات الزمان .

وتلقف النصارى في ذلك العهد الغابر تلك الأمنيات فاحتاروا فيها : إذ كيف يتمنون لأعدائهم التقليديين : اليهود ، أن يعودوا إلى فلسطين ، وهم الذين طُردوا منها كما في اعتقاد النصارى ، عقوبةً لهم على كفرهم بالمسيح عيسى عليه السلام لَمَّا جاءهم ، وهو الأمر الذي تنبأ به المسيح عيسى عليه السلام ووقع كما أخبر ، حسب أسفارهم[(١)] .

وبقي ذلك الموقف الغامض ردحاً من الزمن ، حتى تفتقت عبقرية بعض أساطين النصارى عن طريقةٍ جديدةٍ تريحهم من هذا الالتزام البغيض . وتشققت المذاهب وتعددت الأقوال بين موافقٍ ومخالف . وكانت النتيجة بعد ذلك كله أن تعددت أقوال النصارى في هذه العلامة واختلفت ، وحاصل أقوالهم في هذه المسألة يعود إلى رأيين - في نظري - هما :

١ - **فريقٌ منهم بقي على الأمر الأول** ، يأبون الإقرار بالتفسيرات الحرفية لتلك النصوص الواردة في أسفار العهد القديم ، ويرفضون القول بأن المقصود بها عودة أو

---

(١) متى (٢٣ : ٣٧ - ٣٨) (٢٤ : ١ - ٢) وانظر محمد السماك : الصهيونية المسيحية (٣٥) .

إعادة اليهود إلى فلسطين ، وتمكينهم من بيت المقدس وبيت لحم والناصرة حيث ولد المسيح عيسى عليه السلام ونشأ وترعرع . إذ كيف يصح ذلك في اعتقادهم ، واليهود أعداء المسيح ولا يزالون .

وكانت حيلتهم في بعض الأحيان إزاء تلك النصوص هي استخدام التأويل لتلك الألفاظ ، فكل النبوءات - في نظرهم - التي يُفهم منها رجوع اليهود ، يُراد بها عودة بعضهم إلى الديانة النصرانية واعتناقهم لها ، وكل ما ورد بشأن أورشليم أو إسرائيل من نبوءاتٍ إنما يُقصد بها الكنيسة وأتباعها ، لا اليهود المكذبون بالمسيح .

ورجوع اليهود إلى فلسطين في نظرهم قد حصل من زمنٍ بعيد بعودتهم من السبي البابلي إلى فلسطين وإعادتهم للهيكل قبل عصر المسيح[١] .

ولربما قرر بعضهم أن العودة قد تحققت قديماً بالعودة من السبي البابلي إلى فلسطين ، وأن لا عودة ثانية بعد ذلك لليهود إليها . وأن الوعد الذي يزعمه اليهود لأنفسهم بأرض الميعاد ، ليس وعداً أبدياً ، بل هو وعدٌ مشروط بتنفيذ وصايا الله وإطاعة الرب . وأن اليهود قد خسروا ذلك الوعد بتخلّيهم عن تحقيق هذه الشروط منذ أمدٍ بعيد ، حين رموا وصايا الله وراءهم ظهرياً وعصوا الرب[٢] . كما هو ثابتٌ في كتبهم هم (أي اليهود) .

---

(١) انظر : حقائق أساسية (٢٩٣ - ٢٩٤) والصهيونية المسيحية (٣٥) .

(٢) ممن قرر ذلك في العصر الحديث ، وأثار ضجة عارمة في الولايات المتحدة الأمريكية قبل مدة : الدكتور ديوي بيغل من كلية ويسلي للاهوت الذي أصدر سنة ١٩٧٨ م كتاباً سماه « الوحي والنبوءة » ، قرر فيه هاتين القضيتين ، وقد أثار بحثه ذلك اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية واللوبي اليهودي ، والأصوليين الإنجيليين المؤيدين للعودة .

حول ذلك : انظر (من يجرؤ على الكلام - بول فندلي / ٤٠١ - ٤٠٢) ط. سادسة / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م / شركة المطبوعات - بيروت .

ويقول فندلي : إن الباحث المذكور لم يجد من ينشر له كتابه هذا . لِمَا تضمنه من معارضات خطيرة . حتى وافقت أخيراً دار نشرٍ في ميشيغان على نشره .

وهـذا الموقـف الرافـض لفكـرة عـودة اليـهود إلى فلسـطين هـو : الـرأي المبدئـي للكاثوليك ، وعلى رأسـهم الفاتيكـان ، ورأي الأرثوذكـس ، ومنـهم أقبـاط مصـر . وبعض طوائف البروتستانت أو من يُسمَّون بالإنجيليين الليبراليين المعـارضين للإنجيليـين الأصوليين في الولايات المتحـدة الأمريكيـة . (ويماثلونـهم في العـدد تقريبـاً لا في قـوة النفوذ إذ يبلغ عدد أتباع الإنجيليين الليبراليين قرابة الأربعين مليوناً) كل هؤلاء يقفـون هذا الموقف الرافض . وهو كذلك قول الكنيسة الإنجيلية المشيخية ، كما يتعاطف مـع هذا الطرح الكنائس الإنجيلية : المعمدانية والمنهجية والأسقفية[١] .

وقد تعـرض هـذا الموقـف لبعـض الضغـوط والمراجعـات والتنـازلات ، تعديـلاً في التوجه العقدي ، أو رضوخاً لبعض الضغـوط السياسـية ، أو نـزولاً عنـد رغبـة بعـض الأتباع .

وبعد أن كان الفاتيكان في مطلع القرن العشـرين الميـلادي ، مُمثَّـلاً بالبابـا بيـوس العاشر ، يرفض طلب اليهود باستيطان فلسـطين ، أو علـى الأصـح : يرفـض مباركـة استيطان اليهود لفلسطين[٢] ، هاهو يعود القهقرى ، ويحـثُّ الـدول الكاثوليكيـة ذات العضوية في الأمم المتحدة عام ١٩٤٩ م منتصف ذلك القرن ، على التصويـت لصـالح الموافقة على طلب إسرائيل الانضمام إلى الأمم المتحدة ، وصوتت بالفعل تلـك الـدول استجابةً للضغوط الأمريكية من جهةٍ ، ونزولاً عندَ الرغبة البابوية من جهةٍ أخرى[٣] . فيما كانت إذاعة الفاتيكـان تناشـد العـالم المتحضـر أن يسـاند إسـرائيل لحمايتـها مـن العرب الأشرار[٤] .

---

(١) انظر : حقائق أساسية (٢٩٣) والصهيونية المسيحية لمحمـد السـماك (١٤٩ - ١٥٠ / ١٦٠) وحمَّى سنة ٢٠٠٠ / لعبد العزيز كامل / الصفحة (١٤٩) .

(٢) طالع إن شئت محاولة هرتزل أخذ موافقة البابا على توطين اليـهود في فلسـطين سنة ١٩٠٤ م . ورفـض البابا بيوس العاشر لذلك جملةً وتفصيلاً (أمريكا وإسرائيل - د. محمد معروف الدواليبي / ٦٧ - ٦٩) .

(٣) انظر : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي (٥٠ / ٢٢٦) .

(٤) انظر : المنظمات الصهيونية المسيحية (١١٥) .

وبعد أن كان الفاتيكان يقرر أن لا عودة لليهود إلى فلسطين ، لأن ذلك « يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه » ، وبعد أن كان يرفض التعاطف مع الحركة اليهودية الصهيونية ، ويقرر رفضه « لسيادة اليهود على الأرض المقدسة » . هاهو يعود القهقرى ، فيُعلن اعترافه رسمياً بإسرائيل سنة ١٩٩٣ م . لكنْ مع التحفظ على التسليم بأن القدس هي عاصمة اليهود وحدهم . وفي الولايات المتحدة الأمريكية انقلب كثير من الكاثوليك على ذلك الموقف المبدئي الرافض ، وعقدوا حلفاً مع إسرائيل بدعوى مكافحة الشيوعية في حقبةٍ سابقة[١] .

وبعد أن كانت البلدان الكاثوليكية كأسبانيا وفرنسا وإيطاليا والبرازيل تتحفظ على هذه الفكرة على غرار موقف الفاتيكان ، إذا بكثيرٍ من تلك الدول إن لم تكن كلها تتسابق على خطب ود إسرائيل مقدمةً مصالحها على مبادئها ، بعد أن رأت العودة وما تبعها رأي العين . فظنت أن تلك النبوءة صادقة فلذلك وقعت . مستسلمةً بذلك للمشروع الأنجلوساكسوني البروتستانتي الذي تُمثِّله خير تمثيل حتى هذه اللحظة : الولايات المتحدة الأمريكية بشقها البروتستانتي أو الإنجيلي الأصولي ، وبريطانيا البروتستانتية الأنجليكانية[٢] .

غير أن الذي يلاحظ في هذا الموقف الكاثوليكي الرافض مبدئياً لعودة اليهود إلى فلسطين ، أنه التيار الذي صدرت من بعض أتباعه أولى الخطوات العملية لتنفيذ هذا البند المرفوض .

تحقق ذلك عندما وجَّه نابليون الكاثوليكي وجنرال فرنسا الأوحد بل سيد أوروبا في عصره ، أول دعوةٍ لإعادة تجميع اليهود في فلسطين . وكان ذلك إبان حملته على الشرق آخر القرن الثامن عشر الميلادي (١٧٩٨ - ١٧٩٩ م) .

---

(١) انظر : الصهيونية المسيحية (١٥٠ - ١٥٢ / ١٥٨ - ١٥٩) وحمّى سنة ألفين (١٤٩) .

(٢) الصهيونية المسيحية (١٥٣ - ١٥٤) والقدس بين رؤيتين - لحسن مصطفى الباش (٩٤) . والمسيحية والتوراة - شفيق مقار (٤٤٢) .

فبعد وصوله إلى مصر أصدر بياناً حثَّ فيه اليهود على العمل تحت رايته من أجل بناء مملكة القدس . وفي حصار عكا أصدر بياناً آخر نعت فيه اليهود بـ« ورثة فلسطين الشرعيين » . يقول في بيانه : « أيها الإسرائيليون . أيها الشعب الفريد ... أدركوا أن عتقاء الله سيعودون لصهيون وهم يغنون ، وسيولد الابتهاج بتملكهم لإرثهم » .

ولذلك وصف بعض الباحثين نابليون بالإمبراطور الصهيوني[1] .

ويبدو أن نابليون كان يملك حساً سياسياً مرهفاً ونادر الوجود حين استبق الأحداث بمئتي عام . لكن خصمه اللدود بريطانيا كانت أذكى منه في الاستفادة من بنات أفكاره .

(١) الصهيونية المسيحية (٤٣) والقدس بين رؤيتين (٩٢) .

٢ - الفريق الثاني هم أصحاب التفسير الحرفي للنصوص الإنجيلية . وهم البروتستانت المؤيدون للعودة . والإنجيليون اليمينيون الراديكاليون الأصوليون . أو الصهيونيون المسيحيون من البروتستانت .

ويقرر هؤلاء ابتداءً وجوب التفسير الحرفي لكل نصوصهم الدينية ، ومن ثَمَّ فكل ما ورد عن عودة اليهود إلى فلسطين في اعتقادهم هو حقٌّ لا مراء فيه ، ونبوءةٌ لابد أن تتحقق ، وكل ما ورد عن بركة إسرائيل ومباركتها ، وكل ما يقال عن أسطورة « شعب الله المختار » وأنهم اليهود ، هو عند هؤلاء كذلك أساسٌ من أسس اعتقادهم . معتقدين كذلك أن عودة هذا الشعب المبارك - بنظرهم - إلى أرض الميعاد هو أكبر الآيات وأوضح العلامات على قرب المجيء الثاني للمنتظر[١] .

وتطبيقاً لهذه الاعتقادات النظرية يجدُّ هؤلاء ويجتهدون في السعي لتحقيق تلك النبوءات ، بدءاً من الاعتقاد بتميُّز اليهود ، ومروراً بالسعي إلى إعادتهم إلى فلسطين أرض الميعاد ، وانتهاءً بترقب مجيء المنتظر بعد تحقق تلك العودة ، مع اتخاذ كافة الخطوات العملية التي يرونها مساهمةً بشكل أو بآخر في تعجيل عودة المنتظر .

في البداية انطلق هذا التيار بكل عنفوانٍ وقوة مع انطلاق الحركة التصحيحية داخل الكنيسة في أوروبا على يدي مارتن لوثر رائد البروتستانتية في ألمانيا ورفاقه .

انطلق مارتن لوثر بتياره البروتستانتي « المتعبْرن » أو المتهوِّد[٢] - إن صح التعبير - ليقرر هذه القاعدة أو العلامة ، طبقاً لحرفية النصوص الدينية ، رامياً وراء ظهره كل التأويلات الكنسية الكاثوليكية وتعقيداتها اللاهوتية ، مفضِّلاً عليها « المبادئ اليهودية البسيطة »[٣] . مقرراً منهجه في عبارة موجزةٍ يقول فيها : « لقد كانت مشيئته (أي الله) أن يكون إنعامه على العالم بالدين من خلال اليهود وحدهم دون سائر البشر .

---

(١) انظر : حقائق أساسية (٢٩٣) والقدس بين رؤيتين (٨٩ - ٩٠) . وعن هذه الأسس الاعتقادية للإنجيلية البروتستانتية . انظر : الصهيونية المسيحية - لمحمد السماك (١٣٣ - ١٣٤) .

(٢) عن هذه القضية . انظر : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٤٣٧ - ٤٣٨) .

(٣) الأصولية الإنجيلية - الهذلول (١٨) .

فهم أبناؤه الأثيرون إلى قلبه ، وما نحن إلا الضيوف الغرباء على مائدتهم ، وقَدَرُنا هو أن نقنع بأن نظل الكلاب التي تلتقط الفتات المتساقط من مائدة أبيهم »[١] .

ولا عجب بعد كل هذا التهافت على فتات موائد اليهود ، والتغزل بجمال عيونهم ، أن ينشر مارتن لوثر زعيم البروتستانتية ورائدها الإصلاحي كتابه المشبوه « عيسى وُلِدَ يهودياً » أو « المسيح وُلِدَ يهودياً » (في عام ١٥٢٣ م) . وحينئذٍ لم يتردد البابوات في وصفه باليهودي أو الراعي اليهودي[٢] .

وانطلقت البروتستانتية من هذا التأصيل ، لتبزغ فيها بعد فترةٍ : الحركة الصهيونية النصرانية ، قبل أن تظهر إلى الوجود الحركة الصهيونية اليهودية بثلاثة قرون[٣] .

سيطر البروتستانت على ألمانيا وبريطانيا ثم انطلقوا في رحلات الهجرة المبكرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وحازوا فيها قصب السبق سياسياً ، وغلبوا على الحكم فيها رغم كثرة الكاثوليك[٤] . حتى لا يكاد يُذكر بين الرؤساء الأمريكيين منذ القدم رئيسٌ كاثوليكي غير جون كنيدي[٥] الذي اغتيل عام (١٩٦٣ م) . وهو الرئيس

---

(١) من كتاب « المسيح ولد يهودياً » لمارتن لوثر - نقلاً عن كتاب : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (١١) .

(٢) الصهيونية المسيحية - محمد السماك (٣٣ - ٣٤) والهذلول (١٨) .

(٣) انظر : النبوءة والسياسة - غريس هالسل (١١٧ - ١١٨) والمسيحية والتوراة - شفيق مقار (٩٠) .

(٤) يبلغ عدد الكاثوليك في الولايات المتحدة الأمريكية ٥٢ مليوناً حسب إحصاء ١٩٨٢ م - ويبلغ عدد البروتستانت فيها حسب نفس الإحصاء ٧٦ مليوناً (الصهيونية المسيحية / ٦٦ / ١٥٩) .

ثم جدَّتْ بعد ذلك إحصائيات حديثة . فقد ذكرت مجلة « النيوزويك » الصادرة باللغة العربية من الكويت ، في عددها الواحد والتسعين (١٢ مارس / ٢٠٠٢ / ص = ٥٢) أن الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية يتبعها الآن ٦٣ مليون شخص . وتُعدُّ بذلك ثالث أكبر كنيسة في العالم . يُشكلون نسبة ٢٤٪ من السكان . مشكلين بذلك أعلى نسبة بين الطوائف النصرانية الأخرى بالنسبة لإجمالي عدد السكان . وأن معاقلها التقليدية من الإيرلنديين والإيطاليين في الشمال الشرقي من البلاد (نيويورك وشيكاغو ونحوها) .

وتتزايد أعداد أتباعها بالمهاجرين الجدد من أمريكا اللاتينية (الناطقين بالأسبانية) في الجنوب الغربي (لوس أنجلوس وما حولها) . وأن الزيادة بالمهاجرين قد تصل بأعداد الكاثوليك إلى ٧٥ مليوناً .

وأوردت المجلة خريطةً لمواقع انتشارهم الجغرافي الحالية . وضح فيه بجلاء انتشارهم الكبير في شمال شرقي البلاد وفي الوسط وفي الغرب الأمريكي وأجزاء من الجنوب والشمال الغربي .

ورغم هذا الاكتساح ، إلا أن نفوذهم السياسي يبقى مع هذا ضعيفاً كما قررنا ذلك .

(٥) انظر : المسيحية والتوراة (٣٣٠ / ٣٨٦) .

الكاثوليكي الأول والوحيد حتى يومنا هذا[١] ، وَمَنْ عداه من الرؤساء كلهم من أبناء الإنجيليين البروتستانت المؤمنين بحرفية العودة ، وحين استلم كنيدي الحكم وعد بالفصل النهائي والتام بين الدين والسياسة (علمانية الدولة)[٢] حتى يضمن تكرر مثل هذه الفرصة ، لكنه لم يُمتَّع بالحكم (١٩٦٠ - ١٩٦٣ م) .

يقول البروفيسور الأمريكي د. صمويل هنتنجتون ، مقرراً حقيقة هيمنة البروتستانت الدينية والسياسية والثقافية على الدولة الجديدة : الولايات المتحدة الأمريكية ، ورضوخ الكاثوليك لهذه الهيمنة :

« الحضارة الأمريكية أساسها الدين البروتستانتي . لكن الكاثوليك الذين هاجروا إلى هنا تأقلموا ، وتأمركوا ، وأصبحوا مختلفين عن الكاثوليك في إيطاليا مثلاً »[٣] .

ويقول الدكتور ديفيد ويرمسار مدير قسم دراسات الشرق الأوسط في معهد أمريكان انتربرايز في واشنطن مقرراً هذه الحقيقة أيضاً : « هذا هو قدرنا ، وهو تاريخنا كحضارةٍ غربية ، هذه الحضارة .. تطورت قبل حوالي أربعمائة سنة في شكل حضارةٍ أنجلو ساكسونية »[٤] .

وظلت الفاتيكان عاصمة الكاثوليكية في العالم ، مناوئةً للغريم الجديد مُمثَّلاً في البروتستانتية الإنجيلية المنطلقة من أميركا سيدة البروتستانتية والعالم الجديد .

ولذلك ظلت العلاقات الرسمية بين الولايات المتحدة الأمريكية والفاتيكان حاضرة البابا مقطوعةً حتى العام ١٩٨٤ م . حيث زار البابا واشنطن والتقى بالرئيس ريغن ، وأعيدت العلاقات بعد قطيعةٍ دامت (١١٧) عاماً ، إثر قرار الكونغرس الأمريكي قطع

(١) حسب تقرير مجلة النيوزويك الأمريكية - العدد (١١) - ص (٢٥) الصادر بالعربية من الكويت .
يُذكر فيما يذكر هاهنا أن الرئيس الأمريكي السابع والعشرين وليام تافت (حكم ما بين ١٩٠٨ - ١٩١٢ م) كان أول الأمر كاثوليكياً . ثم ترك الكاثوليكية . وقال : « إنه لا يؤمن أن المسيح ابن الله » . وقال : « ادفنوني موحداً بالله » .
انظر : مجلة الرجل الصادرة من لندن - العدد (١٠١) - ص (١١٣) / مارس ٢٠٠١ م .

(٢) مجلة النيوزويك بالعربية الصادرة من الكويت / العدد ١١ / ص (٢٥) .

(٣) انظر : مقابلةً له في ملحق مجلة المجلة (ص ٣) العدد (٨٩٦) / ٦ - ذو الحجة - ١٤١٧ هـ / ١٣ - إبريل - ١٩٩٧ م .

(٤) مجلة الأسرة ص (٣٦) العدد (٨٤) / ربيع أول - ١٤٢١ هـ .

العلاقات مع الفاتيكان احتجاجاً على قرار البابا آنذاك بـإغلاق الكنيسـة البروتسـتانتية الأمريكية في روما ومطاردة أتباعها[١] .

وقرَّر هذا الواقع مستقبل فلسطين ، بل مستقبل العالم كله ، في القرون اللاحقـة . كما هو الواقع المعاش اليوم ، وكما رأينـا ذلـك في أحـداث العـالم في القـرون الثلاثـة الأخيرة .

قدَّمت البروتستانتية صيغتها التوفيقية التلفيقية حول هذه القضية . فخرجـت مـن عباءة الكاثوليكية التي تؤول نصوص العودة منعاً للازدواجية ، وتحظـر قـراءة نصـوص الكتاب المقدس قراءةً حرفية حذراً من الوقوع في هذا الإشكال .

خرجت البروتستانتية إلى فضاءات جديدةٍ لم تجد فيها مصدراً تعتمد عليه في هـذه القضية غير اليهودية وأسفارها . وهنا وقعت في إشكالٍ عظيم : كيف تجمع بين قـول اليهود حول مسيحهم المنتظر ورفضهم عيسى عليـه السـلام ؟ وقـول البروتسـتانت في هذه المسألة الذين يقررون أن المسيح عيسى عليه السلام هو المسـيح المنتظـر ؟ فكيـف يجتمع النقيضان .

قدَّمت البروتستانتية حلاً عجيباً وقبله اليـهود . ألا وهـو : الاشـتراك[٢] في تنفيـذ هذه العلامات الممهِّدة لقدوم المسيح المنتظر مثل : إعادة اليهود إلى فلسطين . وتأجيل البـتّ - إن صـح التعبـير - في تحديـد هويـة المنتظـر حتـى يظـهـر شـخصياً . وظـن البروتستانت أنهم خدعوا اليهود ، بينما فطن اليـهود إلى أن المصلحـة الفعليـة العاجلـة هي التي ستتحقق لهم ، مـن العـودة إلى إنشـاء الدولـة وغـير ذلـك . وليظـهر منتظـر

---

(١) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - الكيلاني (١٩٤) .

(٢) ولذلك يُسمِّي اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية السنوات التي قبـل مـيلاد المسـيح إذا تحدثـوا عنـها : سنوات ما قبل العصر المشترك . تفادياً منهم للاعتراف بصدق نبوة المسيح عيسى عليه السلام وأنه المسيح المنتظر . ودفعاً للإحراج حتى لا يسيئوا لو صرحوا بذلـك علنـاً إلى حلفائـهم مـن البروتسـتانت . انظـر تعليقاً على ذلك في (المسيحية والتوراة / ١٠٦ / الهامش ٤٩) .

النصارى متى ما شاء . ولينتظر النصارى كذلك أملهم أن يتنصَّر اليهود إذا ظهر المنتظر الموعود .

ظن البروتستانت أنهم ركبوا ظهور اليهود واستخدموهم . لكنَّ المحصلة الحقيقية للقضية ، هي أن اليهود هم الذين ركبوا ظهور البروتستانت وخدعوهم حين هوَّدوا البروتستانتية أو عَبْرنوها . ولاحقاً لم يقتصر التهود على البروتستانت وحدهم . بل امتد إلى كثيرٍ من الكنائس الغربية . ثم امتد ليشمل مختلف أنشطة الحياة العامة في الغرب . وأصبحت الثقافة الغربية المعاصرة اليوم ثقافة متهوِّدةً متعبرنة[١] .

وباسم « النظام العالمي الجديد » و« العولمة » و« القرية الكونية الصغيرة » و« ثورة الاتصالات » و« الانترنت » . وباسم « حقوق الإنسان » و« الديمقراطية » يحاول الغرب حالياً فرض هذه الثقافة المفروضة عليه ، على بقية أنحاء العالم من الصين إلى كل دول العالم الثالث . مروراً بالعالمين العربي والإسلامي .

ويأبى الله ذلك . ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾[٢] .

التخطيط لتحقيق هذه العلامة : اجتهد النصارى المعتقدون بهذه العلامة على تحقيق هذه العلامة من خلال مخططاتٍ عملية وضعوها . ولم يتركوا الأمر للصدف المحضة أو القدر المغيَّب . مبالغةً منهم في الحرص والاجتهاد وتعجُّل عودة المنتظر .

وكان نصيب هذه العلامة من التخطيط والعمل والتنفيذ الكثير الكثير ، مما نراه اليوم بين ظهرانينا من واقعٍ تعيشه الأمة العربية والإسلامية منذ نصف قرنٍ من الزمان بسبب مشروع إعادة اليهود إلى فلسطين والسعي بجديةٍ لتحقيق باقي العلامات .

---

(١) عن هذا الموضوع . انظر : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٧٦ / ٨٢ - ٨٣ / ٨٦ / ٣٤١ - ٣٤٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩) .

(٢) سورة التوبة - جزء من الآية رقم (٣٢) .

وقد انطلق التخطيط لهذا المشروع العلامة مبكراً .

ففي سنة ١٦٠٠ م (أي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بحوالي ثلاثة قرون) بدأ البروتستانت كتابة معاهدات تعلن بأن على جميع اليهود مغادرة أوروبا إلى فلسطين[١] .

وارتفع صوت أول داعيةٍ نصراني في انكلترا مطالباً بإعادة الشعب المختار إلى أرض الميعاد . وتبعه آخر نشر بحثاً في ذلك سنة ١٦٢١ م . وهنا ثارت ثائرة الملك الانكليزي[٢] . غير أن الحملة لم تتوقف رغم الرفض الحكومي . ففي ١٦٤٩ م تقدم اثنان من علماء المتطهرين الإنكليز (من طوائف الإنجيليين البروتستانت) بطلبٍ إلى حكومتهما بالسماح بنقل اليهود إلى فلسطين[٣] .

وجاء عصر كروමويل الثائر وحليف اليهود راعي الكومنولث البريطاني الذي أعلن بكل وضوح في ذلك الوقت المبكر جداً : أن الوجود اليهودي في فلسطين هو الذي يُمهِّد للمجيء الثاني للمسيح[٤] .

وبعد أن كان البرلمان الانجليزي قد أدان هذا الاتجاه في مطلع القرن السابع عشر . إذا هو بعد منتصف ذلك القرن يقع تحت سيطرة أولئك الحرفيين البروتستانت المعروفين آنذاك بالطهوريين أو التطهريين[٥] .

(١) النبوءة والسياسة (١١٩) .

(٢) هو صوت عالم اللاهوت الانكليزي توماس برايتمان . وتابعه بعد ذلك في دعوته السير : هنري فينش عضو البرلمان البريطاني والمستشار القانوني لملك انجلترا . والملك هو جيمس الأول .

(٣) انظر : المسيحية والتوراة (٩٢ - ٩٣) والصهيونية المسيحية - للسماك (٢١ - ٢٢) .

(٤) النبوءة والسياسة (١١٩) .

(٥) القدس بين رؤيتين (٨٩ - ٩٠) والمسيحية والتوراة (٩٤) .

وتتواصل الخطوات وتتتابع وتتسارع وتتعدد[١] . لِتتوَّج بتأليف البرلمان الإنجليزي لجنةً لإعادة اليهود إلى فلسطين سنة ١٨٤٤ م[٢] . ولِتُختتم باستيلاء البريطانيين على فلسطين بقيادة الجنرال : اللنبي . وإصدار وزير خارجيتهم اللورد بلفور بيانه المشهور باسم « وعد بلفور » سنة ١٩١٧ م . الذي التزمت فيه بريطانيا بتحقيق هذا المطلب الإنجيلي البروتستانتي ، ثم الصهيوني اليهودي . وكان ذلك .

يشهد لصدق ذلك كلمة حاييم وايزمان الزعيم اليهودي وخليفة هرتزل الذي لَخَّص بعبارة موجزةٍ حقيقة موقف بريطانيا واللورد بلفور . يقول : « من الأسباب الرئيسية لفوز اليهود بوعد بلفور هو شعور الشعب البريطاني المتأثر بالتوراة » وعن بلفور : يقول : « أتظنون أن لورد « بلفور » كان يحابينا عندما منحنا الوعد بإنشاء وطن قومي لنا في فلسطين ؟ كلا ، إن الرجل كان يستجيب لعاطفةٍ دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم »[٣] .

هذا في الحديث عن الدعوة لتنفيذ هذه الأمنية العلامة .

أما الحديث عن سيطرة الفكر العبراني على انكلتره منذ أن اعتنقت البروتستانتية ، فجانبٌ مغفولٌ عنه إلى حدٍ ما . مع أنه الوجه الآخر للعملة - على حد قولهم - . فبريطانيا منذ أن سيطر عليها البروتستانت ، أصبحت قاعدةً للمشروع الصهيوني الذي ينادي بوجوب إعادة اليهود إلى فلسطين ، وفوق هذا وذاك كان الإنكليز يَعدُّون أنفسهم « النسل الحقيقي لأسباط إسرائيل العشرة الضائعة » . وفي وقتٍ ما ،

---

(١) انظر بعض الأمثلة على ذلك في : النبوءة والسياسة (١٢٠ - ١٢٢) والصهيونية المسيحية - لمحمد السماك (٢١ - ٣٢) حيث صنع جدولاً بأهم تلك الأحداث عبر القرون حتى يومنا هذا . وانظر كذلك الصفحات (٣٧ - ٥٣) من كتابه هذا .

(٢) الصهيونية المسيحية (٢٣) .

(٣) مما يؤكد ذلك أن بلفور ضغط على مجلس العموم البريطاني سنة ١٩٠٦ م لَمَّا كان رئيساً للوزراء ، حتى لا يسمح لليهود الروس بالهجرة إلى بريطانيا ، لأنه كان يرى أن فلسطين هي الهدف الذي يجب أن يذهبوا إليه (الخلفية التوراتية - الكيلاني / ١٤٨ - ١٤٩) .

أُطلق على أحد ملوك إنكلترة لقب « قورش العظيم » . لأنه سمح بدخول اليهود إلى إنكلتره بعد أن كانت محرَّمةً عليهم . تشبيهاً له بملك الفرس الذي أعاد اليهود من الأسر البابلي إلى فلسطين .

وقد ساهمت مدارس الأحد في غرس هذا الاعتقاد في نفوس الناشئة . وكانت المدارس الرسمية تُعنى بالتاريخ اليهودي عنايةً فائقة .

يقول لويد جورج أحد رؤساء الوزارة البريطانية في محاضرةٍ له : « لقد عُلِّمت تاريخ اليهود أكثر بكثير من تاريخ بلادي ، يمكنني أن أُسمِّي كل ملوك اليهود ، ولكني أشك إذا كنت أستطيع أن أسمِّي نصف دزينةٍ (أي ستة ملوك) من ملوك انكلترا »[١].

وعمَّت هذه الظاهرة آنذاك ، كل البلدان التي تدين بالبروتستانتية في أوروبا حينها . ولم يقتصر الأمر على بريطانيا وحدها . فسمِّيت هولندا الكالفينية « أورشليم الجديدة ». متقدمةً بذلك على الولايات المتحدة الأمريكية ونيويورك مدينتها العظمى. أورشليم الجديدة (لاحقاً) . وانتقلت تلك العدوى العبرانية إلى باقي البلدان البروتستانتية ، مثل ألمانيا والسويد والدانمارك . ومن هذه المجتمعات انطلقت موجات الهجرة إلى أمريكا ، لتكسب أرضاً جديدة لنصرة هذه الفكرة وتأييدها .

وحققت بذلك البروتستانتية بكل دقة وكمال ، مشروعاً لتهويد النصرانية ، أعظم من مشروع بولس القديم . وقد قوبل كل ذلك بترحيبٍ حار من المجتمعات اليهودية في أوروبا آنذاك . حتى لقد اعتبر بعض حاخامات اليهود يومها ، « ظهور لوثر وانتشار دعوته علامةً مؤكدة على قرب مجيء المسيح المنتظر (اليهودي) »[٢] .

هذا عن الدور البريطاني .

---

(١) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - الكيلاني (١٩) .

(٢) حول هذا الجانب . انظر : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٨١ - ٨٣) . والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - إسماعيل الكيلاني (١٨ - ١٩) .

أما الدور الأمريكي فله قصةٌ أخرى :

فقد انتقل المهاجرون الجدد - ومنهم كثيرٌ من البروتستانت الإصلاحيين - من أوروبا إلى مستعمراتها في شمال أمريكا . هرب كثيرون من الصراع الديني الشرس في أوروبا . ووجدوا ضالتهم في الأرض الجديدة . تلك البلاد المفتوحة التي لا تعرف ديناً ولا مذهباً . حمل المهاجرون عقائدهم مع أمتعتهم إلى هناك . وفي تلك المَهَاجر البعيدة الأصقاع غرسوا نبتة الإنجيلية بكل هدوء . حيث لا فاتيكان ولا كاثوليك . وانتقل الإرث الإنجيلي من إنجلترا إلى مستعمراتها الأمريكية ، حيث تغلغل ورسخ وآتى أكله[١] .

ومنذ البداية ظهر أثر ذلك واضحاً كل الوضوح في شخصية الولايات المتحدة الأمريكية منذ أيام الاستقلال الأولى . فَتَعَبْرُنُ أمريكا أو تهوُّدها إذن ، كان نتيجةً منطقيةً لذلك الإرث .

ولم يكن ذلك التأثير العبراني البالغ الوضوح والفعالية « من غلبة عنصر البروتستانتية الأنجلوساكسونية فحسب ، بل .. من دخول اليهود كشركاء مؤسسين ، إن صح التعبير ، في تكوين أمتها وتحديد مسارها »[٢] .

وكان لذلك دلالاته الواضحة كل الوضوح للعيان . فعلى سبيل المثال سمَّى قادة الولايات المتحدة وكتّابها دولتهم وقت إنشائها « أورشليم الجديدة » . واعتبروا أنفسهم « شعباً مختاراً جديداً » ، و« إسرائيل هذا الزمان » . وسمَّى المهاجرون الأوائل أبناءهم بأسماء عبرانية ، ومستوطناتهم كذلك ، وفرضوا تعليم اللغة العبرية في جامعاتهم ، حتى إن أول رسالة دكتوراه منحتها جامعة هارفارد في العام ١٦٤٢ م .

---

(١) انظر : المسيحية والتوراة (١٤٨) والسماك (٥٥) .

(٢) المسيحية والتوراة (١٢٧) .

كانت بعنوان « العبرية هي اللغة الأم » . وأول كتاب صدر في أمريكا « سفر المزامير ». وأول مجلة صدرت هي مجلة « اليهودي » . وأقيم الكنيس اليهودي قبل أن تقام الكنيسة النصرانية .

وخلال الحرب الأهلية الأمريكية كان القساوسة يُشبِّهون الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يكافح من أجل استرجاع أرض الميعاد[١] .

بل بلغ الأمر حداً اقترح معه الرئيس الأمريكي الثالث توماس جفرسون (حكم ما بين / ١٨٠١ م - ١٨٠٩ م) اتخاذ رمزٍ لأمريكا يُمثِّل بني إسرائيل خارجين من مصر تحت قيادة موسى عليه السلام ، تظللهم غيمةٌ في النهار ، وعمودٌ من نورٍ في الليل ، توافقاً مع ما في سفر الخروج[٢] .

ولم يكن ذلك التوجه توجُّه كل الأمريكيين . لكنه توجُّه النخبة البروتستانتية المسيطرة . فالكاثوليك على سبيل المثال يعارضون أحياناً بلا جدوى . والبروتستانت غير الإنجيليين لا يوافقون على كل هذا .

بل وُجِدَتْ في الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة نصرانية يعدُّونها متطرفة ، تُسمِّي الحكومة الفيدرالية الاتحادية الأمريكية : حكومة الاحتلال الصهيونية[٣] . نظراً لارتباطها العضوي بالمطامع والمطامح الصهيونية إجمالاً .

فهل يا تُرى تحققت بذلك النبوءة اليهودية التي تقول : إن النصرانية مقضيٌّ عليها بالزوال ، والتحوُّل إلى اليهودية[٤] .

---

(١) المسيحية والتوراة (١١٨ / ٤٠٩) والسماك (٥٥ - ٥٦) .

(٢) سفر الخروج (١٣ : ٢١ - ٢٢) . وانظر : المسيحية والتوراة (١٦٣ - ١٦٤) والسماك (٥٦) .

(٣) انظر : هل ستسقط أمريكا كما سقط الاتحاد السوفييتي - رؤية مستقبلية - ممدوح الزوبي (١٧٧) .

(٤) أشار إلى هذه النبوءة : هنري فورد في كتابه الشهير (اليهودي العالمي / ٥٣) .

وقد جاءت أولى الدعوات الأمريكية لتحقيق هذه العلامة (إعادة اليهود إلى فلسطين) على لسان الرئيس الأمريكي الثاني : جون آدامز (حكم ما بين / ١٧٩٧ - ١٨٠١ م) الذي دعا إلى استعادة اليهود لفلسطين ، وإقامة حكومة يهودية مستقلة . وأعرب عن « الرغبة الصادقة في أن يعود اليهود ثانيةً إلى أرض يهوذا (فلسطين) كأمةٍ مستقلة »[١] .

وبدأت المحاولات الأمريكية الفعلية بعد ذلك لتحقيق هذه العلامة . وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي جاءت أولى تلك المحاولات على يدي أول قنصلٍ أمريكي في القدس سنة ١٨٤٤ م . حيث دعا ذلك القنصل رؤساءه إلى جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود . ثم اعتنق ذلك القنصل اليهودية ، واستقر في القدس ، ولحق به بعد ست سنوات مجموعةٌ من الأصوليين الأمريكيين ، حيث أقاموا سنة ١٨٥٠ م ، أول مستوطنةٍ هناك . انتظاراً لمجيء المسيح .

وفي ١٨٦٦ م ، تكررت تلك المحاولة الأمريكية مرةً ثانية[٢] .

وتعددت المحاولات وتكررت الأمثلة[٣] .

إلى أن صدر وعد بلفور الشهير المشؤوم سنة ١٩١٧ م .

وهنا كان تأييد الرأي العام الأمريكي ساحقاً لإنشاء وطنٍ لليهود . وفي الكونجرس اجتهدوا أن تكون لحكومتهم الأمريكية اليد الطولى في ذلك[٤] .

وفي ١٩٤٤ م ، تبنَّى الكونجرس الأمريكي قراراً تتعهد بموجبه الولايات المتحدة الأمريكية بإعادة تكوين فلسطين : يهوديةً ديمقراطيةً حرّة ، تأييداً لقرار المؤتمر الصهيوني المنعقد في نيويورك العام ١٩٤٢ م[٥] .

---

(١) المسيحية والتوراة (١٦٣) والسماك (٢٢) .

(٢) المسيحية والتوراة (١٤٩ - ١٥١) .

(٣) انظر أمثلةً على ذلك في: المسيحية والتوراة (١٥٣) والسماك (٥٨) ومقدمة كتاب الدواليبي (١٩).

(٤) انظر : المسيحية والتوراة (٣٤٣ - ٣٤٤) .

(٥) السماك (٦٣) .

وكان ذلك في أيام الرئيس : فرانكلين روزفلت (حكم ما بين / ١٩٣٣ - ١٩٤٥ م) الذي كان من أشد المتحمسين لعودة اليهود إلى فلسطين ، وأشد المتعاطفين مع الحركة الصهيونية اليهودية .

وفي أيام روزفلت (الذي يقال : إنه ربما كان يهودي الأصل من عائلةٍ يهوديةٍ تعرف باسم عائلة روزنفلت) تمَّ اتخاذ النجمة السداسية شعار إسرائيل شعاراً رسمياً في الولايات المتحدة الأمريكية لدوائر البريد ، ولخوذ بعض الفرق العسكرية ، ولأختام البحرية الأمريكية ، وميدالية رئيس الجمهورية .

وأحاط بروزفلت حينها عددٌ من المستشارين والمعاونين من اليهود الخلَّص .

وحين توفي روزفلت سنة ١٩٤٥ م . خَلَفَه نائبه هاري ترومان الذي عُرِفَ عنه أنه كان يردد كثيراً : أن كتابه المفضل هو « التلمود »[١] .

وفي ١٩٤٧ م طلب الرئيس الأمريكي : هاري ترومان من رئيس وزراء بريطانيا السماح لمئة ألف يهودي بالإقامة في فلسطين . وكان من أشد الناس تحمساً لهجرتهم . بل كان يُسمِّي نفسه « قورش » تشبيهاً لنفسه بقورش ملك الفرس الذي أعاد اليهود من السبي البابلي إلى فلسطين[٢] .

---

(١) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي (١٩٣) . وحول دور عددٍ من الرؤساء الأمريكيين السابقين لروزفلت في أوائل القرن الميلادي الأخير ، وتأييدهم الصريح للأماني الصهيونية ، وسعيهم العملي لتحقيقها منذ الرئيس وودر ولسون مروراً بالرئيس وارن هاردنج والرئيس كالفن كولدج والرئيس هربرت هوفر حتى الرئيس روزفلت ثم هاري ترومان - انظر (المنظمات الصهيونية المسيحية / ١١٠ - ١١٤) .

(٢) الأصولية الإنجيلية (١٠٢) وحول الدور الأمريكي جملةً من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي حتى أواخر القرن العشرين الميلادي . انظر (الكيلاني / ١٦٦ - ١٨٥) و(المنظمات الصهيونية المسيحية - أحمد تهامي / ١٧٠ - ١٧٥) .

وانطلقت بعدئذٍ حملة الأصولية الإنجيلية المعاصرة من عقالها ، منتشيةً بالظفر الأمريكي وعالم الأنجلو ساكسون في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ م . وبالعودة اليهودية المتحققة إلى فلسطين وإقامة دولتهم عام ١٩٤٨ م . تحقيقاً لنبوءتهم المنتظرة[١] .

وهاج هياج الأصولية الإنجيلية البروتستانتية ، صاحبة التفسير الحرفي لنصوص العودة ، بعد هذه الأحداث ، وانطلقت موجاتها المتدافعة .

تُعنى الأصولية الإنجيلية : بالعودة إلى الأصول النصرانية ، والاحتكام إليها ، ورفض العلمانية ، والنظريات المادية ، والوقوف في وجهها ، مُمثِّلةً بذلك خير تمثيل الاتجاه المحافظ في الفكر النصراني .

وأهم مبادئها : القول بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس بشقَّيه ، وانتظار العودة الحقيقية للمسيح ، مع التهيئة لذلك ، وترقب حلول المملكة الألفية تبعاً لذلك على يدي المسيح[٢] .

ويعتقد الأصوليون الأمريكيون تبعاً لذلك أن عودة اليهود إلى فلسطين حتمية ، ومطلبٌ ديني يجب تحقيقه . وأن إقامة اليهود في فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل هما بالنتيجة مطلبان شرعيان يجب تأييدهما .

وتبعاً لذلك يعتقد هؤلاء الأصوليون أن كل معركةٍ يخوضها الإسرائيليون ضد العرب أو المسلمين ، معركةٌ من معارك الرب ، يديرها الرب ، ويتحقق فيها النصر لشعبه المختار . وأن الرب سيمكن إسرائيل من إبادة العرب ، وتطهير أرض إسرائيل من كل المقيمين عليها من المسلمين والنصارى غير الإنجيليين (أي الذين لا يقولون بالعودة كالنصارى الشرقيين الأرثوذكس أو الكاثوليك المقيمين بالقدس وبيت لحم والناصرة وغيرها من مدن فلسطين) .

---

(١) انظر : المسيحية والتوراة (٢٧٧) .

(٢) انظر : الأصولية الإنجيلية (٣٣ / ٣٥) .

وتبعاً لذلك يجب أن يعمل الأمريكي المؤمن (أي الإنجيلي الأصولي) بكل قواه ، وأن يُسخِّر كل إمكانيات بلده من أجل « تمكين كل يهود العالم من التجمّع بسرعة على كل الأرض المتعاقد عليها مع الله ، وإخلاء تلك الأرض ممن يزحمون سطحها الآن » . ثم تمكين أولئك اليهود من ... « إزالة كل ما .. ليس يهودياً من المواقع المقدسة . وإعادة بناء الهيكل . ثم تأمين بقاء مملكة التوراة ، وترسيخ دعائمها بشنِّ حرب الإبادة الأخيرة (هرمجدون) على كل أبناء الظلام الذين يُعادون إسرائيل »[1] .

يُسمَّى هؤلاء الإنجيليون بالكثير من الأسماء والنعوت . فتارةً يُسمَّون : الإنجيليين الأصوليين / أو الإنجيليين الجدد / أو الحرفيين / أو اليمين المسيحي الجديد / أو التدبيريين (التدبيرية الذين يعتقدون أن كل ما يذكرونه سيكون بتدبير الرب) . / أو المعمدانيين / أو المسيحيين الصهيونيين / أو المسيحيين المولودين ثانيةً / أو الطهوريين والتطهريين أو التطهيريين / .

ويُنعتون تارةً أخرى بأنهم : أتباع مذهب العصمة / الإنجيلية الأصولية / أو السلفية الأصولية الإنجيليانية[2] .

في الولايات المتحدة الأمريكية أكثرية هؤلاء الإنجيليين البروتستانت : أنجلو ساكسون بيض ، يُقيمون في الغرب والغرب الأوسط ، والجنوب الذي يُقدم أكبر كتائب الأصولية ، ويطلق عليه اسم « حزام الكتاب المقدس »[3] .

---

(١) انظر : المسيحية والتوراة (٤٠١ / ٤٢٤ - ٤٢٥) .

(٢) عن هذه الإطلاقات . انظر : مَنْ يجرؤ على الكلام - بول فندلي (٣٩٤) ويوم الله - لجيل كيبل (١١٨ / ١٣٠) والسماك (٦٦) والقدس بين رؤيتين (٩٠) .

(٣) النبوءة والسياسة - غريس هالسل (١٣٠) ويوم الله - جيل كيبل (١١٩) .

منذ وقتٍ مبكر أنتج هذا التيار العديد من المؤلفات التي أصَّلَتْ لهذا الفكر وروَّجت له .

جاءت البداية مع :

- مارتن لوثر ، وكتابه « عيسى ولد يهودياً » سنة ١٥٢٣ م .

- هنري فنش ، المستشار القانوني لملك إنجلترا ، ودراسته حول عودة اليهود الصادرة سنة ١٦٢١ م .

- كتاب فيليب جنتيل دي لانجير ، الصادر في فرنسا سنة ١٧٠٠ م .

- أزمنة جميع الأمم ، لجيمس بيشنو .

- دراسة اللورد أشلي كوبر (إيرل - أوف - شافتسبري) الصادرة سنة ١٨٣٩ م .

- أرض الميعاد ، لتشارلي وارن .

- كتاب إرنست لاراهان ، المستشار الخاص لنابليون ، الصادر سنة ١٨٦٠ م بعنوان « المسألة الشرقية : إعادة بناء الأمة اليهودية » .

- « عيسى قادم » أو « المسيح آتٍ » ، للقس وليم بلاكستون . أبو الصهيونية الأمريكية حسب تعبير بعضهم ، الصادر سنة ١٨٦٨ م ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى أربعين لغة .

- أرض جلعاد ، للورنس أوليفنت، عضو البرلمان الإنجليزي ، ثم وزير الخارجية ، الصادر سنة ١٨٨٠ م .

- إعادة اليهود إلى فلسطين ، للقس وليم هشلر ، الملحق في السفارة البريطانية في فيينا ، الصادر سنة ١٨٩٤ م .

- « آخر أعظم كرةٍ أرضية » أو « كوكب الأرض المغفور له » ، لـ : هال ليندسي ، الذي أصدره في السبعينات الميلادية من القرن العشرين ، والذي يُعدُّ بحقٍ : أخطر كتابٍ أُلِّف في هذا المضمار حسب مقولة عددٍ من الباحثين . وهو الذي أحيا رميم عظام هذه الفكرة بعد أن كادت تذبل ، ونفخ فيها هذه الروح الأسطورية الجهنمية ، التي نكتوي بحرِّ نارها اليوم . ولهذا يعتبر الأصوليون الإنجيليون المعاصرون هذا الكتاب بمثابة إنجيلٍ جديدٍ لهم ، ودستورٍ مكتوبٍ لأبناء هذه الطائفة .

- وآخر ما في القائمة : « اسمعي يا أمريكا » . للواعظ الأسطوري جيري فالويل الأمريكي الجنسية[١] .

---

(١) انظر : الصهيونية المسيحية لمحمد السماك (٢١ - ٢٥ / ٤١ / ٤٧ / ٥٨ / ٦١) . والمنظمات الصهيونية المسيحية - أحمد تهامي سلطان (١٦٨ - ١٦٩) .

انطلق منظِّرو الأصولية الإنجيلية ووعاظها الدينيون في أواخر حقبة السبعينات الميلادية من القرن المنصرم . واشتهر من بينهم :

١ - هال ليندسي : أحد كبار المنظِّرين الأيديولوجيين للحركة الأصولية الأمريكية . صاحب كتاب « المأسوف عليه كوكب الأرض » . أو « آخر أعظم كرة أرضية » الذي بيع منه حوالي ١٨ مليون نسخة ، وظل على رأس أكثر الكتب مبيعاً خلال السبعينات .

وبلغ من أهمية الرجل أن طلبت منه السلطات الأمريكية أن يلقي محاضرةً على واضعي الاستراتيجية الأمريكية في البنتاغون عن حتمية نشوب الحرب النووية أيام ريجان(١) .

٢ - جيري فولويل : اشتهر ببرنامجه « ساعة من أزمان الإنجيل » الذي كان يذاع من ٣٩٢ محطة تلفزيون . وحوالي ٥٠٠ محطة إذاعة في أمريكا كل أسبوع . وبعد ذلك في ١٩٨٦ م تمكن من شراء شبكة تلفزيون . كما يمتلك « جامعة الحرية » . ويتزعم مجموعة « الأغلبية الأخلاقية » إحدى جماعات الضغط السياسي . ثم استبدلها بـ« فيدرالية الحرية » . وكان صديقاً حميماً للرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان ، وبلغت الصداقة والاشتراك في التمذهب بمذهب الأصولية الإنجيلية حداً أصرَّ معه الرئيس ريغان على إشراك القس فالويل في مداولات مجلس الأمن القومي ومشاوراته الخاصة بشنِّ الحرب النووية . واشتهر بعباراته المتهوِّدة للغاية . كقوله : « اليهودي هو بؤبؤ عيني الله ، ومن يؤذي اليهودي كأنه يضع أصبعه في عين الله »(٢) .

---

(١) النبوءة والسياسة (٩) والمسيحية والتوراة (٣٧٨ / ٣٩٩) .

(٢) عن جيري فالويل . انظر (بول فندلي / ٣٩٦) (غريس هالسل - النبوءة والسياسة / ٢٠) (يوم الله - جيل كيبل / ١٣٩ / ١٤٢) والمسيحية والتوراة - شفيق مقار (٢٨٦ / ٣٩٩) ومقدمة كتاب الدواليبي - أمريكا وإسرائيل (٢٠) .

وصفته صحيفة الإيكونومست اللندنية الشهيرة بأنه « آية الله للبعث المسيحي ذو الصوت الحريري »[١] .

٣ - باث روبرتسون : ابن سيناتور سابق . يمتلك شبكةً تلفزيونية تدير عدة محطات تلفزيونية . وتتبعها محطة تلفزيونية في جنوب لبنان (سابقاً) . ومراسلون في ٦٠ دولة . كما يمتلك جامعة . ومجموعة ضغط سياسي (لوبي) . رشَّح نفسه سنة ١٩٨٨ م لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ضد جورج بوش . ولم يتغلب عليه بوش إلا بصعوبة (داخل الحزب الجمهوري)[٢] . /

٤ - بيل غراهام . يُعدُّ الأسقف بيل (أو : بيلي) غراهام المرشد الروحي للرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش الابن (٢٠٠٠ م - ٠٠٠٠) .

وهو أحد أشد الأصوات الدينية تعصباً في الولايات المتحدة الأمريكية .

يتمثَّل هذا التيار المتعصب ، الذي يتخذ من الفكر الديني الإنجيلي المتزمت منبعاً له ، داخل إدارة الرئيس بوش الحالية بقوة .

ومن بين رموزه المهمة ، وزير الدفاع : دونالد رامسفيلد ، ووزير العدل والمدعي العام : جون أشكروفت[٣] .

أصبح غراهام أحد دعاة الإنجيلية وأقطابها وهو شاب . وانطلق سنة ١٩٤٩ م بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . وأصبح نجماً إذاعياً يستمع إليه ١٥ مليون شخص . وفي ١٩٥١ م انطلق من التلفزيون ، ليصبح أحد مشاهير النجوم العالميين .

وإليه يعود الفضل كما يقولون ، في « تحويل الديانة الإنجيلية (أي التيار النصراني الإنجيلي) إلى ظاهرة ثقافية مركزية (لأمريكا) » .

وأصبح منذ ذلك الحين أليف الرؤساء الأمريكيين ، لاسيما ريتشارد نيكسون . حيث أصبح كاهنه غير الرسمي .

---

(١) بول فندلي (٣٩٤) .

(٢) انظر : النبوءة والسياسة (١٧ - ١٨) ويوم الله (١٤٣ - ١٤٤) والمسيحية والتوراة (٢٨٤) .

(٣) حول هذا . طالع : مجلة المجلة الصادرة من لندن - العدد رقم (١١٤٦) الصادر في (٢٧ / ١ / ٢٠٠٢ م) الموافق (١٣ / ذو القعدة / ١٤٢٢ هـ) ص (٧) .

وفيما بين ذلك خَلَفَه على الحظوة عند الرؤساء جيري فالويل مع ريغان[١] .

- وهناك آخرون غير هؤلاء[٢] .

تفاوتت تقديرات الباحثين لأعداد أتباع هؤلاء الإنجيليين في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها .

والأرقام التي يذكرونها : ما بين الثلاثين إلى الستين مليوناً . (٣٠ مليون / ٤٠ مليون / ٤٥ مليون / ٥٠ مليون / ٦٠ مليون)[٣] .

إلا أن خطورة المشكلة لا تكمن في عدد الأتباع ، وكثرتهم أو قلتهم ، بل في كونهم نخبةً مسيطرة ، ذات نفوذ وإمكاناتٍ هائلة في الولايات المتحدة الأمريكية .

يتبع هؤلاء الإنجيليين أو فقل : إن لديهم مئتان وخمسون منظمة ، والعديد من التجهيزات والإمكانات الضخمة ، وعشرات الآلاف من القساوسة والمنصرين[٤] بحيث قُدِّر أن عدد المنصرين المتجهين للعمل في الخارج ، تصل نسبة الأصوليين الإنجيليين منهم إلى ٩٠ ٪ . ولهذه النسبة دلالاتها الخطيرة ، ونتائجها الأخطر[٥] .

وأخطر الأفكار التي يبثها هؤلاء الوعاظ الإنجيليون ويؤثرون بها على باقي أفراد الشعب الأمريكي من غير الإنجيليين فكرة ذكية وغريبة في آنٍ معاً . هي فكرة الربط

---

(١) طالع : يوم الله - جيل كيبل (١٢٤ - ١٢٥) .

(٢) مثل : جيمي سواغارت / جيم بيكر / أورال روبرتس . عن هؤلاء ونشاطاتهم . انظر : النبوءة والسياسة (١٨ - ١٩) ويوم الله (١٢٥ - ١٢٦ / ١٣٨) .

(٣) عن ذلك . انظر (بول فندلي / ٣٩٦) و (وغريس هالسل / ١٢ / ١٢٧) و (السماك / ٦٦) و (الكيلاني / ١٩٥) و (المسيحية والتوراة / ٣٧٥) و (يوم الله / ١١٧) .
وقد ذكر صاحب كتاب : " حمى سنة ٢٠٠٠ م " أن عدد الإنجيليين يبلغ في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها نحو ٩٠ مليوناً . ولم أجد أحداً وافقه على ذلك ، ولا أحال على مرجعٍ معتمد .
انظر : (حمى سنة ٢٠٠٠ م / ١٦١) .

(٤) حول ذلك . انظر : (بول فندلي / ٣٩٦) و (غريس هالسل / ٢١ / ١٦٥) و (المسيحية والتوراة / ٣٧٤ - ٣٧٥) .

(٥) انظر : المسيحية والتوراة (٢٨٣) .

بين تفوق أمريكا ، ودعمها لحق عودة اليهود وإقامة دولتهم ودعم تلك الدولة مادياً ومعنوياً بلا حدود[١] .

يقول فالويل : « الرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهودي ». ثم يضيف « إن الله يحب أميركا لأن أميركا تحب اليهود ». وأضاف « إنني أؤمن بأننا إذا تقاعسنا عن حماية إسرائيل فلن نبقى مهمين بالنسبة إلى الله » . ويقول أيضاً : « لقد بارك الله أميركا لأننا تعاونًا مع الله في حماية إسرائيل التي هي عزيزة عليه » . ثم يضيف بعبارةٍ أصرح وأوضح : « إن كانت هذه الأمة الأميركية تريد أن تظل حقولها مثمرةً بالزرع ، ومعاملها سباقةً إلى تحقيق المنجزات العلمية ، وحريتها مكفولة مؤمَّنة ، فإن عليها أن تواصل الوقوف صفاً واحداً مع إسرائيل . فالله لم يبارك أميركا إلا لأن أميركا باركت اليهود ، شعبه المختار » .

ويقول غيره : « أعتقد أن أسباب البركة في أميركا عبر السنين أننا أكرمنا اليهود الذين لجأوا إلى هذه البلاد . وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام ، وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق إسرائيل في الأرض » . وغير ذلك كثير[٢] .

يستخرجون ذلك مما ورد في سفر التكوين أن الرب قال لإبراهيم : « أجعلك أمةً عظيمة وأباركك وأُعظِّم اسمك وتكون بركةً . وأبارك مباركيك . ولاعنك ألعنه »[٣].

فيشتطون ويزعمون أن تلك البركة خصَّت بني إسرائيل وحدهم دون غيرهم من ذرية إبراهيم عليه السلام . ويزوون تلك النبوءة والبركة لبني إسرائيل دون بني إسماعيل .

ويطلق بعض هؤلاء على إسرائيل . اسم « إمبراطورية الله »[٤] .

وَلَمْ تَزَلْ هذه الموجة الأصولية في تزايدٍ مستمر ، حتى بلغتْ حداً أصبحت معه مؤثرةً تأثيراً خطيراً للغاية في الواقع السياسي الأمريكي الحاضر . وكان من شواهد

---

(١) المسيحية والتوراة (١٥٥) .

(٢) طالع هذه النصوص وغيرها في (بول فندلي / ٣٩٣ - ٣٩٤) (هالسل / ٦٦ / ٧٢ / ١٢٧ / ١٧١) (المسيحية والتوراة / ٣٧٩ - ٣٨٠) .

(٣) سفر التكوين (١٢ : ٢ - ٣) .

(٤) بول فندلي (٤١٠ / ٤١٢) .

ذلك انتخاب القس جيمي كارتر المعمداني المولود ثانيةً رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية (١٩٧٦ م - ١٩٨٠ م) . مبرزاً بذلك حجم طموحات الإنجيليين وإمكاناتهم في هذا البلد العملاق الذي أصبح يقود العالم طوعاً أو كرهاً . ولم يتوان كارتر عن التصريح بمعتقده أن « إسرائيل هي الباب إلى المجيء الثاني » . وإعلانه أن تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيقٌ للنبوءة التوراتية[١] . وفي أيامه أبرم اتفاق كامب دايفيد بين السادات وبيجن .

وجاء بعد كارتر : دور الممثل البارع والأصولي العتيد رونالد ريجان (١٩٨٠م - ١٩٨٨ م) الذي كان حماسياً مندفعاً بقوة وراء التيار الأصولي الإنجيلي ، مؤمناً بكل ما يعتقدونه ، متعاطفاً بجميع مشاعره وأحاسيسه مع أفكارهم ، وعلى الأخص فكرة هرمجدون التي سيطرت على ذهنيته التدميرية . فأصبح يحلم بهرمجدون وهجمتها النووية المظفرة في يقظته ومنامه ، ولربما كان يتخيل - والخيال والاندماج في المشهد جزءٌ من عملية التمثيل - أنه سيكون أبرز فرسان تلك الموقعة وأحد كبار قادتها المتهورين المظفرين . ولربما كان يتخيل نفسه ممسكاً بالحقيبة النووية ليضغط على أزرار إطلاق الصواريخ الاستراتيجية بعيدة المدى ذات الرؤوس النووية ، منتشياً للغاية بكل ما أوتيت أمريكا من قوة وتقنية ، حتى وإن أدى ذلك إلى إغراق العالم في غابةٍ من الرعب والخراب والدمار ، ما دام أن ذلك سَيُعجِّل بعودة منتظره .

وشاءت إرادة الله أن يقع هذا العالم في قبضة « مجنون هرمجدون » هذا . لكنَّ الله كتب لهذا العالم البقاء ، وحفظه من تلك الأصابع السوداء العابثة .

حظي هذا الرئيس الأصولي الإنجيلي في الانتخابات بدعمٍ كبيرٍ من الأصوليين الإنجيليين لفترتين متتاليتين[٢] .

يقال : إن الرئيس ريجان كان في مطلع حياته قسيساً قبل أن يصبح ممثلاً في هوليود[٣] . لكن الثابت أنه كان معلم صبيان يدرِّسهم الإنجيل في شبابه . وقد ذكر ذلك بنفسه . يقول : لقد تربيت على الكتاب المقدس ، وعلّمته لمدةٍ طويلة في

(١) يوم الله (١٣٠) والمسيحية والتوراة (١١٨ / ٣٢٣) والسماك (٢٩) .

(٢) يوم الله (١٣٠) والمسيحية والتوراة (٣٢٢ / ٣٩٣) .

(٣) أمريكا وإسرائيل - الدواليبي (٤١) .

مدارس الأحد . (وكان يومذاك في المدرسة الثانوية)[1] .

لريغن نبوءات كثيرة تتعلق بهرمجدون وجيوش إمبراطورية الشر وأبناء الظلام والقوى المعادية للمسيح . سنشير إليها - بإذن الله - عند الكلام على نبوءات النصارى حول « هرمجدون » .

وخَلَفَ ريجان في الرئاسة نائبه : جورج بوش (١٩٨٨ - ١٩٩٢ م) ، وكان مثله في الانضمام لتيار الأصولية الإنجيلية[2] .

الرئيس الأمريكي التالي له : بيل كلينتون (١٩٩٢ - ٢٠٠٠ م) ، ينتمي إلى بيئةٍ معمدانيةٍ أصوليةٍ هو الآخر . وإنْ لمْ يكنْ متحمساً لمثل هذه الأفكار .

لكنه ممن تعلّموا في دروس الأحد الأسبوعية في كنيسة مدينة « هوب » الصغيرة في ريف ولاية آركنساو : أن عودة اليهود إلى القدس تُمهِّد لعودة عيسى المسيح .

أراد فيما بعد حين أصبح سياسياً محترفاً ورئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ، أن يحل مشكلة القدس حسب أسلوبه الليبرالي في التفكير والسياسة . وأن يكسب الدنيا والآخرة (حسب تعبير أحدهم) أو الديني والمدني ، والمادي والمعنوي .

كان مهتماً للغاية بإيجاد حلٍ ما ، لقضية القدس والفلسطينيين وإسرائيل .

وفي أيامه تعددت الاتفاقيات والمباحثات واللقاءات بين الفلسطينيين والإسرائيليين . من اتفاق حديقة البيت الأبيض التاريخي بينه وبين عرفات ورابين سنة ١٩٩٣ م . إلى اتفاق واي ريفر ، إلى المباحثات الأخيرة التي فشلت في كامب ديفيد صيف عام ٢٠٠٠ م .

كان يعتقد أنه سيدخل التاريخ إذا حل هذه المشكلة القديمة قدم التاريخ ، ويعتقد أنه سيحقق بأسلوبه المتحايل الماكر ما كان يدرسه وهو طفل صغير ، عن قرب عودة المسيح . عندما يسيطر اليهود على كل القدس ، بإيجاد صيغةٍ ماكرةٍ لحلٍ بديل بإعطاء

---

(١) النبوءة والسياسة (٤٦) .

(٢) المسيحية والتوراة (٣٢٢ - ٣٢٣) والهذلول (٧٣) .

الفلسطينيين عاصمةً في (أبوديس) إحدى قرى القدس . وتسميتها بـالقدس . حيـث يمكنهم من هناك مشاهدة المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وبهذا يتمكن من حل هـذه القضية المعقدة الأزلية ، حسب تصوره النابع من خلفيته الإنجيلية[1] .

ويبقى الدور الأمريكي دائماً ، هـو الـدور الأهـم والرئيـس في مجـال تحقيـق هـذه النبـوءة العلامـة ، ومـن وراء الستار الرسمـي تُطـلُّ بـين الفينـة والأخـرى الصهيونيـة النصرانية ، أو الإنجيليون الجدد ، رواد اليمـين النصرانـي الجديـد ، بأوجههـم الكالحـة المكفهرة المتوعِّدة بهرمجدون ، وما أدراك ما هرمجدون .

وقد اعترف بدور الصهيونية المسيحية وشكر دورها في تنفيذ هذا البنـد العلامـة : إعادة اليهود إلى فلسطين ، أحد كبار المنظِّريـن الصـهيونيين اليـهود المعـاصرين وأحـد ساسة إسرائيل الدولة الحاضرة ، ذلكم هو : بنجـامين ناتنيـاهو رئيـس وزراء إسـرائيل (١٩٩٦ - ١٩٩٩ م) . يقول : « لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنـا اليهوديـة للعودة إلى أرض إسرائيل . وهذا الحلم الـذي يراودنـا منـذ ٢٠٠٠ سـنة ، تفجـر مـن خـلال المسـيحيين الصـهيونيين . ... إن المسـيحية الصهيونيـة لم تكـن مجـرد تيـارٍ مـن الأفكار . إن مخططاتٍ عملية وُضِعَتْ فعـلاً مـن أجـل عـودة اليـهود . .... لقـد قـدَّم المسيحيون دعمـاً طويـلاً متواصـلاً وناجحـاً للصهيونيـة ... (و) سـاعدوا علـى تحـول الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية »[2] .

---

(١) حول هذا الدور. وهذه المعلومات الشخصية عنه. انظر: مجلة المجلة الصادرة من لندن - العدد (١٠٦٩) بتاريخ (٦ / ٥ / ١٤٢١ هـ) (٦ / ٨ / ٢٠٠٠ م) ص (٧) .
وفيما بعد حين انطوت آخر صفحات فضيحته الجنسية مع مونيكا لوينسكي اليهودية ، بدا حريصاً علـى التواصل مع طائفته الإنجيلية . وفي سنة ٢٠٠٠ م تحـدث في مؤتمرٍ لهـم في مدينـة شيكاغو ، سعياً منه للنضج الروحي ، ومحاولةً منه - حسب تعبيرهم - للدخول إلى خيمة الصحوة الدينية .
حول ذلك : طالع مجلة النيوزويك / العدد الصادر باللغة العربية من الكويت رقم (١١) / ص (٢٤) .

(٢) انظر : النبوءة والسياسة (١٢٣ - ١٢٤) .

أمّا ما هي تلك المخططات العملية التي وضعتها المسيحية الصهيونية لإعادة اليهود وتأمين بقائهم في فلسطين ، التي تحدث عنها نتنياهو ، فهي :

أولاً : تدمير الدولة العثمانية التي كان من بين ممتلكاتها : أرض فلسطين ، ورفضت التنازل عنها لليهود حين رغب اليهود وَمَنْ وراءهم مِنَ المسيحيين المتهوِّدين في ذلك . كما هو معروف ومشهور .

وقد اتخذوا خطواتٍ عملية فعلية لإزالة الدولة العثمانية واقتسام تركتها في الشرق العربي المسلم . مع تبييتهم النية على تخصيص فلسطين لليهود . ونجحوا في ذلك .

يقول لورنس أحد أشهر الساعين لتحقيق هذا الهدف إبان الحرب العالمية الأولى ، في تقريرٍ سري له ، رفعه إلى المخابرات البريطانية عام ١٩١٦ م : « أهدافنا الرئيسية : تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها ... و .. العرب ، وهم الأقل وعياً ... سيبقون في دوامةٍ من الفوضى السياسية داخل دويلاتٍ صغيرة حاقدة ومتنافرة ، غير قابلة للتماسك »[(١)] .

وكان النصارى الصهيونيون قبل ذلك منزعجين للغاية من بقاء فلسطين تحت السيطرة العثمانية . معتبرين أن ذلك « وصمة من الوصمات الكبرى في وجه الحضارة ، ... ينبغي أن تزال » متمنين حلول تلك اللحظة التي تُخلَّص فيها أرض « يهوذا » من يد « التركي المسلم البشع » . بعد أن حوَّلها « المحمديون » « إلى أرضٍ جرداء موحشة خربة بسبب تخلّفهم وكسلهم » .

والحل عند هؤلاء لمثل هذه المشكلة هو - على حد قولهم - : « أن نُدمِّر الإمبراطورية العثمانية ونُخلِّص فلسطين من حكم المحمديين »[(٢)] .

---

(١) تقارير لورنس السرية - لورنس العرب على خُطى هرتزل / زهدي الفاتح (٦٤) - دار النفائس - بيروت / ط. رابعة / ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

(٢) المسيحية والتوراة (١٤٣ / ٣٤٤ / ٣٤٦ - ٣٤٩) والخلفية التوراتية - الكيلاني (٢٨ - ٢٩) .

ثانياً : تهجير اليهود إلى فلسطين ، وتجميعهم من أركان المعمورة طوعاً أو كرهاً ، حتى تتحقق العلامة ، ويجيء المنتظر .

فقد كان بعض اليهود يريد مغادرة مهجره في الاتحاد السوفييتي (سابقاً) أو أوروبا الشرقية ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث الرخاء والثراء والرفاهية . فإذا بكل الأبواب تغلق أمامه - بالتنسيق مع الصهيونية اليهودية - حتى لا يجد له طريقاً إلاَّ إلى فلسطين .

ولذا لا نعجب حين نعلم أن يهود أوروبا لَمَّا دُعوا إلى العودة إلى فلسطين بداية القرن العشرين الميلادي وما قبل هذا . توجسوا خيفةً من تلك الدعوة . بل قاومها بعضهم بشدة . وقد عُرف عن كثيرٍ من يهود أوروبا أنهم « لم يُظهروا سوى القليل جداً من الرغبة لترك أوطانهم والهجرة إلى فلسطين » . بل اعترف بعض زعماء الصهيونية اليهودية أن اليهود قاوموا هذه الفكرة مئتي سنة قبل أن يتبناها عددٌ منهم[١] .

ولم تكن المشكلة أول الأمر في إقرار مبدأ عودة اليهود إلى فلسطين (بين المسيحيين) بل في إقناع اليهود (أنفسهم) بتسريع هذه العودة من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح[٢] . وكانت أشد معارضةٍ تلقتها اليهودية الصهيونية من جانب المتدينين اليهود من الأرثوذكس واليهود الشرقيين . وكذا اليهود الإصلاحيين[٣] .

وعندما اقتنع عددٌ من كبراء اليهود ومفكريهم أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بالفكرة الصهيونية ، طفقوا يتباحثون حول الاتفاق على مكان العودة .

وكانت فلسطين على رأس القائمة ، غير أن بعضهم تثاقل ذلك وجبن ، إذ ظن أن المطلوب منه الخروج من قراره ومستقره في أوروبا إلى قلب الأرض الجرداء في

---

(١) النبوءة والسياسة (١٢٢ / ١٢٧) .

(٢) السماك (٥٨) .

(٣) المسيحية والتوراة (١٥٨) .

فلسطين لقتال العثمانيين ، واستخلاص فلسطين من بين أيديهم . واليهود أجبن خلق الله . فما كان منهم حين سمعوا بذلك إلا أن تباحثوا في إيجاد مكانٍ بديل ، وكان ثيودور هرتزل أبو الفكرة والدولة الصهيونية اليهودية الحديثة حاضراً . فكأنه خشي من تخاذل اليهود وتقاعسهم . فرضيَ منهم بالمبدأ فحسب . وقَبِلَ منهم إقامة الدولة في أي مكانٍ يشاؤون .

فحين علم بذلك الأصوليون الإنجيليون ثارت ثائرتهم وغضبوا على هرتزل ، وأرسل إليه أحد زعمائهم نسخةً من العهد القديم ، مشاراً فيها إلى تلك الفقرات التي تحدثت عن فلسطين وطناً لليهود وموئلاً لعودتهم بزعمهم[١] .

ثالثاً : تحجيم الدول المحيطة بتلك الدولة الوليدة (إسرائيل) والمراد بتلك الدول : الدول العربية والإسلامية المجاورة لها والقريبة منها .

بل طمح بعضهم إلى تفتيت تلك الدول .

أما التحجيم فهو السياسة المعلنة والمتبعة حتى يومنا هذا ، ولذا تنتهج الولايات المتحدة (وتفرض هذا النهج أو تحاول فرضه على باقي دول العالم حليفةً كانت أم غير حليفة) نهجاً يقوم على قاعدتين أساسيتين لسياستها في هذه المنطقة :

القاعدة الأولى : إغراق إسرائيل بالمساعدات العسكرية والمالية . ضماناً لأمنها وبقائها وسيطرتها .

القاعدة الثانية : مراقبة التسلح في الدول العربية والإسلامية ، ومحاولة منعها أو منعها بالفعل من امتلاك أسلحة خطيرة . أو ذات قدراتٍ هجومية[٢] .

وأما التفتيت . فلهذه السياسة شقّان . أحدهما : تفتيتٌ كليٌّ استئصالي (أي إنهاء الوجود) . والثاني : تفتيتٌ جزئي (أي تقسيم) .

---

(١) انظر : المسيحية والتوراة (١٥٩ - ١٦٠) .

(٢) انظر : السماك (٩٦ - ٩٧) .

أما التفتيت الكلي . فهو السياسة المعلنة قبل السنوات الأخيرة ، أي في زمان الحروب ، قبل التهافت الحاضر على السلام أي سلامٍ كان . زمانٌ كانت إسرائيل تتبجح فيه بأن حدودها تمتد من الفرات إلى النيل . وحينذاك كان المسيحيون الصهيونيون لا يكفُّون عن حثِّ اليهود على ألاَّ يكتفوا بفلسطين . بل أن يمدُّوا حدودهم لتستوعب كل أرض إسرائيل الكبرى لعلَّ المسيح أن يظهر[١] .

من ذلك ما صرَّح به جيري فالويل سنة ١٩٨٣ م : أنه يؤيد أن يصادر الإسرائيليون « أجزاء من العراق ، وسوريا ، وتركيا ، والعربية السعودية[٢] ، ومصر والسودان ، وكل لبنان والأردن والكويت » .

أما فلسطين « فهي كلها تخص اليهود »[٣] .

وكانت المبارزة الأولى بين الفريقين في إطار هذا المشروع في لبنان . فلبنان كما يقول دايفيد بن غوريون أول رئيس وزراء إسرائيلي هو : « نقطة الضعف في التآلف العربي »[٤] .

وقد انتهت تلك المبارزة بعد حربٍ أهليةٍ طاحنة مزَّقت لبنان ، مع غيابٍ فعلي للدولة ، وحروبٍ بالوكالة . إلى فشلٍ ذريعٍ للمشروع الصهيوني في المنطقة . وكان النصر من نصيب مقاومةٍ فدائيةٍ قليلة العدد والعدّة (صيف العام ٢٠٠٠ م) . وأُجْبرت إسرائيل على الانسحاب من الأراضي التي احتلتها في جنوب لبنان مدة اثنين وعشرين عاماً .

---

(١) انظر : المسيحية والتوراة (٤٢٣) .

(٢) حول ذلك . انظر الملحق بعد نهاية الكلام عن هذه الخطوات العملية المرحلية ، لمزيدٍ من الإيضاح والبيان ، تحت عنوان : (ملحق : حول الحلم الإنجيلي - التوراتي بالوصول إلى خيبر والمدينة المنورة) .

(٣) النبوءة والسياسة - غريس هالسل (١٢٧) .

(٤) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - إسماعيل الكيلاني (٦٨) .

وكان في تلك النتيجة درسٌ هامٌ لإسرائيل : لكي لا تلعب بالنار التي ستحرق أصابعها . فإذا كانت هذه هي نتيجة ذلك المشروع . فماذا ستكون النتيجة لو تمَّ تنفيذ المشروع بكامله ؟

النتيجة : لن تكون لصالح إسرائيل حسب السنن الكونية الحاضرة الناظرة . والعلم عند الله .

وأما التفتيت الجزئي : فهو المشروع البديل ، بعد أن تعذر تحقيق المشروع الأول ، وغرق الصهيونيون بشقيهم في مستنقع لبنان على صغره . فكيف يكون الحال إذن مع باقي الدول الأخرى ، وهي أكبر مساحةً وأكثر عدداً وعدةً وأقوى تركيبةً .

لذا كان التفتيت البطيء الجزئي هو الحل . وهو المشروع الذي بدأت ملامحه تظهر في الفترة الأخيرة ، من حين بدأوا يطنطنون بدعوى السلام ، وهم أبعد ما يكونون عنه ، من أجل إخفاء حقيقة مشروعهم الثاني . حتى لا ينكشف ويتعرض للفشل .

وتتلخص خطوات هذا المشروع في « هدم برج ورق اللعب » ، كما تفوَّه بذلك أحد الباحثين الإسرائيليين ، يعني بذلك : دول العالم العربي المجاورة لإسرائيل .

ويتمثَّل ذلك المشروع في إقامة : « ضربٍ من الحكم من واشنطن بالتحكم البعيد لبلدان العالم الثالث التي كانت فيما مضى مستعمرات للقوى الإمبراطورية مع الاستعاضة عن الاحتلال العسكري لتلك البلدان بقواتٍ أميركية .... باحتلالها احتلالاً داخلياً بجيوشها الوطنية في ظل نظمٍ عسكرية .. » ليؤدي ذلك النوع الجائر من الحكم إلى تمزق المجتمع « والتفتيت النهائي للبلدان المحكومة بتلك الأنظمة إلى كياناتٍ صغيرة متعادية متناحرة » .. « والدول التي يجب أن تخشى أكثر من غيرها ذلك المصير ، مصر ، سوريا ، والعراق » وذلك بـ« تفتيت مصر إلى كيان إسلامي ، وكيان قبطي، وكيان نوبي . وتفتيت سوريا إلى كيان علوي (نصيري) ، وكيان سني ، وكيان درزي ، وكيان كردي . وتفتيت العراق إلى كيان شيعي (في الجنوب) وكيان سني (في الوسط) وكيان كردي (في الشمال) » .

ولولا أن شواهد هذا المخطط ظهرت بوضوحٍ في الحالة اللبنانية . كما بدأت تظهر واضحةً للعيان في الحالة العراقية لاعتبرنا ذلك مجرد أحلام وأمنياتٍ على الورق .

ولذلك يتعجّل كاتب إسرائيلي هذا المصير لدول العالم العربي المجاورة لإسرائيل ، ويُحتِّم وقوعه . يقول : « التفكك الكامل الذي ينبغي أن نجعله مصيراً محتوماً للبنان هو المصير المحتوم للعالم العربي كله ابتداءً من مصر إلى سوريا ثم العراق وشبه الجزيرة العربية .. كلها يجب أن تنحلّ إلى كيانات من أقليات دينية وعرقية »[1] .

ولقد كان هذا المشروع معلناً منذ البداية . ففي برنامج المنظمة الصهيونية الأوليّ في فلسطين ، أذيع أن المقصود هو إقامة دولة يهودية على تراب فلسطين ، وربما تضم بعد ذلك الأردن ، على أن يُنقل سكان فلسطين إلى العراق ليستوعبهم .

ومن ثَمَّ تُفرض الزعامة والهيمنة والسيطرة اليهودية على الشرق الأوسط بكامله في مجالات التنمية الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها[2] . باسم السلام كما يحلم شمعون بيريز في كتابه « شرق أوسط جديد » الذي أصدره مؤخراً بعد توقيع اتفاق السلام بين رابين وعرفات سنة ١٩٩٣ م .

واليهود يدركون جيداً أن العرب يعرفون مقاصدهم ويدركونها . لكنهم يفرضون عليهم ذلك بخلق ظروفٍ تُجبر العرب على التعامل مع الأمر الواقع ، بأسلوب ردَّات الفعل المدروسة إسرائيلياً ، وغير المتوقعة عربياً .

يقول أحد الزعماء اليهود : « العرب يعرفون مقاصدنا ... كل المعرفة ، وما نريد أن نفعل بهم ، وما نرغب أن نستحصل عليه منهم . وعلينا إذنْ أن نخلق على الدوام ظروفاً تقوم على أساس الأمر الواقع »[3] .

لكنَّ العرب على ما يبدو بدأوا يتعوّدون على هذا الأسلوب ، ويجيدون التعامل معه .

---

(١) المسيحية والتوراة (٤٢٦ - ٤٢٧ / ٤٤٧ - ٤٤٨ / ٤٥٠) .

(٢) انظر : الخلفية التوراتية - الكيلاني (١٧٥) .

(٣) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي (١٥٢) .

ملحق : حول الحلم الإنجيلي - التوراتي بالوصول إلى خيبر والمدينة المنورة

لم تتوقف تلك المحاولات ، منذ المحاولة الفاشلة لغزو المدينة المنورة على يد أحد قادة الحملة الصليبية أيام صلاح الدين الأيوبي[(١)] .

وفي القرون المتأخرة استفتح البرتغاليون هذه المحاولات مرةً ثانية . فدخلوا البحر الأحمر بأساطيلهم البحرية ، وهاجموا مدينة جدة سنة ٩٤٨ هـ . وكانوا حينها يفكرون بالاستيلاء على مكة ثم المدينة ثم تبوك ثم بيت المقدس . لكن محاولاتهم تحطمت على سواحل جدة . ومنع العثمانيون السفن الصليبية من الإبحار في البحر الأحمر خوفاً على الحرمين بعد تلك المحاولة[(٢)] .

ورحل البرتغاليون ، وجاء البريطانيون الذين قصفوا مدينة جدة سنة ١٢٧٤ هـ . وحاولوا تكرار ذلك سنة ١٣١١ هـ[(٣)] .

لكنهم أقلعوا عن هذه الهجمات العلنية فيما بعد . واستبدلوها بالخطط السرية . وكان لرجل استخباراتهم الشهير : ثيودور لورنس ، اليد الطولى في ذلك . في منطقة الحجاز والأردن وما بينهما ، كما شرح ذلك بإسهاب في كتابه الشهير : أعمدة الحكمة السبعة . بينما عمل شقيقه الروحي : ثيودور هرتزل على جبهة فلسطين بدعوة اليهود إلى استيطانها ، ووضع المشاريع العملية لتحقيق ذلك ، وإصدار كتابه « الدولة اليهودية » .

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٢ : ٣٠٩) .

(٢) انظر : الرحلة الحجازية – لمحمد لبيب البتنوني (٧) ط. ثالثة – تاريخ : بدون / مكتبة المعارف – الطائف . والصهيونية المسيحية – لمحمد السماك (١٢٢) . وانظر كذلك دراسة نشرتها مجلة المجتمع الكويتية على خمس حلقات في أعدادها (٩٦٥ / ٩٦٩) للدكتور خالد محمد نعيم أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب بجامعة المنيا بمصر . الحلقة الأولى (المجتمع / عدد = ٩٦٥ / ص ٤٩) . والحلقة الثانية (المجتمع / عدد = ٩٦٦ / ص = ٤٠) .

(٣) انظر الرحلة الحجازية للبتنوني (٧) .

وبعد أن تحقق هذا الجزء الهام من ذلك المخطط ، بدأوا يحلمون بين الفينة والأخرى باستكمال عناصر المخطط الكبير .

فكان ما كان من مطالبة الرئيس الأمريكي الهالك : فرانكلين روزفلت (ت ١٩٤٥ م) ، للملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله مؤسس الدولة السعودية الثالثة ، حين اجتمع به في الفيوم بمصر سنة ١٩٤٥ م ، بالسماح لليهود بسكنى خيبر والأراضي المجاورة للمدينة المنورة ، بحجة أنهم سكنوها قبل الإسلام ، وذلك مقابل عشرين مليون جنيه ذهباً يقدمها اليهود . فأبى الملك عبد العزيز ذلك[١] . فما كان من اليهود بعدئذٍ إلا أن بدأوا يرددون بين الفينة والأخرى ، هم وأعوانهم من التيار اليميني الأصولي الإنجيلي دعوى ملكيتهم لبلاد بني النضير وغيرهم من يهود المدينة المنورة وما حولها . ومطالبتهم بتلك الأملاك[٢] .

وحين استولت القوات الإسرائيلية على القسم الشرقي من مدينة القدس ، وسقط المسجد الأقصى بأيديهم سنة ١٩٦٧ م . ودخلها زعماء اليهود وقادتهم العسكريون ، وعلى رأسهم إسحاق رابين رئيس الأركان في الجيش الإسرائيلي آنذاك (ورئيس الوزراء الإسرائيلي لاحقاً) وموشي دايان (وزير الدفاع آنذاك) والرئيس الإسرائيلي زلمان شازار ، والحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي : شلومو غورين ، وغيرهم . ردد المجتمعون عبارات « يالثارات خيبر .. يالثارات خيبر » .

وصرح حينها موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي قائلاً : « اليوم فتحت الطريق إلى بابل ويثرب »[٣] .

وفي أثناء الحروب العربية الإسرائيلية استولت إسرائيل على جزيرتي تيران وصنافير السعوديتين عند مدخل خليج العقبة. ويقال : إن الحكومة السعودية كانت قد سلَّمت

---

(١) أشار إلى ذلك : محمد علي دولة ، في مقدمته لكتاب : أمريكا وإسرائيل للدواليبي - ص (٨) .

(٢) السماك (١٢٣) .

(٣) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - إسماعيل الكيلاني (٦٧ - ٦٩) .

الجزيرتين لمصر أيام جمال عبد الناصر . ليستكمل بذلك حصاره الذي ضربه على إسرائيل من ناحية الجنوب في خليج السويس وخليج العقبة ، والجزيرتان مفتاح خليج العقبة . ونظراً لصعوبة الدفاع عن الجزيرتين عملياتياً ، لو حاولت إسرائيل آنذاك غزوهما ، لضعف التجهيزات والإمكانيات السعودية العسكرية المتطورة آنذاك ، وقلة الكوادر .

ثم بدأت إسرائيل بالتحرش بالشمال الغربي للمملكة العربية السعودية في تلك الحقبة . وبدأت الطائرات الإسرائيلية منذ العام ١٩٧٦ م تقوم بتمارين قصف فوق قاعدة تبوك الجوية السعودية . وتلقي خزانات وقودٍ فارغة في مناسبات عديدة . كما أشارت إلى ذلك دراسةٌ لباحثٍ سعودي ، صادرةٌ عن مركز أمريكي[١] .

وفي تلك الحقبة تزايد بشكلٍ مكثف ، نشاط تهريب المخدرات من إسرائيل وغيرها ، إلى المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية . كما أشار إلى ذلك الجنرال - فريق أول - (صاحب السمو الملكي) الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز ، في مذكراته عن حرب الخليج الثانية[٢] .

وفي أوائل الثمانينات الميلادية أذيع ذات صباحٍ بيانٌ رسمي عسكري سعودي ، عن اختراقٍ جوي عسكري إسرائيلي للمجال الجوي السعودي في منطقة تبوك .

ويُقال : إن ذلك تكرر مراراً .

ولا يزال التفكير بالزحف إلى المدينة المنورة قائماً . فخريطة إسرائيل الكبرى التي يُشار إليها بين الفينة والأخرى تشمل فيما تشمل : المدينة المنورة وخيبر وما جاورها .

---

(١) بول فندلي (٣٤٦) والدراسة المذكورة بعنوان « الأمن السعودي والخطر الناجم الذي يتهدد المصالح الأمريكية » . صدرت في ٨٥ صفحة . للباحث السعودي : مظهر (مزهر) حميد ، خريج كلية فليتشر للحقوق والدبلوماسية ، المتخصص في شئوون الأمن الدولي . وصدرت عن مركز جامعة جورجتاون للدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن. سنة ١٩٨١ م. (انظر / بول فندلي / الصفحات = ٣٣٨ - ٣٣٩ / ٣٤٢ / ٣٤٦ / ٣٥٠) .

(٢) مقاتل من الصحراء / خالد بن سلطان بن عبد العزيز (١٠٨) / دار الساقي - بيروت / ط. أولى / ١٩٩٥ م .

وقد نُقشت خريطة إسرائيل الكبرى هذه على العملة الإسرائيلية في الثمانينات الميلادية من القرن الفائت .

كما نُقش على بعضها صورة نخلةٍ تجود بثمارها . والمدينة المنورة وما جاورها أرض نخلٍ[١] .

وقد استعلن بذلك بعض هؤلاء الأصوليين الإنجيليين في الوقت الحاضر ، وجاهر به ، (هو المنصر الأمريكي روبرت ماكس) إذ يقول : « لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة ، ويُقام قداس الأحد في المدينة »[٢] .

- (الانطلاق عن طريق دبي) :

وفي خضم تلك المحاولات اختار مؤتمر مجلس الكنائس العالمي بإنجلترا عام ١٩٦٩ م . مدينة دبي الإماراتية ، مركزاً وقاعدةً للانطلاق نحو هذا الهدف (الزحف إلى مكة) . وأذاع ذلك سنة ١٩٧٩ م (٢١ سبتمبر) المنصِّر : جون بوتين ، سكرتير التجمع العالمي للمنصرين في نيويورك . ونشر نص وثيقة المؤتمر وتوصيته تلك ، في مجلة نداء الكنيسة[٣] .

- (الوصول عن طريق السياحة) :

وآخر تلك المحاولات الملحوظة والمشهودة في هذا الباب ، هو الوصول إلى تلك الأماكن المباركة باعتقادهم عن طريق السياحة النظيفة (والنظيفة جداً) . وبذلك يتم الحصول على موطيء قدم في خيبر أو غيرها ، لأي مسافرٍ يهودي يحمل جواز سفرٍ

---

(١) راجع : يا مسلمون اليهود قادمون - لمحمد عبد العزيز منصور (٥٠) ونهاية اليهود - لمحمد عزت محمد عارف (٢٥) وحمى سنة ٢٠٠٠ - لعبد العزيز مصطفى كامل - الصفحات (٢٤١ / ٢٤٢ / ٢٤٣).

(٢) نقلاً عن دراسة الدكتور : خالد محمد نعيم التي نشرتها مجلة المجتمع الكويتية / العدد (٩٦٦) ص (٤١) .

(٣) نقلاً عن دراسة الدكتور : خالد نعيم (المجتمع / عدد = ٩٦٧ / ص = ٥٢) .

أمريكياً ، ولو لبضع ساعات ، أو بضعة أيام . لاسيما وأن مليارات دولارات السياحة أصبحت تثير شهية كل الدول ، الصالحة وغير الصالحة سياحياً . وتم ذلك بعد أن تم خنق عنق التنمية أو إبطاء مسيرتها في السعودية عن طريق الإلحاح والاستمرار في تخفيض أسعار البترول بشكلٍ شبه دائم . مع الاستمرار في سياسة فرض الضرائب الباهظة على البترول في أمريكا وأوربا ، واستثنائه من اتفاقية التجارة العالمية عمداً . مما يؤدي بالطبع إلى ارتفاعٍ هائلٍ ومتواصل في أسعار المنتجات الأوروبية والأمريكية المصدَّرة إلى هذه البلاد بالطبع ، مما يؤدي إلى استنزاف المدخرات والعملات الصعبة . وعدم الإفادة من أي ارتفاعٍ في أسعار البترول حتى وإن كان كبيراً . بحيث لا يدري المسؤول المختص إلى أي بندٍ من بنود الصرف يَحْسُنُ به أن يوجه ما لديه من مبالغ كبيرة ، لكنها ضئيلة بالنسبة إلى الأرقام الفلكية المتزايدة النمو لتلك البنود . وبهذا تتعطل أية إمكانيةٍ حقيقيةٍ للتنمية ، أو التوقف للتفكير ، ويصبح الحل الأمثل هو اللجوء إلى الحلول التقليدية التي لجأت إليها كل الدول المجاورة . وجَنَتْ سلبياتها وإيجابياتها (مثل السياحة / الاستثمار الأجنبي / القروض الأجنبية / الأخذ بنصائح صندوق النقد (النَكِدِ) الدولي) إلى آخر تلك الوصفة المعروفة . المحفوظة عن ظهر قلب لشعوب العالم الثالث عشر (العالم الثالث سابقاً) .

وبذلك يضمن المشرِّع الدولي أن يمضي الجميع في الطريق الذي اختاره لهم (السكَّة المنتظرية) خطوةً بخطوة ، بكل تؤدةٍ واطمئنان وهدوءٍ وأدبٍ جم .

هذا ونحن وهم أصدقاء ، فكيف لو كنا وإياهم من الأعداء . وقديماً قيل :

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مرة

فلربما غدر الصديق ... فكان أدرى بالمضرّة

الهدف من جمع اليهود :

هل يا تُرى كان للنصارى المؤيدين للعودة ، أو البروتستانت الإنجيليين ، من التحمس لمشروع إعادة اليهود إلى فلسطين ، أهدافٌ أخرى غير محاولتهم تحقيق هذه النبوءة العلامة تعجُلاً للمجيء الثاني ؟

الجواب : ربما . فثمَّت دلائل تشير إلى وجود عدة أهدافٍ لذلك المشروع ، واستكمالاً للحديث عن الموضوع لأهميته وحساسيته ، يجدر بنا أن نشير إليها في إيجازٍ غير مخلّ .

فنقول - والعلم عند الله - أنه كان لهذا المشروع النبوءة العلامة ، أهدافٌ ودوافع متعددة . منها :

١ - الهدف أو الدافع الديني : مُمثَّلاً بمحاولة تحقيق هذه العلامة على أرض الواقع ، تمهيداً وتعجلاً لمجيء مسيح النصارى المنتظر .

وكما تعجلوا مجيئه تعجّلوا كذلك وقوع ممهدات مجيئه أو علامات ظهوره التي يذكرونها . وكان من بينها عودة اليهود إلى فلسطين ، ومنع كل من يحاول التعرض لهذا المشروع أو المساس به . بل تعجلوا قيام أية مواجهةٍ من أي نوعٍ كانت ، لعل وعسى أن تندلع معركة هرمجدون العالمية المدمِّرة ، ويظهر المسيح على إثر ذلك .

لذا كثيراً ما نجد لديهم ميلاً إلى دفع الأمور في هذه المنطقة إلى التأزم . وافتعال الأحداث العنيفة من باب تحريك الماء الراكد ، إذ ربما نتج عن مثل تلك التحريكات بوادر لِمَا يترقبونه .

ولذا نجد لديهم إصراراً عجيباً على تطبيق كل ما يرونه محققاً لآمالهم ، حتى لو اصطدم ذلك بمشاعر ورغبات وعقائد عشرات الملايين من البشر والمسلمين .

يقول الكاتب والباحث الرائد في هذا الشأن : شفيق مقار ، في كتابه الرائع « المسيحية والتوراة » : هناك « .. إصرارٌ على خوض صراعٍ عسكري مدمِّرٍ مع تلك الديانة التوحيدية (يريد : الإسلام) الكبرى المنافِسة ..... » .

ثم يضيف : « الولايات المتحدة .. يبدو أنها ... ستكون منصة الانطلاق لغزوةٍ صليبية أخيرة يتعانق الصليب فيها بنجمة إسرائيل » .

ثم يضيف : « تحت تأثير الاعتقاد الأميركي الضارب بجذوره في الروح بأن « أميركا تقوم بعمل الله على الأرض » ، أخذ .. الأميركيون على عواتقهم مهمة تحقيق تلك الرؤى ، ... من خلال إسرائيل وهنودها الحمر (العرب الأمجاد) عاملين بكل قواهم على تفجير الجحيم تعجيلاً بـ« يوم الرب » ، وموقعة هرمجدون التي سيقضي أبناء النور في غمارها نهائياً على أبناء الظلام » . ولذا لم ير الرئيس ريغان أنَّ من واجبه « صنع السلام » بل كان يرى أن « واجبه الديني المقدس » .. هو « صُنع كل ما من شأنه التمهيد لنشوب معركة هرمجدون الفاصلة » .

وهذا يعني أن « إسرائيل الحاضرة » (الصغرى) أو « إسرائيل الكبرى » (من النيل إلى الفرات) لا تُشكِّل في معتقدات الإنجيليين الأصوليين إلا وسيلةً إلى غاية . وتلك الغاية هي المجيء الثاني للمسيح[١] .

ويعني أيضاً أن « السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط » ... ليس إلا « مجرد ترجمةٍ لهذا المفهوم الإنجيلي المتهوِّد » .

ويعني كذلك أن « إقامة الكيان الإسرائيلي » في فلسطين ، يعتبر « عملاً دينياً بموجب تعاليم .. الصهيونية المسيحية ، » وأن المحافظة على بقاء هذا الكيان ، ودعمه ، ودعم تفوقه ، يُعدُّ عملاً دينياً تبعاً لذلك[٢] .

---

(١) المسيحية والتوراة (٢١٢ - ٢١٣ / ٢١٢ - ٣١٣ / ٣٨٢ / ٣٩٣) .

(٢) السماك (٦٦ / ٨٤) .

فهذا الخلط بين قيام دولة إسرائيل ، ومملكة منتظر النصارى العالمية القادمة ، هو الأساس لمثل هذا الدعم ولمثل هذا العمل ، وبه تكسب إسرائيل صراعها ضد العرب في المنطقة[١] .

٢ - هدف تنصيري : ذلك أن النصارى المؤيدين للعودة يطمعون أنه متى عاد اليهود إلى فلسطين ونزل المنتظر ، فإن كثيراً من اليهود سيتحولون من اليهودية إلى النصرانية ، ومن أبى منهم فمصيره الموت والنار الأبدية بعد ذلك كما يصورون ذلك في نبوءتهم عن هرمجدون ، ومستندهم في ذلك ما ورد في سفر الرؤيا[٢] ، وذكرناه من قبل عن المختومين من بني إسرائيل ، وعددهم مئة وأربعة وأربعون ألفاً ، ومرادهم بالمختومين أي أولئك المصطَفين من اليهود الذين سيؤمنون بالمنتظر ويكونون من أتباعه.

إذن فالخطوة التالية عند النصارى ، اللاحقة لإعادة اليهود إلى فلسطين ، هي تنصير جملةٍ منهم على وقت عودة المنتظر[٣] .

٣ - هدف سياسي استراتيجي : ففكرة إنشاء دولةٍ يهودية في فلسطين ، مطلبٌ سياسي للدول الغربية كما هو مطلبٌ ديني . وهو كذلك هدفٌ استراتيجي للدول العظمى منها .

وقد فطن لذلك زعماء اليهود مبكراً . لأنهم يدركون أن الغربيين عقلانيون لا يندفعون إلا وراء مصالحهم الدينية والدنيوية . فلذلك خاطبوهم منذ البداية بهذا الخطاب السياسي الاستراتيجي . عسى أن يحوزوا رضاهم وقبولهم بهذا المشروع .

---

(١) انظر : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - الكيلاني (٢٥١) .

(٢) سفر الرؤيا (٧ : ٤) .

(٣) انظر : المسيحية والتوراة (١٣٣ / ٣٨٢) .

يقول ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية متحدثاً عن أمنيته في إقامة دولةٍ يهوديةٍ في فلسطين في كتابه « الدولة اليهودية » مبرزاً بذلك الأهمية الاستراتيجية لإنشاء مثل هذا الكيان الذي سيصبح رأس الحربة لتلك الدول الاستعمارية : « من هناك (من فلسطين) سوف نُشكِّل جزءاً من استحكامات أوروبا في مواجهة آسيا كموقعٍ أمامي للحضارة في مواجهة البربرية »[1] . وبذلك تكون « الحضارة العبرانية » حاجزاً وقائياً للغرب من أخطار الشرق الإسلامي[2] .

ولذلك فائدةٌ كبرى لتلك الدول ذات الطابع الاستعماري قديماً ، أو ذات التوجه نحو السيطرة على المصالح الرئيسة في العالم حديثاً . لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التي تمتلك من القدرات والإمكانيات الهائلة ما يؤهلها للطموح للقيام بذلك الدور . لا ، ليس الطموح فحسب . بل جعْل ذلك أمراً واقعاً . فإسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية كالمندوب أو الوكيل الشرعي في المنطقة ، ورأس الحربة التي تُنفِّذ لها مخططاتها التي لا تُفضِّل القيام بها علانيةً ، خصوصاً في نفس المنطقة . والهدف النهائي : الاحتواء والهيمنة[3] .

وزاد في تكريس ذلك الواقع ، وتشجيع الولايات المتحدة الأمريكية على الاستمرار في محاولة تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي ، أنها فعلت ذلك ثم لم تخسر

---

(١) الدولة اليهودية - ثيودور هرتزل - بواسطة كتاب : ثرثرة مع يهود - عادل المعلم (٢٨ - ٢٩) ط. أولى / ١٩٩٥ م / مكتبة الشروق - القاهرة .

(٢) تقارير لورنس السرية - زهدي الفاتح (١٥٥) .

(٣) انظر : المسيحية والتوراة (٤٤٣ - ٤٤٤) والأخطبوط الإسرائيلي - لـ : بنجامين بيت هلحمي (١٦٦ / ١٦٨ / ١٧٠) ترجمة : محمود برهوم ويوسف أبو ليل / ط. أولى / ١٩٨٩ م / دار الكرمل - عمّان .

وانظر كذلك مقالاً في : مجلة المجلة الصادرة من لندن : عن الإمبراطورية الأمريكية الثالثة ، وأن إسرائيل أضحت إصبعاً من أصابع تلك الامبراطورية .

(مجلة المجلة / العدد : ٨٤٢ / ١٢ - ١٨ ذو القعدة ١٤١٦ هـ / ٣١ مارس - ٦ إبريل ١٩٩٦ م / الصفحتان (٣٨ - ٣٩) .

مصالحها في الدول المجاورة الأخـرى[1] ، فحققـت بذلـك هدفـين اسـتراتيجيين معـاً ، وصادت عصفورين بحجرٍ واحد .

٤ - هدف عسكري : فالإيمان بالعودة ومستلزماتها من مواجهةٍ وعنفٍ واقتتالٍ ، يبلغ مداه بـ« هرمجدون » المدمِّرة ، يتطلَّبُ دائماً تفوقاً عسكرياً متلاحقاً لا يعرف كللاً ولا مللاً ، ولا يتوقف على مدار الساعة ، وبمثل ذلك التحفيز تستمر الهيمنة والسيطرة من صالح تلك القوى العظمى ذات الاتجاه العقائدي المتبنِّي للعودة .

ولذلك لا يتوقف إنتاج أكثر أنواع الأسلحة فتكاً وأشـدها تدمـيراً . فمـن القنبلـة الذرية إلى النووية إلى النيترونية ، ومن الصواريخ الاستراتيجية بعيدة المـدى ، إلى غـزو الفضاء واستخدامه للتجسس ، إلى عسكرة الفضاء عبر مشاريع مثل « مشروع حـرب النجوم » الذي أطلقه الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان . وما يتضمنه من قدرات خرافية ، وما يتطلبه من أموالٍ ذات أرقامٍ فلكية .

وهكذا تستمر هذه الدوامة متأثرةً باعتقادات البروتستانت المتهوِّدين ، ساحبةً كل العالم معها إلى مصيرٍ مجهول .

وثمة هدف عسكري آخر يتحقق من هذه العـودة . ألا وهـو أن إسـرائيل بالنسـبة لأمريكا أشبه ما تكون بالقاعدة العسكرية المتقدمة بإمكانياتٍ معقولة .

يقول محلل عسكري يهودي : « إسرائيل ... استثمار رخيص جداً للأمريكـان . لدينا (٦٠٠) طائرة مقاتلة ، ولو كان على الولايات المتحدة أن تؤمِّنها ، لاضطرت إلى إحضار اثنتي عشرة حاملة طائرات » . فالولايات المتحدة إذن تدفع ثمناً مريحاً جداً بـدل الخدمـات الـتي تقدمـها إسـرائيل في المنطقـة (تدفـع الولايـات المتحـدة سـنوياً ما يقارب ١٣٠ بليون دولار للصرف على قواتها في حلف الأطلســي ، و ٤٠ بليـون

---

(١) انظر : بنيامين نتنياهو ، إرهابي تحت الأضواء - لمازن النقيب (١٣٣ - ١٣٤)/ ط. أولى/ ١٩٩٦ م / مكتبة مدبولي - القاهرة .

دولار في المحيط الهادي / لكنها لم تقدم لإسرائيل خلال أربعين عاماً أو أكثر بدلاً لتلك الخدمات إلا مساعدات بقيمةٍ تقدر بـ ٣٨ بليون دولار)[١] .

٥ - هدف اجتماعي (إن صح التعبير) هو : التخلص من اليهود وجمعهم في غيتو خاصٍ بهم . بعيداً عن أوروبا التي طالما سببوا لأهلها الكثير من الإزعاجات .

وكان من أوائل من نطق بهذا الهدف صراحةً رأس البروتستانتية المتهوِّدة : مارتن لوثر ، الذي حداه ما تجرعه الأوروبيون من مصائب على يد اليهود ، أن يتفوَّه بمثل هذا التصريح الخطير ، وهو المشهود له بتقديسه لليهود واعتباره لهم جنساً مفضلاً وشعباً مختاراً تسليماً لهم بدعواهم . لكنَّ الواقع فرض عليه فرضاً أن يعترف ضمنياً بالحقيقة المرّة . يقول في أشد اعترافاته ومقولاته إثارةً : « من ذا الذي يمنع اليهود من أن يعودوا إلى أرضهم في يهوذا ؟ لا أحد . بل .. إننا على أتم استعداد لأن نزودهم بكل ما قد يحتاجونه في رحلتهم ، لمجرد أن نتخلص منهم . فهم عبء ثقيل علينا ومصيبة حلّت بنا »[٢] .

وقد اعترفت غريس هالسل في كتابها الشهير : النبوءة والسياسة ، بأن عدداً من الإنجيليين أو البروتستانت المتهوِّدين، كان مرادهم من دعم عودة اليهود إلى فلسطين ، ليس هدفاً دينياً فحسب . بل كانوا يريدون بذلك التخلص من اليهود . وأن « يضعوا اليهود في غيتو يدعى دولةً يهودية »[٣] .

٦ - هدفٌ أخلاقي (إن صدقت النوايا أساساً في ذلك) :

ذلك أن بعض المؤيدين للعودة زعموا أنهم ما أرادوا بذلك إلا استصلاح اليهود ، وكان أبرز المتحدثين بذلك الرئيس الأمريكي الثاني جون آدامز (حكم ما بين /

---

(١) انظر : الأخطبوط الإسرائيلي (١٦٣ - ١٦٤ / ١٦٦ - ١٦٧) .

(٢) المسيحية والتوراة (١١) نقلاً عن كتابٍ لمارتن لوثر سماه : عن اليهود وأكاذيبهم .

(٣) النبوءة والسياسة (١٢٧) وانظر كذلك : المسيحية والتوراة (١٣٣) .

١٧٩٧ - ١٨٠١ م) الذي يقول : « إنني أتمنَّى من كل قلبي أن يُمكَّن اليهود من العودة إلى يهوذا ليعيشوا فيها كأمةٍ مستقلة » معرباً عن أمله في أنهم « متى باتت لهم دولتهم المستقلة ورفع عنهم الاضطهاد ، قد يتخلصون مما اتصفت به طبائعهم من حدَّةٍ وشراسةٍ وغير ذلك من السمات الشاذة »[١] .

وبهذا نختم الحديث في هذه العلامة .

وقد بسطنا الكلام فيها وفصلناه ، وأسهبنا القول لأمرين :

الأول : أن هذه العلامة كالأساس لما بعدها من العلامات ، والكلام في تلك العلامات اللاحقة مبني على الكلام في هذه العلامة. فلزم أن نوفيها حقها من الحديث.

الثاني : لِمَا لهذه النبوءة العلامة المشروع من أهميةٍ وخطورة . نراها نحن الحاضرين ماثلةً بين أعيننا . وليس مما يحكيه لنا من سبقنا ، أو مما يُظن وقوعه فيما لحق من الأيام . بل هي حاضرٌ تعيشه أمتنا وتعاني منه أشد المعاناة .

فكان من الواجب أن نتأنَّى في الحديث ونتمهَّل ، وأن نأخذ الأمور بمنطقٍ تحليلي لا بأسلوبٍ تقليدي مكرر مملٍّ مبتذل ، عسى أن نأخذ من ذلك عبرةً ، وأن نعي بذلك واقعاً أسوداً . تتردى فيه أمتنا بسبب الجهل حيناً ، والغفلة حيناً .

والسبيل الأوحد لمحو تلك الغلالة الكثيفة من الجهالة والغفلة : التأمل والتمحيص وتحليل الأحداث .

---

(١) انظر : المسيحية والتوراة (١٣٣) .

العلامة السادسة : إنشاء إسرائيل الكبرى :

والحديث فيها فرعٌ من الحديث عن العلامة السابقة ، وتابعٌ لها .

يعتقد البروتستانت المتهوِّدون ، المؤيدون للعودة ، أن قيام دولة إسرائيل جاء تحقيقاً للنبوءات التوراتية .

وحين أعلن عن قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ م على جزءٍ من أرض فلسطين ، اعتبر الإنجيليون الأصوليون ذلك أعظم حدثٍ في التاريخ[1] . يقول أحدهم : « إن خلق إسرائيل جديدة مع عودة اليهود إلى الأرض التي وعدهم الله بها ، يعطينا دليلاً لا يناقش على أن خطة الله المباركة هي موضع التنفيذ ، وأن العودة الثانية لمخلِّصنا قد تأكدت . وبالنسبة إلى أن خلق دولة إسرائيل هو أهم حدثٍ في التاريخ المعاصر . فإنها تُمثِّل الخطوة الأولى نحو بداية نهاية الزمن »[2] .

فقيام إسرائيل إذاً كان مشروعاً أصولياً بروتستانتياً قبل أن يكون يهودياً . ركب اليهود موجته وأفادوا منه غاية الاستفادة .

واعتقاد البروتستانت المتهوِّدين (أو من يُسمُّونهم بالصهيونيين المسيحيين) كاعتقاد اليهود ، يرون أن مُسمَّى دولة إسرائيل لا ينطبق على فلسطين وحدها . أو جزءٍ منها . وعلى هذا فإسرائيل الحالية في نظرهم ، ليست إلا جزءاً من إسرائيل الكبرى ، الهدف المنشود ، فهي إذن إسرائيل الصغرى .

أما إنشاء إسرائيل الكبرى فهو مشروعٌ لا يزال بصدد التنفيذ .

يتدرجون في تنفيذه حسب ما يتهيأ لهم من الظروف . يقول إسحاق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق : « لأن حركة الهجرة كبيرة ، فإننا بحاجةٍ إلى بلدٍ كبير »[3] .

---

(١) المسيحية والتوراة (٣١٦ / ٣٧٨) والصهيونية المسيحية - محمد السماك (٧٢) .

(٢) النبوءة والسياسة (٧٩) .

(٣) بنيامين نتنياهو - إرهابي تحت الأضواء (٦٨) .

ولذلك : « لابد من صنعا وإن طال السفر » ، لابد من إقامة إسرائيل الكبرى وإن طال الزمن ، باعتقاد الفريقين معاً (الصهاينة اليهود والأصوليين البروتستانت) . وإسرائيل الكبرى عندهم كما هو معلومٌ ، من النيل إلى الفرات .

إذن فهذه العلامة باتفاق الفريقين ، تحقق بعضها ، وبقي بعضها .

فهم يتحرَّون وقوع تتمة هذه العلامة ، حتى يتحقق بوقوع كامل هذه العلامة وغيرها من العلامات ، المجيء الثاني للمنتظر .

العلامة السابعة : استيلاء اليهود على القدس :

لم يزلْ أمر الاستيلاء على بيت المقدس وأخذه من يد المسلمين ، حلماً من أحلام النصارى واليهود . غير أن النصارى كانوا أكثر تخطيطاً وأقدر على التنفيذ لكثرة عددهم وقوتهم وتعدد أممهم ودولهم .

وقد اجتهد النصارى في استعادة بيت المقدس منذ ذهب من أيديهم إلى المسلمين . غير أن أعظم وأكبر حملاتهم على الإطلاق في القرون الماضية : كانت تلك الحملة التي عرفت باسم الحملة الصليبية أو الحروب الصليبية في القرنين الخامس والسادس الهجريين .

تحركت الدوافع لذلك مع ابتداء الضعف والفرقة والتشرذم بين المسلمين ، وهيَّج أشجانهم انصرام الألفية الميلادية الأولى . فأقبلت جموعهم الهادرة ، بأسلوب ساحقٍ ومباشر لا دهاء فيه ولا مخاتلة . وأسفرت تلك الحركة الهمجية البربرية التي سُترت بغطاءٍ ديني عن سقوط بيت المقدس بيد الصليبيين يوم الجمعة (٢٣ / ٨ / ٤٩٢ هـ) الموافق (١٥ / ٧ / ١٠٩٩ م) .

دخلوه يوم جمعةٍ بجيوش جرارةٍ وصل تعدادها حسب رواية بعض المؤرخين إلى مليون مقاتل . فقتلوا في داخل تلك المدينة المقدسة سبعين ألف مسلم ، في أكبر حملة تطهيرٍ عنصريةٍ عرفها ذلك القرن[١] .

وبعد أكثر من تسعين عاماً استعاد صلاح الدين الأيوبي القدس الشريف من أيدي الصليبيين عام ٥٨٣ هـ[٢] .

---

(١) انظر : المنتظم لابن الجوزي (٩ : ١٠٨) والكامل لابن الأثير (٨ : ١٨٩) والبداية والنهاية لابن كثير (١٢ : ١٥٦) وطالع : مجلة الأسرة / العدد (٨٠) / ذو القعدة ١٤٢٠ هـ / الصفحة (١٠) .

(٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٢ : ٣٢٣) .

وانتهت تلك المحاولة بخيبة أملٍ مريرة مطلع الألفية الميلادية الثانية . وتتابعت الحملات الصليبية . لكنها فشلت . ولم تحقق أبداً ذلك النجاح الأول .

وانكفأ النصارى على أنفسهم . وبرزت فيهم حركة الإصلاح البروتستانتية التي أحيت الآمال بالعودة إلى تلك العرصات المقدسة . لكن لا بأسلوبٍ مباشر كالمرة الأولى . بل بأسلوبٍ مخاتلٍ مخادعٍ ملتوٍ هذه المرة . عبر العودة عن طريق إقرار : مبدأ عودة اليهود إلى فلسطين كنبوءةٍ دينية ، والعمل على تحقيق ذلك ترقباً للمجيء الثاني للمنتظر .

فإن تحقق لهم ذلك حصل لهم غاية مرادهم . وإن لم يتحقق لهم ذلك مع نهاية الألفية الميلادية الثانية أو مطلع الألفية الثالثة كما يتوقعون . لم يخسروا هذا العالم الإسلامي بدوله الكثيرة العدد ، وشعوبه التي تجاوز عدد أفرادها المليار نسمة ، سوقاً لمنتجاتهم ، ومتتلمذاً على أفكارهم . ولم يستفزوه ، ولم يستثيروا حميته الدينية التي ربما جلبت لهم مصائب هم في غنىً عنها .

فجاءوا بهذا الأسلوب المخاتل المخادع . وتحقق لهم ما يريدون بعد تخطيطٍ طويلٍ مدروسٍ منفذٍ بدقةٍ وبطءٍ زائدٍ عن الحد . دعاهم إلى ذلك حذرٌ شديد وتأنٍ يؤتي أكله بكل تأكيد رغم التريث الطويل .

ما إن أعلن عن قيام دولة إسرائيل الحالية سنة ١٩٤٨ م . حتى سيطر اليهود على القسم الغربي من القدس[١] . فتحقق بذلك شيء من تلك العلامة أو النبوءة .

لكنَّ ذلك لا يكفي . في نظر اليهود ، وفي نظر البروتستانت المتهوِّدين . يقول بن غوريون أول رئيس وزراء إسرائيلي : « لا معنى لإسرائيل بدون القدس »[٢] .

---

(١) القسم الشرقي من القدس صغير بالنسبة للقسم الغربي . إذ تبلغ مساحته ٦ كلم . بينما الغربي ٣٨ كلم . لكن تكمن أهمية القسم الشرقي في وجود المسجد الأقصى فيه . وعددٍ من الآثار الإسلامية الأخرى .

(٢) انظر : السماك (١٤٤) والصيغة الواردة هنا مأخوذة من مجلة الأسرة / العدد (٨٠) / ذو القعدة ١٤٢٠ هـ / ص (١٠) .

يقول ذلك وجيوشه مسيطرةٌ على النصف الغربي الأكبر من القدس . لكنه يريد كل القدس لا بعضها . ويتحدث وكأنه لا يملك من القدس شبراً واحداً .

واندلعت حرب ١٩٦٧ م . واستولت إسرائيل على البقية الباقية من القدس ، أي القدس الشرقية التي كانت بيد الأردنيين . وسيطرت إسرائيل بذلك على كل المدينة المقدسة .

وحينئذٍ جزم الأصوليون الإنجيليون بأن تلك النبوءة قد تحققت تماماً ، عندما أعيد توحيد القدس تحت العلم الإسرائيلي[١] . يقول أحدهم : « لقد أعطانا الله إشارةً في عام ١٩٦٧ م عندما منح النصر لإسرائيل على العرب ، ومكَّن اليهود من ... السيطرة العسكرية على مدينة القدس . فلأول مرةٍ منذ أكثر من (ألفي) سنةٍ أصبحت القدس تحت سيطرة اليهود »[٢] .

أما ماذا بعد الاستيلاء الكامل على القدس من قِبَل اليهود . في نظر الأصوليين الإنجيليين ، تأتي الإجابة على ذلك في الخطوات التالية :

١ - اعتماد القدس عاصمةً موحدةً وأبديةً لإسرائيل . وقد ضغط الإنجيليون وغيرهم في الولايات المتحدة الأمريكية على الحكومة الأمريكية من أجل الاعتراف بالقدس عاصمةً موحدةً وأبديةً لإسرائيل . وقد أقر ذلك مجلس الشيوخ ومجلس النواب رسمياً عام ١٩٩٠ م .

٢ - استكمال تحقيق باقي العلامات .

٣ - ترقب ظهور المسيح المنتظر ، واعتقاد أن القدس ستكون عاصمة ملكه التي سيحكم منها العالم بعد قدومه الثاني[٣] .

---

(١) النبوءة والسياسة (٥٠) .

(٢) النبوءة والسياسة (٧٩) .

(٣) طالع : الصهيونية المسيحية - للسماك (٧٢) .

هذا ما كان من قبل . أما الآن فقد جدَّ جديدٌ ، هو ما يُسمُّونه بـ: عملية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين . ويريد الإسرائيليون عملية سلامٍ كما يزعمون ، دون أن يتخلوا عن القدس عاصمةً موحدةً وأبديةً لإسرائيل ، ودون أن يتخلوا عن هيمنتهم الأمنية والعسكرية ، لا على ما يعطونه للفلسطينيين من أراضٍ فحسب ، (أراضي ذوي الدخل المحدود) بل على كل المنطقة .

والراغبون في السلام من الفلسطينيين يريدون القدس ، أو القدس الشرقية التي تضم المسجد الأقصى . كما يعلنون ذلك ويقررونه أمام الملأ .

لكن يُقال : إن ثمة ترتيباً إسرائيلياً في الوقت الحاضر ، على أن تبقى القدس كما هي ، وأن يُعطى للفلسطينيين بدلاً عن ذلك بلدةٌ تقع خارج مدينة القدس ، تُسمَّى (أبوديس) . ليتخذ منها الفلسطينيون عاصمةً لهم ، وقدساً بدل القدس ، وحتى يتم تمرير ذلك على جمهور الناس ، تُقتطع أبوديس من الضفة الغربية وتضاف إلى خريطة القدس ضمن ما يُسمَّى بـ(القدس الكبرى) ، ثم تُوهب بعد ذلك للفلسطينيين هبةً قابلةً للاسترداد متى ما شاء أي رئيس وزراء إسرائيلي أن يُلغي ذلك القرار بجرَّة قلم ، وبأية حجة . ويُسمُّون هذا الحل (العاصمة البديلة)[1] .

(١) مجلة الأسرة - العدد (٨٠) ذو القعدة ١٤٢٠ هـ / الصفحة (١٨) .

العلامة الثامنة : هدم الأقصى وبناء الهيكل الثالث مكانه :

إعادة بناء هيكل سليمان عليه السلام ، معبد اليهود الأكبر ، هي العلامة التي لم يتحقق منها شيءٌ حتى الآن ، لأن إقامة المعبد تستلزم هدم المسجد الأقصى في اعتقاد اليهود والأصوليين الإنجيليين .

ذلك أن كثيراً منهم يزعمون أن أنقاض الهيكل تقع تحت المسجد الأقصى ، أو تحت قبة الصخرة ، أو تحت باحة المسجد الأقصى ، وفئة قليلة منهم هي التي جعلت لأنقاض الهيكل مكاناً غير هذا المكان(١) .

ولذا فإن كل الاستعدادات والاهتمامات موجهةٌ في اللحظة الحاضرة إلى هذه النبوءة العلامة ، إذ سبقتها العلامات الممهدة لها من إنشاء إسرائيل ، وإن كان ذلك جزئياً ، والاستيلاء على القدس بتمامها ، فلم يبق إلا أن يُهدم الأقصى ، ويُبنى الهيكل مكانه . ولولا ما يخشونه من ردود الأفعال العنيفة التي لا يدركون إلى أي مدىً سيبلغ بها الغضب والحنق ، من قِبَل مئات الملايين من المسلمين ، لعجّلوا باستتمام هذه العلامة . إذ هي أهون شيء عليهم ، يدكُّون هذه الآثار التي لغيرهم (يعنون بذلك المسجد الأقصى وقبة الصخرة) ويقيمون في مكانها : الهيكل الثالث ، الذي طالما حلموا بإقامته . عسى أن يخرج المنتظر ، إذا تحققت كل تلك العلامات . وهم يتحسرون على تلك « الفرصة الضائعة » التي توفرت لهم سنة ١٩٦٧ م عند استيلاء اليهود على القدس الشرقية . على حد ما عبر به عن الجميع أحد المسئولين اليهود حين قال : « ساعة بناء الهيكل ستصل وتكون كل العوامل متوافرة ، وفي عام ١٩٦٧ م كانت كل العوامل متوافرة ولكن لم نستغل هذا »(٢) .

---

(١) حول اختلافهم في المكان المتوقع لأنقاض الهيكل . انظر : النبوءة والسياسة (٩٢ - ٩٣) .

(٢) بواسطة : رحلات للديار المباركة - أنس القوز (٢٤٢) ط. أولى / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م / مكتبة العبيكان - الرياض .

ولربما لم يكن ذلك هو المانع الأهم الذي يمنعهم من فعل ما يريدونه ، فالعالم الإسلامي في حالةٍ من الضعف يُرثى لها ، وهم (أي اليهود وأنصارهم من الإنجيليين والبروتستانت المتهودين في أمريكا وبريطانيا) في حالةٍ من القوة لا مزيد عليها ، يزدادون كل يومٍ قوة ، ويزداد المسلمون كل يومٍ ضعفاً وفرقة ، وتزداد الهوة أو الفجوة التقنية والعسكرية والاقتصادية بين الفريقين . فهم والحال هذا لا يأبهون لردود أفعاله ، ولا يخشون منها بأساً . ربما كان ثمة موانع أخرى . مثل ما يُقال أنه موجودٌ في القانون الديني اليهودي (هالاشا) من أنه ينص بوضوحٍ على أنه لا يسمح لأي يهودي بدخول الجبل المقدس إلى أن يأتي المسيح اليهودي . كما حكم بذلك عددٌ من حاخامات اليهود عبر التاريخ ، وآخرهم كبير حاخامي اليهود أوائل القرن العشرين الميلادي إبراهام كوك حاخام الحركة الصهيونية اليهودية ، وداعمها ومنظِّرها الأكبر من بين الكثير من الحاخامات الذين ترددوا في أمرها[١] .

لكنَّ الشوق على ما يبدو يستبدُّ ببعض اليهود ، بين الفينة والأخرى . فيقتحمون الحرم الشريف لإقامة صلواتهم فيه ، أو يحاولون اقتحامه ، ويشتد الترقب عند الأصوليين الإنجيليين ، فيجتهدون في حض اليهود على هدم الأقصى وإقامة الهيكل ، تعجلاً لقدوم المنتظر . يقول أحدهم : « إن إرهابيين يهوداً سينسفون المكان المقدس عند المسلمين وسيستفزون العالم الإسلامي للدخول في حربٍ مقدسة مدمِّرة مع إسرائيل ترغم المسيح المنتظر على التدخل »[٢] .

ويترقب الفريقان ذلك اليوم الذي يهدم فيه الأقصى ، ويقام مكانه الهيكل ، ولا يكتفون بالترقب ، بل يتخذون من الخطوات العملية الممهدة لحدوث ذلك وسرعة تنفيذه ما يتخذون .

---

(١) انظر : النبوءة والسياسة (٩٠) . وبعض اليهود الأرثوذكس المتدينين ، وكذا بعض اليهود العلمانيين لا يلتزمون هذا الحظر المذكور ، ويقولون : إنه حذف .

(٢) بواسطة : رحلات للديار المباركة - أنس القوز (٢٤٢) .

وأولى الخطوات : العزم على تدمير الأقصى وإقامة الهيكل مكانه / ثم وضع مخططٍ مدروس بطيء التنفيذ منعاً للإثارة لتحقق هذه العلامة على المدى الطويل / ووضع مخططات وتجهيزاتٍ مكتملة لإنشاء الهيكل الثالث متى جاءت « الفرصة السانحة » لذلك عند فراغ المكان (جبل المعبد) من الإنشاءات الموجودة عليه بأي أسلوبٍ كان . وبأي طريقةٍ تحقق ذلك . كأن يزول المسجد بزلزالٍ يضربه ، أو ينهار بفعل الحفريات التي شقت تحته ، أو يُفجِّره أحد المتعجلين من اليهود أو الأصوليين الإنجيليين بالديناميت أو غيره[١]. كل هذا محتمل ، المهم أن يتحقق هذا المقصد في نهاية المطاف.

وفي طور الانتظار والترقب هذا تظهر للعيان الخطوات المتأنية لتحقيق هذه العلامة على أرض الواقع واحدةً بعد الأخرى ، لتضع في نهاية المطاف الأمر الواقع شيئاً يفرض وجوده على الجميع .

وكانت البداية مع بن غوريون أول رئيس وزراء إسرائيلي ، ومع إنشاء الدولة اليهودية سنة ١٩٤٨ م ، ومع الاستيلاء على النصف الغربي من القدس الذي لا يضم جبل المعبد في اعتقادهم .

وهنا برز بن غوريون مصرحاً بكل حسرة ومرارة أن كل هذا الذي حققوه لا يعني شيئاً ، أي كأنهم لم يفعلوا شيئاً بعد كل هذا الذي فعلوه ، وبعد أن استخرجوا لهم دولةً من لا شيء . يقول بن غوريون : « لا معنى لإسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل »[٢] . ويقول أحد حاخامات اليهود : « يجب ألا ننسى أن السبب الرئيسي للعودة من المَهَاجر ولإقامة دولتنا هو بناء الهيكل . إن الهيكل هو قمة الهرم »[٣] .

---

(١) النبوءة والسياسة (٨٨ / ٩٢) .

(٢) انظر : السماك (١٤٤) والصيغة الواردة هنا مأخوذة من مجلة الأسرة / العدد (٨٠) / ذو القعدة ١٤٢٠ هـ / الصفحة (١٠) .

(٣) النبوءة والسياسة (٩١) .

يزعم اليهود أنهم يمتلكون أرض المسجد ، وكل أرض الجبل الذي يقوم عليه (جبل المعبد) .

يقولون : إن داود عليه السلام اشترى الجبل ، وسدد ثمنه ، وأنهم يمتلكون شهادة ملكيةٍ هي الكتاب المقدس . ويقولون : إنهم إذا لم يطردوا المسلمين من الحرم الشريف خلال هذا الجيل ، فإن ذلك سيحدث في الجيل القادم .

وكل يهودي يريد أن يرى المسجد وقد أزيل . لكنهم يعتقدون أن المسجد سوف يُدمَّر بأمرٍ من الله .... بحيث إنهم لن يقوموا .. بأي عمل[١] . يقول وزير الأديان الإسرائيلي : لا يُناقش أحدٌ في أن الهدف النهائي لنا هو إقامة الهيكل . ولكنْ لم يحن الأوان بعد ، وعندما يحين الموعد لابد من حدوث زلزال يهدم المسجد الأقصى ونبني الهيكل على أنقاضه[٢] .

لكنهم مع ذلك لن يقفوا مكتوفي الأيدي . وإنما هانحن نراهم يحاولون مرةً بعد مرةٍ خلخلة المسجد ، أو يحاولون التعرض له بالتدمير أو الإحراق أو التفجير . لأن تدمير المسجد وإعادة بناء الهيكل علامةٌ واجبة التحقق ليجيء المنتظر . والذين يقومون أو سيقومون بهذه المهمة ، هم في نظر الفريقين أبطالٌ[٣] .

ويشارك البروتستانت المتهوِّدون اليهودَ في هذه الأمنية ، وفي العزم على تحقيقها ، وفي الاستعداد بمخططاتٍ عملية لذلك ، وفي شحذ همم اليهود واستنهاضهم للتعجيل بتحقيق ذلك .

وبلغت تلك المحاولات أوجها بمحاولة إحراق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ م . على يد يهودي أسترالي . ثم تعرض بعد ذلك المسجد الأقصى لمحاولات نسف سنة ١٩٧٩ م / و١٩٨٠ م / و١٩٨٤ م / و١٩٨٥ م .

---

(١) النبوءة والسياسة (٨٧ - ٨٨) .

(٢) انظر : مجلة الأسرة / العدد (٨٠) ذو القعدة ١٤٢٠ هـ / الصفحة (١١) .

(٣) طالع : المسيحية والتوراة (٣٦١) .

ورافق ذلك مشاريع حفريات متعددة وصل تعدادها حتى ١٩٩٤ م . ثلاثاً وستين حفرية تحت أساسات المسجد الأقصى وباحاته . على شكل أنفاق . بدعوى البحث عن بقايا الهيكل . أو البحث عن مخطوطاتٍ مدفونة تحوي تصاميم الهيكل(١) .

وفي نفس الوقت سمحت الحكومة الإسرائيلية لمواطنيها اليهود بالصلاة عند الحائط الغربي للمسجد الأقصى المعروف بحائط البراق منذ عام ١٩٦٧ م .

وبعد أسابيع من الاستيلاء على المدينة بعثت مجموعة أمريكية إلى الهيئة الإسلامية بالقدس عرضاً تطلب فيه السماح بإعادة بناء الهيكل على أرض المسجد مقابل مئة مليون دولار أمريكي كما يقال(٢) .

أما التجهيز لبناء هيكلٍ ثالثٍ جديد . فيستعد له ويتقاسم الترتيب له الطرفان .

في إسرائيل وُضِعَ تصميمٌ للهيكل الجديد . وتم إعداد وتدريب كهانٍ للهيكل الجديد كذلك . في معهدٍ خاصٍ بالقدس . وجمعت أموالٌ للمشروع أودعت في حسابٍ خاصٍ باسم مشروع بناء الهيكل(٣) .

وتمَّ بناء نموذجٍ مصغرٍ للهيكل الجديد ، يُعرض للزوار في إحدى قاعات فندقٍ بالقدس(٤) . كما حاولت جماعة أخرى تطلق على نفسها اسم « جماعة أمناء جبل الهيكل » وضع حجر الأساس لبناء الهيكل . وكان حجراً ضخماً يزن ثلاثة أطنان ونصف الطن . وقد حاولت تلك المجموعة وضعه في ساحة المسجد الأقصى سنة

---

(١) انظر : المسيحية والتوراة (٣٦٦) ومجلة الأسرة - العدد (٨٠) ذو القعدة ١٤٢٠ هـ / الصفحات (٩ / ١٠ / ١١) .

(٢) انظر : مجلة الأسرة - العدد (٨٠) ذو القعدة ١٤٢٠ هـ / الصفحات (١١ / ١٢) .

(٣) انظر : النبوءة والسياسة (٨٩ - ٩٠) والسماك (٧٢) .

(٤) المسيحية والتوراة (٣٦٧) .

١٩٨٩ م[١] . وفي الختام يقول مؤرخ يهودي : « كل يوم يمرُّ على اليهود دون أن يبدأوا في بناء الهيكل يُعتبر وصمة عارٍ في جبين الأمة اليهودية »[٢] .

أما الأصوليون الإنجيليون البروتستانت ، فقد كانت لهم مشاركتهم .

فقد أنشأ بعضهم منظمةً سماها « منظمة جبل المعبد » مهمتها إعادة بناء هيكل سليمان في القدس . ولذلك جعلت هذه المنظمة الأمريكية مركزها في القدس . وهي تتولى جمع الأموال في الولايات المتحدة الأمريكية لامتلاك العقارات الموجودة بجوار الهيكل المزعوم ، كما تقوم بتمويل عمليات الحفر تحت الأقصى ، والدفاع عن من يحاولون التعرض له بالتفجير ونحوه[٣] .

آخر ما يُذكر في هذا الجانب أن مجلة « تايم » الأمريكية الشهيرة . نشرت تحقيقاً سنة ١٩٨٩ م . كان عنوانه الرئيس استفزازياً يصب في إطار أحلامهم بخصوص تحقق هذه العلامة ، وكان العنوان « هل آن أوان بناء هيكل جديد »[٤] .

أما حلُّ هذه المشكلة في الوقت الحاضر في نظرهم . فيكون بوضع ذلك المسجد الأقصى تحت الحراسة اليهودية . وهو الذي تمارسه السلطات الإسرائيلية الآن على أرض الواقع . إذ يحيط عسكرها بالمسجد الأقصى ويقفون على أبوابه ، ويغلقون السكك أمام الذاهبين إليه متى شاءوا . يأذنون لمن شاءوا أن يُصلِّي فيه . ويمنعون من شاءوا من الدخول إليه . ورويداً رويداً يتدرجون بالأمر حتى يصبح المسجد كله قلباً وقالباً تحت الحراسة والعناية الإسرائيلية . حسب تخطيطٍ وضعه لهم أحد مفكريهم . وذلك بأن يوضع المسجد بيد يهودٍ يعتنقون الإسلام . يقول ذلك الكاتب : « يُمكن حلُّ

---

(١) مجلة الأسرة – العدد (٨٠) / ص (١٠) .

(٢) المسيحية والتوراة (٣٦٨) .

(٣) السماك (١٣٧) .

(٤) المسيحية والتوراة (٣٦٥) .

مسألة الأماكن المقدسة بسهولة : يهود اعتنقوا (النصرانية) يحرسون كنيسة القيامة ، ويهود اعتنقوا الإسلام يحرسون المسجد الأقصى »[1] .

ويبدو أن هذه المرحلة قاب قوسين أو أدنى من دخول حيز التنفيذ الفعلي . لينتقلوا بعد ذلك من هذه المرحلة إلى المرحلة النهائية حين يغيب المسجد الأقصى عن الوجود . هكذا فجأةً . وحراسه من اليهود المتمسلمة شاخصةٌ أبصارهم .

(١) تقارير لورنس السرية - زهدي الفاتح (١٥٧) .

العلامة التاسعة : تجفيف نهر الفرات :

ويُراد بذلك جفاف ماء نهر الفرات وانقطاعه ، حتى تمشي على أرضه الجيوش الهائلة الضخمة (مئتي مليون محارب) المتجهة للقضاء على إسرائيل . كما قرر ذلك سفر الرؤيا .

ومع أن هذه العلامة سلبية في حقهم . إلا أنهم مع هذا يتعجلون وقوعها ويخططون له ، كأنما هي قدرٌ محتوم لابد من وقوعه ، من أجل أن تجتمع كل تلك الجيوش الهائلة للأمم الضالة قاصدةً إيقاع الشر بإسرائيل ، فتنزل عليها العقوبة ، وتدور عليها دائرة هرمجدون .

ولهذا فهم ضمن تلك المخططات العملية لنقل « علامات مجيء المنتظر » من دفاتر الأحلام إلى أرض الواقع ، لم يُغفلوا أمر هذه العلامة الضدِّية . ويجتهدون في حث تركيا على بناء المزيد من السدود الهائلة على نهر الفرات . وتركيا جادةٌ بمفردها للاستفادة من هذه الثروة المقابلة لثروة النفط[1] ، دون أن تدري ما المقصد مِنْ كل هذا الحماس والدعم الغربي المنقطع النظير لهذه المشاريع . كأنه لا يوجد في العالم مشاريع مائية سواها ، أو كأنهم يحبون الترك (ألد أعدائهم) حباً يفوق الوصف بعد كل تلك البغضاء والشنآن . وعندما بدأت تركيا في مطلع الثمانينات الميلادية من القرن الميلادي المنصرم . في وضع مشاريع سدودها المائية الهائلة موضع التنفيذ . كان من أوائل مشاريعها في ذلك . مشروع سد أتاتورك على نهر الفرات . وعندما انتهى العمل من بناء السد ، حبست تركيا المياه عن سوريا والعراق ، حتى كاد نهر الفرات أن يجف لحبس تركيا لمائه من أجل ملء خزانات سد أتاتورك آنذاك ، واستمر ذلك قرابة الأربعين يوماً ، وتناقلت ذلك وكالات الأنباء العالمية دون أن يفطن أحد إلى مغزى ذلك . وهدد العراق آنذاك (المشغول بحرب إيران) بقصف ذلك السد

---

(١) كما صرح بذلك رئيس وزراء تركيا ، ثم رئيسهم ، الراحل تورغوت أوزال .

وتدميره هو وغيره من السدود . لكنه كان على ما يبدو مشغولاً بمغامرات عسكرية في مواقع أخرى . وعندما حبس الماء خلف السد أدى ذلك إلى غرق العديد من القرى خلف السد وإجلاء سكانها ، حتى لم يبق منها ظاهراً إلا رؤوس منائرها . لضخامة السد وهول ارتفاعه .

ولم يكن ذلك المشروع هو الأوحد . بل لتركيا (وربما كان ذلك بمشورة بعض الأصدقاء الغربيين) مشاريع مماثلة متعددة . وقبل فترةٍ قريبة (نهاية العام ١٩٩٩ م) أذيع أن سداً ثالثاً قد تم الانتهاء من بنائه ، بتمويل من بنوك ومؤسسات أوروبية . وأن بعض ذلك التمويل كان هبةً أو معونة (لوجه الله / هكذا مجاناً) . وفي ذلك التقرير - المذاع آنذاك - قيل : إن لتركيا مشاريع لإنشاء أربعة عشر سداً . هذا هو الثالث منها . وأن نهر الفرات في العراق وسوريا قد نقص نقصاً كبيراً . وأن إغلاق تلك السدود تماماً في أي لحظة يكفي لتجفيف ماء النهر في العراق على أقل تقدير .

وهكذا يمضي تحقيق هذا المشروع النبوءة العلامة بهدوء ، دون أن يعلم أحدٌ ما الدوافع الحقيقية لذلك ؟ ودون أن يشك أحدٌ في هذا الأمر مطلقاً . كما لو أن الأمر حصل بالاتفاق لا عن قصد ، وكما لو كان ذلك مشروعاً اقتصادياً تقوم به تركيا ، كغيرها من الدول . ولا يفطن للغاية الكبرى من ذلك أحد .

العلامة العاشرة : حصار أورشليم بالجيوش : هذه العلامة وما بعدها من العلامات ، كالنتيجة لما سبقها من علامات .

ذلك أنه متى تحققت عودة اليهود إلى فلسطين ، وأقيمت دولة إسرائيل الكبرى على كل الأرض الموعود بها من النيل إلى الفرات ، وهُدم الأقصى وأقيم الهيكل الثالث مكانه . عندئذٍ ستتحقق باقي العلامات .

ويعتقد النصارى أن هذه العلامة قريبة الوقوع والتحقق من زمن المنتظر ، بحيث لا يفصل بين تلك الأحداث زمنٌ طويل . وأنها تتتابع بدءاً من حصار أورشليم (أي القدس) بالجيوش القادمة من الشرق . التي عبرت نهر الفرات بعد جفافه . وهي هائلة العدد بحيث قدَّروا عددها بمئتي مليون مقاتل[1] .

وفي العصر الحديث بدا لهم حين رأوا في مطلع القرن الميلادي الفائت انتصار الثورة الشيوعية في روسيا ، وإنشائها ما يُسمَّى بالاتحاد السوفيتي، ومعاداتها للأديان ، والغرب النصراني ، ووقوفها فيما تزعم ظاهراً إلى جانب العرب ضد إسرائيل . رأوا في تلك الدولة الجديدة مصدراً لذلك الغزو المرتقب لإسرائيل من الشرق . فجعلوه غزواً يأتي من ناحية الشمال أي من روسيا ، فيدخل فلسطين من شرقها لتتحقق بذلك النبوءة . يقولون : « كان ذلك غير منطقي قبل الثورة الروسية (أي البلشفية) ... إلا أن لذلك معنىً الآن وقد أصبحت روسيا شيوعية وملحدة » . ولذلك كانوا يتنبأون بـ« غزو سوفياتي لإسرائيل في المستقبل القريب »[2] . قالوا هذا قبل أن يتفكك الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١ م .

وحين انهار الاتحاد السوفييتي وقامت على إثره حكومة ليست معادية للنصرانية ، وإسرائيل ، أسقط في أيديهم ، فحوَّروا تفسير النبوءة ليتناسب مع الوضع الجديد .

---

(١) انظر : سفر الرؤيا (٩ : ١٦) (١٦ : ١٢) .

(٢) انظر : النبوءة والسياسة (٤٩ - ٥٠) .

وزعموا أن ذلك الغزو سيأتي من الصين التي لا تزال شيوعية . وأن تحالفاً بين العرب والمسلمين من جهة والصينيين من جهة أخرى . سينتج عنه غزوٌ واجتياحٌ لأوروبا . ومهاجمة إسرائيل ، وتوجيه ضربة نووية إليها ينتج عنها تدمير القدس بحيث تُصبح « مكاناً مقفراً » لوقتٍ طويل . وأن المطلوب لمواجهة ذلك : إقامة تحالف روسي أميركي لمواجهة التحالف الصيني الإسلامي المرتقب[1] .

وهو الذي يسعى إليه ويفعله الرئيس الأمريكي الحالي : جورج بوش الابن .

---

(١) هذا ما يزعمون أن نوسترا داموس قد تنبأ به . وهذا هو تفسير نبوءاته حسب مفسري نبوءات نوسترا داموس المعاصرين . الذين أعادوا صياغة تفسير النبوءات لتتوافق مع الأحداث العالمية الجديدة . عن ذلك طالع: (مجلة الشروق الإماراتية / العدد (٤٩) ١٨ رمضان ١٤١٣ هـ/ الصفحات (٢٠ / ٢٤). وعن نوسترا داموس هذا ونبوءاته . انظر المبحث الأخير من هذا الفصل . إذ سنتحدث عنه بتوسع عند الإشارة إلى توقعاته التفصيلية حول المسيح الدجال عند النصارى .

العلامة الحادية عشرة : خروج المسيح الدجال :

أي خروج ضد المسيح كما يسمُّونه ، وسنفرد مبحثاً خاصاً في آخر هـذا الفصل للحديث عن هذه العلامة مفردةً لأهميتها . فنكتفي بالإشارة إليها هنا دون تفصيل .

العلامة الثانية عشرة : إشعال معركة هَرْمَجَدُّون :

أ - هَرْمَجَدُّون ، الاسم والموقع : كلمة عبرية معناها : جبل مجيدو ، فهار بالعبرية معناها الجبل . ومجيدو اسم ذلك الجبل . وسميت باسم ذلك الجبل مدينة نشأت في سهل ذلك الجبل . وتسمَّى البلدة : مجدّو ، بمعنى موضع الجيوش ومخيمها في اللغة الكنعانية[1] . ولا تزال هذه البلدة معروفة ، موجودةً على خارطة فلسطين . (انظر رسم الموقع في أطلس العالم)[2] .

وكانت فيما مضى مهمةً جداً ، ومفترق طرق ، أي أنها كانت ذات أهميةٍ استراتيجية . تقع على بعد (٣٠ كم) شرق البحر المتوسط ، أو ١٥ ميلاً من شاطيء البحر المتوسط ، و٢٠ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا بفلسطين ، و٥٥ ميلاً إلى الشمال من تل أبيب عاصمة إسرائيل . ويُسمَّى هذا الجبل الآن : جبل الهلاك ، أو « تَلُّ المتسلِّم » . أما السهل فيُسمَّى « سهل اسديرلون » (أو : إسدرا إيلون) . وفي موقع مجيدو يُسمَّى الوادي : وادي جيزريل (أو : يزرعيل) . ويسميه العرب : وادي قدرون . ويقع في مرج ابن عامر شمال فلسطين[3] .

---

(١) رحلات للديار المباركة - أنس القوز (١٨٠) .

(٢) أطلس العالم - لمحمد سيد نصر وزملاؤه (٤٧) .

(٣) انظر : النبوءة والسياسة (٢٦ - ٢٧) وشهود يهوه للدكتور أسعد السحمراني (١١٠) ط. أولى / ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م / دار النفائس - بيروت / والمسيح الدجال لسعيد أيوب (١٧٥) ط. أولى / ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م / دار الاعتصام - القاهرة . والمسيح المنتظر لعبد الوهاب طويلة (٢٦٣ / ٢٦٥) . وشهود يهوه - لحسين عمر حمادة (١٥٤ / ١٥٦) دار قتيبة - بيروت / طبعة ثانية / ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م . والمنظمات الصهيونية المسيحية - أحمد تهامي سلطان (١٦) .

ب - هرمجدون ، المعركة المقبلة : يعتقد النصارى أن هذا المكان سيشهد في آخر الزمان معركة هائلةً ، عالميةً مدمِّرة ، ومبدأ اعتقادهم بهذا ينطلق مما ذكره يوحنا في سفر الرؤيا[١] ، كما أشرنا إلى ذلك عند الكلام عن هرمجدون في نبوءات العهد الجديد .

لكنَّ الذي نريد أن نتحدث عنه هنا ، هو تصور الأصوليين لتلك المعركة وكيفية حصولها ، ومبررات وقوعها ، والأقطاب المشاركين فيها ، ونتيجتها ، وما إلى ذلك ، مما يعتقدون أنه الأقرب إلى التحقق والوقوع بعد مقابلة ذلك بالواقع الحاضر . والمستقبل القريب ، وما يُتوقع أن يحصل فيه .

وهم يُقرِّرون ابتداءً أن زمانها قد أوشك ، نظراً لتحقق عددٍ من العلامات السابقة عليها . وفي عام ١٩٧٠ م أطلق أحد وعاظ الأصولية الإنجيلية في أمريكا تحذيراً ، قال فيه : إن العالم « يتحرك الآن بسرعةٍ كبيرة نحو هرمجدون ، وأن الجيل الحالي من الشباب قد يكون آخر جيلٍ في التاريخ »[٢] .

أما جيري فالويل فيعتقد أنه واحدٌ من « جيل النهاية ، الجيل الأخير الذي لن يغادر قبل أن يأتي المسيح »[٣] (وبالطبع سيشهد المعركة) .

وفيما بعد تأثر بهذه الأفكار الرئيس الأمريكي الهرمجدوني : رونالد ريجان ، الذي آمن بهذه الأفكار عن هرمجدون ، واعتقد أنها قريبة جداً جداً ، ولهذا صرح في ١٩٧١ م يوم كان حاكماً لولاية كاليفورنيا الأمريكية الهامة قائلاً : « إن كل شيء يأخذ مكانه . لن يطول الوقت الآن » . وفيما بعد صرح : « بأننا نتوجه بسرعةٍ كبيرة الآن نحو هرمجدون »[٤] .

---

(١) انظر : سفر الرؤيا (١٦ : ١٦) .

(٢) القائل : بيلي غراهام . انظر : النبوءة والسياسة (٣٥) .

(٣) النبوءة والسياسة (٤٠) .

(٤) النبوءة والسياسة (٤٩ / ٥٢) .

أما تصورهم لسير تلك المعركة ، وكيفية وقوعها فيقررونه على النحو التالي : يقولون : إن العد العكسي لا نطلاق تلك المعركة قد بدأ ، وأن كل الأمم سوف تصبح متورطةً بما يجري هناك[١] ، وأن الصراع بين العرب وإسرائيل هو الصراع الذي ستنطلق منه شرارة تلك المعركة الكبرى ، حين يتحالف العرب مع السوفيات ضد إسرائيل .

وحين انهار الاتحاد السوفييتي قرروا أن ذلك التحالف سيكون بين العرب والصينيين . أو بين العرب وأوروبة الغربية ، قرر ذلك وعاظ الإنجيلية الأمريكان حين برزت أوروبة الغربية الموحدة منافساً سياسياً وتجارياً قوياً لدولتهم « الولايات المتحدة الأمريكية » .

الحاصل أنهم يقررون أن مئتي مليون جندي سيحتشدون شرقي فلسطين . وستكون تلك الحشود قادمة من الشمال من روسيا حسب النظرية الأولى ، أو من الشرق أي من الصين حسب النظرية الثانية . وأن كل تلك الحشود من أعداء المسيح ستكون تحت قيادة « ضد المسيح » أو « المسيح الدجال »[٢] . وأن كل حكومات وجيوش العالم ستكون مع الدجال ضد المسيح وأتباعه[٣] .

وستدور رحى تلك المعركة النهائية بين أتباع « المسيح المنتظر » وبين تلك الحشود وقائدها المسيح الدجال ، الذي يصل إلى القدس ، ويضع لنفسه تمثالاً في المعبد اليهودي ، ويطلب من العالم كله أن يعبدوه كإلهٍ[٤] .

وحينئذٍ سينزل « المسيح المنتظر » لقيادة أتباعه في تلك المعركة وتخليصهم من جحيمها . وخطفهم إلى السماء ، أو إلى سماءٍ وأرضٍ جديدتين[٥] بعد تدمير العالم في

---

(١) انظر : غريس هالسل (٣٦) حسب قول : هال ليندسي . صاحب كتاب « آخر أعظم كرة أرضية » .

(٢) انظر : النبوءة والسياسة (٣٦) والدواليبي (٤٩) والمسيح المنتظر لعبد الوهاب طويلة (٢٦٦) . ومجلة الشروق الإماراتية – العدد ٤٩ / الصفحات (٢٠ / ٢٤) .

(٣) التفسير التطبيقي (٩٣٦) .

(٤) النبوءة والسياسة (٣٨) .

(٥) حسب ما ورد في : الرسالة الأولى إلى مؤمني تسالونيكي لبولس (٤ : ١٧) وسفر الرؤيا (٢١ : ١) .

خضم تلك المعركة العظيمة . وحينها « سوف يسحق (المسيح المنتظر) .. ملايين العسكريين المتألقين الذين يقودهم الديكتاتور المعادي للمسيح » .

وفي تلك المعركة : سيتم تدمير مدينة القدس ، وسيذبح كل اليهود ، ولن ينجو منهم إلا مئة وأربعة وأربعون ألفاً ، يتحولون إلى النصرانية بزعمهم .

وفي تلك المعركة سيتم تدمير كل مدن العالم الرئيسة[١] ، لأن تلك المعركة حسب التصور الذي يطرحونه : ستكون معركة نووية[٢] تستخدم فيها تلك الأسلحة النووية المرعبة ذات القدرات التدميرية العالية .

وسيتم كذلك تدمير روسيا تدميراً كاملاً . وأن خمسة أسداس الجنود السوفيات الغزاة سوف يُدمَّرون ، وسيتوقف التهديد الشيوعي إلى الأبد ، وسيستغرق دفن الموتى مدة سبعة أشهر . (ذكر ذلك : جيري فالويل في كتابٍ له سماه : الحرب النووية والمجيء الثاني لعيسى المسيح . في فصلٍ عنوانه « الحرب القادمة مع روسيا »)[٣] .

والخلاصة أن موقعه هرمجدون تأخذ في التصور الأصولي شكل المعركة النووية التي ستباد فيها كل القوى الشريرة المعادية لإسرائيل . وعلى رأس تلك القوى بطبيعة الحال : العرب والمسلمون ، المعادون لإسرائيل .

« وإلى وقتٍ قريب ، كان الاتحاد السوفييتي المرشح الأول لدور ... قائد كل تلك الجيوش المكوِّنة لزحف « أبناء الظلام » على « أبناء النور » ... لكن الاتحاد السوفييتي انسحب الآن من الساحة ، وبانسحابه سوف يتعيَّن على « أبناء النور » إبراز خصمٍ يحلّ محلّه في دور .. قائد قوات « أبناء الظلام » ، ليكون هدفاً لما سوف يوجهه « أبناء النور » من ضربات وقائية »[٤] .

---

(١) النبوءة والسياسة (٣٥ / ٣٧ / ٣٩) .

(٢) انظر : غريس هالسل (٣٧ / ٤١) . وشفيق مقار (٣٩٥) .

(٣) كانوا يرددون هذه النظرية أثناء الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي . انظر الحديث عن نبوءة تدمير روسيا بالكلية أثناء هرمجدون والكلام عن كتاب فالويل هذا في : النبوءة والسياسة (٤٢ - ٤٣) . وانظر كذلك محاضرة هال ليندسي حول ذلك (الدواليبي / ٤٩) .

(٤) المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٤٤٥) .

وليكن ذلك الرمز الجديد : المتطرفين أو الأصوليين الإسلاميين حسـب تعبيرهم ، أو الصين (العدو الجديد) . أو اتحاد أوروبا الغربية (في احتمالٍ ضعيف) .

جـ - الاستعدادات لهرمجدون : إذا كان هذا هو تصورهم لهرمجدون ، فما هو رد فعلهم العملي يا تُرى على كل ما ذكر ، هل يُظن بهم ، وهم المعروفون بعمليتهم واحتياطهم للمستقبل ، وعدم تركهم في تخطيطهم لشيءٍ نهب الاعتباط والارتجالية . هل يُظن بهم أن يقرروا كل هذا في اعتقاداتهم ونظرياتهم الدينية ، ثم يضعون يداً على خدٍ في انتظار أن يجيء المسيح المنتظر ليتحقق كل ذلك في سياقٍ قدري ، قبل وأثناء وبعد مجيئه .

الجواب : أنهم على الحقيقة مارسوا في هذا المجال كل ما يمارسونه في أعمالهم الأخرى من التخطيط والتقدير والاحتياط لذلك ، كما لو كان أمراً مقدوراً عليه . لكنهم جعلوا من كل تلك الاستعدادات والتجهيزات تهيئةً وتمهيداً لتحقق تلك العلامات ، تعجلاً وترقباً للمجيء الثاني للمسيح المنتظر .

فهم لا يرقبون تحقق تلك العلامة أو غيرها دون عملٍ منهم ، بل يسعون ويجدُّون ويجتهدون في تحقيقها ، وهكذا يكون حالهم مع العلامة بعد الأخرى . عسى أن تتحقق لهم بعد دهرٍ طويل كل تلك العلامات ، لعل وعسى أن يظهر المسيح المرتقب .

وهذا هو عين ما فعلوه في علامة عودة اليهود / ثم إقامة إسرائيل / ثم أخذ اليهود للقدس . مهَّدوا لذلك ، وعاونوا في تحقيق ذلك . وآمنوا به معتقدين أنه الشيء الذي لابد من تحقيقه ، رضي من رضي ، وسخط من سخط . لأنهم في اعتقادهم يُنفِّذون إرادةً إلهية .

فما هي يا تُرى - بعد هذه المقدمة الطويلة - استعداداتهم لتحقيق هذه العلامة . (موقعة هرمجدون) كما حققوا غيرها .

الجواب : أنهم وضعوا من الاستعدادات والتجهيزات ، والتهيئة ، ما يكفي لإشعال هذه المعركة المدمِّرة في أية لحظةٍ ، يعنُّ فيها لأحد قادتهم التعجيل بتحقيق هذه العلامة النبوءة ، عبر الضغط على زرٍ نووي ، يُفجِّر معه العالم كله ، ويدفعه إلى الهاوية ، عبر الدخول في هذا المعترك المرسوم .

و« العلاقة بين العمل السياسي - العسكري ، والإيمان الديني بهذه النبوءات .. علاقة مباشرة ، ... وهذا يعني أن الإيمان بهرمجدون يتطلَّب إنتاج الأسلحة المدمرة ، وقد أنتجت ، و.. يتطلب خلق الظروف المؤاتية لاستعمال هذه الأسلحة في المكان الذي تحدده النبوءات للظهور الثاني للمسيح » ، « في إطار هذا الإيمان كان العمل على إقامة إسرائيل .. ، وفي إطار هذا الإيمان يجري العمل على تجميع اليهود في إسرائيل . والتزاماً بهذا الإيمان أيضاً تتعطل كل إمكانيةٍ للسلام بين العرب واليهود ، وتتواصل حالة الحرب في المنطقة حتى يقع الانفجار الكبير الذي لابد منه لتحقيق الإرادة الإلهية بالعودة الثانية للمسيح »[١] .

وعلى ضوء هذا الإيمان وهذا التصور : كان الرئيس الأمريكي الهرمجدوني الأسبق رونالد ريغان يعمل على بناء القدرة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية ويمضي قدماً في مشاريعه العسكرية الخرافية مثل مشروع حرب النجوم وغيره .

---

(١) السماك (٨١) .

يقول أحد أبرز السياسيين الأمريكيين الذين عملوا مع ريغان[١] : « إن الأصوليين الإنجيليين مثل الرئيس ريغان لا يسمح لهم التطرف الروحي بأن يأخذوا هذا الانتصار (الذي وعدتهم به نبوءات كتبهم المقدسة في معركة هرمجدون على قوى الظلام) كمسلَّمات » . « إن تقوية قوى الحق لتربح هذا الصراع المهم هو في عيون مثل هؤلاء الرجال عملٌ يُحقق نبوءة الله انسجاماً مع إرادته السامية وذلك حتى يعود المسيح مرةً ثانية » .... ثم يضيف قائلاً : « لا يخامرني شك في أنه (أي ريجان) ينظر إلى مسؤولياته كقائدٍ للعالم الغربي . ويبدو لي أن معظم قراراته السياسية متأثرةً بهذا المفهوم » . « وبالتأكيد فإن توجهه بالنسبة للإنفاق العسكري ، وبرودته تجاه مقترحات نزع التسلح النووي ملتزمة مع وجهة نظره هذه التي يستمدها من سفر الرؤيا » . ثم يضيف : « إن سياسات الرئيس ريغان الداخلية والمالية منسجمة مع التفسير اللفظي للنبوءات .... فلا يوجد أي سبب للغضب ... من أجل المحافظة على أشياء لمصلحة أجيال المستقبل طالما أن كل شيء سيذهب في النهاية طعماً للنار » .

ثم يُلخص في نهاية مقاله حقيقة هذه السياسة في عبارةٍ يقول فيها : « يجب .. توفير المال لتمويل تطوير الأسلحة النووية من أجل إطلاق الحمم المدمرة على الشياطين أعداء الله وأعداء شعبه . ... كان ريغان ... (يعتقد) أن أمامه فرصة لينفق المليارات من الدولارات استعداداً لحربٍ نووية »[٢] .

استعداداً لهرمجدون . المعركة العالمية الهائلة المدمِّرة .

إذن فقد جهَّزوا المسرح العالمي - إن صح التعبير - لهرمجدون . وما بعد هرمجدون .

---

(١) هو جيمس ميلز الرئيس السابق لمجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا أيام كان ريغان حاكماً لها . نشر ذلك في مقالةٍ له في مجلة سان دييغو في عدد شهر أغسطس ١٩٨٥ م . (انظر : النبوءة والسياسة / ٤٨) .

(٢) انظر : النبوءة والسياسة (٥٣ - ٥٥) بتصرف .

د - معسكر الأشرار : إذا كانت هرمجدون مقبلةً وقريبة . فمن هي قوى الظلام إذن حسب التصور الإنجيلي المعاصر ، أخذاً بالمعطيات الحاضرة . نظراً لأن هذا الجيل السياسي القائم هو الذي سيشهد أتون هذه المعركة .

يُرتِّبون هذه القوى التي يظنون أنها ستشكل جيش قوى الظلام المعادية لأبناء النور على النحو التالي :

١ - روسيا : أو الاتحاد السوفييتي السابق . ومعظم الإنجيليين ينظرون إلى روسيا على أنها شيطانية . وأنها تُمثِّل إمبراطورية الشيطان . وقد استعمل الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان عام ١٩٨٣ م عبارة « إمبراطورية الشيطان » لوصف الاتحاد السوفييتي[١] .

يقول جيري فالويل الواعظ الإنجيلي المشهور في هذا السياق : « هناك تطوراتٌ جرت مؤخراً في روسيا ... إن هؤلاء الشيوعيين هم كارهو الله، إنهم رافضو المسيح ، وهدفهم الأبعد هو السيطرة على العالم » « ومنذ ٢٦٠٠ سنة تنبأ النبي .. حزقيال أن مثل هذه الأمة ستقوم إلى الشمال من فلسطين قبل وقتٍ قصير من العودة الثانية للمسيح » . إلى أن قال « في الفصل ٣٨ و٣٩ من حزقيال[٢] نقرأ أن اسم هذه الأرض هو روش . ويذكر اسم مدينتين من روش هما (ماشك) ميشش وتوبال . إن الأسماء هنا تبدو مشابهةً بشكلٍ مثير .. موسكو وتيبولسك ، العاصمتين الحاكمتين في روسيا اليوم . » ... وقال أيضاً : « إن روسيا أو روش سوف تغزو إسرائيل في الأيام الأخيرة » . ثم أضاف : « إننا نعتقد أن روسيا وبسبب حاجتها إلى النفط وبسبب نفاذ احتياطيها منه سوف تتحرك نحو الشرق الأوسط ، وخاصةً نحو إسرائيل بسبب كراهيتها لليهود (!!!) وفي هذا الوقت ستنفتح أبواب جهنم .... وروسيا ..

---

(١) النبوءة والسياسة (٥٣) .

(٢) انظر : سفر حزقيال (٣٨ : ٢ - ٣) و(٣٩ : ١) . وفيهما جاء ذكر بلاد : رُوش ، ومَاشِك ، وتُوبَال . وسفر حزقيال يعتبر هذه الأمة الظالمة ، هي أمة : جُوجٍ وماجوج . التي ستكون على رأس أعداء المسيح . المهاجمين لإسرائيل . وبهذا الرأي أخذ الأصوليون الإنجيليون . أما سفر الرؤيا فليس فيه ما يفيد هذا الرأي . فالحديث فيه يأتي أولاً عن هرمجدون وجيوش أعداء المسيح ، ثم تنقضي المعركة ، ويملك المسيح ألف سنة ، ثم تظهر أمة جوج وماجوج . (سفر الرؤيا / ٢٠ : ٧ - ٩) .

ستكون المهاجِم وسوف تُدَمَّر تدميراً كاملاً »[١] .

ومن الواضح هنا أن الإنجيليين يستشهدون بنبوءات حزقيال في العهد القديم المعتمد عندهم على هذه التفصيلات التي لم ترد في العهد الجديد ، حول هذه المعركة النهائية ، وإن كانت أسفار العهد القديم لا تتحدث من قريبٍ ولا من بعيد عن معركةٍ تدعى « هرمجدون » . وإنما تتحدث عن مواجهةٍ ستدور لاحقاً في أرض إسرائيل بين شعب إسرائيل وأعداء إسرائيل ، وعن الدمار الذي ستحدثه .

لكنَّ التقارب في الحديث بين العهدين عن معركةٍ نهائيةٍ تتشابه ملامحها هنا بملامحها هناك ، جعل الإنجيليين ينطلقون من العهد الجديد الذي لم يُقدم هذه التفصيلات ، إلى العهد القديم الذي كان يتحدث عن معركةٍ كبرى تحدث لشعب إسرائيل في آخر الأيام ، وماذا سيجري فيها ، فربطوا بينهما ، ودمجوا هذه التفصيلات بتلك . وطبَّقوا ما ورد في العهد القديم من مسمياتٍ على ما يجدونه في واقعهم الحاضر . ومثل تلك التسميات لا أثر لها في العهد الجديد . بينما كان العهد القديم أكثر إثراءً وتفصيلاً .

ولقد كان هذا المفهوم هو المسيطر على الرئيس الإنجيلي الأصولي ريغان ، وهو يواجه الاتحاد السوفييتي بكل ما أوتي من قوةٍ ، مستحثاً كل جهوده وقواه ، وجهود أمريكا أغنى وأقوى دولةٍ في العالم من ورائه ، لمناهضة هذا الشر الأعظم والشيطان الأكبر زعيم عسكر أعداء المسيح المنتظر - باعتقاده - (الاتحاد السوفييتي)[٢] .

وكان في ذلك للبشرية أولاً، ثم للإسلام والمسلمين غنيمة ، فأراح الله بذلك من تلك الدولة العفنة ، وأهلك الظالمين بالظالمين، وأخرج المؤمنين من بين أيديهم سالمين.

---

(١) النبوءة والسياسة (٤٠ - ٤٢) .

(٢) انظر : النبوءة والسياسة (٤٩) .

« إلا أن الاتحاد السوفييتي قد ضاع الآن من أيدي الأصوليين بوصفه الشيطان .. أو جوج وماجوج .. وسبَّب لأولئك .. خيبة أملٍ كبيرة لأنه - بانسحابه من حلبة الصراع ... - قد جرّد .. الأصوليين .. من الخصم الشرير ، وحرمهم من فرصة إشعال حربٍ نووية مع ذلك الخصم تعجيلاً .. بالمجيء الثاني للمسيح » .
« (و) تسبب .. بانهياره بغير حربٍ نووية في تأخير مجيء « آخر الأيام » »[١] .

ورغم كل ما وقع ، تبقى روسيا (البديل النووي للاتحاد السوفييتي السابق) على رأس القائمة ، فهي أمة الشمال الكبرى (جوج وماجوج باعتقادهم) ، وهي رغم كل شيء منافسٌ محتملٌ ومهمٌ للولايات المتحدة الأمريكية ، حامية حمى الأصولية الإنجيلية ، وأفراخها اليهود ، وهي بعد كل ما وقع من تبدلاتٍ وتحولات لا تزال تضم بين أحزابها : الحزب الشيوعي الروسي ، الذي يقف على رأس أحزاب ذلك البلد الكبير بسكانه ومساحته وأهميته وقدراته العسكرية ، إذن فاحتمال عودة سيطرة الشيوعيين لا يزال وارداً . ومطروحاً على الساحة بقوة . وهي بعد كل هذا تضم أكبر تجمعٍ للأرثوذكسية النصرانية في العالم . ولا يوجد فيها أي تأثيرٍ للتيار البروتستانتي الإنجيلي الأصولي المتحمس لأفكار عودة اليهود وهرمجدون ونحو ذلك ، أما الأرثوذكس فهم - كما بيَّنا ذلك فيما سبق - من المعارضين لربط عودة اليهود بعودة المسيح .

وبعد كل هذا ، فثمَّة بديلٌ محتمل لروسيا إذا هي تخلَّت عن دورها في هذه الملحمة ، عند الأصوليين الإنجيليين .

فهناك :

٢ - الصين : والوقائع السياسية الحاضرة اليوم . تشهد بأن الأمور تسير في هذا الاتجاه[٢] .

---

(١) المسيحية والتوراة (٤١٧) .

(٢) يبدو أن أول من رشح الصين للعب هذا الدور : القس هال ليندسي في محاضرةٍ له في البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) سنة ١٩٨٤ م . (انظر : أمريكا وإسرائيل للدواليبي / ٤٩) .

٣ - أوروبا الغربية : وإذا سقطت الصين من فم الجراب ، كما سقط الاتحاد السوفييتي السيء الذكر ، فثمة بديلٌ ثالث عند مفسري الأصوليين الإنجيليين . هو اتحاد دول أوروبا الغربية ، المنافس القادم - بقوةٍ إلى الساحة - للولايات المتحدة الأمريكية[١] .

٤ - كل العرب : ويدخل في هذا الإطار ، كل المسلمين ، لأن الخلاف بين العرب وإسرائيلَ في حقيقته ، خلافٌ حول قضيةٍ دينية قبل أن تكون قضية قومية .

يقول هال ليندسي : كل العرب بالتحالف مع السوفيات سوف يهاجمون إسرائيل[٢] . وفي هذا السياق كانوا يعتبرون انتصار إسرائيل على العرب في حرب ١٩٦٧ م جزءاً من الخطة الإلهية لانتصار قوى الخير على قوى الشر[٣] .

ومن بين كل العرب يخصون بالذكر : ليبيا ، والعراق ، ولبنان .

٥ - ليبيا : يقولون : إن ليبيا ستكون ضمن معسكر أعداء المسيح . وحينما قام في ليبيا نظام معادٍ للغرب ومُوالٍ للسوفيات ، جعل الرئيس الأمريكي ريغان من ذلك علامةً على أن يوم هرمجدون لم يعد بعيداً[٤] .

وانسياقاً مع هذا الاعتقاد ، وتأثراً بردة فعل الليبيين العدائية ضد أمريكا على موقفها ذلك ، وتأثراً بتراكماتٍ تاريخية . انطلق هذا العداء وتأجج ، مرسِّخاً بذلك

---

(١) رشح هذه القوة الجديدة للعب هذا الدور كذلك : هال ليندسي . ويبدو أن لكاثوليكية عددٍ من أهم دول ذلك الاتحاد دورٌ في ذلك . مثل : أسبانيا وفرنسا وإيطاليا . أما ألمانيا البروتستانتية فهي متمردة على المشروع الأنجلوساكسوني منذ القدم . ولذا فهي مرشحةٌ للعب هذا الدور قبل تلك الدول الكاثوليكية في اعتقاد بعض أولئك المفسرين . عن ذلك انظر : (النبوءة والسياسة / ٣٦) (السماك / ٨٣) (طويلة / ٢٦٦) .

(٢) النبوءة والسياسة (٣٦) .

(٣) المنظمات الصهيونية المسيحية - أحمد تهامي سلطان (١٧) .

(٤) انظر : غريس هالسل (٤٠ / ٤٨) .

من أمر ذلك الاعتقاد السالف ذكره في ذهن الرئيس ريغان ، واحتلت ليبيا مكانة العدو الدولي رقم واحد عنده . وبطبيعة الحال لم يقف الرئيس الأمريكي ريغان ليقول للعالم إنه كره ليبيا لأنها « عدوة الله » . وإنما استعيض عن ذلك بمسألة الإرهاب ، وفرضت على ليبيا عقوبات طويلة الأمد . و« لو كان انهيار الاتحاد السوفييتي كقوة عظمى قد وقع في وقت هياج ريغان .. لكانت ليبيا قد أزيلت من الوجود » بدلاً من الاكتفاء بالعقوبات ، والقصف الجوي المحدود[1] .

٦ - العراق : وهم لا يعدونه بالاسم ضمن معسكر أعداء المسيح . لكن السياق العام يوحي بذلك . ويظهر ذلك أولاً في كل ذلك الغلّ الذي يُكنُّه كُتَّاب العهد القديم لآشور الآثمة وبابل الزانية . كيف لا . وهي التي هدمت هيكلهم وسَبَتْهُمْ ، وأذاقتهم ألوان الذل والمهانة في السبي الطويل الأمد . المعروف بالسبي البابلي . ورغم أن هذا وحده يكفي لإثارة حنق الإنجيليين الأصوليين على « بابل » هذه . إلا أننا نجد العهد الجديد كذلك يسير في هذا السياق الاستعدائي . فبابل في سفر الرؤيا . هي « الزانية الكبرى » و« أم زانيات الأرض »[2] .

ويجيء ذكر نهر الفرات ضمن العلامات أو البلايا السبع الأخيرة التي ستحلّ بالأرض ، وأنه سيجف ، لتعبر عليه الحشود الهائلة القادمة من الشرق متوجهةً إلى هرمجدون .

حتى المكان ، يُشارك في هذا العداء ، ويُسهِّل عملية عبور أعداء المسيح لقتال أبناء النور .

إذن ، فلا عجب أن يُصبَّ على هذا المكان كل أنواع العذاب ، ومستخرجات الجحيم ، في سياق هرمجدون ، أو تمهيداً لها . انتقاماً مبكراً من هذه الفعلة النكراء في التقدير الأصولي الإنجيلي . فهو إذن ، مكانٌ ملعونٌ ، يستحق أكثر مما أصابه ويصيبه .

---

(١) راجع : المسيحية والتوراة (٣٨٦ - ٣٨٧ / ٣٩٠ - ٣٩١) .

(٢) الرؤيا (١٧ : ١ / ٥) .

٧ - لبنان : لبنان ليس على ذلك القدر من الأهمية ، ولا يذكرونه بالاسم في عداد معسكر أعداء المسيح .

لكنهم يذكرونه في سياق البلدان المعادية لحزب أبناء النور ، وعلى رأسهم إسرائيل ، وأن قتال لبنان وغزوه يُعدُّ أمراً مُمهِّداً لهرمجدون .

وحين وقع الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ م . اعتبروا ذلك إحدى علامات اقتراب هرمجدون .

يقول أحد الأصوليين الأمريكيين عن ذلك : « إن غزو لبنان كان عملاً من إرادة الله . لقد كانت حرباً مقدسة . إنني أعتقد أن الغزو كان رائعاً لأنه كان منسجماً مع العهد القديم ، ولأنه يؤكد النبوءة التوراتية - الإنجيلية . وهذا يمكن أن يعني أننا نقترب من هرمجدون »(١) .

٨ - إيران : إيران أو فارس إحدى العناصر الرئيسة المكونة لحزب أبناء الظلام ، يُجمع الأصوليون شرَّاح النبوءات على ذلك . ولهذا فالتطورات السياسية الحاصلة في إيران بعد ثورة الخميني (١٩٧٩ م) تؤكد هذا الاعتقاد وترسخه . والتقارب الروسي الإيراني في نظرهم دليلٌ على ذلك(٢) .

٩ - أثيوبيا : أو الحبشة ، وأثيوبيا في اعتقادهم ستكون من بين قوى الشيطان ، وحين كان النظام السياسي الحاكم في أثيوبيا برئاسة صديقهم وشريكهم في الاعتقاد : أسد يهوذا الإمبراطور هيلا سيلاسي ، كان ذلك يُشكِّل في نظرهم تناقضاً لا بد من حلِّه .

وفي حديثٍ موثقٍ لريغن مع أحد رفاقه . استنكر صاحبه ذلك هذه النبوءة قائلاً : « إنني لا أستطيع أن أرى (هيلا سيلاسي أسد يهوذا) يخوض مع زمرةٍ من الدمى حرباً ضد شعب الله المختار » .

---

(١) النبوءة والسياسة (٦٥) .

(٢) انظر : النبوءة والسياسة (٤٠) وحمى سنة ألفين (١٧٠) .

لكنَّ ريغان أصر على الالتزام بحرفية تلك النبوءة قائلاً : « أنا أعتقد ذلك وأظن أنه لا مفر منه ، إنه ضروري لتحقيق النبوءة بأن اثيوبيا ستكون واحدةً من الأمم المعادية لله التي تحارب إسرائيل » .

وبعد ثلاث سنوات من هذا الحديث ، أسقط الشيوعيون هيلا سيلاسي ونظامه . وكان ريغان سعيداً بذلك جداً . لِمَا وقع من صدق توقعاته .

وَلِمَا يرى أنه تحقيقٌ لنبوءةٍ تتعلق بهرمجدون وعودة المسيح[1] .

أما اليوم . فما أدري ماذا سيقولون ؟ . هل سينقلون مكان النبوءة من الحبشة إلى السودان . تماشياً مع معطيات السياسة الحاضرة . كل شيء واردٌ - في اعتقادي - عند هؤلاء . فالتغيير سِمَتُهُم .

١٠ - أوروبا الشرقية : يقولون إن دول أوروبا الشرقية ستكون ضمن معسكر أعداء المسيح . وأنها الواردة باسم جومر في سفر حزقيال .

وهذا على ما يبدو يتناسق مع سياسات الحرب الباردة التي ذهبت أيامها .

١١ - القوقاز : يقولون إن القوقازيين سيكونون أحد العناصر الرئيسة المكونة لذلك الحلف الشيطاني . وأنها ذكرت في سفر حزقيال باسم « بيت تُوجَرْمَة »[2] .

فهل يا ترى . يكون لذلك الاعتقاد أثره في الواقع السياسي الحاضر في موقفهم من قضية الشيشان القوقازية ؟ وهل يعتبرونها صراعاً بين أبناء الظلام لا ينبغي لهم التدخل فيه لحلّه ؟ ربما .

---

(١) انظر : النبوءة والسياسة (٤٠ / ٤٨ - ٤٩) .

(٢) حزقيال (٣٨ : ٦) . وتفسير ذلك في : النبوءة والسياسة (٤٠) .

هـ - مدة الحرب وزمانها :

لم يذكر العهد الجديد مدةً معينةً لتلك المعركة . ولا تناول بالتفصيل أي شيءٍ يتعلق بهذه المسألة . وكل ما تحدث عنه مما له علاقة بهذه المعركة ومدتها ، أنه أشار إلى أن مدة بقاء الوحش (الدجال) وهو من العناصر الرئيسة المحركة الفاعلة في هذه المعركة سيكون : اثنين وأربعين شهراً[١] . أي ثلاث سنوات ونصف السنة .

أما في العهد القديم فلا نجد تحديداً لمدة الملحمة التي يذكرونها . ويستشهد النصارى الإنجيليون بنصوصها (أي الملحمة) التي حملت كثيراً من التفصيلات على وقائع معركة هرمجدون وأحداثها .

لكننا نجد في نصوص العهد القديم تلك إشارتين بهذا الخصوص . إذ تقول تلك النصوص : إن الإسرائيليين سيقبرون قتلى تلك الملحمة سبعة أشهر . « يقبرهم بيت إسرائيل ليطهروا الأرض سبعة أشهر »[٢] . وتقول أيضاً : إن عملية التخلص من مخلفات تلك المعركة من السلاح والعتاد يستغرق سبع سنين . « يخرج سكان مدن إسرائيل ويشعلون ويحرقون السلاح والمَجَانَّ والأتراس والقسيّ والسهام والحراب والرماح يوقدون بها النار سبع سنين »[٣] .

وليس في النص تحديد لعمر أو مدة تلك الملحمة . كما هو واضحٌ للعيان .

لكنَّ بعض الباحثين بدأ يعتمد أحد الرقمين كعمرٍ أو زمنٍ محدد لتلك الملحمة[٤] .

---

(١) سفر الرؤيا (١٣ : ٥) .

(٢) حزقيال (٣٩ : ١٢) .

(٣) حزقيال (٣٩ : ٩) .

(٤) انظر على سبيل المثال : حمى سنة ألفين - لعبد العزيز مصطفى كامل (١٦١) : حيث ذكر أن النصارى يعتقدون أن تلك الحرب سوف تستغرق مدة سبع سنين . ولم يُحل إلى أي مرجعٍ حول هذه المعلومة . ولا أدري على ماذا اعتمد في هذا التحديد .

وأما زمانها أو وقتها (أي وقت حصول تلك المعركة العالمية) فقد كانوا حذرين للغاية من تحديد موعدٍ معينٍ محددٍ لها . مع أنهم أكثروا من التصريح بقربها . حتى لقد أوشكت ، على ما يظهر من كثيرٍ من عبارات أساطينهم .

لكنَّ تحديد موعدٍ معينٍ لها ، أمرٌ لا يمكنهم الجزم به . ولذا كانت عبارة أحد أشهر متحدثيهم في هذا المجال واضحةً وحاسمة . يقول جيري فالويل عن ذلك : « لقد حذَّرَنا الرب من تحديد تواريخ وقال .. : لا أحد يعرف اليوم ولا الساعة » . ثم يضيف : « إنني أعتقد أن كل مجموعةٍ دينية أو كل زعيمٍ ديني حدَّد تواريخ قد أساء إلى الرب وأحرج نفسه » .

لكنه مع ذلك يقع فيما وقع فيه غيره من تعجل وقوع هذه المعركة وترقبها . فلذا نجده يضيف قائلاً : « يمكن أن يكون في (خمسين) سنة . أنا لا أعرف ولكن لا أعتقد أن الوقت طويل هكذا . أعتقد أننا واصلون إلى المأزق . إن كل التاريخ يصل إلى الذروة وأنا لا أعتقد أنه بقي أمامنا (خمسون) سنةً أخرى . إنني لا أعتقد أن أطفالي سيعيشون حياتهم الكاملة »(١) .

وثَـمَّة مأزقٌ آخر يقع فيه هؤلاء المتعجلون لوقوعها . ذلك أنهم بتحديد تواريخ معينة لزمن ظهور المسيح المنتظر . يكونون من حيث لا يشعرون أو يشعرون ، قد حددوا تواريخ معينةً لاندلاع تلك المعركة . رغم نفيهم العلني الصريح تحديد تواريخ معينةٍ لوقوعها . وما دام التعجل هو السمة الأساسية لكل تصوراتهم حول هذه الملحمة . فلن نعجب بعدئذٍ إذا سمعنا لاحقاً أن ثمة من يُطلق توقيتاً محدداً لاندلاع تلك المعركة ، تبعاً لذلك التعجل الطافح الطامح .

(١) النبوءة والسياسة (٤٢) .

و - حتمية الصدام :

التحالف الأمريكي الإسرائيلي وحده ، قد يؤدي إلى صدامٍ بين الإسلام والغرب ، أو الإسلام والنصرانية . فكيف إذا اقترن مثل ذلك الفعل بمعتقداتٍ وأفكار قوية تدعو إلى الصدام وتحبذه ، يعتنقها أتباع الإنجيلية الجديدة ، ويُروِّج لها التيار الأصولي النصراني الضخم في الولايات المتحدة الأمريكية بقوةٍ واندفاع .

المتوقع بعد ذلك كله أن يُمهِّد ذلك التطبيق العملي الفعلي على أرض الواقع (التحالف الأمريكي الإسرائيلي) وتلك المعتقدات العنيفة (أفكار الأصوليين الإنجيليين) إلى خلق أرضيةٍ مناسبةٍ ممهِّدةٍ للصدام . هذا على أقل تقدير ، وفي أكثر الافتراضات تفاؤلاً . ولهذا لا نعجب حين نقرأ لبعض الباحثين توقعاتٍ بأن « الولايات المتحدة ... ستكون منصة الانطلاق لغزوةٍ صليبيةٍ أخيرةٍ يتعانق الصليب فيها بنجمة إسرائيل »[1] .

وهو توقعٌ مغرق في السوداوية والتشاؤم . ومخيفٌ للغاية كذلك . لكنَّ صاحبه على ما يبدو يستمد دلالاته من بعض التصرفات الحاضرة اليوم في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية المعلنة وغير المعلنة في هذه المنطقة .

والمعتقد الأصولي الإنجيلي يُحتِّم وقوع الصدام ، بل يقول بوجوب اعتقاد تحققه . وهاهنا تكمن المشكلة . إذ ستنشأ أجيالٌ بالملايين بل بعشرات الملايين . قد تشرَّبت

---

(١) المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٢١٣) . ومما يُناسب هذا المقام ما يُذكر حالياً من عزم الولايات المتحدة الأمريكية على إنشاء أكبر قاعدةٍ عسكرية أمريكية في الشرق الأوسط . يُتوقع أن يتم إنشاؤها في صحراء النقب جنوب فلسطين بمحاذاة الحدود المصرية . وتُنقل إليها جميع المنشآت الأمريكية الحساسة في منطقة الخليج العربي ودول حوض البحر المتوسط .

بينما ترغب إسرائيل في إنشائها بالقرب من مطار اللد العسكري شمال تل أبيب .

حول ذلك . راجع : مجلة المجلة الصادرة من لندن - العدد (١١١٦) ١٠ - ربيع الثاني - ١٤٢٢ هـ / ١ - يوليو - ٢٠٠١ م / الصفحة (٨) .

هذا المفهوم ، أو اطلعت عليه على أقل تقدير . وسينشأ عن هذا التراكم (المعرفي في أقل فروضه) صدامٌ بشكلٍ ما يوماً ما .

يجزم الأصوليون الإنجيليون أن « الأمور محكومةٌ بالتردي » وأنها لابد « أن تسوء وتتفاقم بلا نهاية على الأرض » . وأن ذلك التداعي لن يوقفه إلا قدوم المسيح وعودته ثانية .

وكان خير من يُمثِّل هذا التيار : « هال ليندسي » في كتابه « المرحوم كوكب الأرض الكبير » . الذي يتنبأ فيه بسلسلةٍ من الكوارث تبلغ ذروتها في « هرمجدون »[1]. فهرمجدون إذن واقعةٌ لا محالة . و« الهولوكوست » النووي (المحرقة النووية) قادمة بقوة . « والحرب العالمية الثالثة هي المعركة المنتظرة التي يُؤمن الإنجيليون النصارى بحتمية بل بضرورة وقوعها ، ولهذا يُروِّجون لها على أوسع وأعلى المستويات في الغرب »[2] .

إذن فلن يكون هناك سلامٌ على الأرض ، ولن يكون هناك سلامٌ في هذه المنطقة ، لا سلام شجعان ولا سلام جبناء ، أي نعم . هذا هو ما يتبجحون بالتصريح به علانيةً .

يقول جيري فالويل : « بالرغم من الآمال الوردية وغير الواقعية تماماً التي أبدتها حكومتنا - يقصد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية - (حول اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل) فإن هذه الاتفاقية لن تدوم . إننا نصلي بالفعل من أجل السلام في القدس » . « ... ولكن .. نعرف أنه لن يكون هناك سلامٌ حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يومٌ يجلس فيه .. المسيح على عرش داوود في القدس » . .. « ولكن حتى ذلك الوقت لن يكون هناك سلامٌ على هذه الأرض حتى يعود أمير السلام »[3] .

---

(١) انظر : يوم الله - جيل كيبل (١٣٤ - ١٣٥) .

(٢) حمّى سنة ٢٠٠٠ (١٦٢) .

(٣) النبوءة والسياسة (٤١) .

ويقول مثيله جيمي سواغرت : « كنت أتمنَّى أن أستطيع القول إننا سنحصل على السلام ، ولكني أؤمن بأن هرمجدون مقبلة ، إن هرمجدون قادمة وسيخاض غمارها في وادي مجيدو ، إنها قادمة . إنهم يستطيعون أن يُوقِّعوا على اتفاقيات السلام التي يريدون . إن ذلك لن يُحقق شيئاً ، هناك أيام سوداء قادمة . ... إن الأمور ستتوجه نحو الأسوأ . ... إنني لا أكترث لِمَنْ تُسبِّب (لهم) هرمجدون القلق والمتاعب . إنها تُنعش روحي ! »[١] .

بل وصل الغلو والتطرف ببعضهم إلى حد اعتبار التبشير بالسلام - قبل عودة المسيح - هرطقةً وكفراً .

يقول أحدهم : « إن أي تبشيرٍ بالسلام قبل هذه العودة هو هرطقة . إنه ضد كلمة الله ، إنه ضد المسيح »[٢] .

إذن فالحرب الثالثة عندهم ليست مجرد أملٍ يُنتظر ، وإنما هي قدرٌ لابد من الرضى به ، والاستعداد له ، والسعي لتحقيقه على أرض الواقع .

أما ما يُسمَّى بالمساعي الدولية للتعايش السلمي فإنها في نظر الإنجيليين ، ضَرْبٌ من تحدِّي الإرادة الإلهية[٣] .

وفي هذا الإطار أصدر الدكتور : صمويل هنتنجتون[٤] ، أحد كبار المفكرين والمنظِّرين الاستراتيجيين الأمريكيين المعاصرين ، قبل عدة سنوات (١٩٩٤ م تقريباً)

---

(١) النبوءة والسياسة (٢٤ - ٢٥) .

(٢) النبوءة والسياسة (٢٣) .

(٣) حمى سنة ٢٠٠٠ م (١٦٨) .

(٤) كان مسئولاً عن التخطيط في مجلس الأمن القومي في إدارة الرئيس كارتر . وكان يشغل وقت إصدار دراسته هذه منصب أستاذ العلوم السياسية ومدير معهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد . ومدير أكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية . ورئيس الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية . عن هنتنجتون ومقولاته . انظر : ملحق مجلة المجلة الصادرة من لندن (١ - ٢) العدد (٨٦٩) / ٦ - ذو الحجة - ١٤١٧ هـ / ١٣ - إبريل - ١٩٩٧ م .

كتاباً سمَّاه : « صدام الحضارات والنظام العالمي » . يُؤكد فيه هـذا الصـدام ويُبشِّـر بـه على طريقته . مقرراً أن الصدام بين الإسلام والغرب آتٍ لا محالة .

يقول هنتنجتون : « ليس صحيحاً القول بأن الإسلام ليس خطراً على الغرب ، وأن المتطرفين الإسلاميين فقط هم الخطـر . تـاريخ الإسـلام خـلال أربعة عشر قرنـاً يؤكد بأنه خطرٌ على أية حضارةٍ واجهها ، خاصةً (النصرانية) »[1] .

وفي مقابل كل ذلك التحريض والتهييج للجماهير النصرانية ، يُوجِّهون الدعـوات تلو الدعوات للمسلمين يدعونهم إلى نبذ الجـهاد ، بـل نسيان هـذا المصطلح وإلغائـه بالمرة من الذاكرة المسلمة ، وعـدم الاستعداد للحـرب حتـى لـو كـانت للدفـاع عـن الأنفس والذراري ، مبينين لهم محاسـن السـلام ومكاسبه وفوائـده ، وهـو في الحقيقـة خضوعٌ وتسليمٌ واستسلام .

وينطلق نعيب ناعقٍ من الأمم المتحـدة بمناسبةٍ وبـدون مناسـبة ، يدعـو الشـعوب الإسلامية دون أن يكلَّ أو يملّ ، إلى ضبط النفـس ، والحفـاظ علـى الهـدوء ، والأمـن والسلم الدوليين ، إلى آخر هذه الترهات ، التي يكفر قائلها بها قبل غيره حين يُـداس طرف ثوبه ، حتى لو كان ذلك من فاعله خطأً غـير مقصـود . فـالويل ثـم الويـل ثـم الويل ، لمن رماه حظه بين أرجل هؤلاء اللئام .

ويبدو أن هذه الهيئة الدولية المسمَّاة بالأمم المتحدة تتخذ لنفسها موقعاً في مراحـل هذا التخطيط الإنجيلي العقدي ضمن برنامج عودة المسـيح . وأنـها تمـارس دور الهيئـة التي تقوم مقام المسيح[2] ، وتحاول جاهدةً ، أو هكذا خطط لها في الأصل : أن تصبح

---

(١) مجلة المجلة (٢ - ٣) العدد (٨٦٩) . ولذلك لا يوجد عنده فرقٌ بين المتطرفين والمعتدلـين المسـلمين . فالجميع في نظره متطرفون . ولا يصبحون من المعتدلين المتحضرين المتمدنين حتى يفارقوا دينهم . وصدق الله إذ يقـــول ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ ســـورة البقرة - جزء من الآية رقم (١٢٠) .

(٢) ممن يُبشرون بذلك في العصر الحاضر بكل وضوح . جماعة شهود يهوه النصرانية شبه اليهوديـة ، حيـث يقررون أن هيئة الأمم المتحدة هي الهيئة المعدّة لوصول المسيح ، وهي اليوم تقوم مقام حكومة المسيح على الأرض . وأن إقامة هذه المنظمة الدولية على هذا النحو يُعدُّ من علامات اقتراب نهاية العالم حيث يُنتظـر أن يعود المسيح . (عن ذلك انظر : شهود يهوه / أبو إسلام أحمد عبد الله / ١١٩ / ١٢١ /) .

بمثابة الحكومة العالمية التي تمسك بمقاليد الأمور في العالم كله ، لتهيء بذلك للعودة الثانية للمسيح المنتظر ، الذي يعتقدون أن ملكه سيشمل العالم بأسره . كما اعترف بذلك أحدهم مقرراً أن هيئة الأمم المتحدة هي الحكومة العليا التي يُشار إليها دائماً في بروتوكولات حكماء صهيون المنشورة[1] .

وقد ألمح إلى هذا الأمر بعض الباحثين على استحياء .

يقول الباحث شفيق مقار : « مؤقتاً ... تقوم المنظمة الدولية ، الأمم المتحدة ، من نيويورك العاصمة الحقيقية للحركة المتجهة بنشاطٍ وذكاءٍ وتصميم إلى إقامة ذلك المُلْك اليهيوي على كل الأرض ، بمهمة « فرض القانون » ، و« إنصاف الشعوب » ، وصون السلم ، وجعل الشعوب تلقي أسلحتها وتنصرف إلى الأنشطة السلمية التي يُفضَّل أن تكون زراعية ، حتى لا ترفع أمةٌ سيفاً ولا تتعلم الحرب »[2] .

ز - معصرة غضب الله : إذا تحقق ذلك الصدام . فإن ناتجه هو : معصرة غضب الله العظمى . بحسب اصطلاح النصارى . وقد ورد هذا التعبير أول ما ورد في « رؤيا يوحنا » . يقول يوحنا : « معصرة غضب الله العظمى . ... خارج المدينة .. انبثق منها الدم وجرى أنهاراً حتى إلى لُجُم الخيل ، مسافة ثلثمائة وعشرين كيلومتراً »[3] .

وبحسب هذا الوصف ، فإن هذه المعركة ولاشك أعظم معارك البشرية على الإطلاق ، إذ سَيُسفح من الدماء البشرية الكثير الكثير ، حتى تتكوَّن منه بحارٌ من الدماء ، أو فقل بحيرات لها عمقٌ كبير ، يصل إلى مستوى لُجُم الخيل التي توضع في أفواهها . وهو ارتفاعٌ بطول قامة الرجل .

= كما تقوم خلاياهم المنتشرة في البلاد الإسلامية بحملة تطهير فكرية إن صح التعبير ضد الجهاد مثلاً (العنف حسب تعبيرهم) وترسيخ الدعوة إلى السلام المشبوه خدمةً لذلك الهدف . حول ذلك . انظر (شهود يهوه / للدكتور : أسعد السحمراني / ٩٧ - ٩٨) .

(١) انظر : اليهود / لزهدي الفاتح (١٤٧) .

(٢) المسيحية والتوراة (٤١) .

(٣) سفر الرؤيا (١٤ : ١٩ - ٢٠) .

وفوق هذا وذاك ، تمتد بِرْكة الدماء هذه بطولٍ هائلٍ يزيد على الثلثمائة كيلومتر . أي ثلثي الطريق ما بين مكة والمدينة . وهي مسافة هائلة . ومفزعة . لاسيما إذا كانت تلك البحيرة ستموج بالدماء البشرية .

والنصارى يعتقدون أن أول ضحايا تلك المجازر البشرية هم حلفاؤهم : اليهود . وليس الاعتقاد بذلك قاصراً على الإنجيليين الأصوليين منهم وحدهم دون غيرهم .

يقول أحد مفسري دانيال : « إننا نرى الآن أن اليهود قد تجمعوا في فلسطين ... (و) هم يتصورون أنهم وجدوا ملجأً في آخر الأمر .... (بينما هم على الحقيقة يهيئون) أنفسهم على غير علمٍ منهم لمعصرة غضب الرب »[١] .

وسيقتل في هذه الملحمة الهائلة والمعركة العظيمة حسب ذلك التصور النصراني ثلثي اليهود الذين يعيشون حينها في فلسطين[٢] . يأخذون ذلك مما ورد في سفر زكريا[٣] .

ح - الكارثة النووية (السيناريو النووي) :

الخلاصة أنهم في الحقيقة يُقدِّمون لهذه المعركة تصوراً يجعلها أشبه ما تكون بكارثةٍ نووية كبرى . وهذا هو الذي تصرح به عبارات المتأخرين من النصارى ، الإنجيليين الأصوليين على الأخص منهم .

تقول الكاتبة غريس هالسل : إن الأصوليين الإنجيليين « يعتقدون أن كارثةً نووية فقط يُمكن أن تعيد المسيح إلى الأرض »[٤] .

---

(١) تفسير دانيال لإيرنسايد (١٣٣) بواسطة : حمى سنة ألفين (٢٣٢) .

(٢) انظر : النبوءة والسياسة (٣٢) .

(٣) سفر زكريا (١٣ : ٨ - ٩) .

(٤) النبوءة والسياسة (٢١) .

ويتصور بعض هؤلاء الأصوليين : « أن حزقيال (يقصد ما جاء في سفر حزقيال حول وصف الملحمة) ربما كان يُشير بذلك إلى تبادل الأسلحة النووية التكتيكية » . ويتصورون المسيح « كقائدٍ أعلى سوف يُدمِّر القوى المتحالفة ضده باستعماله الأسلحة النووية » . أما ريجان فيقول : « إن حزقيال يقول : إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب الله . إن ذلك يجب أن يعني أنهم سوف يُدمَّرون بواسطة السلاح النووي » . وصرح جيري فالويل قائلاً : « أعتقد أنه ستكون هناك مأساة نووية على هذه الأرض » .

وكانوا فيما مضى (أيام الحرب الباردة) يقررون أن الله قد قضى عليهم بخوض حربٍ نووية مع روسيا . اقتناعاً منهم بأن هرمجدون نووية لا مفر منها بموجب خطةٍ إلهية[١] . ولذا تصفهم الكاتبة غريس هالسل قائلةً : « لقد وجدت فكرهم الوعظي تحريضياً وتصادمياً في حثهم على الاستعداد لنهاية العالم »[٢] .

وقد يعتقد معتقدٌ أن مثل هذا : مجرد كلام يُردده بعض المتشنجين من الأصوليين الإنجيليين . لكن الواقع الفعلي يؤكد غير ذلك . فقادة الولايات المتحدة الأمريكية المؤيدون لحق العودة . لا يتوانون لحظةً واحدةً عن الترجمة الفعلية لتلك الأفكار الأصولية . ففي عام ١٩٧٣ م . وأثناء الحرب العربية الإسرائيلية . - كما تقول غريس هالسل - وحين أحس القادة الأمريكيون ، بأن ميزان القوى ليس لصالح حليفتهم إسرائيل . أمر الرئيس نيكسون باستنفارٍ نووي من الدرجة الثالثة من الاستعداد النووي في كل أنحاء العالم . تقول هالسل - وهي الخبيرة بشئون البيت الأبيض الأمريكي لعملها السابق فيه[٣] - : « وَضَعَنَا (ذلك) على مسافة خطوتين من هرمجدون »[٤] .

---

(١) انظر : النبوءة والسياسة (١٧ / ٢١ / ٣١ / ٤١ - ٤٩ / ١٧٩) . وانظر كذلك : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٤٤٥) .

(٢) النبوءة والسياسة (١٧٩) .

(٣) أشارت إلى ذلك في كتابها : النبوءة والسياسة (٨) حيث ذكرت أنها عملت كاتبةً في البيت الأبيض لدى الرئيس جونسون . باختيار شخصي منه لها للعمل عنده .

(٤) النبوءة والسياسة (١٨٤) .

وهي عبارةٌ تتضمن اعترافاً خطيراً يحتوي على كارثةٍ عظمى . ليس إلا .

فضغط زرٍ واحدٍ آنذاك ، كان كافياً بجعل هرمجدون حقيقةً واقعةً ، لا مبحثاً علمياً هاهنا فحسب .

وحين ندرك ذلك بكل أحاسيسنا ، ندرك كم هو مرعبٌ ذلك التصور أو الاعتقاد الذي بنيت عليه مثل تلك السياسة الهشة ، التي تحكم عالمنا اليوم بأكمله .

وندرك كذلك أن هذا الكون بعظمته وضخامته وسعة أفقه ، على وشك أن يصبح لعبةً بيد هذه الطغمة المهووسة دينياً وثقافياً . فخيَّب الله ظنون أولئك اللئام ، ونصر الله الإسلام وأهل الإسلام ، على رغم أنف مَنْ رغم .

وبنهاية الحديث هنا ، ننهي الكلام في هذا المطلب عن علامات المجيء الثاني .

المطلب الثاني

العودة المنتظرة والمُلْك الأَلْفي

وفيه سبعة مقاصد :

المقصد الأول : اسم مسيح النصارى المنتظر ، وتحديد شخصه .

المقصد الثاني : موعد ظهور المنتظر .

المقصد الثالث : مكان نزول المنتظر .

المقصد الرابع : أقوالهم في النزول ، والعودة المنتظرة .

المقصد الخامس : خلافهم في المُلْك الأَلْفي .

المقصد السادس : الخطف .

المقصد السابع : ألفية السلام .

المقصد الأول : اسم مسيح النصارى المنتظر ، وتحديد شخصه .

المجيء الثاني ، أو العودة الثانية المنتظرة للمسيح المنتظر عند النصارى ، هو أمل الكنيسة ورجاؤها المبارك الحي - كما يُعبِّرون عن ذلك - .

وأساس عقيدة المنتظر عند النصارى ، وأساس تفصيل الكلام في هذه القضية ، هو ما في سفر يوحنا الشهير : سفر الرؤيا .

ومسيح النصارى المنتظر عندهم هو : عيسى ابن مريم عليه السلام . يُنطق بالعبرية : عيساو ، وينطق باللاتينية : جيزوز . فلذلك ينطق بالانكليزية : جيسوس . وباليونانية : ياسوس . وعند نصارى العرب : يسوع .

ومأزق النصرانية في تحديد شخصية المنتظر ، يتمثَّل في أن النصارى يتخذون من العهد القديم مصدراً أساسياً لهم . وهو كتاب اليهود الذين لا يؤمنون بعيسى عليه السلام ولا يصدقون بنبوته ، فضلاً عن الإيمان بعودته . بل يجعلون المسيح المنتظر مسيحاً مَلِكاً من آل داود منهم لم يأت بعد .

ومع ذلك يتغافل النصارى عن هذا الفرق الجوهري ، ويحاولون جاهدين تقديم صيغةٍ تلفيقيةٍ توفيقيةٍ بزعمهم[١] .

ويحاول رجال الكنيسة كذلك الإفلات من هذ المأزق الخطر بتجنب تقديم تفسيراتٍ حرفيةٍ لنصوص العهد القديم .

---

(١) انظر : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٥٧ / ٤٣٨ - ٤٣٩) . والمسيح المنتظر ونهاية العالم - لعبد الوهاب طويلة (١٦٨) .

المقصد الثاني : موعد ظهور المنتظر .

الموعد المترقب عند النصارى لظهور المنتظر ، رغم وضوح الإنجيل في نفي تحديد موعدٍ لساعة قدومه ، يستلهمونه مما عند اليهود . ذلك أن اليهود يقررون في كتبهم أن مدة عذابهم وشتاتهم ستدوم ألفي عام . ثم يجيء مسيحهم المنتظر[١] .

وجاء النصارى فأخذوا بهذه الفكرة وتبنّوها ، وكان أشد احتمالات مواعيد ظهور المنتظر عندهم قوةً وأكثرها رجاءً ، ما شهدناه بناءً على ذلك من توقعاتهم في أواخر ألفيتهم الثانية في رمضان ١٤٢٠ هـ .

وسنناقش ونورد مقولاتهم وادعاءاتهم في هذا الشأن في موضعٍ لاحق عند الكلام عن المواعيد الكاذبة التي ذكروها لمجيء المنتظر .

أما نصوصهم الدينية الأصلية : فقد سبق وأن ذكرنا في المبحث السابق أنها تنفي بالمرة وجود موعدٍ محدد لعودة المنتظر ، وأن ذلك أمرٌ لا يعلمه إلا الله وحده .

(١) المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٣٨ / ٦١) .

المقصد الثالث : مكان نزول المنتظر .

مكان نزول المنتظر عندهم هو : القدس ، يقولون : سينزل في القدس ، وسيظهر عند البوابة الشرقية (الباب الذهبي) في القدس القديمة ، وسيمارس دعوته من الهيكل ، ولهذا يحرص النصارى - كاليهود تماماً - على إعادة إنشاء الهيكل[1] .

ونزول عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان مما يتفق عليه - على هذا - المسلمون والنصارى . لكنهم يفترقون في مكان النزول . فالمسلمون على أنه سينزل في دمشق (في تفصيلٍ سنراه لاحقاً) .

أما النصارى فقرَّروا أنه سينزل في القدس .

(١) انظر : النبوءة والسياسة - غريس هالسل - ترجمة : محمد السَّمَّاك (٣٤) . وانظر كذلك كتاب : حُمَّى سنة ٢٠٠٠ م / لعبد العزيز مصطفى كامل (٨٤ / ٢٣٨) .

المقصد الرابع : أقوالهم في النزول ، والعودة المنتظرة .

الذي في نصوصهم المعتمدة : أن لهم في العودة قولان ، وفي النزول رأيان :

الأول : عودةٌ للمُلْك حسب دعواهم، أو نزولٌ كالنزول الذي يذكره المسلمون، نزولٌ لنصرة الحق وقتال الدجال وقتله .

الثاني : عودةٌ للدينونة أي حساب الخلق حسب دعواهم . أي ينزل للحساب عند نهاية الدنيا ، أو بعبارتهم في يوم الرب الأخير (اليوم الآخر) .

ولو طلبنا الشواهد على هذين القولين من أناجيلهم المعتمدة لوجدناها حاضرةً صريحة العبارة .

أما العودة للملك ففي إنجيل مرقس : « سوف يُبصرون ابن الإنسان آتياً في السحب بقدرةٍ عظيمةٍ ومجد . فيرسل عندئذٍ ملائكته ويجمع مختاريه من الجهات الأربع »[١] . وجاء بيان ذلك وتفصيله في سفر الرؤيا ليوحنا حيث قال : « ملكوا مع المسيح ألف سنة » أي المؤمنين بالمسيح ممن قاموا من الموت . وقال أيضاً : « يكونون كهنةً لله والمسيح ، ويملكون معه ألف سنة »[٢] .

وأما العودة للدينونة فقد جاءت بعبارةٍ بالغة الوضوح في متى ، يقول : « عندما يعود ابن الإنسان ... يجلس على عرش مجده ، وتجتمع أمامه الشعوب كلها ، فيفصل بعضهم عن بعض ... عن يمينه و... عن يساره ، ثم يقول .... للذين عن يمينه : تعالوا يا من باركهم أبي ، رِثُوا الملكوت الذي أُعِدَّ لكم منذ إنشاء العالم .... ، ثم يقول للذين عن يساره: ابتعدوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدَّة لإبليس وأعوانه. ... فيذهب هؤلاء إلى العقاب الأبدي ، والأبرارُ إلى الحياة الأبدية »[٣] .

---

(١) مرقس (١٣ : ٢٦ - ٢٧) .

(٢) الرؤيا (٢٠ : ٤ / ٦) .

(٣) متى (٢٥ : ٣١ - ٤٦) .

ولقد كانت عبارة الشهرستاني دقيقةً حين ذكر مقالاتهم رغم إيجازه . فقال : « لهم في النزول اختلاف . فمنهم من يقول : ينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام . ومنهم من يقول : لا نزول له إلا يوم الحساب »[1] .

لكن ربما أمكن أن يقال : إنهم يقررون أنه ينزل مرتين ، فله على هذا نزولان . نزولٌ أول لنصرة أتباعه وإهلاك الدجال ، ثم يملك بعدئذٍ ألف سنة .

ونزول ثانٍ بعد ذلك للدينونة . غير أن ذلك يستلزم صعوداً ثانياً لينزل بعدئذٍ .

(١) الملل والنحل للشهرستاني (٢٢٢) .

المقصد الخامس : خلافهم في المُلْك الأَلْفي .

اختلفوا في المُلْك الأَلْفي (ملك المسيح ألف سنة) الذي ذكره يوحنا في سفر الرؤيا : هل يكون ملكاً أرضياً ظاهرياً ؟ أم روحانياً معنوياً سماوياً ؟ وهل المقصود بالملك الألفي : المسيح بشخصه وجسده ؟ أم أن المراد بالملك والمقصود به : كنيسته في الأرض ؟ وهل يعود في أول الألفية ؟ أم في آخرها ؟

وحاصل مقالاتهم حول ذلك كله ثلاثة أقوال :

القول الأول : قول القائلين بالعودة في أول الألفية . وإقامة الملك الألفي السعيد الذي يقف على رأسه : المسيح عيسى عليه السلام بشخصه وجسده بعد نزوله من السماء . ويكون ذلك الملك ملكاً أرضياً ظاهرياً . أخذاً بالتفسير الحرفي لنصوص سفر الرؤيا .

ويُسمَّى هؤلاء المعتقدون مجيء المسيح مرةً ثانيةً قبل الألف سنة : سابقو الألف سنة . ويعتقد هؤلاء أن المسيح عليه السلام سيحكم العالم كله من أورشليم مدة ألف سنة . وفي نهاية الألفية تندلع الملحمة الكبرى (هرمجدون) بين المسيح المنتظر وبين أتباع الشيطان (الأشرار) وينتصر المسيح على الشيطان وجموع الأشرار . ويُدمَّر العالم في تلك الملحمة ، ويدين عيسى الناس (أي يحاسبهم) وينطلق مع أتباعه المؤمنين به إلى سماءٍ وأرضٍ جديدة .

ويُرتِّبون حوادث العودة على النحو التالي : المجيء / الخطف / النزول / إقامة الملك الألفي / انتهاء الألفية / هرمجدون / نهاية العالم / الدينونة .

وهي مقالة كثيرٍ من البروتستانت وبعض الأرثوذكس . أخذاً منهم بالتفسيرات الحرفية لنصوص العهد الجديد في هذا الشأن[1] .

---

(١) انظر : التفسير التطبيقي (٩٣٦) حقائق أساسية (٣٠٣ - ٣٠٤) البشارة للسقا (٢ : ٦٣ - ٦٤) واليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام (١١٤ - ١١٥) والأصولية الإنجيلية للهذلول (٨٤) .

القول الثاني : العودة بعد ألفيةٍ سعيدةٍ للكنيسة . أي أن المسيح عيسى عليه السلام سينزل من السماء بشخصه وجسده بعد الألف سنة لا قبلها .

يقولون بحلول « فترة ألف سنة من السلام للكنيسة على الأرض . وبعد هذه الألف سنة ... يجيء المسيح ثانية . ... ليملك إلى الأبد »[١] .

ويُسمَّى هؤلاء المعتقدون مجيء المسيح ثانيةً بعد الألف سنة : لاحقو الألف سنة[٢] .

القول الثالث : القول بالملك المعنوي الروحي (اللا ألفية) :

يقولون إن الملك الألفي هو ملكٌ معنوي للمسيح داخل قلوب المؤمنين به . وفي كنيسته . وأن (الألف سنة) رمزٌ للفترة ما بين صعود المسيح إلى السماء ومجيئه .

قالوا : لأن ملكوت المسيح روحي لا جسدي أرضي[٣] . ذلك أن المسيح عيسى عليه السلام في مجيئه الأول كان قد رفض الملك الأرضي حين عرضه عليه إبليس . ففي إنجيل متى أن إبليس أخذ المسيح إلى قمة جبلٍ عالٍ جداً . وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها ، وقال له : « أعطيك هذه كلها » فرفض عيسى ذلك رفضا قاطعاً . وفي يوحنا أن عيسى قال لبيلاطس لَمَّا حوكم : « ليست مملكتي من هذا العالم »[٤] .

يقول أحدهم : « الذين يتصورون أن ملكوت السماوات معناه ... هلاك الأشرار ، وبقاء الأبرار ألف سنة تحت حكم المسيح جسدياً في أورشليم ، يخالفون .. الكتاب المقدس » ... « وكثيرون يخطئون فهم هذه الفكرة ، ويتصورون أن جلوس المسيح على كرسي دواد ، معناه أن يأتي يسوع مرةً ثانيةً ويملك بالجسد على عرشٍ

(١) التفسير التطبيقي (٩٣٦) .

(٢) انظر : حقائق أساسية (٣٠٣ - ٣٠٤) .

(٣) التفسير التطبيقي (٩٣٦) وحقائق أساسية (٢٨٠) .

(٤) متى (٤ : ٨ - ١٠) ويوحنا (١٨ : ٣٦) .

جسـدي في مدينـةٍ ماديـةٍ هـي أورشـليم مدينـة داود ، في أرض فلسـطين . (و) هــذا التصور غير صحيح إطلاقاً ، وينافي تعليم الكتاب المقدس »[١] .

فالملك الألفي على قول هؤلاء روحي سماوي ، لا أرضي ظاهري جسدي .

ويؤولون ما ورد من ألفاظ النصوص حول الملك بأن المراد بذلك : تحـوُّل النفـس إلى الإيمـان / أو حلـول الـروح القـدس يـوم الخمسـين في الكنيسـة (مملكـة المسـيح الأرضية) بعد رفع المسـيح / أو خـراب أورشـليم وتدميرهـا سـنة ٧٠ م / أو انتشـار الإنجيل ودعوة المسيح في كل العالم وتحول العالم إلى المسيحية وإيمانه بـهـا / أو انتصـار الخير على الشر والأبرار على الأشرار / وهو المشهور عـن الكـاثوليك . وطائفـة قليلـةٍ من البروتستانت[٢] .

وبتحقـق المجـيء الأول للمسـيح ، قـامت مملكـة الله علـى الأرض ممثَّلـةً بالكنيسـة الكاثوليكية . والمجيء الثاني للمسيح المنتظـر سـيحصل ، لا لإقامـة مملكـةٍ ماديـةٍ علـى الأرض ، بل لخطف أتباعه ومحبيه ، وتخليصـهـم إلى السـماء ليقيـم فيـه مملكتـه الأبديـة لهم[٣] .

والحاصل بعد كل هذا . أن كل الطوائف أصحاب المقـالات الثـلاث ، بـل كـل النصارى . مجمعون على المجيء الثاني للمسيح عيسى عليه السلام[٤] . وليس ذلك محل اختلافٍ بينهم .

وإنما الخلاف بينهم في الغاية من المجيء : هل يكون للملك ؟ أم للدينونـة ؟ (أي لحساب العباد) فحسب .

---

(١) حقائق أساسية - للقس : فايز فارس (٢٨٢ - ٢٨٣) .

(٢) انظر : الأصولية الإنجيلية - صالح الهذلول (٥٢) و(٨٤) والبشارة للسقا (٢ : ٦٤ / ٦٦) .

(٣) انظر : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٦٢) .

(٤) انظر : التفسير التطبيقي للعهد الجديد (٩٣٦) .

ثم مَنْ قال منهم بالمُلْك الأَلْفي . اختلفوا : هل هو أرضي ؟ أم سماوي ؟

واختلف القائلون منهم بالملك الأرضي على موعد العودة : هل يكون في أول الألفية ؟ أم في آخرها ؟

وأشهر أقوال النصارى بإطلاق في هذه المسائل كلها : قول من قال بالمجيء الثاني للمسيح في أول الألفية . من أجل إقامة مُلْكٍ أرضي يدوم ألف سنة .

وقد أوهم اختلافهم هذا بعض الباحثين[1] . فظن اختلافهم في الملك الألفي . اختلافاً حول المجيء الثاني : هل يجيء أم لا يجيء ؟ وما هذا محل اختلاف .

بل الاعتقاد بذلك ركنٌ من أركان العقيدة النصرانية عند كل الطوائف .

(١) انظر على سبيل المثال : الأصولية الإنجيلية - صالح الهذلول (٥٢ / ٨٤) . والبشارة للسقا (٢ : ٦٤).

المقصد السادس : الخطف .

حين يصل المسيح المنتظر باعتقادهم في خضم هذه المعركة المشتعلة ، فإنه لا ينزل إلى الأرض الملغومة بالحروب والفناء مباشرة . ولكنه يتوقَّف في الهواء أو السحاب . ومن ثمَّ يستدعي أتباعه ومحبيه من المؤمنين به ليصعدوا إليه على متن السحب ، استنقاذاً لهم من هول تلك المعركة المدمرة وشرورها. ولا يقتصر الإنقاذ هذا على الأحياء فحسب، بل يشمل الأموات في قبورهم . إذ سيسبق إنقاذ الأحياء : قيامةُ الأموات المؤمنين بالمسيح من قبورهم . وصعودهم إلى السماء حيث المسيح ، ومن ثمَّ يرتفع بعدهم الأحياء المخلَّصون من المؤمنين بالمسيح .

وحاصل الأمرين هو ما يُطلقون عليه مصطلح : الخطف .

ولتفصيل الكلام في ذلك . نقول : انطلق اعتقاد النصارى بهذا الذي يُسمُّونه الخطف ، ويجزمون بوقوعه ، من عباراتٍ لبولس في إحدى رسائله التي يقول فيها : « الرب (يقصد عيسى عليه السلام) .. سينزل من السماء ... عندئذٍ يقوم الأموات في المسيح أولاً . ثم إننا نحن الباقين أحياءً ، نختطف جميعاً في السحب للاجتماع بالرب في الهواء »[1] .

وواضحٌ من النص أن بولس كان يظن أن ذلك الخطف سيكون من نصيبه هو ورفاق دربه المضطهدين آنذاك . فكان يُقدِّم هذه الأمنية لأتباعه تخفيفاً لآلامهم . وفيما بعد انتقلت هذه العقيدة الأمنية من جيلٍ إلى جيل ، دون مراعاة ظروف النص وواقعه الذي كُتب فيه . ثم رُبط بين هذا الاعتقاد وبين معركة هرمجدون في إطار المجيء الثاني وترقبه . وما كان النص - كما يبدو من ظاهره - يشير إلى ذلك أو يتعلق به . وعلى هذا النص المحدد ، بنى النصارى اعتقادهم في الخطف .

---

(١) الرسالة الأولى إلى مؤمني تسالونيكي (٤ : ١٦ - ١٧) .

ولهم في هذا المعتقد مقالات مختلفة .

١ - فالظاهر من مقالات عموم النصارى . أنهم يعتقدون أن ذلك الخطف سيكون لكل المؤمنين بالمسيح حينها . ولمن سبقهم من أموات المؤمنين منهم به .

كما دل على ذلك ظاهر نص بولس . وعلى هذا فليس لذلك الخطف عددٌ محدد . وبتركيب ذلك على الواقع الحاضر سيكون الخطف من نصيب مئات الملايين من النصارى المؤمنين بالمسيح والمعتقدين بالخطف والمجيء الثاني. الأحياء منهم والأموات .

وسيرتفع هؤلاء عن الأرض لملاقاة المسيح في الهواء ، تحقيقاً لذلك الخطف المزعوم .

٢ - وانفرد النصارى الإنجيليون بمقالةٍ ، يعتقدون فيها أن هذا الخطف سيكون من نصيبهم هم دون غيرهم من فرق النصارى . فالخلاص في اعتقادهم من هذه المحنة لا يكون إلا للنصراني المولود ثانيةً[١] . (أي المعمداني الإنجيلي الأصولي) . لكنهم في مقالتهم هذه كسابقيهم لم يذكروا عدداً محدداً للمخطوفين . وسيكون على هذا عدد المخطوفين بعشرات الملايين ، من الأصوليين الأحياء منهم والميتين .

٣ - وثَمَّة مقالةٌ ثالثةٌ في هذا الشأن تُنسب لبعض الأصوليين منهم . يقررون فيها أن عدد المخطوفين سيكون بالتحديد مئةً وأربعةً وأربعين ألفاً من اليهود المتنصرين . ومئةً وأربعةً وأربعين ألفاً من النصارى المتبتلين (العزاب الذين لم يتنجسوا مع النساء باعتقادهم)[٢] .

يأخذون ذلك مما ورد في سفر الرؤيا : حين يقول « ثم رأيت حَمَلاً واقفاً على جبل صهيون ومعه مئةٌ وأربعةٌ وأربعون ألفاً » ثم وصفهم بأنهم « المشتَرَوْنَ من الأرض » .. الذين « لم يُنجِّسوا أنفسهم مع النساء لأنهم أطهار .... لم تنطق أفواههم بالكذب ، ولا عيب فيهم »[٣] .

---

(١) النبوءة والسياسة (٥٠) .

(٢) المسيحية والتوراة (٢٥٠) .

(٣) سفر الرؤيا (١٤ : ١ - ٥) .

وفي موضعٍ آخر ذكر أن عدد المختومين من بني إسرائيل سيكون أيضاً « مئةً وأربعةً وأربعين ألفاً » من جميع أسباط بني إسرائيل[١] .

لكنَّ هؤلاء الأصوليين وضعوا شرطاً لهؤلاء حتى يدخلوا في عداد المختومين : هو أن ينتقلوا من ديانتهم اليهودية إذا جاء المسيح إلى الإيمان بالنصرانية . وعدد المهتدين من هؤلاء بنظرهم لن يتجاوز هذا الرقم المنصوص عليه .

وقد حصر هؤلاء المتنطعون من مفسري الأصولية أنفس النصارى بتحديدهم هذا العدد الزهيد جداً للناجين المخلَّصين المختطَفين . ولذا كان لابد من وجود مقالاتٍ أخرى تفتح أبواب السماء لملايين المنتظِرين .

وصفة الخطف بعد كل ذلك في اعتقاد الجميع هي : أن يجيء المسيح . لكن دون أن ينزل إلى الأرض . وَمِنْ فوق السحب يستدعي أتباعه المؤمنين به ، الأموات بعد قيامهم ، والأحياء من أتباعه . فيرفعهم بأجسادهم إليه رفعاً مادياً ليلتقوا به في الهواء .

وهناك فوق السحاب ، سيبقون في أمانٍ ، بعيداً عن الحرب وكوارثها ، هادئي البال ، مطمئني الخواطر ، ينظرون من علٍ إلى ما يقع على سطح هذه البسيطة من دمارٍ هائل ، وما يحلّ بكل تلك القوى المعادية للمسيح في نظرهم من عذابٍ أليم وأذىً عظيم ، دون أن يصيبهم شيء من ذلك الأذى ، أو يواجهوا شيئاً من المعاناة التي تجري تحتهم. ودون أن يقلقوا على مصير هذه الأرض التي تتعرض للدمار والخراب . ذلك أنهم بعد نهاية المعركة سيعودون مع المسيح بعد انتصار الخير على الشر ، والمسيح على أعدائه ، ليملكوا معه الألف سنة المذكورة في كتبهم ، لا على

---

(١) سفر الرؤيا (٧ : ٤) .

هذه الأرض المدمَّرة[١] ، بل على أرضٍ جديدة وتحت ظل سمـاءٍ جديـدة . حسـب مـا ورد في سفر الرؤيا[٢] .

إذن فلتذهـب هـذه الأرض الحـاضرة إلى الجحيـم . وَلْتتكـدَّس الأسـلحة النوويـة القادرة على تدميرها عشرات المرات ، دون أن تهتز شعرةٌ من شعر رأس فاعل ذلك ، أو يرفَّ له جفن . فالهاوية المحتومة فاغرةٌ فاها تترقب حلول الساعة القريبة الـتي يُـؤذن لها فيها بابتلاع الكون .

ثم ما الذي يمنع بعدئذٍ من : إيقاع أكبر قدرٍ ممكن من الأذى ببيئة هـذا الكـون ، أو طبيعته ، أو سكانه ، بشراً كانوا أم غيرهم . من أجل تحقيق منفعةٍ عاجلة . مـا دام أن النهاية قد أوشكت . والبديل موجود . فلم البخل ؟ و لم التردد ؟ والأمريكي مولعٌ بطبعه بحب التغيير . وقد أزمع أن يُغيِّر كوكبه الأرضي . فما المانع ؟[٣] .

---

(١) انظـر : النبـوءة والسياسـة (١٣ - ١٤ / ٤٥) والمسـيحية والتـوراة (٣٧٠ / ٣٩٣ / ٣٩٨) والسماك (٨٠ - ٨١) .

(٢) سفر الرؤيا (٢١ : ١) .

(٣) تردد هذا المبدأ في الثمانينات الميلادية من القرن العشرين على ألسنة عددٍ من المسئولين الأمريكيين . رغم كل التحضر والتقدم والموارد الهائلة والتخطيط للمستقبل البعيد جداً قبل القريب . طالع : غريس هالسل (١٤ / ٥٤) .

المقصد السابع : ألفية السلام .

إذا قضي على الدجال ، وكُتبت نهاية أعداء المسيح جملةً وتفصيلاً .

أقام المسيح المنتظر في التصور النصراني مُلْكاً ألْفياً (أي يدوم ألف سنة) له ولأتباعه ومحبيه المؤمنين به . ونعموا في هذا الملك الأَلْفي بكل ما يخطر على البال وما لا يخطر من صنوف السعادة والهناء والنعيم ، وانتفاء ما يضاد ذلك من الشقاء والحروب والقلاقل والفقر والكوارث .

والذي نحب أن نتطرق إليه في هذا المطلب ، ليس وصف ذلك الملك ، وسرد عجائبه ، وإنما نريد أن نشير فيه إلى : مبدأ (أو جذور) الاعتقاد بألفيةٍ ثالثة تكون ألفية السلام .

مبدأ الاعتقاد بألفيةٍ ثالثة تكون ألفية السلام

يعتقد النصارى . والأصوليون منهم على الأخص . أن الألفية الميلادية الثالثة الداخلة ستكون هي ألفية السلام المنشودة . التي يُتوقع ظهور المنتظر في أولها . أو آخرها . حسب اعتقاد كل فريق .

وقد ظهر هذا المعتقد وآثاره والاستعداد له بجلاء واضح وتام ، عند وداع العام ١٩٩٩ م . ودخول العام ٢٠٠٠ م .

وأجمعت كل طوائف النصارى على الاحتفاء والاحتفال بهذا التوقيت . والمبالغة في ذلك . وترقب أمرٍ ما من وراء ذلك . إما ظهور المنتظر عنوةً وفجأةً . أو حدوث كارثةٍ على شاكلة هرمجدون . هي هرمجدون أو غيرها . تُفضي إلى نهاية العالم أو لا تفضي .

وكان الفزع المبالغ فيه من مشكلة الصفرين في الحاسبات الآلية ماضياً في هذا السياق .

وما أن انتصفت ليلة رأس السنة الجديدة . حتى تبخرت كل تلك المخاوف . واندلعت الاحتفالات في كل أرجاء العالم النصراني في عنفوانٍ بالغٍ ، رافقه ترقبٌ وتوجسٌ ووجل . من حدوث أمرٍ ما ، يقلب دنيا اليوم رأساً على عقب . ولذلك بادرت مجموعاتٌ هنا وهناك إلى : الانتحار / أو تخزين مستلزمات العيش بكمياتٍ هائلة / أو إطلاق العنان للتخيلات الجامحة في هذا الباب وإطلاق صيحات التحذير من ذلك كله ما بين الحين والآخر / . فمن أين جاء كل ذلك الاعتقاد الذي دفع من قوة تجذره في صميم قلوب كثيرين إلى المغامرة بإنهاء حياتهم على سبيل المثال ، تخوفاً من مقابلة ذلك الوقت أو الوصول إليه .

الجواب : أن الاعتقاد بألفيةٍ سعيدة للكنيسة منصوصٌ عليه في العهد الجديد في سفر الرؤيا .

فألفية السلام في التصور النصراني لا تأتي هكذا مجردةً غير مسبوقةٍ بحوادث معينة . لكنها تأتي بعد أن يمتلأ هذا الكون بفتنٍ وويلات وكوارث تصيب ببلائها كل بني البشر ، ويُختتم ذلك العناء بأكبر كارثةٍ عرفها تاريخ البشرية ، هي كارثة « هرمجدون » . وباختتامها ينتهي فصل الرعب الأعظم في هذا الكون . وتنطلق بعد كل هذا الحزن والعناء ، والألم والفناء ، مسيرة الألفية السعيدة . ألفية السلام .

لكنْ ليس في الإنجيل ولا في العهد الجديد كله ، تحديدٌ لموعد الكارثة العظيمة « هرمجدون » . ولا تاريخٌ لزمان الألفية السعيدة .

وكل ما فيه : ذكر علاماتٍ تسبق حلول الكارثة العظمى فحسب ، متى تحققت جميعها ، أمكن حينئذٍ تحقق وقوع الكارثة .

فمن أين جاء النصارى باعتقاد أن هذه الألفية الثالثة الميلادية الداخلة ستكون ألفية السلام ؟ وعلى أي أساسٍ بنوا أسطورة العام ٢٠٠٠ م ؟ وملأوا الدنيا حديثاً في السنين السابقة لهذا الموعد عن نهاية العالم ، وعن كارثة ١٩٩٩ م ، وترقب مفاجآت العام ٢٠٠٠ م ، وأصدروا في ذلك من الكتابات الكثيرة المثيرة من شاكلة : كوكب الأرض المرحوم ، أو المأسوف عليه .

الجواب : مبدأ اعتقاد النصارى بذلك مأخوذٌ مما عند اليهود جملةً وتفصيلاً . إذ ليس في العهد الجديد أي إشارةٍ إلى مثل ذلك البتة . وكل ما جاء به النصارى في هذا الباب ، فهو مأخوذٌ من اليهود وتفسيراتهم للعهد القديم .

فالتقويم العبري يقرر أن مولد عيسى عليه السلام وافق نهاية الألف الرابعة من بدء الخليقة ، وعمر الدنيا في اعتقادهم أسبوعٌ إلهي ، أي سبعة آلاف سنة ، فاليوم الإلهي كألف سنة بحساب البشر ، وهو موافقٌ في هذه الجزئية فحسب ، لِمَا عند المسلمين . يقول تعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[1] .

يقول اليهود : إن ستة أيام من ذلك الأسبوع الإلهي ، أي ستة آلاف سنة بحسابنا نحن البشر ، تنقضي في العناء والشقاء . ثم يأتي اليوم السابع (أي الألف السابعة) كما يأتي يوم السبت (يوم الإجازة الأسبوعية عند اليهود) للراحة والسكينة . وأن الألف السابعة في تاريخ البشرية ، ستكون هي فترة الراحة والسكينة والخير والسلام والسعادة قبل فناء العالم .

---

(١) سورة الحج – جزء من الآية رقم (٤٧) .

ومنهم أخذ النصارى الغربيون هذا التصور للألفية السعيدة ، وتحديد زمن تلك الألفية ، بأنها ستكون الألفية الميلادية الثالثة ، لأنها الموافقة للألفية السابعة - ألفية السلام ويوم الراحة - حسب التقويم العبري[١] .

فمن ثَمَّ اعتقد النصارى أن منتظرهم عيسى عليه السلام سيعود في أول تلك الألفية السعيدة ، وإن لم يعد في أولها عاد في آخرها على قول الفريق الثاني .

فالألف السابع إذاً هو الألفية الميلادية الثالثة . وهو ألفية السلام . وألفية عودة المنتظر . وألفية النهاية ، نهاية العالم . أو « الألف .. الذي يُنهي كل شيء »[٢] .

والفرق بين الفريقين فيه : أن اليهود يرون في تلك الألفية بالنسبة لهم ، عصر العلو الكبير والسيطرة الكاملة والعودة الجماعية لأرض الميعاد . وَسَيُتوَّج ذلك في اعتقادهم بمقدم آخر أنبيائهم ، ومسيحهم المنتظر ، الملك ابن داود .

والنصارى يرون فيه عصر الخلاص العالمي ، والتعميد الأممي ، وعودة المسيح المنتظر[٣] .

(١) انظر : المسيح - للعقاد (٥١) .

(٢) نبوءات نوسترادموس (٩٤) .

(٣) انظر : حمى سنة ألفين (٩ / ٥٥) .

المطلب الثالث

النهاية

يشمل هذا العنوان بسعته كل النهايات ، فلذا سنجد حديثاً فيه عن :

نهاية المعركة (هرمجدون) .

ونهاية الدجال قائد المعركة من جانب الأشرار .

ونهاية إسرائيل (النبوءة العلامة ، والوعد المتحقق) .

ونهاية العالم كذلك .

ذلك أنهم لا يتصورون عالماً بدون إسرائيل ، وإذا ما حاول أحدٌ اقتلاع إسرائيل ورميها في البحر ، اندلعت هرمجدون ، وإذا اندلعت هرمجدون ، لم تُبقِ ولَمْ تذرْ ، وجاء المنتظر، فقتل الدجال ، ونقل المنتظر أحبابه وأتباعه ، إلى سماءٍ وأرضٍ جديدتين . بعد أن كُتب على ذلك الكوكب الأرضي الملوَّث القديم ، الفناء والخراب والدمار ، حين اصطرعت فيه الملايين المملينة من جيوش الدجال وأعوانه من جميع العالم ، ضد جيوش الخير . فخرَّ بينهما الكوكب « المأسوف عليه » صريعاً .

ولذا سنتناول كل نهايةٍ من هذه النهايات بلمحةٍ موجزةٍ استكمالاً للحديث عن الموضوع .

أ – نهاية المعركة :

يظهر المسيح المنتظر فوق ميدان المعركة – حسب اعتقاد النصارى – فترجح كفة أتباعه ، ويُرفعون إلى حيث هو في السحاب (الخطف) ، ويحيق بالجيوش المعادية دمارٌ ساحقٌ لا مثيل له . وتُكتب نهايتهم الأبدية فوق تلك الأرض المخضبة بالدماء ، بل الغارقة تحت بحارٍ من الدماء (ترتفع الدماء إلى مستوى لُجُم الخيل مسافة ثلثمائة وعشرين كيلومتراً حسب وصف يوحنا في سفر الرؤيا)[١] .

وبذلك ، تضع الحرب أوزارها . ويُسفر ميدان المعركة عن جيشٍ معادٍ ضخم العدد هائل العدّة ، قد سُحِق ودمِّر بالكامل . (هو جيش الأشرار التابعين للدجال المعادين لإسرائيل) .

وجيشٍ خاض الحرب ثم غادرها ، وانتصر مِنْ فوق السحب ، بعد أن أنزل بخصومه كارثةً نوويةً ، لم تعرف لها البشرية نظيراً في تاريخها .

مُقرِّراً بتلك الخطوة غير المسبوقة ، والضربة النووية غير الملحوقة ، نهاية المعركة ، بل نهاية المنطقة ونهاية إسرائيل ، بل نهاية العالم كله .

---

(١) سفر الرؤيا (١٤ : ٢٠) .

ب – نهاية الدجال :

الدجال قائد معسكر الأشرار .

والنهاية المأساوية الدموية للدجال في اعتقاد النصارى محتومة محسومة ، وستكون على يدي المسيح المنتظر عيسى عليه السلام . فهم بهذا يوافقون المسلمين في اعتقاد نهاية الدجال ، أو القضاء على الدجال ، على يدي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

لكنهم يفارقون المسلمين في وصف تلك النهاية وتفاصيلها . أما نتيجتها ، فالفريقان متفقان على أن عيسى يقتل الدجال .

ويأتي تصورهم لتلك النهاية ، مأخوذاً برمّته من كلام يوحنا في سفر الرؤيا .

حيث يقرر السفر أن الدجال سيقبض عليه ، وأنه سيطرح حيّاً في « بحيرة النار والكبريت المتّقدة »[١] .

وبذلك تنتهي هذه القصة إلى الأبد .

---

(١) سفر الرؤيا (١٩ : ٢٠) .

جـ – نهاية إسرائيل :

قُبض على الدجال . وطرح في النار . وانتهت المعركة – حسب التصور النصراني – بظفر المنتظر وأتباعه المخطوفين من فوق هام السحب .

وحسب التصور النصراني أو الإنجيلي الأصولي المعاصر . فإن هرمجدون ستكون معركةً نووية . والأوصاف التي يستعيرونها لتلك المعركة من « العهد القديم »[1] تؤكد ذلك .

وهم كذلك يعتقدون أن ثلثي اليهود سيقتلون ، والثلث الآخر سيعتنقون النصرانية[2] . كذا يُؤمِّلون .

فهل يعني هذا الاعتقاد ، أو يحمل هذا التصور ، في مضمونه – وإن كان ذلك من طرفٍ خفي – إعلاناً مستتراً عن نهاية الحضارة والديانة اليهودية إلى الأبد . وتصريحاً غير مباشر بزوال إسرائيل دولةً وديانةً وكياناً ووجوداً وشعباً إلى غير رجعة ؟ هذا هو الذي يظهر من ذلك التصور الذي يقدمه الإنجيليون لتلك المعركة ونتائجها .

ويُدرك الإسرائيليون حقيقة هذا المأزق الذي يقع فيه حلفاؤهم في اليمين النصراني الجديد (الإنجيليون الأصوليون) . ولكنهم يُفضلون السكوت عن هذا ، وعدم التعليق عليه . والاهتمام باليوم الحاضر فحسب . ويتركون غداً لغده .

وحين يظهر المنتظر ، يمكنهم عندئذٍ أن يُقرروا ، فإن كان هو منتظرهم الملكِ ابن داود الذي سيملك العالم كله من أورشليم ، فلا حاجة بهم حينئذٍ لأحلافهم من اليمين النصراني المتشدد .

وإن لم يكن هو ، وخاب فألهم وأملهم . فلكل حادثٍ حديث . وساعتئذٍ . لا يكون مصيرهم مهماً إلى ذلك الحد . بعد أن ظلوا يترقبون منتظرهم آلاف السنين .

---

(١) انظر : حزقيال (٣٨ : ١٩ – ٢٢) (٣٩ : ٦ / ١٧ – ٢٠) وزكريا (١٤ : ١٢) .

(٢) يستخرجون ذلك مما ورد في : زكريا (١٣ : ٨ – ٩) .

فإذا به يظهر ، ولكن . لم يكن هو منتظرهم . بل منتظر غيرهم . بل عدوهم اللدود : المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

وحينئذٍ . فعلى الدنيا الهباء . ولا حاجة بهم إلى الاستعلاء والاستعداء ، والتبجح بأن المنتظر قادم . وليستعدّوا للذبح الأعظم . على يدي النبي الأكرم عيسى بن مريم ، أو يدخلوا في دينه .

هذا عن اليهود .

أما عن النصارى . فمع أنهم يأخذون تصورهم لهرمجدون مما في « حزقيال » و« زكريا » . إلا أننا لا نراهم ينظرون في بقية حديث « حزقيال » عن تلك المعركة ونتيجتها . وكأنما يصرفون النظر عن تلك التفصيلات مقدِّمين لها بديلاً هو « الملك الأَلْفي » .

أو أنهم يحملون تلك الأوصاف المطلقة على « شعب إسرائيل » وغنائمه ، من تلك المعركة ، ووصف ما يحدث من إحراق الأسلحة ، ودفن القتلى مدةً طويلة (دفن القتلى حسب حزقيال يستغرق سبعة أشهر ، وجرد السلاح والعتاد والغنائم والإفادة منها يستغرق سبع سنين)[1] على المسيح المنتظر عيسى عليه السلام وأتباعه . ويدخلون باب التأويل من أوسع أبوابه (وهم الحرفيون) كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية . ويقررون مثلها - هنا فجسب - أن المراد بإسرائيل : المسيح وكنيسته ، كل هذا من أجل أن يتواءم التصور الذي يقدمونه للنتيجة المترتبة على المعركة من مُلْكٍ أَلْفي ، وسيادةٍ للكنيسة وأتباع المسيح على كل الأرض . مع ذلك الذي يقدمه « حزقيال » في استكماله للحديث عن الملحمة : حين ذكر نتائجها .

وإذا صح للإسرائيليين أن يستنجدوا بـ« حزقيال » ، لِيُقدِّموا صورةً سعيدةً لنهاية تشريدهم وعذابهم .

---

(١) حزقيال (٣٩ : ٩ / ١٢) .

ولئن صح لحلفائهم من الأصوليين الإنجيليين أن يستعيروا نصوص « حزقيال » كذلك ، لتقديم نهايةٍ حالمةٍ كما يشتهون ويتمنون ، للصراع الديني على هذا الكون ، وليأخذوا ببعض نصوصه التي تخدم فكرتهم الهرمجدونية فحسب .

فإنه يجوز لنا كذلك أن نأخذ من نصوص « حزقيال » نفسه ، ما يدعم فكرتنا هذه حول نهاية إسرائيل[1] ، دون أن نتعداه إلى غيره من النصوص الإسلامية ، أو غيرها .

يقول « حزقيال » حول نهاية إسرائيل المنتظرة : « وأنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذي قد جاء يومه في زمان إثم النهاية . هكذا قال السيد الرب . انزع العمامة . ارفع التاج . ... حتى يأتي الذي له الحكم فأعطيه إياه »[2] . إلى أن قال : « أيتها المدينة السافكة الدم ... جعلتك عاراً للأمم وسخرةً لجميع الأراضي . القريبة إليك والبعيدة عنك ، يسخرون منك يا نجسة الاسم يا كثيرة الشَّغَب .... أنا الرب تكلمت وسأفعل . وأبددك بين الأمم وأذرّيك في الأراضي وأزيل نجاستك منك . وتتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم وتعلمين أني أنا الرب »[3] .

ثم جاء الوعيد الصريح بالنهاية المحتومة بعد الاجتماع المشئوم في القدس ، على الباطل لا على الحق . يقول حزقيال : « وكان إليَّ كلام الرب قائلاً . يا ابن آدم قد صار لي بيت إسرائيل زَغَلاً .... لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب . من حيث إنكم كلكم صرتم زَغَلاً فلذلك هأنذا أجمعكم في وسط أورشليم ، جمع فضةٍ ونحاسٍ وحديدٍ

---

(١) مع أن هذه الأسطر التالية ستكون خارجةً عن سياق مقولاتهم حول النهاية . إلا أننا أحببنا ألا نفصلها عن هذا السياق في هذا الحديث عن نهاية إسرائيل . وأن لا نعزلها بمفردها هناك في فصل المناقشة والنقد . لأنها في نهاية المطاف نصوصٌ إضافية من كتبهم هم تتحدث عن نهاية إسرائيل .

فأدرجناها هاهنا أثناء حديثهم هم واستدلالاتهم هم عن تلك النهاية . نُلقمهم بها حجراً ، ونبشرهم بنهايتهم المحتومة وعاقبتهم الوخيمة التي تحدثت بها كتبهم هم لا كتب غيرهم .

(٢) حزقيال (٢١ : ٢٥ - ٢٧) .

(٣) حزقيال (٢٢ : ٣ - ٥ / ١٤ - ١٦) .

ورصاصٍ وقصدير إلى وَسَط كُورٍ لنفخ النار عليها لسبكها ، كذلك أجمعكم بغضبي وسخطي وأطرحكم وأسبككم . فأجمعكم وأنفخ عليكم في نار غضبي فتُسبكون في وسطها . كما تُسبك الفضة في وَسَط الكُور ، كذلك تسبكون في وَسَطها فتعلمون أني أنا الرب سكبت سخطي عليكم »[1] .

ثم ختم نبوءته قائلاً : « وكان إليَّ كلام الرب قائلاً . يا ابن آدم قل لها أنت الأرض التي لم تطهر .... كهنتها خالفوا شريعتي ونجَّسوا أقداسي ...... رؤساؤها في وسطها كذئابٍ خاطفة خطفاً لسفك الدم ، لإهلاك النفوس ، لاكتساب كسب » إلى أن قال : « قال السيد الرب .... شعبُ الأرض ظلموا ظلماً وغصبوا غصباً واضطهدوا الفقير والمسكين وظلموا الغريب بغير الحق . وطلبت من بينهم رجلاً يبني جداراً ويقف في الثغر أمامي عن الأرض لكيلا أخربها فلم أجد . فسكبت سخطي عليهم . أفنيتهم بنار غضبي . جلبت طريقهم على رؤوسهم . يقول السيد الرب »[2] .

أترى هذا يكفيهم ؟ أم نزيدهم ؟

إذاً فانظر إلى ما هو أشد من ذلك في سفر التثنية . أي في توراة موسى عليه السلام حسب دعواهم . واستمع إلى تلك النهاية المفزعة المفجعة ، : « يجعل الرب مطر أرضِكَ غباراً وتراباً ينزل عليك من السماء حتى تهلك . يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك . في طريقٍ واحدةٍ تخرج عليهم وفي سبع طرقٍ تهرب أمامهم وتكون قَلِقاً في جميع ممالك الأرض . وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض »[3] .

أليست هذه هي النهاية الهرمجدونية التي يُنادون بها ؟ أليس هذا هو غبارها النووي ؟

(١) حزقيال (٢٢ : ١٧ - ٢٢) .

(٢) حزقيال (٢٢ : ٢٣ - ٣١) .

(٣) تثنية (٢٨ : ٢٤ - ٢٦) .

هاهو عهدهم القديم يُلصق تلك النهاية المرعبة بأحبائهم من بني إسرائيل . وهاهي توراة موسى عليه السلام على دعواهم هي التي تنسب تلك النهاية لمستحقيها من عصاة يهود .

أليس هذا بعجبٍ ؟ بلى ؟.

وإن أردت مزيداً فخذ المزيد مما في سفر التثنية - أيضاً - : « يجلب الرب عليكَ (والخطاب هنا موجَّةٌ لشعب إسرائيل) أمةً من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر ، أمةً لا تفهم لسانها . أمةً جافية الوجه لا تهاب الشيخ ولا تحنُّ إلى الولد . فتأكل ثمرة بهائمك وثمرة أرضك حتى تهلِك ولا تُبقي لك قمحاً ولا خمراً ولا زيتاً ولا نتاج بقرك ولا إناث غنمك حتى تُفنيك . وتحاصرك في جميع أبوابك حتى تهبط أسوارك الشامخة الحصينة التي أنت تثق بها في كل أرضك »[1] .

ويصل بنا سفر التثنية إلى مفترق الطرق فيقول : « وكما فرح الرب لكم ليُحسن إليكم ويُكثِّركم ، كذلك يفرح الرب لكم ليُفنيكم ويُهلككم فتُستأصلون من الأرض التي أنت داخلٌ إليها (يا موسى) لتمتلكها »[2] .

فالحكاية إذاً حكاية : إفناءٍ وهلاكٍ بالكليّة . وهو ما يؤكده لفظ استئصال اللاحق . وليس مجرد شتاتٍ كما حدث في المرة السابقة .

ويختتم سفر التثنية تلك النهاية بصورةٍ مأساوية . إنها عقدة النهاية في تلك الرواية ، أو فقل : نهاية النهاية .

---

(١) تثنية (٢٨ : ٤٩ - ٥٣) .

(٢) تثنية (٢٨ : ٦٣) .

« يردك الرب إلى مصر في سُفُنٍ ، في الطريق إلتي قلت لك لا تَعُدْ تراها فتُباعون هناك لأعدائك عبيداً وإماءً وليس مَنْ يشتري . هذه هي كلمات العهد الذي أمر الرب موسى أن يقطعه مع بني إسرائيل في أرض موآب (الأردن الأوسط) فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب »[1] .

وتنتهي بذلك فصول الرواية - حسب الرواية التوراتية والعهد القديم - .

وحينئذٍ سيذوقون الخزي الذي ما بعده خزي ، وسيلقون من الذل والهوان شيئاً ليس فوقه ذلٌ ولا هوان . وتنتهي بذلك الأسطورة العظمى والأكذوبة الكبرى ، وتدور دائرة هرمجدون على إسرائيل وأحباب إسرائيل .

فَلْيتعجلوها إنْ شاءوا ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ ﴾[2] . ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٤

---

(١) تثنية (٢٨ : ٦٨) .

(٢) سورة الشورى - جزء من الآية رقم (١٨) .

يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

ولنختتمْ حديث مصادرهم المقدسة عن نهاية إسرائيل بهذه النبوءة الواردة في حزقيال . تقول النبوءة : « هكذا قال السيد الرب . هذه أورشليم . في وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضي . فخالفتْ أحكامي .. وفرائضي .... » « لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب . من أجل أنكم ضَجَجْتُمْ أكثرَ من الأمم التي حواليكم و لم تسلكوا في فرائضي و لم تعملوا حسب أحكامي ولا عملتم حسب أحكام الأمم التي حواليكم لذلك هكذا قال السيد الرب . ها إني أنا أيضاً عليكِ (يا إسرائيل) وسأجري في وسطِكِ أحكاماً أمام عيون الأمم وأفعل بك ما لم أفعلْ وما لنْ أفعل مثله بعدُ بسبب كل أرجاسك » .

وهي عبارةٌ واضحةٌ وضوح الشمس توحي بتلك النهاية المرتقبة بلا شك ولا ارتياب . ثم تقول النبوءة : « من أجل أنكِ قد نجستِ مقْدِسي ... بكل أرجاسك ...... ثلثك يموت بالوباء وبالجوع يفنون في وسطك ، وثلثٌ يسقط بالسيف من حولكِ ، وثلثٌ أذرِّيه في كل ريحٍ وأستلُّ سيفاً وراءهم . وإذا تمَّ غضبي وأحللت سخطي عليهم .. يعلمون أني أنا الرب .... » .

إلى أن قال : « وأجعلك خراباً وعاراً بين الأمم التي حواليك أمام عيني كل عابر . فتكونين عاراً ولعنةً وتأديباً ودَهَشاً للأمم التي حواليكِ إذا أجريتُ فيك أحكاماً بغضبٍ وبسخطٍ وبتوبيخاتٍ حامية . أنا الرب تكلمت . إذا أرسلت عليهم سهام الجوع الشريرة التي تكون للخراب التي أرسلها لخرابكم وأزيد الجوع عليكم وأُكسِّرُ لكم قوام الخبز ، وإذا أرسلت عليكم الجوع والوحوش الرديئة فتُثكلك ويعبر فيك الوبأ والدم وأجلب عليك سيفاً . أنا الرب تكلمت »[2] .

---

(١) سورة العنكبوت – الآيات (٥٣ / ٥٤ / ٥٥) .

(٢) حزقيال (٥ : ٥ – ١٧) .

وفي نبوءة دانيال تصريحٌ بأن تلك النبوءة بنهاية إسرائيل وخراب القدس ، ستتحقق بعد خروج المسيح الرئيس (أي المسيح المنتظر ، وهو أحد أسمائه عند اليهود كما بيَّنا ذلك فيما سبق) .

يقول دانيال : « من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع ، واثنان وستون أسبوعاً يعود ، ويُبنى سوقٌ وخليجٌ في ضيق الأزمنة . وبعد اثنين وستين أسبوعاً يُقطع المسيح .... وشعبُ رئيسٍ آتٍ يخرب المدينة والقدس »[١] .

وقد بيَّنا فيما مضى أن الأسبوع هنا يراد به عندهم سبع سنوات ، تشبيهاً لها بأيام الأسبوع ، وأما لفظ « يُقطع المسيح » فيشار به إلى نهاية ذلك المسيح المنتظر .

والذي يُفهم من النص على هذا ، أن مسيح اليهود المنتظر ، يُقتل أو يذبح ، وتُخرَّب القدس على إثر ذلك . وتحلُّ بذلك نهاية إسرائيل . فتكون نهايتهم بهذا مرتبطةً بظهور هذا المنتظر الذي ينتظرون .

فأي شؤمٍ أعظم من هذا . هذا كلام كتبهم هم عنه . لا كلام غيرهم عنه . وعن حلول نهايتهم بسبب خروجه .

هذا عن نهاية إسرائيل في كتبهم المقدسة[٢] .

---

(١) دانيال (٩ : ٢٥ - ٢٦) .

(٢) وفي تلمود بني إسرائيل قريبٌ من ذلك . فقد ذكر بعض الباحثين أن أحد الباحثين اليهود نقل عن التلمود نصاً بهذا الخصوص . وفيه أن الله أخذ عهداً على بني إسرائيل أن لا يذهبوا إلى الأرض المقدسة بطريق القهر والقوة والغلبة ، وأن لا يتخذوا ذلك سبيلاً لقطع مدة النفي وتقصيرها . وأنهم إن فعلوا ذلك استحقوا السحق والتدمير والإفناء ، هم ومن يعينهم على فعلهم ذلك (انظر : أمريكا وإسرائيل / للدواليبي / (٦٠ - ٦١ / ٩٨) .

أما نهاية إسرائيل في كتبهم غير المقدسة ففيها كلامٌ آخر.

تكون نهاية إسرائيل :

١ - إذا تخلَّتِ إسرائيل عن المناطق التي تحتلها (يقصدون الضفة الغربية وغيرها من الأراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ م ، وليس فلسطين كلها) أو فرَّطت في بوصةٍ واحدةٍ من تلك الأرض المملوكة للرب . وحينئذٍ سَيُدمِّر الله إسرائيل ، والولايات المتحدة أيضاً[١] . بحسب التصور الإنجيلي الأصولي. ولهذا يجب على أمريكا أن تحذر . وأن لا تغفل عن مصلحتها طرفة عين . حتى لا تتعرض للإفناء والتدمير والغضب الرباني في لمح البصر ، متى ما تخلَّت عن إسرائيل ، ودعم إسرائيل .

إنه المنطق الإنجيلي الأصولي ، منطق الابتزاز ، والاستفزاز .

٢ - إذا لم يطردوا كل سكان الأرض ، فسوف يستجلبون على رؤوسهم نقمة الرب .

٣ - إذا تقاعست عن استرداد ما ظل منها (أي أرض إسرائيل الكبرى) بأيدي الأغيار .. من النيل إلى الفرات .

وأن ذلك سيكون كفراً يجلب غضب الرب ونقمته[٢] .

٤ - الخطر القادم من الخارج ، ممثَّلاً في الإسلام . يقول شمعون بيريز رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ووزير خارجيتها لاحقاً : « لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه ، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يُغمد الإسلام سيفه إلى الأبد »[٣] .

---

(١) النبوءة والسياسة (١٧٢) وبول فندلي - مَنْ يجرؤ على الكلام (٣٩٥) والمسيحية والتوراة - شفيق مقار (٣٥٧) .

(٢) المسيحية والتوراة (٣٥٧ / ٣٦٠) .

(٣) بواسطة : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - الكيلاني (٢٠١) .

والحل كما يقولون هو : إجراء عملية غسيل دماغ للمسلمين[١] ، حتى يمكنهم قبول هذا الوضع ، ولا يتم ذلك إلا عن طريق أنظمةٍ علمانية تهتم بتجفيف المنابع الدينية ، أكثر مما تهتم بتجفيف مياه المجاري الساربة على وجه الطريق .

٥ - خطر الانهيار والتفتت يأتي من الداخل ، أكثر مما يأتي من الأعداء[٢] (الخارجيين) . (أي أن الصراع بين العلمانيين والمتدينين داخل إسرائيل هو الذي سيقضي عليها) .

٦ - وفي نبوءات نوسترادموس : « لا يعود اليهودي قيد الحياة لأنه لا يملك فن الحكم : لَمَّا كان ارتفع عالياً إلى السلطة هو وبنو عرقه ، سيتم الإجهاز على الجماعة التي تكره المسيح »[٣] .

وهي نبوءةٌ بالقضاء على هذا النفوذ اليهودي العالمي ، بعد أن يكون قد بلغ شأواً من العز والرفعة والمنعة لا يُضاهى . وتلك هي سنة الحياة .

ما طار طيرٌ وارتفع إلا كما طار وقع

ويقول مُحلّل نبوءات داموس : إن بداية تلك النهاية ستتحقق مع وقوع المحنة الكبرى التي ستشهد بداية تدمير الحضارة اليهودية - (النصرانية) . وأن نوسترادموس حدّد نقطة انطلاقها في عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين وسبعة أشهر (تموز ١٩٩٩ م)[٤] .

وقد مضى هذا التاريخ . وما رأينا شيئاً ، نحن شهود العصر وحضوره .

---

(١) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - الكيلاني (٢٢٣) .

(٢) النبوءة والسياسة (٦٤) .

(٣) نبوءات نوسترادموس (١٩٩) . وستأتي ترجمة نوسترادموس والتعريف به في المبحث الرابع : عن المسيح الدجال عند النصارى .

(٤) نبوءات نوسترادموس (١٧) .

د – نهاية العالم :

نهاية العالم في اعتقاد الإنجيليين الأصوليين قريبةٌ جداً . لأن هرمجدون قريبةٌ جداً . يقول أحد وعاظهم المعاصرين : « الجيل الحالي من الشباب قد يكون آخر جيلٍ في التاريخ »[1] .

وانتقل التبشير بتلك النهاية القريبة المحتومة من وعاظ الإنجيليين ، إلى كبار الساسة في بلد الأصولية الإنجيلية (أميركا) . وردَّد قطب الإنجيليين الأعظم : رونالد ريغان مراراً : « إن نهاية العالم قد تكون في متناول يدنا » . وحين أصبح رئيساً قال : « إن تدمير العالم قد يحدث سريعاً جداً »[2] .

وكان يردد هذا على مسامع الجميع . وهو يمسك الحقيبة النووية بإحدى يديه . لكنَّ الله أراد بالعالم خيراً . وكفانا شر هذا المخبول .

أما « جيري فالويل » أحد أبرز وعاظ الأصولية الإنجيلية ، فكان يردد أنه لا يعتقد أنه بقي أمامنا خمسون سنة أخرى[3] .

---

(١) النبوءة والسياسة (٣٥) والواعظ الإنجيلي هذا هو : بيلي غراهام . قال ذلك سنة ١٩٧٠ م .

(٢) النبوءة والسياسة (٥١ – ٥٢) .

(٣) النبوءة والسياسة (٥٢) .

فنهاية العالم إذاً في تصور الإنجيليين . تأتي على الفور عقب حدوث هرمجدون . وهرمجدون قريبة . فالنهاية قريبة إذاً . وهم يسعون إليها بكل جهدٍ وتصميم .

ولهذا لَمَّا كان لورنس العرب يقاتل مع العرب في شمال غرب الجزيرة العربية والأردن ضد الأتراك منتدباً من قبل حكومته البريطانية ، سأله أحد أولئك الأعراب ذات مرةٍ في لحظة مصارحةٍ : لماذا يفعل الغربيون كل هذا ، ويريدون الاستحواذ على العالم كله ، ولماذا يريدون الحصول على كل شيء ؟

فما كان منه - وهو ضابط الاستخبارات البريطاني المتمرّس - إلا أن أجابهم بكل صراحة عن أهداف تلك الحملة التي كان يقودها الجنرال اللنبي ووجهتها القدس ، لأنه كان يدرك جيداً أنهم لن يفهموا مغزى ذلك . قال لهم : « إننا نريد أن ينتهي العالم »[1] . أي بعبارةٍ أخرى : إننا نسعى لوضع مخططات نهاية العالم موضع التنفيذ .

وبطبيعة الحال لم يفقه أولئك العرب شيئاً ، ولا فهموا مغزى عبارته ، وهم في ذلك التاريخ المبكر (١٩١٧ م) .

لكن فيما بعد أكدت الأحداث أن القوم يتجهون إلى هذه الوجهة دون أن يشعر بهم أحد . ويتحدثون عن النهاية بكل هدوء . لأنهم يعتقدون كما قررنا ذلك فيما سبق ، أنهم ومَنْ معهم من المولودين ثانيةً لن يتأثروا بهذه النهاية . ولن تصيبهم كغيرهم .

ذلك أنهم سيرتفعون مع المسيح بالخطف ، ثم ينتقلون بعد دمار العالم مع المسيح إلى سماءٍ وأرضٍ جديدتين . فلا خوف عليهم إذاً من هذه النهاية . لأنها لن تشمل بدمارها إلا الأرض القديمة ومن عليها .

---

(١) أعمدة الحكمة السبعة - توماس إدوارد لورنس - ترجمة: محمد نجار (٣٢٥) - الأهلية للنشر والتوزيع / الأردن - عمان / ١٩٩٨ م / الطبعة العربية الأولى .

أما هم فسيبقون فوق كل الأحداث ، يتفرجون على الأحداث دون أن يتأثروا بها . كما هو وضعهم في عالمنا المعاصر الحاضر وأحداثه .

إنها نفس نظرية تفوق « الرجل الأبيض » (الغربي بالطبع) وتميزه . ونفس النظرة العنصرية . لكنها تُقدم هنا في سياق ديني ، وتُصبغ بصبغة أيديولوجية تتظاهر باللاعنصرية .

فالويل كل الويل . لهذا العالم من هؤلاء الآثمين . الذين تركوا مشكلات العالم كلها جانباً . وقعدوا يخططون لنهايته . هكذا في هدوءٍ تام وأدبٍ جم .

المطلب الرابع

مواعيد كاذبة ، ومُسَحَاءُ كَذَبَة

وفيه مقصدان :

المقصد الأول : مواعيد كاذبة .

المقصد الثاني : مُسَحَاءُ كَذَبَة .

المقصد الأول : مواعيد كاذبة

كما وقع لسابقيهم في التحريف من اليهود . وقع للنصارى كذلك مزاعمُ حول موعد ظهور المنتظر . وخاب فيها أملهم وفألهم . وفضح الله بها كذبهم وأباطيلهم .

وأول الأكاذيب في هذا الباب ، والمواعيد الباطلة في هذا الشأن ، ما سطَّره كُتَّاب الأناجيل نفسها .

فقد زعم متى في إنجيله أن ذلك سيحدث في عصره ، أي في القرن الميلادي الأول . يقول عند ذكر مجيء المسيح ثانيةً في مطلع ذلك : « يرون ابن الإنسان آتياً على سُحُب السماء بقدرةٍ ومجدٍ عظيم » ....

ثم يضيف بعد ذلك على لسان عيسى عليه السلام : « الحق أقول لكم : لا يزول هذا الجيل أبداً ، حتى تحدث هذه الأمور كلها » .

ثم يضيف على لسانه أيضاً مؤكداً هذا المعنى : « إن السماء والأرض تزولان ، ولكنَّ كلامي لا يزول أبداً »(١) .

فهو يوهم بالجزم القاطع بعودة المسيح ثانيةً قبل انصرام ذلك الجيل الذي تركه المسيح يوم تركه . ويؤكد ذلك بما لا يدع مجالاً للشك في نظره ، بنسبة ذلك الجزم إلى المسيح نفسه ، حتى لا يشكك في ذلك مشككٌ من الأتباع .

وينصرم ذلك الجيل ، وأجيال متعاقبةٌ بعده ، دون أن يظهر المسيح المنتظر ثانيةً ، ويُكذِّب الزمان متَّى . ثم لا يستحي النصارى بعد ذلك من عرض هذه العبارة الشاهدة بكذبهم وكذب كُتَّاب أناجيلهم أمام عيني كل قاريء . أراد الله فضيحتهم . وإلاَّ فهم أسرع الناس إلى التحريف والتعديل في نصوصهم المقدسة ، وأهون شيءٍ عليهم طمس هذه العبارة أو تبديل تلك .

---

(١) متى (٢٤ : ٣٠ / ٣٤ - ٣٥) .

ولم يكن متّى وحيداً في اختراع هذه الترهات ، ولا متميزاً عن كُتّاب الأناجيل المعتمدة الباقين . بل كان هذا ديدن الجميع وسِمَتُهُم .

هاهو مرقس يردِّد نفس الأكذوبة الممجوجة . ومن بعده لوقا في نفس الاتجاه والسياق . بل باستخدام نفس الأحرف والكلمات المفتراة[1] .

ولذا فليس بعجبٍ بعدئذٍ أن نجد عند القوم : تواريخ مزعومة ، وأوقاتاً محددة ، وجزماً قاطعاً بذلك لا يخالطه شك ولا ريب . يُثير حفيظة كل مطلعٍ مدققٍ ، لا بل يُهيِّج استنكار كل عاقلٍ مميِّز . فضلاً عن خواص الحكماء والعقلاء .

ولدينا نماذج شاهدةٌ على ذلك الكذب والإفك السقيم . غير أن الذي لوحظ في هذا الشأن :

١ - قلّة هذه الدعاوى عند النصارى مقارنةً بما عند اليهود ، فاليهود قومٌ أهل بهت . وهم أكثر كذباً وإفكاً .

٢ - ثم اقتصار تلك الدعاوي في أكثر الأحوال على طوائف معينة من النصارى دون طوائفهم المعروفة الكبرى : الكاثوليك / الأرثوذكس / البروتستانت .

وهذا فيما يظهر عائدٌ إلى :

أ - أن المنتظر عند النصارى ، ليس كما هو عند اليهود ، شخصٌ غير معروف بعينه . وإنما هو - أي عند النصارى - شخصٌ معروفٌ بعينه ، هو : المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

ب - ثم إن لمجيئه الثاني عندهم - أي عند النصارى - علامات كثيرة لابد من تحققها كلها قبل مجيئه . فأي دعوىً تُقال في هذا الشأن لا يقبلها جمهور النصارى هكذا على عواهنها . لأن العلامات ظاهرة . وتحققها لابد أن يتواتر .

---

(١) مرقس (١٣ : ٣٠ - ٣١) لوقا (٢١ : ٣٢ - ٣٣) .

ولهذا كثر ترقبهم في العصر الحاضر لمجيئه الثاني . وكثرت دعاواهم بهذا الخصوص ، نظراً لتحقق كثيرٍ من تلك العلامات ، بل أكثرها .

فلذا بدأت الدعاوى والأحوال المقترنة بذلك تتكاثر ، وستتكاثر في المستقبل القريب أكثر فأكثر . لارتباط ذلك في اعتقادهم ، واعتقاد وعاظهم ورهابنتهم ، بقرب حلول يوم مجيئه .

أما الأمثلة المتوفرة لدينا من تلك الدعاوى ، فها هي على النحو التالي :

١ – اعتقد كثيرٌ من نصارى أوروبا ، عند انصرام الألفية الميلادية الأولى ، وحلول الألفية الميلادية الثانية ، أن المسيح سيظهر في مطلع الألفية الثانية(١) ، وهيَّج ذلك حماسهم الديني ، وكانت الحروب الصليبية ، وتُوِّجت تلك التوقعات بسقوط بيت المقدس آنذاك بأيديهم ، مما رسَّخ هذا الاعتقاد وزاده تأكيداً . لكنَّ استعادة المسلمين لبيت المقدس سنة ١٠٩٩ م . أحبطت تلك الآمال ، وخيبت تلك الظنون . وانكفأ النصارى يلعقون أحزانهم ، ومرارة هزيمتهم ، منتظرين انصرام الألفية الميلادية الثانية ، وحلول الألفية الثالثة .

ولئن كانت حدة الحروب الصليبية بعد الألفية الأولى قد خمدت . فإن حروب الشائعات والتوقعات لم تتوقف .

٢ – ففي أواسط القرن السابع عشر الميلادي انتشر بين النصارى في أوروبا ، أن موعد عودة المسيح إلى الأرض سيكون سنة ١٦٦٦ م . تأثراً بالمقولات التي رددها مسيح الدونمة اليهود المزيَّف في تركيا : شبتاي زفي ، آنذاك حول اقتراب موعد ظهور المسيح المنتظر . بناءً على حساباتٍ فلكيةٍ كما زعم . ثم ادعاؤه أنه هو ذلك المنتظر .

---

(١) أشار إلى ذلك فيشر في تاريخ أوروبا – نقلاً عن : المسيح المنتظر ونهاية العالم – عبد الوهاب طويلة (٢٦٢) .

وقد سرت أصداء تلك الدعاوى . فظهرت دعاوى مماثلة عند النصارى تؤكد أن موعد ظهور المنتظر قد أزف . ثم حددوا موعد عودته بسنة ١٦٦٦ م[١] .

٣ – وفي الهند . في زمن الشيخ رحمة الله الهندي صاحب « إظهار الحق » . أعلن أحد القسس المشهورين آنذاك في الهند أن « نزول المسيح » سيكون في سنة ١٨٤٧ م. وقد نقل ذلك الشيخ رحمة الله في كتابه المذكور[٢] .

٤ – وفي الولايات المتحدة الأمريكية . أعلنت جماعة « شهود يَهْوَه » النصرانية ، شبه اليهودية قلباً وقالباً : أن عودة المسيح المنتظر ستقع سنة ١٨٧٤ م . وفي سنة ١٨٧٦ م . زعموا أن تلك العودة قد حصلت في ذلك التاريخ . لكن بشكلٍ غير منظور .

ولجماعة شهود يهوه هذه اعتقاد خاص عجيب ، فهم يُقسِّمون العوالم إلى ثلاثة : العالم الذي كان / والعالم الحاضر الشرير / والعالم الآتي (عصر البر والبركة) .

قالوا : ومجيء المسيح المنتظر هو علامة انتهاء العالم الشرير ، وابتداء عصر البركة .

وقالوا : إن وقت النهاية سيبدأ حسب نبوءات التوراة السنة ١٧٩٩ م . وأن سنة ظهور المنتظر هي ١٨٧٤ م . وأن سنة ١٩١٤ م هي بداية غضبٍ على أمم الأرض وحكوماتها الشيطانية . وأن نهاية العالم (الشرير) ستتم في عام ١٩١٤ م . وبها تنتهي أزمنة الأمم (العامة) ، ويرتفع غضب الله عن اليهود ، (وتبدأ أزمنتهم الخاصة) فيعودون إلى فلسطين .

فسنة ١٩١٤ م باعتقادهم هي : نقطة الانقلاب الكبرى .

---

(١) انظر : إسرائيل – للدكتور حسن ظاظا (٦١ – ٦٢) .

(٢) إظهار الحق (٢٧٦) .

وعلى أساس هذا الحساب يقررون أن النظام الفاسد القديم (العالم الشرير) . قد أخذ في الانقضاء منذ عام ١٩١٤ م . ووافق ذلك اندلاع الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطوريات التقليدية القديمة في أوروبا ، مثل الإمبراطورية العثمانية في إسطنبول ، والإمبراطورية القيصرية الروسية في سان بطرسبورج ، والإمبراطورية النمساوية لآل هابسبورغ في فيينا .

ويزعمون بعدئذٍ أن المسيح المنتظر منذ ذلك الحين شرع في تشييد مملكةٍ لأتباعه على الأرض . وأن يهوه (الله) قد وضع المِلك (المسيح المنتظر) على العرش في الهيكل . لكنْ بشكلٍ غير منظور . وأن حكومة العالم هذه غير المنظورة ، لها نوابٌ منظورون ، هم أتباع هذه الطائفة من « شهود يَهْوَه »[١] .

٥ – زعم بعض رهبان النصارى ، أن المسيح سيظهر سنة ١٩٧٥ م . قال ذلك بناءً على حساباتٍ معينة ابتدأها من تاريخ وفاة داود عليه السلام . فزعم أن ذلك العام يصادف مرور ثلاثة آلاف سنة على وفاة داود عليه السلام . وأن المسيح المنتظر سيظهر حينئذٍ[٢] .

ومضى ذلك التاريخ ولم يظهر أحد .

٦ – وآخر دعاواهم في هذا الباب ، دعاويهم الحاضرة المعاصرة حول ظهوره عند نهاية الألفية الميلادية الثانية ، أو بداية الألفية الميلادية الثالثة .

وكلّما مضى موعدٌ من تلك المواعيد ، ضربوا لذلك المجيء موعداً بعده ، قريباً منه .

فزعم بعضهم أنه سيأتي في النصف الأول من عام ١٩٩٨ م . في شهر نيسان إبريل منه . ومضى ذلك الوقت ، وما ظهر المنتظر .

---

(١) شهود يهوه – حسين حماده (١٨ – ١٩ / ٦٣ / ٧١ / ١٢٧ – ١٢٩) وشهود يهوه – د. أسعد السحمراني (٢١) .

(٢) نهاية اليهود (١٧٣) .

فجعلوا موعد مجيئه مطلقاً غير محدد . وقالوا : لابد أن يقدم قبل سنة ٢٠٠٠ م . ودخلت سنة ٢٠٠٠ م ، وترقبوا ظهوره جداً . فما حصل مما توهموا وظنوا شيءٌ ألبتة .

فلما كان ذلك قال بعضهم : بل زمان مجيئه خريف عام ٢٠٠١ م . أو قبل ذلك بقليل[١] .

وسيأتي خريف ٢٠٠١ م ، ولن يظهر المنتظر ، وسيُكذّب الله مزاعمهم ، ويكشف باطلهم ، وتلبيسهم على الخلق . لأن مقالتهم تلك من باب ادعاء علم الغيب ، والتطاول إلى معرفة ما غيَّبه الله عن كل الخلق بلا استثناء . ولو أذن الله لأحدٍ بمعرفة ذلك على سبيل التحديد يقيناً . لأرشد إليه صفوة خلقه ورسله محمد بن عبد الله ﷺ . وهو أكرم الخلق عليه ، وأفضلهم عنده . ولأخبر النبي ﷺ بذلك أصحابه . وقال لهم : نُبئت بموعد نزول عيسى عليه السلام . غير أنه لم يُؤذن لي بإبلاغكم . وكل ما ذكره صلوات الله وسلامه عليه ما أوحي إليه من علامات ظهوره وممهدات مجيئه . دون أن يذكر لذلك ساعةً محددة ، ولا يوماً محدداً ، ولا عاماً ، ولا قرناً .

فأيهما نُصدِّق . وبأي القولين نأخذ ؟ . اللهم إنَّا مصدقون بما ذكره لنا رسولك ﷺ . مكذِّبون بكل ما تقوله مشركة النصارى وكذبة أهل الكتاب . فما هم والمنجمين إلا سواء .

٧ - واحتاط بعض النصارى غاية الاحتياط في التقوُّل ، فجعل موعد قدومه على سبيل التحديد بزعمه ، آخر القرن العشرين ،

---

(١) المسيح المنتظر ونهاية العالم - عبد الوهاب طويلة (٢٦٨ - ٢٦٩) .

أو مطلع القرن الحادي والعشرين[١] . وحدده بعضهم بسنة ٢٠١٦ م من مطلع ذلك القرن[٢] .

وكفاك بمثل هذا الهزْل الذي يلبس لبوس الجد اعتسافاً ، وتحايلاً على الحق . ولو أحالوا العلم في ذلك إلى الله لَكُفُوا مؤونة ذلك . ولكنهم قومٌ أهل دجل . قد شبُّوا على التحريف والتلاعب بدين الله .

(١) انظر : المسيح المنتظر – طويلة (٢٦٢) .

(٢) طالع : علامات مجيء الرب – للقمص : مينا جاد جرجس – المقدمة – بواسطة : عمر أمة الإسلام – لأمين محمد جمال الدين (١٣٥) . مكتبة الدعوة – القاهرة – ط. ثانية / ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

المقصد الثاني : مُسَحَاءُ كَذَبَة

المُسَحَاء جمع مسيح ، والمُسَحَاء الكَذَبَة هم مُدَّعو المسيحانية ، يزعم واحدهم أنه هو ذلك : المسيح المنتظر بعينه .

ومثل هذا الزعم يَرِدُ على الديانة اليهودية في مسيحها المنتظر بكثرة ، لأن ذلك المسيح اليهودي المنتظر غير معروفٍ بعينه . وكل ما يُعرف عنه ملامح عامة وصفات قد تتوفر في نفس الوقت في أشخاصٍ لا يُحصرون . لذا كثرت حالات الادعاء بين اليهود ، كلٌّ يزعم أنه المسيح المنتظر . كحالات ادعاء المهدوية بين المسلمين .

أما بالنسبة للنصرانية ، فإن من الصعب القبول بدعوى من ادعى أنه المسيح المنتظر عيسى ابن مريم عليه السلام ، هكذا بكل سهولة .

ورغم كل ذلك ، ظهرت بخفوتٍ بالغٍ بعض الدعاوى الفجّة في هذا المجال عند بعض النصارى . وهي وإنْ لم تكنْ صادرةً عن الطوائف النصرانية الرئيسة ، ولا عن كبار قادتها الدينيين . وإنما صدرت عن أفرادٍ أو طوائف خارجةٍ عن مقالة جمهور الطوائف النصرانية . إلا أنه كان من الواجب إيراد تلك الأمثلة وإنْ قلّتْ وشذَّ قائلوها ، إتماماً لما التزمنا به . وختماً بذلك للحديث عن هذا الموضوع .

وابتداءً تُحدِّثنا الأناجيل عن أن أكثر من « مسيح كذّاب » أو « مدعٍ » سيظهر . وأنهم سيحاولون التلبيس على الناس[1] . ونصحت الأناجيل أتباعها أن لا يندفعوا وراء أولئك المدعين .

يقول متى : « فإذا قال لكم الناس : هاهو المسيح في البرِّيَّة . فلا تخرجوا إليها ، أو : هاهو في الغرف الداخليَّة . فلا تُصدِّقوا »[2] .

---

(١) انظر : متى (٢٤ : ٢٤) ومرقس (١٣ : ٢٢) .

(٢) متى (٢٤ : ٢٦) .

ويقول مرقس: « ... إن قال لكم أحدٌ عندئذٍ : ها إن المسيح هنا . أو : هاهو هناك . فلا تُصدِّقوا »[١] .

ومن تلك الأمثلة النادرة الشاذة في الحالة النصرانية :

١ – ما ادعاه أحد قساوسة النصارى[٢] المعاصرين لمؤسس الحركة الصهيونية اليهودية : ثيودور هرتزل ، حين قرأ كتاب « الدولة اليهودية » لهرتزل . فاستبد به الحماس ، وبلغ منه الهياج الديني مبلغه ، وانطلق إلى هرتزل فاقتحم عليه مكتبه ، قائلاً له : « أنت هو الذي كنت أنتظره ، أنت المسيح المنتظر » . وحينما ذهب هرتزل إلى مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ م . رافقه واعتبر نفسه : « سكرتير المسيح المنتظر هرتزل » . وكان يردد أثناء الاجتماعات : « يحيا الملك » . يعني بذلك هرتزل . يريد به أنه الملك المسيح المنتظر[٣] .

وليس في دين النصارى مطلقاً ، ما يفيد بأي حالٍ من الأحوال ، أن المسيح المنتظر سيكون يهودياً ، أو أن اسمه سيكون : هرتزل ، لا عيسى أو يسوع . ثم لم تتحقق قبل مجيء هذا المسيح الدعيّ ، أي علامةٍ من العلامات التي يذكرونها للمجيء الثاني .

فهو إذن ، استثناءٌ في بابه ، وقولٌ لا يُلتفت إليه ، إلا للتنبيه عليه .

٢ – والمثال الثاني الذي لدينا في هذا المقام : ما رأيناه عند طائفة « شهود يَهْوَه » . الذين نُسب إليهم القول بأن زعيم طائفتهم هو المسيح . ثم عدَّدوا بعد وفاته ، فسمَّوا خليفته مسيحاً كذلك ، ثم الذي تلاه . حتى اجتمع لهم عددٌ من المسحاء الكذبة :

أولهم : تشارلز تاز رُوصّل . ويلقبه أتباعه « المسيح الثاني » و« المعلم الأعظم » .

---

(١) مرقس (١٣ : ٢١) .

(٢) هو القس : وليم هتشلر .

(٣) انظر : القدس بين رؤيتين – لحسن مصطفى الباش (٩٣) .

ثانيهم : تلميذه وخليفته : جوزيف فردريك رذرفورد ، وخَلَفَ أستاذه ومسيحه الأول رصّل سنة ١٩١٧ م . ويعرف بالمسيح الثالث .

ثالثهم : ناثان هومر كنور . الذي خَلَفَ رذرفورد سنة ١٩٤٢ م . في زعامة الطائفة والمسيحانية .

رابعهم : فردريك وليم إدوارد فرنز . خَلَفَ ناثان بعد وفاته سنة ١٩٧٧ م ، في زعامة الطائفة والمسيحانية كذلك .

خامسهم : على حد زعم بعض الباحثين : المغني الأمريكي الأسود المعروف مايكل جاكسون ، الذي يُقال أنه يُهيأ الآن ليكون مسيحهم القادم ، وزعيم طائفتهم بعد فردريك . ويقال : إن مايكل يحضر اجتماعات الطائفة في قاعة الملكوت الضخمة في بروكلين . ويقود اجتماعاتها ثلاث مرات أسبوعياً[١] . كذا يقال . والعهدة على ناقله .

وبعد هذا كله : تبقى هذه الأمثلة نادرةً ، واستثناءً لا يُعتدُّ به .

وبنهاية الحديث في هذا المطلب ، ينتهي الكلام في هذا المبحث الهام . الذي يُشكّل لبّ هذا الفصل . بل لبّ الباب كله ، وأجدر ما فيه بالبحث والتنقيب والقراءة .

لا أزعم أني قد أوفيته حقه - رغم كل ما كتبته فيه - . لكني أظن أني قد أعطيته قدراً لا بأس به مما يستحقه .

هذا الجهد ، وعلى الله التكلان ، نسأل الله القبول والتوفيق .

---

(١) انظر: شهود يهوه - أبو إسلام أحمد عبد الله (١٥/ ١٨/ ٢٠ / ٢٥ - ٢٦ / ٢٩ / ٣١ / ٣٤ / ٣٧ - ٣٨) .

المبحث الثالث

نهاية المسيح المنتظر في المصادر النصرانية

المبحث الثالث

نهاية المسيح المنتظر في المصادر النصرانية

لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر نصرانية أصليةٍ أو ثانوية ، أو مصادر غير نصرانية تتحدث عن النصرانية ، حديثاً يُذكر ، أو تعليقاً ذا بالٍ عن هذا الموضوع .

وكل ما ثَمَّ خطابٌ عامٌ نجده في آخر سفر الرؤيا آخر أسفار العهد الجديد ، يتحدث عن المنتظر وحاله بعد انقضاء ملكه الألفي السعيد . فكأنَّ رواية القوم بلا نهاية . أو لكأنهم يرون تلك الملاحم وخروج المنتظر وعودته وملكه هي النهاية ذاتها . وما « هرمجدون » إلا بداية النهاية ، التي ينشأ بعدها وضعٌ جديد له قصةٌ أخرى .

فلذا رأينا يوحنا بعد أن فرغ من الكلام عن الملك الألفي وخروج « جوج وماجوج ». ينتقل بنا فجأةً إلى الحديث عن سماءٍ جديدة وأرضٍ جديدة .

فكأنه يقول : إن المنتظر ينتقل بعد ذلك « التمرد الأخير » تمرد « جوج وماجوج »[1] . من عالم الدنيا هذه إلى عالمٍ آخَر ، ليبدأ حياةً جديدة ومسيرةً جديدة في أرضٍ جديدة وسماء جديدة ، بعد أن فنِيَ العالم القديم وانتهى . وقد أكَّد هذا بقوله : « لأن السماء والأرض القديمتين قد زالتا »[2] .

وفي هذا العالم الجديد لا نجد « سماءً جديدة وأرضاً جديدة لا بحر فيها »[2] فحسب . بل أورشليم جديدةً كذلك . تتلألأ كالأحجار الكريمة . نازلةً من السماء من عند الله . ساحة المدينة من ذهبٍ خالص كالزجاج الشَّفَّاف . وليس في المدينة المقدسة الجديدة هيكلٌ كما في المدينة المقدسة القديمة . « لأن الرب ... والحَمَل (عيسى) هما هيكلها . ولم تكن المدينة (الجديدة) في حاجةٍ إلى نور الشمس أو

---

(١) سفر الرؤيا (٢٠ : ٧ - ٨) .

(٢) الرؤيا (٢١ : ١) .

القمر ، لأن مجد الله يُنيرها ، والحَمَل مصباحها » .

.. « تسير بنورها الأمم ، ويأتيها ملوك الأرض بكنوزهم . ولا تُقفل أبوابها أبداً طول النهار ، لأن الليل لا يأتي عليها . وستُحمل إليها كنوز الأمم وأمجادها ، ولن يدخلها شيء نجس ، ولا الذين يعملون القبائح ويُدجّلون ، بل فقط الذين كتبت أسماؤهم في سجل الحياة للحَمَل »[١] .

« أما في خارج المدينة ، فهنالك الكلاب والمتصلون بالشياطين ، والزناة والقتلة ، وعبدة الأصنام والدجالون ومحبُّو التدجيل »[٢] .

و« عرش الله والحَمَل قائمٌ في المدينة ، حيث يخدمه عبيده ويرون وجهه ، وقد كتب اسمه على جباههم . ولن يكون هناك ليلٌ ، فلا يحتاجون إلى نور مصباحٍ أو شمس ، لأن الرب الإله يُنير عليهم ، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين »[٣] .

هذا هو كل ما في سفر الرؤيا بل العهد الجديد كله عن مصير المنتظر بعد انتهاء فترة مُلْكه الألفي السعيد .

والذي يتبادر إلى الذهن – مقارنةً بما عند المسلمين – أن ذلك الحديث عن المقر الجديد للمنتظر ورهطه ومتابعيه ، أشبه بحديث المسلمين عن العالم الآخر بعد فناء هذا العالم الدنيوي ، وانتقال المؤمنين إلى الجنة التي ورد وصفها عند المسلمين قريباً من ذلك الوصف الذي يسوقه يوحنا لمدينته الجديدة .

فهل يا تُرى كان يوحنا يتحدث عن نهاية المنتظر في تلك الفقرات من رسالته الرؤيوية ؟ أم أنه كان يشير إلى انتقال المنتظر وأتباعه من المؤمنين بعد فناء هذا العالم الدنيوي إلى العالم الآخر وجنات الخلد عند رب العالمين ؟ دون أن يُعرِّج على مسألة نهايته تفادياً للدخول في معتركٍ عقدي يتعارض مع أوابدهم في هذا المجال ؟

---

(١) الرؤيا (٢١ : ٢ / ١٠ – ١١ / ٢١ – ٢٧) .

(٢) الرؤيا (٢٢ : ١٥) .

(٣) الرؤيا (٢٢ : ٣ – ٥) .

الواضح أن الاحتمال الثاني هو الأقرب .

فالمسلمون يتحدثون عن المنتظر عيسى عليه السلام . ثم يذكرون أنه يموت كما يموت غيره من البشر .

أما النصارى فهو إلهٌ بزعمهم لا يأتيه الموت لا من قبل ولا من بعد .

فلذا قفز يوحنا - على ما يبدو - بالقاريء ، من العام الأَلْف ، للمُلْك السعيد ، إلى الدار الجديدة والعرش الجديد . دون أن يتدرَّج بالقاريء أو يسرد له ما بين هذين الحدثين من أحداث . كان من بينها حدث نهاية المنتظر الذي يترقب الحديث عنه كل البشر كما يعهدون ذلك في حيواتهم . فإذا هم يجدون يوحنا يقفز من عالمٍ إلى عالمٍ في طرفة عينٍ . كأنه يقول : عيسى إلهٌ لا يجوز عليه الموت . فلذلك ليس له نهاية . فلا تترقبها أيها الباحث الكريم ولا تنتظرها .

المبحث الرابع

المسيح الدجال في المصادر النصرانية

المبحث الرابع

المسيح الدجال في المصادر النصرانية

كما تحدثت المصادر النصرانية ، وأسفار العهد الجديد على الأخص ، عن المسيح المنتظر . تحدثت كذلك عن « ضد المسيح » أو « المسيح الدجال » مسيح الضلالة .

ولنبدأ بالعهد الجديد وأسفاره ، وحديثها عن « المسيح الدجال » . فقد تحدثت تلك الأسفار بكل وضوح عنه وعن أحواله . فقالت :

١ - إن مسيحاً دجالاً سيأتي . « اعلموا أننا نعيش الآن في الزمن الأخير . وكما سمعتم أنه سوف يأتي أخيراً « مسيحٌ دجَّال » ، »[١] .

٢ - بل ذكرت تلك الأسفار أنه سيظهر قبل المنتظر أكثر من دجَّال . آخرهم الدجال الكبير الذي سيقف في وجه المسيح عيسى عليه السلام في عودته الثانية .

يقول متى : « يظهر كثيرون من الأنبياء الدجَّالين ويُضلِّلون كثيرين . .... وبعد ذلك تأتي النهاية »[٢] . وإن قلنا إنه لا يتحدث عن مسيح دجال أو أكثر من مسيح دجال . وإنما يتحدث عن أنبياء دجَّالين . مع أنهم يعتقدون أنه لم يأت بعده نبي مطلقاً . فإنه يتحدث في موضعٍ آخر بعبارةٍ صريحة حين يقول : « سوف يبرز أكثر من مسيحٍ دجال ... .. ويُقدِّمون آياتٍ عظيمة وأعاجيب ، لِيُضلِّلوا »[٣] .

٣ - وقت ظهور المسيح الدجال يكون قبل مَقْدم المسيح الحق المنتظر بفترةٍ قليلة. يقول بولس : « ذلك اليوم (أي يوم عودة عيسى عليه السلام) لا يأتي دون أن يسبقه انتشار العصيان وظهور الإنسان المتمرِّد ابن الهلاك . الذي يتحدَّى كل ما

(١) رسالة يوحنا الأولى (٢ : ١٨) .

(٢) متى (٢٤ : ١١ / ١٤) .

(٣) متى (٢٤ : ٢٤) . ومرقس (١٣ : ٢٢) .

يُدعى إلهاً أو معبوداً ، ويُعاديه مترفعاً عليه »[١] .

أما علامة ذلك الظهور بصورةٍ أدق ، فهو أنه سيظهر (أي الدجال) وقت حلول « البلايا السبع الأخيرة بالأرض » « التي بها يكتمل غضب الله »[٢] . شبيهٌ بما نعتقده نحن المسلمين عن ظهور الدجال ضمن أشراط الساعة الكبرى ، مع الفارق الشاسع بين الحق الذي معنا ، والباطل الذي يقولونه .

٤ - الدجال موجودٌ الآن في العالم . يقول يوحنا صاحب الإنجيل في إحدى رسائله ضمن العهد الجديد : « ضدُّ المسيح الذي سمعتم أنه سوف يأتي .. هو الآن موجودٌ في العالم »[٣] .

٥ - عِظَمُ فتنته . يقول يوحنا في سفر الرؤيا : « الوحش (لقبٌ يُطلقه يوحنا على الدجال) ... على وشك أن يطلع من الهاوية ... وسيُدهَشُ سكان الأرض .... عندما يرون الوحش »[٤] .

٦ - مخاريق الدجال . يقول بولس : « سيظهر الإنسان المتمرد ظهوراً جلياً » .... « بروز المتمرد .. سوف يكون بقدْر طاقة الشيطان على المعجزات والعلامات والعجائب المزيَّفة كلها ، وعلى جميع أنواع التضليل الذي يجرف الهالكين إلى العصيان »[٥] .

أما يوحنا في سفر الرؤيا فيذكر أن الدجال يخدع سكان الأرض « بالآيات » وأنه يُعطى « سلطةً على أن يبعث الروح في التمثال لينطق » .

---

(١) الرسالة الثانية إلى مؤمني تسالونيكي (٢ : ٣ - ٤) .

(٢) الرؤيا (١٥ : ١ / ٦) .

(٣) رسالة يوحنا الأولى (٤ : ٣) .

(٤) الرؤيا (١٧ : ٨) .

(٥) الرسالة الثانية إلى مؤمني تسالونيكي (٢ : ٨ - ١٠) .

وأنه يمنح كل أتباعه علامةً على أيديهم أو جباههم : « فلا يستطيع أحدٌ أن يبيع أو يشتري إلا إذا كانت عليه علامة الوحش ، أو الرقم الذي يرمز لاسمه »[١] .

٧ - أسماؤه :

يسمونه :

- المسيح الدجال .

- ضدّ المسيح .

- الوحش .

- الإنسان المتمرِّد ابن الهلاك[٢] .

ويرمزون له بالرقم « ست مئة وستة وستين »[٣] .

٨ - مقرُّه . أو عاصمة ملكه إن صحت العبارة .

قال بولس : إن الإنسان المتمرِّد ابن الهلاك (الدجَّال) « يتخذ من هيكل الله مقرّاً له »[٤] .

---

(١) الرؤيا (١٣ : ١٤ - ١٥ / ١٧) .

(٢) انظر : رسالة يوحنا الأولى (٢ : ١٨) (٤ : ٣) والرؤيا (١٧ : ٨) والرسالة الثانية إلى مؤمني تسالونيكي (٢ : ٣) .

(٣) الرؤيا (١٣ : ١٨) .

(٤) الرسالة الثانية إلى مؤمني تسالونيكي (٢ : ٤) .

كأنه يشير إلى أن الدجال سيتخذ القدس حيث يوجد مقر الهيكل مقرّاً له أو عاصمةً لدولته العالمية .

٩ - وصف أحواله وطغيانه وكفره :

يقول يوحنا : إن الدجال يُعطى « فماً ينطق بكلام الكبرياء والتجديف » ، وأنه سيشتم اسم الله ويشتم بيته وسكان السماء . وأعطيَ « قدرةً على أن يُحارب القديسين ويهزمهم وسلطةً على كل قبيلةٍ وشعبٍ ولغةٍ وأمةٍ »[١] .

١٠ - ادعاؤه الألوهية :

حين يتخذ الدجال من الهيكل مقرّاً له . يحاول حينئذ أن يُبرهن للناس « أنه إلهٌ » . ويحاول خداعهم بمخاريقه ومعجزاته .

وفي نهاية المطاف تذكر الأسفار أن الدجال يفرض على الناس هذا الأمر فرضاً . ومن ثَمَّ يسجد « جميع سكان الأرض » للدجال[٢] .

١١ - مدة بقائه :

يذكر يوحنا أن الوحش الدجال يُعطى « سلطة العمل مدة اثنين وأربعين شهراً »[٣] . أي ثلاث سنوات ونصف السنة .

ويقابل هذا ما يذكره المسلمون من أن مدة بقاء الدجال - على أحد الأقوال - أربعون ، دون تحديد نوع تلك المدة ، أياماً تكون أم شهوراً أم من السنين[٤] .

---

(١) الرؤيا (١٣ : ٥ - ٧) .

(٢) الرسالة الثانية إلى مؤمني تسالونيكي (٢ : ٤) والرؤيا (١٣ : ٨) .

(٣) الرؤيا (١٣ : ٥) .

(٤) طالع : صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٧٥) كتاب الفتن - باب ذكر الدجال .

١٢ - نهاية الدجال :

يخرج الدجال فيمارس طغيانه ويُظهر مخاريقه وخُدَعه . فلا يستطيع أن يُوقف ذلك الزحف الأسود الشيطاني المرعب إلا نبي الله عيسى عليه السلام . ولئن كان هذا هو اعتقاد المسلمين . فإنه كذلك اعتقاد النصارى . نطقت بذلك أسفارهم . وشتان ما بين الاعتقادين .

يقولون : إنه متى ظهر الإنسان المتمرِّد (الدجال) ظهوراً جلياً . جاء عيسى عليه السلام في العودة الثانية المنتظرة . فيبيد عيسى عليه السلامُ ، الدجالَ « بنفخة فمه ويلاشيه ببهاء ظهوره عند عودته »[١] .

وهو قريبٌ من الذي عند المسلمين من أن الدجال متى رأى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الملح في الماء فيدركه عيسى عليه السلام فيقتله[٢] .

وينتصر المؤمنون مع عيسى عليه السلام على الدجال ، كما تُقرر أسفارهم ذلك أيضاً[٣] .

أما الدجال فسيكون مصيره أن يُطرح في « بحيرة النار والكبريت المتقدة »[٤] .

وأما أتباعه « الذين سجدوا ... لتمثاله ، وقبلوا علامته ... فلابد لهم ، في ... حضرة الحَمَل (عيسى عليه السلام) ، من أن يشربوا من ... كأس غضب الله ، فيكابدوا عذاب النار والكبريت المتّقد ، ويتصاعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين »[٥] .

---

(١) الرسالة الثانية إلى مؤمني تسالونيكي (٢ : ٨) .

(٢) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٢٢) .

(٣) الرؤيا (١٥ : ٢) .

(٤) الرؤيا (١٩ : ٢٠) .

(٥) الرؤيا (١٤ : ٩ - ١١) .

وهنا ينتهي حديث أسفار العهد الجديد عن هذا المسيح الضالّ الدجال ، والمخرب الأكبر اللعين .

وخلال مسيرتهم التاريخية الطويلة أطلق النصارى هذا النعت: (المسيح الدجال) على كل مَنْ قاوم خرافاتهم وأباطيلهم .

ولهذا نجدهم عليهم لعائن الله متتالية يطلقون هذا اللقب على نبي الإسلام محمد ﷺ .

وحين حصل آخرُ انقسامٍ كبير بين نصارى أوروبا بظهور المذهب الإصلاحي البروتستانتي معارضاً لبابا روما وكنيسته الكاثوليكية العالمية ، معلناً تمرده عليه ، واصطدامه به . في تلك الحقبة التصادمية ، وفي ذلك الخضم المضطرم ، أطلق البروتستانت هذا النعت (المسيح الدجال) على بابا روما[١] .

ولا تزال بعض طوائف النصارى تَصِمُ مخالفيها من أتباع الطوائف الأخرى بأنهم سيكونون من أتباع الدجال أو : « الإنتي كريست » .

فنصارى العرب من الأرثوذكس الشرقيين على سبيل المثال « يعتقدون أن طوائف الكاثوليك الغربيين هم نصارى بالاسم فقط ، وأنهم سيكونون مع الدجال » . وكذا يقول البروتستانت عن الكاثوليك في أوروبا[٢] .

ويكفي أن تذكر اسم البابا (رئيس الكنيسة الكاثوليكية) أمام أي بروتستانتي لكي يقشعر بدنه . وكيف لا ؟ والبابا في نظره هو « المسيح الدجال »[٣] .

---

(١) محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى - عبد الأحد داود (٤٩) .

(٢) حُمَّى سنة ٢٠٠٠ - عبد العزيز مصطفى كامل (٢٣٠ - ٢٣١) .

(٣) انظر في ذلك مقالاً نشرته جريدة الشرق الأوسط للكاتب هاشم صالح عن : الاقتتال المذهبي والتعصب الديني في أوروبا خلال القرن السابع عشر الميلادي - ص (١٤) (العدد / ٧٧٦٠ / السبت ٢١ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ / ٢٦ فبراير ٢٠٠٠ م) .

تعليق أخير :

انتشر بين نصارى الغرب اليوم تكهنات رجلٍ يُسمونه : نوسترا داموس[1] .

ولولا اهتمامهم الزائد به ، وتصديقهم لكثيرٍ مما يقوله ، ولولا أنه ذكر المسيح الدجال بنوع توسعٍ ، فأشار إليه وإلى علامات قدومه ، ولولا أنه ربط ذلك بشيءٍ يُشبه الواقع السياسي المعاصر اليوم ، لَمَا التفتنا إليه ولا عرَّجنا عليه . فقد « كذب المنجمون ولو صدقوا » .

لكننا استكمالاً لهذا المبحث الطريف آثرنا أن نشير إليه ولو على سبيل الإدراج لا على سبيل الاستشهاد والاعتماد .

فقد زعم الخبيث أن المسيح الدجال سيولد من راهبٍ وراهبة ، يولد وفي شدقه سنّان . ومن عادة رهبان النصارى أن لا يتزوجوا . وكذلك راهبات الدير . فهو على هذا ابن زناً من أبناء الأديرة[2] .

وذكر أن من علامات ظهوره :

١ - سقوط الملكية في أسبانيا .

٢ - انتشار دعوى التحرر .

---

(١) هو ميشال دو نوتردام المعروف بـ: نوسترا داموس . كاهن ومنجم وطبيب فرنسي ، كاثوليكي من أصلٍ يهودي . كان مستشاراً وطبيباً لبعض ملوك فرنسا . عاش بين (١٥٠٣ - ١٥٦٦ م) زعم أنه يتنبأ ، أو يُلْهَمُ ما سيقع في العالم من أحداث حتى عام ٣٧٩٧ م . ثم قال : بل هو تنجيم أو حدس ، ونظم ذلك في مقطوعات ورباعيات ألّفها . وألغز فيها على ما زعم ما أراده وقصده من الإشارة إلى ما سيكون حتى تحتمل كل معنى . وانشغل متأخرو النصارى بشرح وتفسير نبواءته تلك حتى يومنا هذا . وزعموا أن شيئاً منها قد تحقق . عن سيرته وتنبؤاته : انظر (نبوءات نوسترا داموس / د. دوفونبرون / ترجمة : أسامة الحاج / ١٩ - ٢٠ / ٤٢ - ٤٤ / ٩٣ - ٩٥) دار التوجيه اللبناني - بيروت / طبعة وتاريخ : بدون . وانظر كذلك : مجلة الشروق الإماراتية - العدد ٤٩ - صفحات (٢٠ - ٢٥) ١٨ رمضان ١٤١٣هـ / ١٧ - ٣ - ١٩٩٣ م / والعدد ٥٠ - صفحات (٧٠ - ٧٤) ٢٥ رمضان ١٤١٣ هـ / ١٨ - ٣ - ١٩٩٣ م .

(٢) نبوءات نوسترا داموس (٣٣٣) .

٣ - غزو الفرس للبلقان .

٤ - استيقاظ الأمبراطورية العربية (كما سماها) من سباتها .

٥ - سقوط الملكية في بريطانيا .

٦ - غزو إمبراطورية الهلال (أي دولة المسلمين) لإيطاليا وتدميرها لروما ، وذبحها لرجال الكنيسة . وأسر البابا .

٧ - غزو المسلمين لفرنسا . وتدمير باريس[1] .

كذا زعم . وعلم ذلك كله عند الله .

وزعم بعدئذٍ أن إمبراطورية الدجال ستنطلق من فاس ومراكش . كما تنبّأ بخرابٍ كلي للقدس غداة ظهور الدجال وبروز مملكته . وأن الدجال سيبيد الكاثوليكية وسيحاربها كما يحارب غيرها مدة خمسة وعشرين أو سبعة وعشرين عاماً . وأنه سيحارب فرنسا على وجه الخصوص[2] .

ثم وصف الدجال بأنه « الكلب الكبير » .. « أضخم كلبٍ رآه الناس حتى الآن » .. وأنه « سيدمِّر كل شيء ، حتى ما سيكون تمَّ إنجازه للتوّ »[3] .

ونعته بالخبيث ، وقال بأنه سيتظاهر أمام الناس بأنه « قديس » (أي رجل صالح) « وزاهد » ، ثم « فجأةً يمارس طغيانه بإفراط ، بحيث يخضع له أعظم الأشخاص ساجدين » .

وأن من لا يرون رأيه « سيتعرضون للموت ، للسجن ، للنفي » .

---

(١) نبوءات نوسترا داموس(٨٠ / ١٠٦ / ٢٧٧ / ٢٨٤ - ٢٨٥ / ٢٩٠ / ٣٠٩ / ٣٢١ / ٣٣٣/ ٣٤٦).

(٢) نبوءات نوسترا داموس (١٠٤ / ١١٤ / ٣٣٧ / ٣٤٩) .

(٣) نبوءات نوسترا داموس (١٠٦) .

ثم أضاف : « يسيل الدم ، تنتشر الجثث على الأرض ، يحمرُّ الماء » .

ثم نعته في آخر ذلك بأنه «عدو لدودٌ لكل النوع البشري» وأنه « سيكون دموياً ولا إنسانياً »[١].

ومن قبيل هذا : ما زعمه أحد رهابنة مصر المتأخرين ، من أن المسيح الكذاب (الدجال) قد ولد في آخر مارس ١٩٦٨ م . وأن زمن ظهوره سيكون في ربيع ١٩٩٨ م[٢] .

وهذا آخر ما لدينا في هذا المبحث . وبالله التوفيق .

---

(١) نبوءات نوسترا داموس (٣٣٦ - ٣٣٧) .

(٢) نظرات في سفر دانيال - للأنبا ديستورس - بواسطة: عمر أمة الإسلام - لأمين محمد (١٤١ - ١٤٢) .

الفصل الرابع

مناقشة ونقد

الفصل الرابع

مناقشة ونقد

وفيه نعرض لأهم المسائل التي تناولناها بالذكر مناقشة ونقداً وتفنيداً ، نظراً لكثرة المسائل التي تحتاج للنقد والنقاش ، والاستدلال على بطلانها .

وسيأتي الكلام في تلك المسائل ، في مباحث مستقلة ، لكل مسألةٍ مبحث خاصٌ بها ، في اثني عشر مبحثاً ، على النحو التالي :

المبحث الأول : مسألة نسب المسيح . وتعلّقها بدعواهم حول المنتظر .

المبحث الثاني : دعوى ألوهية المسيح . وتعلّقها بسكوتهم عن خاتمة المنتظر .

المبحث الثالث : نقض القول بالتثليث .

المبحث الرابع : دعوى الصلب والقيامة .

المبحث الخامس : دعواهم حول عالمية النصرانية .

المبحث السادس : حَمْلهم كل النبوءات الواردة في العهدين على مسيحهم المنتظر .

المبحث السابع : حول العودة المنتظرة .

المبحث الثامن : حول حقيقة منتظر النصارى .

المبحث التاسع : العُقْدة الكبرى ، إرغام المنتظر على الظهور .

المبحث العاشر : أسطورة الخطف .

المبحث الحادي عشر : دعوى بركة إسرائيل .

المبحث الثاني عشر : البشارة بمحمدٍ ﷺ في الإنجيل وأسفار العهد الجديد .

المبحث الأول

مسألة نسب المسيح

قد لا يبدو للناظر لأول وهلةٍ ، أن التعرض لهذه المسألة مما يختص به هذا البحث أو يتعلق به ، مع أن لها أهميةً ما .

ذلك أن النصارى وكُتَّاب الأناجيل على الأخص اجتهدوا في اختراع سلسلة نسبٍ للمسيح عيسى عليه السلام ، ولن يكون ذلك محل اهتمامنا .

لكن الذي نرغب الإشارة إليه في هذا المبحث : أنهم وضعوا ذلك النسب وضعاً، للوصول إلى غايةٍ يرجونها ، ألا وهي : إثبات أن عيسى عليه السلام من نسل داود عليه السلام .

وكان ذلك كله من أجل التوافق مع تصورات أسفار العهد القديم - التي أخذوا بها مصدراً مقدساً - عن المسيح المنتظر ، إذ تشترط فيه تلك الأسفار أن يكون : المسيح الملك المنتصر والقاهر المظفر ابن داود . واجتهد النصارى في إثبات كل تلك الصفات للمسيح عيسى عليه السلام حتى في مجيئه الأول الذي لم يحقق فيه المملكة المنتظرة .

لكنهم مع ذلك يكابرون ويزعمون أنه بنى « مملكة الله » . وأن « الكنيسة الحاضرة » بضخامة نفوذها واتساع علاقاتها وكثرة أتباعها هي تلك المملكة المقصودة .

ولم يبق من اشتراطات العهد القديم إلا شرط أن يكون من نسل داود ، فجاء كُتَّاب الأناجيل واخترعوا لعيسى ذلك النسب الداوودي المزعوم الذي يُصدِّرون به أناجيلهم . ليصح زعمهم في أن عيسى هو المسيح المنتظر سابقاً في مجيئه الأول ، ولاحقاً في مجيئه المنتظر الثاني .

وما كان لهم بذلك من حاجة . إن يكنْ هو المسيح المنتظر فلا حاجة به إلى ذلك النسب . وإن لم يكن هو لم تنفعه تلك السلاسل حتى يكون هو « المسيح المنتظر » .

وكانت معضلتهم الكبرى التي جلبت لهم كل هذه المصائب هي أخذهم بأسفار العهد القديم مصدراً مقدساً كالعهد الجديد . وبين العهدين والأمتين ما هو معلومٌ من الاختلاف والتناقض .

ساقت الأناجيل سلسلة نسبٍ للمسيح عيسى عليه السلام تنتهي إلى داود عليه السلام[1] .

ومع ذلك تناقضت الأناجيل فيما بينها في سياق ذلك النسب ، فَحَكَمَتْ عليه قبل النظر فيه بالتهافت ، وكَشَفَتْ للمتأمِّل زيفه وركاكة صنعته .

ونستطيع أن نوجز اعتراضاتنا الناقدة على دعواهم هذه فيما يلي :

١ - الرجل يُنسب إلى أبيه ، لا إلى آباء زوج أمه . والذي رأيناه فيما ساقوه من النسب أنهم جعلوا نسبه نسب زوج أمه يوسف النجار كما فعل ذلك متى . ولوقا . ولا يُوَافقون على فعلهم هذا .

أما هم فتحققت لهم الغاية في كلتا السلسلتين إذ أصبح عيسى من نسل داود . فصح لهم - في نظرهم - عندئذٍ زعمهم بأنه المسيح المنتظر الملك ابن داود .

٢ - سلسلة النسب ، التي ساقها متى ولوقا تؤكد زعم اليهود الكاذب وطعنهم في مريم العذراء . ذلك أن اليهود زعموا أنه ابن زنا لمريم من يوسف النجار . فجاء هذان فأكدا زعم اليهود الكاذب هذا بسلسلة النسب التي أورداها . فكل واحدٍ منهما من حيث يدري أو لا يدري يرمي مريم بالزنا ويشتم نبيه عيسى في أول كلمةٍ من إنجيله بأنه « ابن زنا »[2] . فهل يُقبل هذا أو يُعقل ؟

---

(١) متى (١ : ١ - ١٧) و (لوقا / ٣ : ٢٣ - ٣٨) .

(٢) أشار إلى ذلك ابن حزم في الفصل (٢ : ٢٩) .

٣ - متّى قال إنه سيذكر نسب المسيح ، فساق نسب يوسف النجار ، وجعله من نسل سليمان بن داود عليهما السلام .

ولوقا صرح أنه ابن يوسف ، ثم جعله من نسل ناثان بن داود .

واختلفا كذلك في عدد الآباء في النسب .

وهم يزعمون أن هذه الأناجيل وحي مقدس .

فهل يُعقل أو يصح أن ينقض كلام الله بعضه بعضاً ؟.

لو كان النسب صحيحاً ، والكتب وحياً ، لجاء الواحد منها يشهد للآخر ويثبته ، لا أن ينقضه(١) .

٤ - متّى جعله من نسل سليمان بن داود ، ولوقا جعله من نسل ناثان بن داود . فهل يُعقل أن يصل الغلط إلى الآباء المشهورين ؟.

هذا نسبٌ واضح التركيب . لو كان له نسبٌ صريح صحيحٌ لَمَا خفيَ عليهم كل هذا الخفاء . وهم من بني قومه وأمته وبلدته وملته(٢) .

٥ - السلسلة الملكية في النسب التي لا يصح أن يكون المخلّص المنتظر بدونها مخلّصاً ، بدعةٌ قديمة قدم التاريخ . زعمتها قبلهم كثيرٌ من الأمم لمخلّصها المترقَّبِ ، وموعودها المنتظر(٣) . لهذا فليس ببعيد أن يكونوا قد فعلوا ذلك تقليداً للأمم السابقة لا تقريراً لحقيقةٍ واقعة . كفعلهم في قضايا أخر ، أقربها التثليث ودعوى البنوّة والصلب .

---

(١) أشار إلى هذا الناقض أبو عبيدة الخزرجي في كتابه (١٤٨) .

(٢) عرض لهذه الاختلافات الداخلية في النسب : رحمة الله الهندي في كتابه : إظهار الحق (٦٧ - ٦٩) وجمع كل نقاط الاختلاف بين السلسلتين .

وانظر كذلك الأعظمي (اليهودية والمسيحية / ٢٣٤ - ٢٣٦) .

(٣) أشار إلى ذلك محمد طاهر التنير في كتابه : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (٨٧ - ٨٨) .

المبحث الثاني

دعوى ألوهية المسيح

أثيرت هذه الدعوى على حياة المسيح عليه السلام ، لكنَّ العجيب أن الذين أثاروا هذه الدعوى كتهمةٍ ضد المسيح هم أعداؤه اليهود[١] . أما الآن فإن الذي يُوجِّه تلك التهمة بكل غبطة وسرور هم أتباع المسيح الأدعياء . لا كتهمةٍ بل كدعوىً عريضة ، يظنون – خيَّبهم الله – أنها تزيده شرفاً ورفعة . وهو منها بريء .

وفي سبيل تقرير هذا المعتقد وإلزام كل النصارى به . يؤكد بعض قساوستهم أنه لابد من الإقرار بهذا المعتقد لكل نصراني . وأنه إنْ كان المسيح هو الله فإن النصرانية صحيحة . أما إن لم يكن المسيح هو الله فإن النصرانية حينئذٍ تكون غير صحيحة[٢] .

وفي ذلك من الابتزاز العاطفي والضرب على وترٍ حساسٍ ما فيه .

أما مبررات ألوهيته أو أسباب تأليهه ، فهي في نظرهم :

١ – ولادته من عذراء ، أو ما يسمونه بالميلاد العذراوي . ومحصِّلته : أنه ولد من غير أبٍ .

٢ – ظهور بعض المعجزات على يديه .

٣ – قيامته بعد موته – بزعمهم –[٣] .

---

(١) في مرقس اتهموه بالتحديف (١٤ : ٦٤) وفي لوقا أنهم قالوا له: « أأنت إذن ابن الله ؟ » (٢٢ : ٧٠) وفي يوحنا قالوا : إنه جعل نفسه ابن الله (١٩ : ٧) .

(٢) هل المسيح هو الله – القس : لبيب ميخائيل (١٢) .

(٣) هل المسيح هو الله – القس : لبيب ميخائيل (١٢٦ / ١٥٣ / ١٨٨) والمسيح في الإسلام – ديدات (٥٤ – ٥٦) وكتاب : المسيح إنسان أم إله – لمحمد مجدي مرجان (نصراني أسلم) تحقيق : عبد الرحمن دمشقية (١٦٧) مكتبة الحرمين / طبعة وتاريخ : بدون .

ويُردُّ على هذه المبررات فيقال : أَمَّا أنه من غير أبٍ ، فآدم عليه السلام كذلك من غير أبٍ ، فَلِمَ لَمْ تُؤلِّهوه كما أَلَّهتم المسيح عيسى عليه السلام . / وأما ظهور المعجزات على يديه فكذلك حال إخوانه من الأنبياء عليهم السلام فَلِمَ قصرتم دعوى الألوهية عليه ./ وأما القيامة فزعمٌ ساقطٌ بُني على زعمٍ أوهى منه هو : الصلب . ونقضهما لاحقٌ إن شاء الله .

ثم يُجابون عن هذه الدعوى إجمالاً ، فيقال : مما ينفي دعواكم في ألوهيته :

١ - إقراره هو - عليه السلام - بما ينقض اعتقادكم من أساسه ، لاسيما وأن ذلك منقولٌ في أناجيلكم المعتمدة . كإقراره لله - تعالى - بالوحدانية ، وبأنه لا يعلم الغيب إلا الله .

ففي مرقس « الرب إلهنا ربٌ واحد » . وفي يوحنا « أنت الإله الحق وحدك »[1] . فهذا الإقرار الصحيح الصريح بالوحدانية ينسف دعواهم بالكلِّية .

أما علم الغيب . وأنه لا يعلمه إلا الله وحده . فقد جاء مثبتاً في مرقس في القول الذي نسبه إلى عيسى عليه السلام « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد ، لا الملائكة الذين في السماء ولا الابن »[2] . ويقصد بذلك اليوم يوم القيامة والساعة التي تحلّ فيها نهاية العالم . فنفى أن يكون هو ممن يعلم موعد قيام الساعة . ولو كان إلهاً - كما زعموا - ما خفي عليه ذلك .

٢ - أنه لم يدَّع قط لنفسه الإلهية . وليس في كل أناجيلكم المعتمدة عبارةٌ واحدة فيها أنه إلهٌ أو أنه يزعم أنه إلهٌ[3] . فإن كنتم استخرجتم ذلك - بزعمكم - من دلالاتٍ لعباراتٍ في الأناجيل . فهذا سوء فهمٍ منكم .

---

(١) مرقس (١٢ : ٢٩) ويوحنا (١٧ : ٣) .

(٢) مرقس (١٣ : ٣٢) .

(٣) أشار إلى هذه الحجة أبو عبيدة الخزرجي في كتابه (١٣٠) وأحمد ديدات في : المسيح في الإسلام (٧٤).

وهي دعوىً من عندكم . الله منها بريء . وعيسى عليه السلام عبد الله ورسوله منها كذلك بريء .

دعنا من القول بالأقانيم أو القول بالتثليث . فتلك إلى الإثبات بصريح لفظه في الإنجيل أبعد .

٣ - يجعلون العهد القديم مصدراً مقدساً مُلْزِماً لهم . وفي العهد القديم التأكيد دائماً على الوحدانية ، وتحريم عبادة غير الله مما هو معلوم[١] .

فيلزمهم على هذا رفض القول بألوهية غير الله سواءً كان المسيح أو غيره . أو رفض الأخذ بالعهد القديم . وهو ما لم يفعلوه .

٤ - أفعاله البشرية من ضعفٍ وبكاءٍ وحزنٍ وأكل وشرب وجوعٍ وعطشٍ ونومٍ وغيرها من صفات النقص التي يتنزه الباري - عز وجل - عن الاتصاف بها ، تنقض دعواكم في ألوهيته . وهي مبثوثة في كل الأناجيل لا يحتاج إثباتها إلى استدلالٍ أو استنتاجٍ يدقُّ على الناظر المتعجل . بل كل حديث الأناجيل عن سيرته تلك[٢] .

٥ - ناقضٌ عقلي ، أورده الإمام ابن حزم . قال : « يقال لهم : أنتم تقولون إن المسيح ربٌّ معبود .. والمسيح .. عند بعضكم طبيعتان ناسوتية ولاهوتية . فأخبرونا أتعبدون الطبيعتين معاً اللاهوتية والناسوتية أم تعبدون إحداهما دون الأخرى ؟

فإن قالوا : نعبدهما جميعاً أقروا بأنهم يعبدون إنساناً .. مخلوقاً مع الله تعالى . وهذا أقبح ما يكون من الشرك .

وإن قالوا : بل نعبد اللاهوت وحده . قيل لهم : فإنما تعبدون نصف المسيح لا كله »[٣] .

---

(١) أشار إلى هذا الناقض رحمة الله الهندي في إظهار الحق (٢٤٩) .

(٢) ممن أشار إلى هذا الناقض : القرافي في الأجوبة الفاخرة (٦٨) ومحمد مجدي مرجان - المسيح إنسان أم إله (١٨٧ - ١٩٢) .

(٣) الفصل (١ : ١٢٨) .

وبعد هذا . فقد عارض هذا المعتقد الباطل بعض النصارى آنذاك .

ومن أوائل أولئك « برنابا » الذي كتب إنجيله للرد على بولس وشيعته الضالة القائلين بألوهية المسيح ، أو أنه « ابن الله »[١] .

وفي العصر الحاضر رفض بعض الباحثين النصارى المتأخرين وبعض طوائفهم الصغيرة هذه الفكرة ونبذوها[٢] .

وقد نتج عن هذه الدعوى أمرٌ يتعلّق بعودته المنتظرة .

ذلك أنهم يقررون عودته ، وقيام مملكته ، ثم يسكتون بعد ذلك عن خاتمته . ولا يذكرون شيئاً كما يذكر المسلمون عن موته .

فهم تبعاً لتقريرهم ألوهيته ، لا يتصورون له خاتمةً ونهايةً كنهاية غيره من البشر ، يموت ويدفن .

فهم كذا دائماً ، يقفون على النقيض مما تتصوره العقول السليمة وتقبله .

إذ هم في مجيئه الأول يذكرون له موتاً وصلباً ودفناً ثم قيامةً وصعوداً . فينقضون أمراً يعقله كل البشر أن الميت متى شبع موتاً ودفناً لا يعود إلى الحياة ثانيةً ، قبل أن يبعث الله كل الخلائق للحشر .

أما هنا حين تقترب نهاية العالم . ويتحتم على كل مخلوق أن يُودِّع هذه الدار الدنيا إلى عالمٍ آخر . نراهم يصمتون صمت المقبورين عن أن ينسبوه إلى الموت ، تشبثاً بمعتقدهم الضالّ في ألوهيته . مع أن نسبة الموت إليه في هذا المقام أليق ، وأقرب إلى التصديق .

---

(١) مقدمة إنجيل برنابا - لبرنابا (٤) .

(٢) انظر : هل المسيح هو الله - لبيب ميخائيل (٢٢٣) ومحمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن - لإبراهيم خليل أحمد (١٠٣ / ١٠٩) والنصرانية للدكتور مصطفى شاهين (٢٨٠ - ٢٨٣) . ومن أشهر الباحثين المتأخرين الذين قرروا ذلك شارل جينيبير في كتابه عن : تاريخ النصرانية في مطلع عهدها (المسيحية نشأتها وتطورها / ٥٠ / ١٣٥) .

المبحث الثالث

نقض القول بالتثليث

التثليث هو معضلة النصرانية ولغزها المحيِّر ، أقل ما يقال عن القائلين به أنه لا يحكمهم نقلٌ ولا عقل ، ولا يعصمهم عن هذا الاعتقاد المرذول فهمٌ ولا نظر .

معتقدٌ بلغ من السفاهة حداً أضحك عليهم البلهاء فضلاً عن العقلاء . ذكروا أن ثلاثة نفرٍ تنصَّروا ، فقعد القسيس يُعلِّمهم عقائد النصرانية ، ومنها التثليث . فلما فرغ من التعليم بعد مدةٍ سألهم عن اعتقادهم . فقال أكثرهم علماً وأوسعهم فهماً : فهمت أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد . وصُلب واحدٌ منهم ومات ، فمات الكل لأجل الاتحاد ، ولا إله الآن ، وإلاّ يلزم نفي الاتحاد[1] .

زعموا أنهم يستدلون للتثليث بأمور . قالوا :

- أي رقمٍ آخر غير الواحد إذا ضربته في رقمٍ آخر يتزايد بكيفية واضحة إلا رقم ١ فإنه يستمر واحداً مهما ضربته في نفسه[2] .

- والزمن - كما يقولون - واحدٌ في ثالوث ، لأنه يتكوّن من الماضي والحاضر والمستقبل .

- والأبعاد في علم المقاييس ثلاثة : الطول والعرض والارتفاع .

- والكلمة اسم أو فعل أو حرف[3] .

إلى آخر هذه الترهات .

---

(١) نقل هذه القصة صاحب إظهار الحق (٢٧١) .

(٢) لست أدري كيف يستدلون بهذا على التثليث . وعلى أي وجهٍ يسوقونه . فهو إلى أن يكون دليلاً على الوحدانية أقرب منه إلى أن يكون دليلاً على التثليث . هذا إذا جاز أن يُتخذ مثل هذا دليلاً .

(٣) انظر : هل المسيح هو الله - للقس : لبيب ميخائيل (٦٩ - ٧٠) .

ويقال لهؤلاء : كما أن في الكون أشياء لها ثلاثة أبعاد . فثمت أشياء فيه تتكوّن من اثنين . فالنباتات زوجان . وعالم الإنسان زوجان : ذكر وأنثى .

وفي الكون كذلك أشياء لها أربعة أبعاد : كالجهات الأربع .

فَلِمَ قلتم بالتثليث لأجل تلك الأشياء المثلَّثة ، ولم تقولوا بالثنوية لأجل زوجية بعض الأعيان والكائنات ، أو التربيع مثلاً ؟

الذي يتحصَّل بعد كل هذا أن كل ما يُقال : سفسطةٌ لا معنى لها. وهراءٌ لا سند له .

أوجدوا بدعة التثليث ثم طفقوا يبحثون لها عن شواهد ودلائل بالغةً ما بلغت من الضعف .

ويقال في الرد على هؤلاء المثلِّثة أيضاً :

١ - التثليث في اعتقادكم أحد أركان النصرانية ، وأناجيل النصرانية اشتملت على الاعتراف بالتوحيد المحض « الرب إلهنا ربٌ واحد »[(١)] ونحو ذلك .

فلزم من ذلك اجتماع الضدين في ديانتكم ، واجتماع الضدين ممتنعٌ عقلاً[(٢)] . فلزم من ذلك إنكار التثليث ورفضه . أو نبذ كل ما يثبت الوحدانية من كتبكم وأناجيلكم . - وهذا فيما يظهر أهون عليكم - ثم نبذ كل ما يثبت الوحدانية في أسفار العهد القديم . وهذا ما لم يقع . فديانتكم إذاً خارجةٌ عن طور المعقول . وفي منقولها شكٌ ونظر ، فليس لها إذاً مستندٌ واحد صحيح .

٢ - « يقال للقائلين بأن الباري تعالى ثلاثة أشياء : أب وابن وروح القدس : أخبرونا : .... بأي معنىً استحق أن يكون (أحدها) يُسمَّى أباً والثاني ابناً والثالث روح القدس . وأنتم تقولون : إن الثلاثة واحد ، وأن كل واحدٍ منها هو الآخر .

---

(١) مرقس (١٢ : ٢٩) .

(٢) أشار إلى هذه الحجة رحمة الله الهندي في إظهار الحق (٢٦٨) .

فالأب هو الابن . والابن هو الأب ، وهما روح القدس وليس روح القدس سواهما . وهذا هو عين التخليط . ...

وإن كانت الثلاثة متغايرة - وهم لا يقولون بهذا - فيلزمهم أن يكون في الابن معنىً من .. النقص به وجب أن ينحط عن درجة الأب .

والنقص ليس من صفة الذي لم يزل »[١] .

٣ - والقول بالتثليث بدعةٌ مسبوقة . قال بها قبلكم معشر النصارى أقوامٌ من الأمم الوثنية القديمة . فقال بها الهندوس والبوذيون والمصريون القدامى ، والفرس والآشوريون والكلدانيون واليونانيون القدماء الوثنيون . والرومان الوثنيون القدماء وغيرهم من الأمم .

فلا يبعد أن يكون النصارى قد أخذوها من بعض هؤلاء . ثم اجتهدوا في البحث عن دلائلها في تأويلاتٍ يستخرجونها من العهد الجديد على الأخص . والعهد القديم إن أمكن[٢] .

وبعد فإن القول بالتثليث معرَّة النصرانية وفضيحتها الكبرى ، لعدم استقامته بالمرَّة مع أدنى تصورٍ عقلي سليم . حتى لقد بهتَ أحد شيوخ المسلمين أحد كبراء النصارى حين حاجَّه في بعض المسائل . فقال له : « أنا لا أكلف النصارى إقامة دليلٍ على صحة دينهم ، بل أطالبهم كلهم أن يُصوِّروا دينهم تصويراً يقبله العقل ، فإذا صوَّروه اكتفيت بذلك من غير مطالبتهم بدليلٍ على صحته »[٣] .

---

(١) الفصل (١ : ١١٢ - ١١٣) .

(٢) أشار إلى ذلك محمد طاهر التنير في كتابه : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (٣٥ - ٤٦) .

(٣) مقدمة كتاب أبي عبيدة الخزرجي (٤٣) وانظر كذلك متن المؤلف (١٢٣ / ١٥٢) وفيه أن أحد ملوك الهند قال : « أما النصارى فإن كان أعداؤهم من أهل الملل يجاهدونهم بالشرع ، فأنا أرى جهادهم بالعقل » . وانظر كذلك : هداية الحيارى لابن القيم (٢١) .

ولذا نراهم يهربون عن إقامة الحجة العقلية إلى الزعم بأن المطلوب قبل ذلك هو : الإيمان . وبعد الإيمان يجب التصديق بلا نقاش لأنها أمور فوق الحس وفوق المعقول[١].

(١) لهم عبارة مشهورة في ذلك تؤكد عزمهم على هذا الاعتقاد وتصميمهم عليه وإن خالف العقل . يقولون : « نحن نؤمن بذلك لأنه لا يتفق مع العقل » فأخرجوه عن نطاق المعقول إلى اللامعقول . انظر : أضواء على المسيحية - للدكتور : رؤوف شلبي (١٢٩) .

المبحث الرابع

دعوى الصلب والقيامة

نهاية المسيح الأولى في اعتقاد النصارى هي: الموت صلباً ، ثم القيامة بعد الدفن ، والصعودُ استعداداً للمجيء الثاني .

والنقض يتوجّه في هذه المسألة أو هذا الاعتقاد إلى دَعْوَيَيْن : الصلب / القيامة . ذلك أن الدعوى الثانية هي كالنتيجة للدعوى الأولى . فقد قالوا بالدعوى الأولى - الصلب - . فلزمهم رفعاً لذلك العار أن يقولوا بدعوىً ثانية هي القيامة ، فغسلوا كذبةً بكذبةٍ أخرى .

ومنعاً للاستطراد ، ولمزيدٍ من التركيز نُودع نقض الدعوى الأولى ونتيجتها الماثلة في الدعوى الثانية في الفقرات التالية ، فنقول :

١ - التشكيك في أصل الرواية : من ناحية توفر الشهود والرواة للقصة .

ذلك أنهم جزموا بالصلب جزماً لاشك فيه ، وجعلوه من عقائدهم الكبرى .

فما هو مستندهم في هذه الدعوى ؟ ومَنْ هم شهودهم على هذه الواقعة ؟

إن أحالونا على الأناجيل . قيل لهم : فما مستند أصحاب الأناجيل أنفسهم ؟ وليس فيهم واحدٌ يزعم لنفسه زعماً أنه حضر واقعة الصلب . فمن هم الرواة الذين نقل عنهم أصحاب الأناجيل تلك القصة :

أ - أهم التلاميذ الذين تركوه وهربوا من حين قبض عليه كما ذكر ذلك متى ومرقس[١] ؟

(١) متى (٢٦ : ٥٦) و(مرقس / ١٤ : ٥٠) .

ب - أم هو بطرس كبير الحواريين الذي نجح - كما يقول لوقا - في التسلل إلى مكان المحاكمة ، ثم لما اكتُشف أمره غادر المكان فوراً[١] .

جـ - أم هن جماعة النسوة وجمعٌ من أتباع المسيح ومعارفه الذين زعم يوحنا ولوقا[٢] أنهم حضروا الصلب وشاهدوه ؟ وكيف يصح هذا الزعم ثم ينسى الإشارة إليه متى ومرقس وهو المستند الرئيس لقصة الصلب هذه . لو صح ذلك لبادروا جميعاً إلى الإشارة إلى أن فلاناً وفلاناً من أتباع المسيح حضروا الصلب ، ونقلوا خبره إلى كتبة الأناجيل . ولَمَا نفى متى ومرقس ذلك بإشارتهم إلى هروب جميع تلاميذ المسيح عنه . فكيف فاتت مثل هذه الحجة الباهرة القاهرة متَّى ومرقس . وهي حجةٌ قاصمةٌ قاطعةٌ لكل منكرٍ لحدوث الصلب .

لو وقع ذلك فعلاً لملأ به كل أصحاب الأناجيل كتبهم ، ولزيَّنوا به صدور صحائفهم .

ثم لو افترضنا بعد كل ذلك أن رواية لوقا صحيحة لا معارض لها . فإن أولئك كانوا واقفين من بعيد - كما قال - فكيف يُميِّزون مِنْ على البعد : مَنْ يكون المصلوب : أهو عيسى أم غيره ؟ وأية شهادةٍ تلك الشهادة !

د - أم هو يوسف الرامي ذلك الرجل الذي يعدّونه من أتباع المسيح الأخفياء ، مندساً بين أعضاء المجلس الأعلى اليهودي ؟ وكيف يكون تابعاً مؤمناً ثم لا يظهر لإيمانه أثرٌ على الإطلاق ؟

يرى نبيه عيسى عليه السلام يُؤخذ بلا ذنبٍ اقترفه ، فيؤذى ويضرب ، ويُحاكم بين يدي محكمةٍ يوسفُ أحد أعضائها ، ويُتهم بجرمٍ يستوجب الصلب ، ويُحكم عليه

---

(١) الذي يُفهم من رواية لوقا أن أمر بطرس اكتشف مبكراً . وغادر المكان على الفور . ولم يشاهد بقية الأحداث . انظر : لوقا (٢٢ : ٥٥ - ٦٢) .

(٢) لوقا (٢٣ : ٤٩) (يوحنا / ١٩ : ٢٥ - ٢٦) .

بالصلب ، ويُقاد للصلب ، ويُنفذ فيه الحكم ، ثـم لا يـهتز ليوسـف هـذا جفـنٌ ، ولا تطفر من عينه دمعةٌ تفضحه ، ولا يدفع عن عيسى بكلمةٍ واحدة . وكل ما قَدِرَ عليه أنه استلم جثمان المسيح بزعمهم فدفنه[١] .

كأنما يريدون تصحيح مقولتهم في الصلـب والدفـن فحسـب . ثـم لا يهمـهم مـا يكون بعد ذلك .

والحال أن يوسف هذا إما أنـه ارتـد بعـد إيمـان . أو أنـه خـائنٌ مـن أول أمـره ، يهودي مدسوسٌ في صفوف أتباع المسيح لا العكس كما يصورونه . وشهادة الاثنـين ساقطةٌ على هذا غير مقبولة . فحكمـه إن كـان مرتـداً أو خائنـاً جاسوسـاً مدسوسـاً كحكم أي يهودي آخر. مقالته في المسيح ودعواه في الصلب تنصر مذهبه ، كدعوى بني قومه اليهود ، مقالة مبغضٍ لا يُعتدُّ بها ، ودعوى معارضٍ لا يُؤبه لها .

هـ - أم نقلوا ذلك عن اليهود أعداء المسيح . وهم ألـد أعدائـه . فكيـف يؤخـذ بقولهم فيه . ويوافَقون على زعمهم أنهم مُكِّنوا منه . وهم يقولون : إنه دعي كذابٌ ليس بنبي . فكيف نأخذ بعض قولهم وندع بعضه .

و - أم نقلوا ذلـك عـن الرومـان الذيـن سمحـوا بصلبـه وقتلـه - حسـب دعـوى الأناجيل - مع تحققهم من براءته[٢] . ثم إن أحداً من كتاب الأناجيل لم يذكـر ذلـك ولم يصـرح بـه . ولـو افترضنـا أن أحدهـم صـرح بذلـك : كيـف يُمكـن لهـم أخـذ عقائدهم من أفواه الوثنيين الرومان . فالعقائد لا تبنى على مثل هذه الروايات الواهية.

---

(١) لوقا (٢٣ : ٥٠ - ٥٣) .

(٢) تذكر الأناجيل أن بيلاطس الوالي الروماني قال لليهود لَمَّا رفعوه إليه بتهمة التجديف أو ادعاء الملك « لا أجـد فيـه ذنبـاً » (يوحنـا / ١٨ : ٣٨) أو « لم أجـد في هـذا الإنسـان أي ذنبٍ ممـا تتهمونـه بـه » (لوقا / ٢٣ : ١٤) وأنه قال لهم لَمّا سلمه إليهم : « أنا بريء من دم هذا البارّ . فانظروا أنتم في الأمر » (متى / ٢٧ : ٢٤) فهو إذاً متحققٌ من براءته مما اتهمه به اليهود . ومثل هذه التـهم السياسـية (ادعـاء الملك) مما لا يتهاون به الولاة والساسة في العادة .

ز - أم يُظن بهم أنهم نقلوا ذلك عن مصادر مجهولة ، فهي إذاً رواية متهافتةٌ للجهالة بالرواة وعدم معرفتهم .

ح - أم أنهم نقلوا ذلك على ما شاع وانتشر واشتهر ، وزعم اللاحقون من أتباعهم أن مستند ثبوت هذه الحادثة هو تواترها[1] وشيوعها .

ودعوى التواتر والانتشار والشيوع ليست مستنداً معتبراً للعقائد الكبرى . ولو صح الأخذ بذلك مستنداً لعقيدةٍ من العقائد بسبب شيوعها وانتشارها وتواتُرِ الأخذ بها ، لصح قول الهنود الحمقى - من الوثنيين الهندوس - بتقديس البقرة وعبادتها ، لاسيما وقد تواترت أجيالهم عبر القرون وأجمعت على الأخذ بهذا المعتقد . وهو إجماعٌ - وأيم الله - لا يساوي مثقال ذرةٍ من شعير .

ثم كيف تتواتر الشائعة ولا يتواتر مستندها الذي هو أصل ثبوتها رغم وجوده . وكيف يغفل عنه كبار الحواريين .

فمصدر القصة إذاً واهٍ غير معتبرٍ متى أحببنا أن نأخذها بمعايير الروايات المعتبرة المحققة المدققة ، لأنها ليست حكايةً للأطفال . بل عقيدةً كبرى تبنى عليها عقائد .

فلزمهم حينئذٍ أن ينقلوا تلك الحادثة بروايةٍ صحيحةٍ عن أتباع المسيح وحوارييه ، فإن لم يتحقق لهم ذلك - ولن يتحقق - فليعترفوا ببطلان القصة من أصلها .

قال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره : « دعوى التواتر ممنوعة .... وأنَّى للنصارى بمثل هذا التواتر ، والذين كتبوا الأناجيل والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون عدد التواتر ، ولم يخبر أحدٌ منهم عن مشاهدة ، ومَنْ تُنقل عنه المشاهدة كبعض النساء لا يؤمن عليه الاشتباه والوهم ، بل قال يوحنا في إنجيله[2] إن مريم المجدلية وهي أعرف الناس بالمسيح اشتبهت فيه وظنت أنه البستاني » .

---

(١) انظر مناقشة القرافي فهم في الأجوبة الفاخرة حول دعوى التواتر هذه - ص (٥٠) وما بعدها .

(٢) إنجيل يوحنا (٢٠ : ١ / ١٤ - ١٥) .

إلى أن قال : « (والحاصل) ... أن قصة الصلب ليس لها سندٌ متصل إلى الأفراد الذين رُوِيت عنهم ، وأولئك الأفراد الذين رووها غير معروفين معرفةً يقينية »[(١)] .

٢ - التشكيك في مضمون الرواية (التناقض بين الأناجيل في رواية الصلب) :

فالقصة على افتراض أن لا مجال للتشكيك فيها من ناحية الرواية ، تتضمن في داخلها ما يهدم أساسها بما اشتملت عليه من تناقضات ، وتفاوتٍ بين الأناجيل في نقل وقائعها ، وعلى الأخص تلك الوقائع التي لا تحتمل إلا قولاً واحداً .

خذ مثالاً على ذلك في واقعةٍ من واقعات الصلب المزعوم ، ذكَرَها ثلاثةٌ من أصحاب الأناجيل . فأما اثنان منهما فنقلا فيها قولاً واحداً . وأما الثالث فذكر قولاً غير قولهما بالمرة في واقعةٍ - كما زعموا - على رؤوس الأشهاد ، لا تحتمل إلا قولاً واحداً .

قال متى ومرقس : إن المسيح حين صُلِب ، صُلِب معه لصان كانا يُعيِّرانه ويسخران منه .

بينما ذكر لوقا أن الذي كان يسخر منه أحدهما ، أما الثاني فقد اتجه إلى المسيح طلباً للغفران - حسب تعبير النصارى - وأن المسيح وعد ذلك اللص الثاني بأن يرافقه في الفردوس قبل انقضاء ذلك اليوم[(٢)] .

فأي القولين حق ؟ وأيهما باطل ؟ والمسألة لا تحتمل إلا قولاً واحداً : إمَّا أَنَّ أحد اللصين آمن فَوُعِدَ بالفردوس ، وإمَّا أن الاثنين كانا سيئين ينالان من المسيح وهو مصلوبٌ بزعمهم . ولم يقل أحدٌ منهم إن اللص الثاني كان سيئاً ثم آمن .

---

(١) تفسير المنار (٦ : ٣٤ / ٥٤) .

(٢) متى (٢٧ : ٤٤) ومرقس (١٥ : ٣٢) ولوقا (٢٣ : ٣٩ - ٤٣) . وانظر : التفسير التطبيقي للعهد الجديد (٢٩٩) . وقد فطن إلى هذا التناقض الإمام ابن حزم فساقه في دلائل نقض قصة الصلب المزعومة (الفصل / ٢ : ١٢٥ - ١٢٦) .

ولهذا التناقض المحكم الـذي ينسـف بنيـان هـذه القصـة ودعاويـهم بشـأنها أمثلـةٌ أخرى .

خذ مثالاً ثانياً على ذلك : فقد ذكر متى ومرقس أن عيسى لَمَّا أُخِذَ هـرب كـل تلاميذه ، واستخدم الاثنان في روايتهما صيغة التعميم . ولم يستثنوا من ذلـك أحـداً . قال متى : « تركه التلاميذ كلهم وهربوا ». وقال مرقس: « تركه الجميع وهربوا »[١]. أما لوقا فجاءنا بروايةٍ تنقض هاتين الروايتين تماماً . فقد ذكر أن جميع معارف المسـيح « بمن فيهم النساء اللواتي تبعنه من الجليل .. كانوا واقفين » أثناء تنفيذ الصلـب « مـن بعيدٍ يُراقبون »[٢] . وقال يوحنا : إن بضع نسوةٍ وأحد التلاميذ شهدوا الصلب[٣] .

فإحدى الروايات بلا شكٍ كاذبة . إما أنه لم يحضر أحد . أو أن بعـض المعـارف والنساء حضروا . أو أن بعض النسوة وأحـد التلاميـذ هـم الذيـن حضـروا الصلـب . لا تحتمل الواقعة أكثر من خيارٍ واحد[٤] .

٣ - التناقض بين ما تقوله الأناجيل في وقائع تتعلق بالصلب ، وبين ما هو معهودٌ عن المسيح عليه السلام ، أو ما هو لائقٌ بنبوته .

فقد ذكروا في بعض أناجيلهم أنه لَمَّا عُلِّق على الصليب عطش فاستسقاهم ، فلم يسقوه إلا خـلاًّ[٥] ، نكايـةً بـه وزيـادةً في تعذيبـه . فكيـف عطـش بعـد أخذهـم لـه بساعاتٍ أو يومٍ إن تزيَّدنا ؟ وهو المشهور بقوة التحمُّل على ما ذكروه في أناجيلهم : من أنه صام أول بعثته أربعين يوماً وليلةً[٦] . أتراه هـانت عليـه نفسـه ؟ أم هـان عليـه مقام النبوة ؟ أم أراد أن يُجرِّبهم ؟

---

(١) متى (٢٦ : ٥٦) ومرقس (١٤ : ٥٠) .

(٢) لوقا (٢٣ : ٤٩) .

(٣) يوحنا (١٩ : ٢٥ - ٢٦) .

(٤) جمع عدداً من هذه التناقضات : الدكتور محمد وصفي في كتابه عن : المسيح بين الحقائق والأوهام (١٦٠ - ١٦٢) .

(٥) يوحنا (١٩ : ٢٨ - ٣٠) .

(٦) متى (٤ : ٢) .

ومن ذلك ما ذكروه أنه لَمَّا عُلِّق على الصليب أخذ يصرخ : « إلهي إلهـي . لماذا تركتني ؟ »[١] . أَيُعقل أن يصدر مثل ذلك عن نبـيٍ من أنبياء الله تعالى . وفيه مـا فيـه من الاعتراض على قضاء الله أو سوء الظن بالله . حاشا وكلا .

لاشك ولا ريب أن المصلوب ليس هو[٢] .

٤ - جعلوا سر الصلب : التكفير عن خطيئة آدم عليه السلام . وآدم عليه السـلام قد تاب وأنـاب ، فـإن أقـرُّوا بذلـك بطـل القـول بالتكفـير والصلـب مـن أصلـه . وإن عارضوا في ذلك ومانعوا كذَّبتهم أسفارهم التي ذكرت خبر آدم عليه السلام وندمه[٣] .

فإن أبوْا ذلك قيل لهم : الخطيئـة خطيئـة آدم - علـى زعمكـم - فكيـف يحملـها عيسى عنه ؟ والمفروض أن يتحمَّل آدم وحده خطيئتـه . والخطايـا لا تـورث / ثـم إن كانت تورث ، فلماذا ورثها عيسى دون غيره من إخوانه من بـني آدم ؟ إن كـان ابـن الله - كما يزعمون - فهو بالميراث الإلهي أولى منه بميراث الخطيئة مـن أبيـه الإنسـاني آدم / وكيف تشمل الرحمة الإلهية كل بني البشر ، ثم لا تشـمل ابـن الله - علـى حـد زعمهم - / وهو نبي ؟ فهو بالرحمة أولى . وهي إليه أقرب .

٥ - يقولون إن عيسى صلب ، ويقولون كذلك : إن عيسى إلـه وإنسـانٌ معـاً . لاهوتٌ وناسوت . فهل وقع الصلب عليهما معاً ، أم وقع على الناسوت وحده .

اختلفوا في ذلك . فقال بعضهم : وقع على الناسوت واللاهوت معاً .

وقال غيرهم : بل وقع الصلب على الناسوت[٤] ، وفارق اللاهوتُ الناسوتَ عند الصلب ، حتى إذا كانت القيامة عاد اللاهوت فامتزج بالناسوت وصعدا معاً .

---

(١) متى (٢٧ : ٤٦) .

(٢) فطن إلى هذين الناقضين : أبو عبيدة الخزرجي في كتابه فأوردهما (١٦٤) .

(٣) الأجوبة الفاخرة للقرافي (١٠٦) وانظر قصة آدم في الإصحاح الثاني والثالث من سفر التكوين .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (٢٢٢ - ٢٢٣ / ٢٢٦) .

ويقال للفريق الأول : أي إلهٍ هذا الإله الذي وصل به الهوان إلى أن يأخذه بعض شذاذ اليهود فيسبُّونه ويضربونه ويؤذونه ويحاكمونه ويصلبونه ويموت . ثم لا يستطيع أن يدفع أذاهم ألبتة . أفلا خسف بهم الأرض أو أسقط عليهم السماء أو أظهر لهم آية أو صعقهم بمعجزةٍ باهرة . هذا أهون إلهٍ عرفه تاريخ البشرية . وأذل منه وأسخف من اتخذه إلهاً يعبده من دون الله يستغيث به عند الشدائد ، وهو لم يدفع عن نفسه .

أما الفريق الثاني ، فيقال لهم : « فأنتم في قولكم « مات المسيح وصلب » كاذبون ، لأنه إنما مات نصفه فقط وصلب نصفه فقط ، لأن اسم المسيح عندكم واقعٌ على اللاهوت والناسوت كليهما معاً لا على أحدهما دون الآخر . ... وكل من قال منهم (بعدئذٍ) : الإله غير الإنسان فقد أبطل الاتحاد »[1] .

٦ - فكرة الصلب ، وذبح ابن الله فداءً عن البشر ، وتكفيراً لخطاياهم ، فكرة وثنية في الأساس ، سابقةٌ في الظهور على الديانة النصرانية ، قال بها الهندوس والبوذيون والمصريون القدامى ، والفرس أتباع ديانة مثرا . وغيرهم من قدامى الوثنيين[2] .

أفليس من المحتمل أن لا تكون قصة الصلب والفداء والخطيئة والكفارة إلا استرجاعاً مكروراً لتلك العقائد البائدة الحاضرة في تلك المنطقة أثناء بعثة المسيح .

ذلك أن هذه الفكرة إلى الخرافة والعقائد البدائية أقرب منها إلى الوقائع الفعلية والروايات الموثقة التي تشهد لها كل الدلائل ، وتؤكدها كل المعطيات المتوافرة .

---

(١) الفصل لابن حزم (١ : ١٢٨) .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية - لمحمد طاهر التنير (٤٨ - ٥٦) وكتاب : محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن - لإبراهيم خليل أحمد (٩٧ - ٩٨ / ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣) . وراجع تفسير المنار لرشيد رضا (٦ : ٣٢ - ٣٣) .

٧ - اعتقاد المسلمين في هذه المسألة هو ما ذكره الله في كتابه المحكم التنزيل من أن المسيح عليه السلام لم يصلب . بل رفع . وأن اليهود قد شُبِّه لهم . فظنوا أنهم صلبوه .

وكان الأولى بالنصارى أن يأخذوا بهذا القول ، لأنه أليق بنبيهم ، وأسلم وأعلم وأحكم ، لكنهم تركوا هذا القول وراءهم ظهرياً . وأخذوا بمقولة بولس اليهودي ابن اليهودي[١] . وبني قومه اليهود . واستخدم بولس كل ما أوتي من قوة ودهاء وخبث وذكاء لتثبيت هذا المعتقد بين الرعيل الأول من النصارى . واخترع لهم فكرة كون عيسى ابن الله الذي ضَحَّى به تكفيراً عن الخطيئة الأولى[٢] .

والعجيب أن أناجيلهم المعتمدة ناطقةٌ بتصديق ما جاء في كتاب الله ، لكنهم لم يفطنوا إلى ذلك . ومضوا خلف أوهامهم . فالأناجيل المعتمدة تعترف بأن هيئة المسيح وشكله قد تغيَّرت في تلك اللحظات الحرجة[٣] ، مما يؤكد أنه كان متنكراً ، أو أن شبهه قد تغيَّر . زد على ذلك أن عيسى عليه السلام أكَّد لهم - كما أثبتوا ذلك في أناجيلهم - أنهم سينكرونه من تلك الليلة ويشكون فيه ، ويطلبونه فلا يجدونه[٤] . ولو كان المقصود إنكار جحدٍ وتكذيبٍ برسالته لكان ذلك كفراً بعد إيمان . لكن إنما كان المقصود - والله أعلم - إنكار معرفته في هيئته الجديدة .

---

(١) هو الذي نعت نفسه بعد التحاقه المزعوم بالنصرانية بأنه « فريسي ابن فريسي » (أعمال الرسل/ ٢٣: ٦) والفريسيون هم الطائفة العظمى من اليهود الملقبين بالربانيين .

(٢) انظر : المسيحية - شارل جينيبير (١١٧) والمسيحية - أحمد شلبي (١١٦ / ١٢٩) .

(٣) يوحنا (٢٠ : ١٤ - ١٦) حيث ذكر أن مريم المجدلية رأت المسيح بعد محاولة الصلب فلم تعرفه وظنت أنه البستاني ، حتى كلمها فعرفته بصوته . وانظر كذلك يوحنا (٢١ : ١ - ١٤) حيث ذكر أن عيسى ظهر لتلاميذه بعد محاولة الصلب فما عرفوه حتى كلمهم . وأثبت كذلك ظهوره بهيئةٍ أخرى غير هيئته المعتادة بعد محاولة الصلب مرقس في إنجيله (١٦ : ١٢) . وقد فطن إلى هذه الحجة في نقض دعوى الصلب الدكتور محمد وصفي في كتابه عن المسيح (١٦٨ - ١٦٩) وأحمد ديدات في كتابه : مسألة صلب المسيح (٩٦ - ١١٤) وقد أورد ديدات في كتابه هذا عدة دلالات استخرجها من الأناجيل تنقض قصة الصلب - انظر الصفحات (١٣٤ - ١٤٩ / ١٦٢ - ١٦٨) .

(٤) متى (٢٦ : ٣١) (مرقس / ١٤ : ٢٧) (يوحنا / ٧ : ٣٤) .

وفوق هذا وذاك وقف فريقٌ من الرعيل الأول من أتباع المسيح عليه السلام ينكرون وقوع الصلب . مؤكدين أن الصلب وقع على رجلٍ غيره[١] .

ومن أولئك « برنابا » الذي استفتح إنجيله بذكر أنه كتب ما كتب من أجل الرد على بدع بولس . وعند الحديث عن الصلب أنكر إنكاراً تاماً أن يكون عيسى عليه السلام قد صُلِب . مؤكداً أن الذي صُلِب هو يهوذا الخائن ، الذي أُلقي عليه شَبَهُ عيسى عند لحظة محاولة القبض على عيسى[٢] .

وقد أنكر الصلب بعض طوائفهم المتقدمة . وقرروا أن المسيح لم يصلب ، ولكنْ صُلِب غيره . وقد حرَّمت مجامعهم الأولى « قراءة الكتب التي تخالف الأناجيل الأربعة والرسائل التي اعتمدتها ، فصار أتباعهم يحرقون تلك الكتب (التي فيها ذكر عدم صلب المسيح) ويتلفونها ، وإننا نرى ما سلم بعض نسخه منها كإنجيل برنابا ينكر الصلب ، وما يدرينا أن تلك الكتب التي فُقدت كانت تنكره أيضاً » . وقد صرح منكرو الصلب من قدامى فرق النصارى من هؤلاء أن المسيح لم يُصلب ، وأن الذي صُلِبَ « هو يهوذا الذي كان يشبهه شبهاً تاماً » كما زعموا[٣] .

كما اكتشفت في العصر الحاضر مجموعةٌ من الأناجيل القبطية في صعيد مصر تتفق مع ما جاء في القرآن من نفيٍ لواقعة الصلب[٤] .

وقد حدا هذا التناقض الفاضح في قصة الصلب بعض الباحثين النصارى المتأخرين إلى إعادة النظر في هذه القصة ، وبعد البحث : كانت النتيجة أن قصة الصلب مزورة

---

(١) العقائد الوثنية للتنير (٧) .

(٢) إنجيل برنابا – انظر مقدمة الإنجيل لبرنابا نفسه – والفصول (٢١٦ / ٢١٧) .

(٣) تفسير المنار – لرشيد رضا (٦ : ٣٤ – ٣٥ / ٤٣) .

(٤) مجلة المجلة – العدد (٧٦٦) ١٦ – ١٠ – ١٩٩٤ م/ ١١ – جمادى الأولى – ١٤١٥ هـ / ص = (٦٤) .

لم تكن موجودة في النص الأصلي للإنجيل ، وأنها أضيفت لاحقاً . والعجيب أن أول من عارض نتائج هذا البحث هم اليهود[١] .

* * *

وفي الختام نقول :

عجباً للمسيح بين النصارى	وإلى أي والدٍ نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا	إنهم بعد قتله صلبوه
وإذا كان ما يقولونه حقاً	وصحيحاً فأين كان أبوه
حين خلّى ابنه رهين الأعادي	أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فلئن كان راضياً بأذاهم	فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطاً فاتركوه	واعبدوهم لأنهم غلبوه[٢]

---

(١) قرر ذلك أحد كبار الباحثين في مجال الدراسات اليونانية القديمة والسياسي البريطاني المعاصر والوزير السابق : إينوك باول . في كتاب أصدرته جامعة ييل الأمريكية ، سماه « تطور الإنجيل » . (مجلة المجلة / العدد (٧٦٦) / الصفحات (٦٣ - ٦٥) . حيث قدمت ملخصاً للكتاب المذكور .

(٢) انظر هامش كتاب أبي عبيدة الخزرجي (١٢٠) ونسبها لصاحب كتاب « الفاصل بين الحق والباطل » في الرد على النصارى . ولم يُسمِّه .

أما وقد بطل القول بالصلب روايةً ودرايةً ، فقد بطل القول بالقيامة ، لأن عيسى عليه السلام لم يُصلب أصلاً حتى يحتاج إلى قيامة ، بل صعد إلى السماء . ومنها ينزل .

ومع ذلك ، فلنا أن نوجز نواقض معتقدهم في القيامة لمزيدٍ من التحرير ، نسوقها في إيجازٍ ، فنقول :

١ - اختلاف روايات الأناجيل بشأن القيامة . ومثل هذا الاختلاف يفيد التناقض ، والتناقض يُسقط الرواية من أصلها . وأقل ما يقال عنها حينئذٍ : إنها مكذوبة . يقول ابن حزم معلقاً على ذلك : « الاختلاف في قصةٍ واحدةٍ عن مقام واحد كذبٌ لاشك فيه ، ولا يُمكن أن يقع من معصومين ، فصح أنهم كذابون لا يتحرَّون الصدق فيما حدثوه وما كتبوه في هذه القضية »[1] .

٢ - يقال في القيامة ما قيل في الصلب . فالقيامة في الأصل فكرة وثنية . وُجِدَت عند الهندوس والبوذيين ، والمجوس وأتباع ديانة مثرا ، واليونانيين القدماء[2] .

وبعد هذا ، فالصعود ثابت سواءً قالوا : إنه صلب أو لم يصلب ، قام أو لم يقم . إذن فلا حاجة بهم إلى هذا المعتقد في الصلب والقيامة لتصحيح مقولتهم في الصعود ، ولإثبات مجيئه الثاني .

وتستقيم دعواهم في انتظاره وترقبه « مسيحاً منتظراً » ، يأتي في آخر الزمان ، دون الاحتياج إلى سرد هذه الأكذوبة وتزويق تفاصيلها .

---

(١) الفصل (٢ : ١٣١ - ١٣٢) .

(٢) العقائد الوثنية للتنير (٩٩ - ١٠٥) ومحاضرات في مقارنة الأديان - لإبراهيم خليل أحمد (٢٢ - ٢٣) .

المبحث الخامس

دعواهم حول عالمية النصرانية

عالمية الدعوة لديانتهم النصرانية أصبحت أمراً مفروغاً منه في نظرهم . مع أن عيسى عليه السلام لم يُمارس الدعوة العالمية ، ولا أشار إليها من قريب أو بعيد .

لكنْ حين جاء عصر بولس ، الرسول الدعيّ ، اليهودي الأصل ، وجاءت أفكاره التخريبية الهدامة من الدعوة إلى تأليه المسيح ، إلى القول ببنوته ، إلى القول ببدعة الخطيئة والكفارة ، والصلب للفداء ، إلى القول بالتثليث . أدرك (بولس) بذكائه الحادّ ، أن دعوته تلك إلى هذه الأفكار الغريبة على المجتمع اليهودي في فلسطين ، والمجتمع النصراني الصغير الحديث التكوين في فلسطين أيضاً ، لن تجد قبولاً ولا رواجاً . وأنها ستموت في مهدها سريعاً . لهذا بادر إلى بث تلك الأفكار وإرسال الرسائل المؤيدة والشارحة لها إلى البلدان التي تسيطر عليها الوثنية . فبعث رسائله إلى « روما » (عاصمة إيطاليا حالياً) الوثنية الرومانية . وإلى « كورنثوس » الميناء البحري اليوناني. حيث تسود الوثنية اليونانية . وإلى « أفسس » ذلك الميناء المطل من آسيا الصغرى على بحر إيجه اليوناني . وإلى « فيلبي » المدينة اليونانية المطلة على بحر إيجة . وإلى « غلاطية » و« كولوسي » في آسيا الصغرى (تركيا حالياً) . وإلى « تسالونيكي » اليونانية المطلة على إيجة . وفيما بعد لم يكتف بالكتابة . بل سافر في رحلاتٍ إلى تلك الجهات يُبشِّر بأفكاره[١] .

وكوَّنت هذه الرسائل عقائد النصرانية البولسية لدى أولئك الأتباع الجدد في تلك الأصقاع النائية . وفيما بعد استخدم بولس أولئك الأتباع الجدد في مجموعاتهم

---

(١) عن رحلات بولس هذه - انظر : سفر أعمال الرسل - الإصحاحات (١٣ / ١٤ / ١٦ / ١٧ / ١٨ / ١٩) . وانظر خرائط ورسومات رحلات بولس التبشيرية إن شئت في : التفسير التطبيقي للعهد الجديد (٤٧٠ - ٤٧١) .

المتكاثرة المتفرقة عنصر ضغطٍ على الكنيسة الأم في أورشليم ، التي كانت في وضعٍ لا تُحسد عليه ما بين اضطهادٍ وقلة أتباع وضعفٍ وهوان .

وبأسلوبه الماكر استصدر بولس من أول مجمعٍ كنسي في أورشليم (سنة ٥٠ م) قراراً بقبول كل الداخلين الجدد في النصرانية من غير اليهود[١] . أو بعبارةٍ أخرى : إعلان عالمية الدعوة .

لم يكن بولس مهتماً بعالمية الدعوة من عدمها . بل كان مهتماً بكسر احتكار كبار رجال الكنيسة المرابطين في فلسطين لهذه الدعوة . وبأتباعه الجدد - الوثنيين سابقاً - أصبح بولس سيد النصرانية الأول .

لقد خضع له بطرس كبير التلامذة بعد أن وجَّه له بولس نقداً علنياً لاذعاً . وأخضع كذلك يعقوب البار بن حلفى - أخو عيسى وأحد الحواريين الاثني عشر كما يزعمون - ، ورئيس ذلك المجمع ، الذي أقر مبدأ عالمية الدعوة وعدة قرارات أخرى رضوخاً لمطالب بولس وأتباعه من أبناء الأمم البعيدة[٢] .

أما برنابا الذي رفض الرضوخ ، وانفصل عن بولس فقد قضى بولس عليه وعلى إنجيله قضاءً معنوياً مبرماً[٣] .

وانطلقت منذ ذلك التاريخ الدعوة العالمية للديانة البولسية - أي الديانة النصرانية كما يسمونها - وانطلق المبشرون في كل جهات الدنيا . وحين واتتهم الفرصة

---

(١) انظر قصة ذلك المجمع في سفر أعمال الرسل (١٥ : ١ - ٣١) . وانظر كذلك : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل - للأنبا يؤانس (٣٢٠) .

(٢) انظر قصة المواجهة بين بطرس وبولس كما رواها بولس في رسالته إلى مؤمني غلاطية (٢ : ١١ - ١٤) وما نتج عن ذلك من انفراد بولس بالساحة باختصاصه بالدعوة بين الأمم . بينما تقتصر دعوة بطرس ويعقوب ويوحنا على أهل الختان من اليهود في فلسطين - انظر رسالة بولس إلى مؤمني غلاطية (٢ : ١ - ٩) .

(٣) انظر قصة افتراق برنابا عن بولس في سفر أعمال الرسل (١٥ : ٣٦ - ٤٠) .

بانضمام الامبراطورية الرومانية بكل قوتها وعتوِّها وغطرستها وجيوشها إليهم . فتحوا العالم بالسيف وحكموا البلدان التي دانت لنصرانيتهم بالحديد والنار . ونسوا تعاليم المسيح – الذي ينتسبون إليه زوراً – الداعية إلى السلم والسلام . ورموا عبارة « من لطمك على خدك الأيمن ، فأدر له الخد الآخر »[1] ، وشبيهاتها وراءهم ظهرياً . وتسمَّت كنيستهم الأمّ في روما بالكنيسة الكاثوليكية أي العالمية . وانطلقت – ولا تزال – حملاتهم التنصيرية[2] . وظهرت طائفة البروتستانت فيما بعد ، وكانت لها صولاتها العظمى في مجالات التنصير . ولا تزال الجماعات التنصيرية البروتستانتية تنتشر في كثيرٍ من أنحاء العالم ، لاسيما بعد ظهور التيار الأصولي الإنجيلي المجدِّد داخل البروتستانتية في أمريكا .

ولَمَّا بعث الله محمداً ﷺ بدين الله الحق دين الإسلام ، وقف له نصارى الروم وغيرهم من النصارى بالمرصاد ، ودافعوه وكايدوه . فجاهدهم أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم ، فغالبوهم حتى غلبوهم ، ولم يزل الأمر بين الفريقين في كرٍّ وفر ، حتى جاء زمان الحملات الصليبية ، فانطلقت زحوف النصرانية تريد استئصال الإسلام ، وقطع دابره .

حتى إذا عجزوا عنه : قالوا : « ما انتشر الإسلام إلا بالسيف » . كما قيل : « رمتني بدائها وانسلَّت » .

يقول أبو عبيدة الخزرجي ناقضاً عليهم تهمتهم تلك ودعواهم : « كأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم .. من أن ابتداء دينكم ، إنما كان بأسباب القتال ... ولولا ذلك لم تُبق لكم اليهود أثراً . ... فلو التزمتم ما أوجبته عليكم شريعتكم بالمسالمة . لَمَا قامت لكم قائمة ، وما بقي منكم باقية ... فإن كنت قلت ذلك لتعيب

(١) إنجيل متى (٥ : ٣٩) .

(٢) يقال إنه خلال ١٥٠ عاماً خلت ، طبع المنصرون مليار نسخة من الإنجيل للتوزيع ، بألف ومئةٍ وثلاثين لغةً ولهجة (انظر = معاول الهدم والتدمير – لإبراهيم الجبهان / ١٨ – ١٩) .

به الإسلام (أي جهاد المسلمين للكفار بالسيف) فإنك عبت موسى ابن عمران ويوشع بن نون ، ومَنْ قَبلهما ، ومَنْ بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم »[١] .

أما دعواهم حول عالمية ديانتهم ودعوتهم فتُنقض بما في أناجيلهم . ذلك أن متى أورد في إنجيله أن عيسى عليه السلام لما أراد إرسال الرسل الإثني عشر أوصاهم قائلاً : « لا تسلكوا طريقاً إلى الأمم ، ولا تدخلوا مدينة سامرية . بل اذهبوا بالأحرى إلى الخراف الضالة . إلى بيت إسرائيل » .

وفي موضع آخر جاء على لسان عيسى عليه السلام أنه قال : « ما أرسلتُ إلا إلى الخراف الضالة ، إلى بيت إسرائيل »[٢] .

فهذان نصان صريحان في هذا الإنجيل باختصاص هذه الدعوة ببني إسرائيل فحسب. ناقضةً بذلك دعوى العالمية بالكلية. وإنما الذي زعم ذلك ونادى به بولس في رسائله . فقد زعم أن رسالة المسيح لجميع الأمم[٣] . ثم زعم أنه كُلِّف بهذه المهمة . يقول : « فَلِي ... وُهِبَتْ هذه النعمة : أن أذيع بين الأمم بشارة .. المسيح »[٤].

ويعترف أحد الباحثين النصارى المتأخرين أن بولس لا يملك دليلاً واحداً على دعوى العالمية هذه . يقول : « الذي يقرأ رسائل بولس يرى أنه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمةً واحدة تُنسب إلى عيسى عن عالمية (النصرانية) »[٥] .

---

(١) انظر كتاب أبي عبيدة الخزرجي (٢٨٥) .
(٢) إنجيل متى (١٠ : ٥ - ٦) (١٥ : ٢٤) .
(٣) الرسالة إلى مؤمني روما (١ : ٥) .
(٤) الرسالة إلى مؤمني أفسس (٣ : ٨) .
(٥) وليم باتون صاحب : أديان العالم الكبرى ، الذي ترجمه حبيب سعيد - بواسطة : النصرانية للدكتور محمد أحمد الحاج (٩٢) .

إذاً فالمسألة ادعاءٌ في ادعاء . وليس شيئاً غير ذلك .

يقول ابن حزم معلقاً على ذلك : إن عيسى قال لهم : « لا تسلكوا في سبيل الأجناس ، ولا تدخلوا مدائن السامريين .... فقد خالفوا أمره وعصوه ، لأنهم لم يذهبوا إلا إلى الأجناس ، (يقصد : الأمم الأخرى) فهم عصاةٌ لله تعالى .. بإقرارهم »[1] .

وعلى هذا نخرج بخلاصةٍ مفادها : أن عيسى عليه السلام بُعث إلى قومه من بني إسرائيل خاصةً - بحسب ما نقلوه عنه ونسبوه إليه - ، وما ادعاه بولس عليه لا سند له إلا شهوة بولس في أن يكون قائد المسيرة الأوحد بالحق وبالباطل ، بالرضا أم بالقهر . وكان له ما أراد .

ثم انطلقت بعده جحافل المنصرين ترتع في أودية الضلالة يهدون الناس إلى الهاوية . مخالفين تعاليم المسيح عليه السلام ودينه ، على انتسابهم إليه زوراً وبهتاناً .

وعلى هذا فإقامة مراكزهم التنصيرية وبث إرسالياتهم في كل أنحاء العالم ، فيه خروجٌ على ما قررته أناجيلهم . لكنَّ الحقيقة التي تختفي خلف هذه المراكز هي أنها في الحقيقة ليست أداة هدايةٍ دينية ، بل وسيلة تمكين واستطلاعٍ للاستعمار سابقاً . والقوى الكبرى لاحقاً[2] .

---

(١) الفصل (٢ : ٥٨) .

(٢) انظر : المسيح إنسان أم إله - محمد مجدي مرجان - وتعليقات المحقق : عبد الرحمن دمشقية (١٠١ - ١٠٢) .

المبحث السادس

حَمْلهم كل النبوءات الواردة في العهدين القديم والجديد على مسيحهم المنتظر

النصارى يتفانون في تقرير معتقدهم في مسيحهم المنتظر . حتى أصبح السعي لذلك والبحث فيه ، هو لبُّ النصرانية الذي ترجع إليه كل أمهات مسائلها .

وتطبيقاً لذلك التفاني ، وهياماً بالحقيقة العلمية المجردة المزعومة ، التي طالما دوَّخوا بها رؤوس الخلائق في كل الدنيا .

ها نحن نراهم يحشدون للاستدلال على معتقدهم في المسيح المنتظر ومجيئه الثاني ، ما يصلح للاستشهاد وما لا يصلح . ويلوون جميع أعناق النصوص الواردة في هذا الشأن وأشباهه ، لكي تكون في منتظرهم وحده دون غيره . غمطاً منهم لحق غيره ، وجحداً به ، وغلواً في شأن عيسى عليه السلام .

ولذا نراهم يجتهدون في توجيه جميع البشارات والنبوءات الواردة في العهدين القديم والجديد ، كلها إلى عيسى عليه السلام . ما يصح ويصلح منها ، ومالا يصح ويصلح . ما ينطبق منها عليه ، وما لا ينطبق . فلكل نصٍ مشكلٍ عندهم تأويلٌ ، حتى وإن كان بعيداً .

وكان لبولس وكُتَّاب الأناجيل شرف البداية بهذه المهمة - إن صح التعبير - .

ووضع أولئك المؤلِّفون وضعاً مقصوداً ، سلسلة نسبٍ لعيسى عليه السلام تمتد به إلى داود عليه السلام . حتى تنطبق عليه مواصفات نبوءات العهد القديم عن المسيح المنتظر . الذي يشترط في أسفاره ضمن ما يشترط في ذلك المسيح المنتظر : أن يكون ملكاً من نسل تلك السلالة الملوكية (الملك داود حسب تعبير اليهود) .

وانحلَّت بذلك نصف المشكلة (في نظرهم) ، وبقي نصفها .

إذ ثمت نصوصٌ ترد في العهدين ، والعهد الجديد منها على الأخص ، تتحدث عن نبيٍ منتظرٍ يقدُم في آخر الأيام . وله أوصافٌ معينة .

وتعامل اليهودُ مع تلك النصوص : على أنها تخص نبيهم المنتظر ، الذي هو مسيحهم المنتظر الملك ابن داود ، وأنكروا أن تنطبق على عيسى عليه السلام ، أو على محمد ﷺ . فهما ليسا بنبيين صادقين في اعتقاد هؤلاء الأنذال - أخزاهم الله - .

أما النصارى فقد حشدوا كل تلك النصوص والنبوءات الموجودة في العهد القديم . وجعلوها كلها في عيسى عليه السلام . إما بشارةً ببعثته الأولى ، أو نبوءةً بمجيئه الثاني .

خذ مثلاً واحداً على ذلك مما ورد في العهد القديم من البشارة بنبيٍ يأتي بعد موسى عليه السلام بزمنٍ طويل . وفيه وصف ذلك النبي بما يأتي : « أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه »[١] .

فزعم النصارى أن تلك البشارة في عيسى عليه السلام ، مع أنها لا تنطبق عليه . فليس عيسى مثل موسى عليهما السلام .

بل يفترقان في أمورٍ منها : أن موسى ولد لأبٍ ، أما عيسى فولد من غير أبٍ / وأن موسى تزوج وعيسى لم يتزوج / وأن موسى قَبِلَهُ بنو إسرائيل وأطاعوه ، أَمَّا عيسى فرفضوه وأنكروه / وهم يدَّعون في عيسى أنه إله أو ابن إله ، أما موسى فما زعم فيه أحد شيئاً من ذلك / وأقام موسى مُلْكاً أما عيسى فلا / ومات موسى موتاً طبيعياً . أما عيسى فلا[٢] . ففيم إذن يتشابهان .

---

(١) التثنية (١٨ : ١٨) .

(٢) حول ذلك . انظر : أحمد ديدات - ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ (٢٨ - ٤١) .

وفوق هذا فإن البشارة ذكرت أن ذلك النبي سيكون من وسط إخوة بني إسرائيل . أي بقية أبناء إسحاق (الروم) أو أبناء إسماعيل (العرب) . أما عيسى فإنه من بني إسرائيل أنفسهم .

ومع انطباق تلك الصفات الواردة في البشارة على نبينا محمدٍ ﷺ ، إلا أنهم زووها عنه ، وجعلوها في عيسى عليه السلام . انطبقت أم لم تنطبق . هكذا رغماً .

وأعملوا يد التأويل في تفسير النص ، ليدخل فيه ما ليس منه ، على رغم أنف من رغم .

هذا في بشارات العهد القديم .

أمَّا في العهد الجديد وبشاراته ونبوءاته .

فقد فعلوا ما هو أشد من ذلك وأنكى .

فقد جعلوا بشارة عيسى عليه السلام في الإنجيل بنبي يأتي من بعده (يعني به محمداً ﷺ) . وكل ما ورد من النبوءات في العهد الجديد بهذا الشأن . نبوءةً لعيسى عليه السلام عن نفسه في مجيئه الثاني ، مَلِكاً فاتحاً ، ومسيحاً منتظراً يملك العالم كله ويفتحه .

خذ مثلاً على ذلك في هذه البشارة الواردة في العهد الجديد . ونص البشارة كما ورد في سفر الرؤيا : « ثم رأيت حَمَلاً واقفاً على جبل صهيون ومعه مئةٌ وأربعةٌ وأربعون ألفاً كُتب على جباههم اسمه واسم أبيه ... وكانوا يُنشدون ترتيلةً جديدةً أمام عرش الله ... ولم يستطع أحدٌ أن يتعلّم هذه الترتيلة إلا المئة والأربعة والأربعون ألفاً المشترون من الأرض ، فهؤلاء لم يُنجِّسوا أنفسهم مع النساء لأنهم أطهارٌ ، وهم يتبعون الحَمَل حيثما ذهب ، ... لم تنطق أفواههم بالكذب ، ولا عيب فيهم »[١] .

(١) الرؤيا (١٤ : ١ - ٥) .

فزعموا أن الحَمَل هنا هو المسيح عيسى عليه السلام[1] . وأن ذلك سيجري له ولأتباعه بعد مجيئه الثاني . والمئة والأربعة والأربعون ألفاً ، زعموا أنهم المختومون من بني إسرائيل الذين يتركون اليهودية ويدخلون النصرانية ، إذا رأوا المسيح المنتظر عيسى عليه السلام في مجيئه الثاني . ومعهم كذلك مئةٌ وأربعةٌ وأربعون ألفاً من النصارى العزّاب ، هم المخلَّصون من هول هرمجدون وجحيمها .

فاخترعوا كل هذه القصص الغريبة ، واضطروا إلى المماحكة بجعل العدد يتكرر مرتين : مرةً مع اليهود المتنصِّرين / ومرةً مع النصارى المخلَّصين . فوقعوا في شرٍّ مما فرُّوا منه . إذ ما مصير بقية الملايين المملينة من النصارى على هذا . والرقم محدودٌ جداً . والخلاص في نظرهم سيشمل كل الأحياء والأموات ممن آمن بالمسيح في أول الأمر أو آخره ، فضربوا بعض اعتقادهم ببعضه .

كل ذلك من أجل أن لا تخرج هذه البشارة عن مسيحهم المنتظر .

وفاتهم أنه ذكر في النبوءة أن أولئك النفر المصطَفين المختارين يُنشدون ترتيلةً جديدة لم تقرع سمع الزمان من قبل . وَوُصِفوا كذلك بأنهم أطهارٌ لا يزنون ، ولا يكذبون ، ويتبعون حَمَلهم أينما ذهب .

فأية ترتيلةٍ جديدةٍ تلك التي سيأتي بها المسيح المنتظر عيسى عليه السلام في قدومه الثاني ؟ هذا مما لا يُعرف . ولا يذكرونه في اعتقاداتهم .

ولو تركوا المماحكة جانباً . وصمدوا إلى الحقيقة ، وإن كانت على غير هواهم . لعلموا أن تلك البشارة ، إنما هي بشارةٌ من بشارات ، ونبوءةٌ من نبوءات ، نبههم إليها نبيهم عيسى عليه السلام ، مُذكِّراً إياهم بأن نبياً سيأتي من بعده ، هذه صفته وصفة أتباعه .

---

(١) عن تفسيرهم لهذه النبوءة – انظر : التفسير التطبيقي (٩٢٥) .

ولو كانوا يرومون الصدق ، ويبحثون عن الحق المجرّد ، لعلموا أن تلك النبوءة والبشارة ، على أقل لفظٍ يمكن أن يُعبَّر به : هي أقرب إلى الانطباق على نبي الإسلام محمد ﷺ وصحبه . والحَمَل هو محمد ﷺ . والبشارة كلها خبرٌ عن حجة الوداع حين وقف النبي ﷺ بعرفات ومعه من صحابته أكثر من مئة ألف .

والترتيلة الجديدة التي كانت في أفواههم : هي كتاب الله ، القرآن الكريم ، آخر كتب الله نزولاً ، وناسخها جميعاً . أو أنها التلبية في تلك الحِجَّة .

وأما صفة أصحاب النبي ﷺ بعد ذلك في آخر البشارة ، فهي منطبقةٌ كل الانطباق عليهم . لا تعدو شيئاً مما ذُكر في سيرهم .

لكنَّ القوم يزوون كل النبوءات - ما صح منها وما لم يصح - إلى مسيحهم المنتظر . حتى وإن لم تنطبق ، ويجحدون ما لغيره . فهم قومٌ أهل بهت وكذب .

بل بلغ بهم الكذب حدّاً حمَّلوا معه بعض النبوءات التي جاءت في العهد الجديد مالا تحتمل ، مثل تلك النبوءات التي تتحدث عما سيجري في آخر الزمان قبل المجيء الثاني للمنتظر . وتتحدث عن شخصياتٍ معينةٍ في تلك الأحداث غير المنتظر .

فبلغ بهم هوس الغلو حداً جعلهم يضعون تلك النبوءات في عيسى عليه السلام . مع أن صريح عبارة أسفارهم ، تذكر أن تلك الأحداث وشخصياتها ، هي كالمقدمات للمجيء الثاني للمنتظر .

خذ مثلاً على ذلك في نبوءةٍ أوردها يوحنا صاحب سفر الرؤيا عن رجلٍ يخرج في آخر الزمان ، ويشارك في تلك الأحداث العظيمة ، ووصف السفر ذلك الرجل

بأنه : يُسمَّى « الأمين الصادق » / وأنه يقضي ويحارب بالعدل / وأن له اسماً لا يعرفه أحدٌ إلا هو (أي كأنَّ له اسماً لا يتسمَّى به أحدٌ غيره) / وأنه يضرب الأمم بسيفٍ حادٍّ ويحكمهم بعصاً من حديد / وأنه يُقاتل الدجال وملوك الأرض وجيوشهم فينتصر عليهم . ويُطرح الدجال في النار . ويقتلُ الفارس « جميع الباقين » . كما هي عبارة السفر[1] .

فزعموا بعد كل هذه الأوصاف أن تلك النبوءة في : المسيح المنتظر نفسه ، وأنَّ ما فيها من أحداثٍ ، داخلٌ في صراعه مع مخالفيه من أتباع الدجال . قالوا : إنه المسيح ، وأنه سيظهر كمحاربٍ .. إلى آخر تأويلهم[2] .

كأنما فاتهم ، أو غفلوا ، أو تغافلوا : أن تلك الأوصاف لا تنطبق عليه . فلا عيسى عليه السلام يُعرف أو يُسمَّى بالأمين الصادق . ولا هو سمَّى نفسه بذلك ، ولا هم أنفسهم يذكرون له ذلك في أسمائه أو ألقابه . فهو إذاً رجلٌ غيره .

وجاء في البشارة أن له اسماً لا يعرفه أحدٌ غيره . وعيسى عليه السلام لا يُذكر عنه شيء من ذلك البتة ، ولا يعتقدون هم فيه شيئاً من ذلك . فهو إذاً رجلٌ غيره .

ولو أنصفوا لعلموا أنها بشارةٌ لا تخص المنتظر . بل هي بشارةٌ تخص رجلاً غيره .

---

(١) الرؤيا (١٩ : ١١ - ١٥ / ١٩ - ٢١) .

(٢) انظر : التفسير التطبيقي (٩٣٥) .

أما صفة « الأمين الصادق » . فهي صفة النبي ﷺ . فهو الذي كان يُعرف بين قومه قبل مبعثه بالصادق الأمين .

فانطباق أوصاف البشارة عليه أعظم من انطباقها على المسيح المنتظر عيسى عليه السلام .

وهو أحقُّ بهذه البشارة ، وأوفر حظاً في أن تكون نبوةً عند النصارى ، بخبره وأمره ، لا يعرفون عنها شيئاً ، ولا يُحسنون أن يضعوها في مواضعها .

كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله : « .. أهل الكتاب عندهم عن أنبيائهم حقٌ كثير ، لا يعرفونه ، ولا يُحسنون أن يضعوه مواضعه ، »[1] .

(١) هداية الحيارى (١١٠) .

المبحث السابع

حول العودة المنتظرة في معتقدهم

العودة المنتظرة عندهم لعيسى عليه السلام ، ليست على نسق واحدٍ ، كما يُصوِّره المسلمون : نزولاً من السماء إلى الأرض ، ومُلْكاً أرضياً عادلاً .

بل تصورهم أو تصوراتهم للعودة المنتظرة متذبذبة مضطربة .

١ - فتارةً يُصوِّرونها عودةً كالعودة التي يذكرها المسلمون . ونزولاً من السماء إلى الأرض ، ثم إقامةً لِمُلْكٍ عادل ، مع الاختلاف بين الفريقين في الشريعة التي سيحكم بها ، والدين الذي يدعو إليه .

وهذا هو السياق الذي تجيء فيه نصوصهم متحدثةً عن المُلْك الألفي[1] ، وما إلى ذلك .

٢ - وحيناً يكون الحديث عن حضور المسيح وعودته للدينونة والحساب . ولا يكون هذا بطبيعة الحال إلا بعد نهاية الدنيا ، وحلول اليوم الآخر ، وقيام القيامة العظمى (استثناءً للقيامات الصغرى التي يتحدثون عنها) .

وهذا هو السياق الذي ينطلق مثل السهم المعترض ، ليخدش ذلك التصور الأول . وليُدخل القاريء في حيرةٍ من أمره . لا تنقطع إلا بإيجاد صيغةٍ توفيقيةٍ ، تمنع التعارض وتمحو البلبلة من ذهن القاريء والمطالع .

وقد تردد هذا السياق مراتٍ عدة في العهد الجديد ، بشكلٍ يوحي أنه ليس باستثناءٍ أو شذوذ ، أو توجهاً محدداً لأحد كُتَّاب الأناجيل .

(١) الرؤيا (٢٠ : ٤ - ٦) .

ففي متَّى تكرر هذا المبدأ أكثر من مرة : « ابن الإنسان سوف يعود في مجد أبيه مع ملائكته ، فيُجازي كل واحدٍ حسب أعماله »[١] . وتكرر بصيغةٍ أكثر تفصيلاً في موضعٍ آخر عنده[٢] .

مما يؤكد أن هذا التصور : معتقدٌ راسخ ، وليس شيئاً منتحلاً . يدَّعيه بعضهم له . بل هو موضع قبول الجميع .

يشهد لذلك أن رسالة يهوذا – ضمن العهد الجديد – ردَّدت هذا المبدأ وأكدت عليه : « الرب آتٍ بصحبة عشرات الألوف من قديسيه ، ليدين جميع الناس ، ويوبخ جميع الأشرار »[٣] .

فالمجيء للدينونة إذاً عقيدةٌ حاضرة عند الجميع ، وليست مقالةً لبعض الطوائف الصغيرة .

لكنَّ ذلك التصور لم يُقدَّم في سياقٍ لا يوهم التعارض مع المجيء الأساسي الذي يعنونه : المجيء الثاني لإقامة المُلْك الألفي على الأرض .

فبدا واضحاً أن الاثنين يتعارضان ويتدافعان ، ولا يمكن الجمع بينهما إلا بتكلُّفٍ غير مقبول . وتبعة ذلك واقعةٌ عليهم بلا شك . حيث اعتقدوا باطلاً ثم تكلَّفوا وتمحَّلوا الحجج لتسويغ ذلك الباطل .

إذن . فتصوراتهم عن المجيء الثاني والعودة المنتظرة ، تبدو مختلَّةً مرتبكة .

وتبدو هي في نفسها كذلك متعارضةً بصورةٍ أو بأخرى ، تثير التساؤلات دائماً : يا ترى ، هل ستكون العودة للمُلْك ؟ ، أم للدينونة ؟ ، إذ أن الدينونة لا تكون إلا بعد فناء العالم الأرضي .

---

(١) متى (١٦ : ٢٧) .

(٢) متى (٢٥ : ٣١ – ٤٦) .

(٣) رسالة يهوذا (١ : ١٤ – ١٥) .

وهل يعني ذلك أنهم يقولون بعودتين ومجيئين :

- عودةٍ للمُلْك الألفي .

- وعودةٍ للدينونة .

كل هذا محل تساؤلٍ وجدل . ومحل إشكالٍ حول تصوراتهم عن العودة المنتظرة .

والنصوص حول هذا التصور الثاني تتعدد ، ولا يقتصر الأمر على متى ويهوذا ، بل ليوحنا في « سفر الرؤيا » الذي يُعتمد عليه في تقرير التصور الأول اعتماداً شبه كلي ، مقولةٌ تشبه مقولة متى ويهوذا .

يقول يوحنا على لسان عيسى : « إني آتٍ سريعاً ، ومعي المكافأة لأجازي كل واحدٍ بحسب عمله »[1] .

ومع أن النص لم يتضمَّن لفظ : الدينونة. إلا أن لفظ الجزاء يوحي بذلك ويقرره . فلا يكون الجزاء إلا بعد الفراغ من العمل . والجزاء على أعمال الدنيا لا يكون إلاّ في الدار الأخرى .

٣ - وثمة تصورٌ ثالث : ينشطر عن التصور الأول ويخرج من قمقمه ، يُقرِّرُ فيه أصحابه أن تلك العودة المنتظرة : لن تكون عودةً بالمخلَّصين إلى السماء ، ولا عودةً كليةً للمسيح إلى الأرض .

بل بين بين ، وأنها ستكون عودةً تقف بين السماء والأرض .

أي نعم ، بينهما . وأين ؟ : على السحاب ، أو في الهواء .

ولربما استغرب القاريء ذلك أو تعجَّب منه . لكنْ هذه هي الحقيقة . وهو ما يطلقون عليه مصطلح : الخطف . ولن نتوقف عنده هنا لنقده . فقد خُصص مبحثٌ لاحقٌ لذلك .

---

(١) الرؤيا (٢٢ : ١٢) .

غير أننا هاهنا استكمالاً لتصوراتهم حول تلك العودة المنتظرة ، نُصوِّره كما أوردوه ، دون زيادةٍ أو نقصان .

يقولون : متى اندلعت معركة هرمجدون العالمية المدمِّرة ، فإن المسيح عيسى عليه السلام سينزل لا إلى الأرض ، ولكن إلى ما فوق السحب ، أي أنه سيتوقف بعد نزوله من السماء في الهواء على متن السحب ، ومن هناك سيُمارس عملاً إنسانياً إغاثياً في إطارٍ عقدي . ويكون ذلك بقيامه بتخليص أتباعه وإنقاذهم من الكارثة التي تدور على سطح الأرض ، ورفعهم إلى السحب .

ومن الواضح هنا أن هذا المعتقد معتقدٌ أصوليٌّ إنجيليٌّ بحتٌ ، لارتباطه الكلي باندلاع هرمجدون .

فهل يا تُرى : هو معتقدٌ يستعلن به الأصوليون الإنجيليون ، ويُسرُّه غيرهم ؟ أم أن لغير الإنجيليين في مثل هذا المعتقد تأويلاً ومقالةً أخرى ؟

أَمَّا الشواهد لهذا المعتقد في العهد الجديد . فإنها متوافرة . خذ منها ما عند بولس حين يقول : « نُختطف جميعاً في السحب للاجتماع بالرب في الهواء »[1] .

وهو أصرح الألفاظ في هذا المعتقد .

وثمة ألفاظٌ أخرى دونه في التصريح ، مثل ما : عند متى « يرون ابن الإنسان آتياً على سحب السماء »[2] . ففيه من الإيحاء والدلالة على هذا الذي يذكرونه ما فيه .

وأكَّد ذلك لوقا بعبارةٍ مماثلة[3] .

---

(١) الأولى - تسالونيكي (٤ : ١٧) .

(٢) متى (٢٤ : ٣٠) .

(٣) لوقا (٢١ : ٢٧) .

فهل يعني هذا التصور ، أن المسيح وأتباعه :

١ - سينطلقون بعد ذلك من السحب إلى السماء . هذا مما سكتت عنه عباراتهم .

٢ - أم أنهم سينزلون إلى الأرض .

٣ - أم أنهم سيقيمون على الدوام هناك .

العجيب أنهم اختاروا هذا الطريق الثالث . فأضافوا إلى كل التناقضات الموجودة تناقضاً جديداً لا يقلُّ عنها سوءاً . يجعل العاقل في حيرةٍ من أمره ، ويؤكد ما عُرِفَ عن هذه الديانة من أنها : ديانة اللامعقول .

شاهدُ ذلك في تتمة كلام بولس . حين قال : « نُختطف جميعاً في السحب للاجتماع بالرب في الهواء . وهكذا نبقى مع الرب على الدوام »[1] .

إذاً فالإقامة بحسب بولس المخبول ، ستكون إقامةً أبديةً لا في السماء ، ولا على الأرض .

وليهنأ النصارى ببولسهم الرسول المخبول . وهنيئاً لهم تلك السعادة التي لا يتمنَّى أحدٌ أن يشاركهم فيها . فليظفروا بها وحدهم إذن كما يتمنون .

وهنيئاً لهم على تلك الديانة التي يكون جزاء الداخل فيها ، المؤمن بها ، المخلص في اعتقادها : التعليق بين السماء والأرض . لا فوق ولا تحت .

وهنيئاً لهم على تلك العقول الجبَّارة التي رضيت هذا الهراء ، واتخذته ديناً .

هذا ما كان من الحديث عن : الخطف . كأحد صيغ العودة المنتظرة في تصوراتهم .

أما نقد هذه الأسطورة الخرافية ، فله مكانٌ خاصٌ في مبحثٍ لاحق .

---

(١) الأولى - تسالونيكي (٤ : ١٧) .

المبحث الثامن

حول حقيقة منتظر النصارى

أولاً : حول شخص المنتظر :

للنصارى تصورٌ خاص بهم عن مسيحهم المنتظر ، يحمل في طيّاته الكثير من الاستفهامات القادرة على نسفه من داخله .

وأول وأهم الاستفهامات التي ترد على هذا التصور هو : حقيقة شخص ذلك المنتظر الموعود .

فالنصارى لا يكلُّون ولا يملُّون من ترديد مقولةٍ مفادها ، أن منتظرهم هو :

المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في عودته الثانية ونزوله القادم .

لكنهم مع هذا الوضوح وكل هذا الغنى عن وضع شروطٍ أو مواصفات إضافية أخرى ، يُضيفون شروطاً تجعل من شخص المنتظر شخصاً غير محدد المعالم . وتنتقل بالفكرة من تصورها النصراني الخالص ، إلى تصورٍ يختلط بمفاهيم الآخرين وتصوراتهم عن المنتظر . كاليهود مثلاً .

وهذا ما حصل مبكراً ، مع أوائل النصارى .

فإنهم حين وجدوا أن العهد القديم يَشترطُ في المسيح المنتظر أن يكون ملكاً ، من نسل داود عليه السلام ، أضافوا هذين الشرطين إلى ما عندهم ، فجعلوهما من شروط المنتظر . رغم غناهم عن ذلك .

وبادروا تبعاً لذلك إلى تعديل كل أسسهم الدينية ، من أجل أن تتواءم مع المعطيات الجديدة .

واخترعوا نسباً للمسيح يصله بداود عليهما السلام كيفما كان ، وذكروا أنه سيعود في مجيئه الثاني ليقيم ملكاً عالمياً أرضياً .

فتوفرت فيه الشروط على ما ظنوا ، غير أنهم على الحقيقة أفرطوا في حلمهم هذا ، وفتحوا باب التوهمات على مصراعيه حول تصورهم عن المنتظر .

ولذا لا نستغرب بعدئذٍ ، أن نجد ابن القيم رحمه الله يقرر بعد ذلك : أن النصارى ينتظرون مسيحاً (- بهذه المواصفات -) لا وجود له إلا في أذهانهم . ومسيحاً لا حقيقة له[1] .

ثم ما نراه عندهم من التأثر باليهود والأخذ بأقوالهم والتبعية الفكرية لهم ، فضلاً عن الانقياد المبكر والتبعية للعهد القديم ومعشر يهود .

ألا يثير ذلك احتمالاً أكثر خطورةً من الاحتمال الأول ، أَلاَ وهو : أن النصارى على ضوء تصورهم هذا ، لا يُستبعد منهم أن يلتحقوا بالمسيح الدجال متى خرج ، ويندرجوا في جنده . متى رأوا مخاريقه وسمعوا دعاويه .

فإنه متى زعم لهم أنه الملك المسيح ابن داود ، ورأوا دولته قد طبَّقت العالم ، فتحقق شرط الملك العالمي . وشرط السلالة الملوكية ، ورأوا معشر يهود أسيادهم في التفكير ينقادون له ويصفقون بين يديه ، ويصححون له نسبته إلى داود عليه السلام .

ألا يُحتمل أن يقبلوا بذلك لأول وهلةٍ دون تدقيق ولا احتياط . كما فعلوا ذلك في مطلع أمرهم . حين قبلوا الشروط اليهودية في المنتظر .

فيكونون بذلك من جند المسيح الدجال . ويكون منتظرهم على الحقيقة هو المسيح الدجال لا المسيح ابن مريم عليه السلام .

هذا احتمالٌ وارد .

---

(١) انظر : هداية الحيارى (٦٥ / ١١١) .

بل هاهم يترامون التهمة فيما بينهم ، تصفيةً لحساباتٍ طائفية فيما بينهم ، بأن ذاك الفريق أو هذا ، وتلك الطائفة أو هذه ، سيكونون من أتباع المسيح الدجال . كما حدث من البروتستانت حين نبزوا بهذه التهمة : طائفة الكاثوليك ، أو كما فعل ذلك نصارى المشرق من الأرثوذكس حين رموهم بمثل ذلك أيضاً[١] .

فهو إذن احتمالٌ حاضرٌ في أذهانهم هم ، قبل أن يكون حاضراً في أذهان غيرهم .

ولئن جاءهم بعدئذٍ مَنْ يزعم أنه المسيح المنتظر ، ثم بان لهم أنه أعور العين ، على خلاف ما يرونه ويُصوِّرونه في تصاويرهم لعيسى عليه السلام في كنائسهم ورسوماتهم .

فإنهم واجدون لذلك جواباً حاضراً كعادتهم في كل مرة .

وسيقولون : إن على عينه غبشاً كثيفاً من طول حزنه على معصية شعب الكنيسة . ولربما قالوا : عينٌ من عينيه أخفاها حتى يعود مجد الرب في كل الأرض فيكشفها لأحبابه . كما تلفَّظ بذلك بعض رهبانهم المتأخرين .

---

(١) انظر : حمى سنة ألفين (٢٣٠ - ٢٣١) .

ثانياً : تقرير نزع الملكوت :

يقرر النصارى في عقائدهم أن المسيح المنتظر مسيحهم هم سيملك هو وأتباعه . يعنون بذلك أنفسهم ورفاق ملتهم من النصارى . والمسيح المنتظر بزعمهم الذي سيكون معهم حينئذٍ هو : المسيح عيسى عليه السلام .

وأن يُرسوا معه دعائم « الملك الألفي » .

كما أشار إلى ذلك يوحنا في سفر الرؤيا(١) .

وهم يعتقدون أن ذلك المُلْك الذي سيقوم ، ويشمل العالم بأسره ، سيكون ملكاً للنصرانية ، وسيادةً نهائيةً للكنيسة على العالم كله . وأن عيسى عليه السلام سيحكم بالإنجيل . أي أن المرجعية الدينية المقدسة لتلك المملكة العالمية ، ستكون هي هي مصادر الكنيسة المعروفة اليوم ، أي الإنجيل . أو أسفار العهد الجديد ، وكذا أسفار العهد القديم . لاستلهام التشريع منها . نظراً لخلوّ العهد الجديد من التشريعات كما هو معروف . كذا يظنون .

والمسلمون يُقرِّرون أن السيادة ستكون للمسيح المنتظر عيسى عليه السلام بعد نزوله . لكنهم يختلفون مع النصارى في الشريعة التي سيحكم بها ، والكتاب الذي يأخذ به .

فالمسلمون بناءً على المرويات النبوية المصطفوية ، يقررون أن عيسى عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان فإنه سيحكم بالشريعة الخاتمة ، شريعة الله المرتضاة ، ودينه الأتم الأكمل ، الشريعة المحمدية ، وبالكتاب الهادي « كتاب الله الكريم » الذي ختم الله

---

(١) الرؤيا (٢٠ : ٤ - ٦) .

ونسخ به جميع الكتب السابقة . وأنزله على آخر رسله وأنبيائه ومصطفاهم نبينا محمد ﷺ . وأن عيسى عليه السلام في ذلك الوقت بعد نزوله ، سيكون تابعاً لنبينا محمدٍ ﷺ ، لا مستدركاً عليه . حاكماً بشريعته وسنته ، وبالكتاب الذي أنزله الله عليه . إلى آخر ذلك مما سنبينه بالتمام والوفاء في موضعه من الباب الرابع من هذه الرسالة إن شاء الله عن المسيح المنتظر عند المسلمين .

وفي إنجيلهم ما يدل على أن ملك عيسى عليه السلام القادم ، لن يكون لهم أمة الضلالة من مشركة النصارى ، ولن يكون كذلك بالإنجيل المحرَّف الذي بين أيديهم .

بل في إنجيلهم ما يدل على أنه يُعطى (أي ذلك الملك) لأمةٍ أخرى ، وفي ذلك من التدليل على نزع الملكوت منهم وإعطائه لغيرهم ما فيه .

يقول متى في إنجيله إن عيسى عليه السلام خاطب رؤساء الكهنة بالهيكل يوماً ، فقال لهم : « ألم تقرأوا في الكتاب : الحجر الذي رفضه البُنَاة ، هو نفسه صار حجر الزاوية الأساسي . مِنَ الرب كان هذا ، وهو عجيبٌ في أنظارنا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله سيُنزع من أيديكم ويُسلَّم إلى شعبٍ يُؤدِّي ثمره . فأيُّ من يقع على هذا الحجر يتكسَّر ، ومن يقع الحجر عليه يسحقه سحقاً »(١) .

ففي قوله : إن ملكوت الله سيُنزع من أيديكم ويُسلَّم إلى شعبٍ يُؤدِّي ثمره . تقريرٌ واضح لنزع الملكوت منهم وإعطائه لغيرهم .

فإن قال بعضهم : إن المخاطَب بذلك هم اليهود . وقد تحققت نبوءة عيسى عليه السلام فيهم ، فَنُزِعَ الملكوت منهم وأعطي للنصارى وكنيستهم .

قيل : ما الفرق بينكم وبينهم . وأي شيءٍ أنكره المسيح على أولئك ولم تفعلوه ، تحريف دين الله ، والتلاعب بشريعة الله ، وإيذاء عباد الله ، وتحليل ما حرَّم الله ،

(١) متى (٢١ : ٢٣ / ٤٢ - ٤٤) .

وتحريم ما أحلَّ الله . كل ذلك أنكره عيسى عليه السلام على اليهود في زمن دعوته ، وعدتم من حيث بدأتم معشر النصارى ، ففعلتم مثل فعلهم . و لم يزل الأمر يتزايد بكم أهل الملة النصرانية ، ودخل فيكم بولس اليهودي . ولعب بكم وبدينكم لعب الأطفال بالكرة ، حتى تهوَّدت النصرانية ، وأصبح كتاب الديانتين واحداً هو (العهد القديم) ، لا تزيد النصرانية على اليهودية في هذه المصادر المعتمدة إلا بشيءٍ يسير ، هي التي سمَّوها (العهد الجديد) . وثلث ما في ذلك العهد الجديد من كلام بولس اليهودي مخترع النصرانية ، وثلثه الآخر من كلام تلامذته .

فَنَزْعُ الملكوت إذاً منهم ومنكم .

ويشهد لذلك أن الإشارة الرمزية بالحَجَر في أول النص يراد بها البشارة بنبي الإسلام محمد ﷺ ، كما قرر ذلك العلماء المسلمون في باب البشارات بنبينا ﷺ الواردة في الإنجيل .

فنبينا محمد ﷺ هو حجر الزاوية أي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين .

وقد نُزِعَ الملكوت من النصارى ، وأعطي أهل الإسلام ، فأدَّوا حقه ومستحقه . ثم لم يقف في طريقهم أحدٌ إلا كسروه . ولا قصد إليهم أحدٌ إلا دمَّره الله وسحقه سحقاً .

فكسَّروا مملكة كسرى . وقصَّروا مملكة قيصر .

فالملكوت إذاً لهم وفيهم . والحكم سيكون بعد نزول عيسى عليه السلام بشريعتهم وكتابهم ودينهم .

ثالثاً : تقرير مقاتلة المسيح الحق عيسى عليه السلام للنصارى الضالين :

وتبعاً لذلك الذي قررناه ، نقول : إن المسيح الحق عيسى عليه السلام حين ينزل ، يُقاتل النصارى كما يُقاتل اليهود وكل الخارجين عن دين الله الحق : الإسلام .

ولئن كان هذا مقرَّراً معلوماً عند المسلمين ، مثبوتاً عندهم في ما صح من حديث رسول الله ﷺ ، من أن عيسى عليه السلام إذا نزل ، يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويمحو كل الأديان إلا الإسلام . مما مكان بسطه في آخر الباب الرابع لاحقاً إن شاء الله .

فإن مرادنا هاهنا تقرير ذلك من كتب النصارى ونصوصهم .

وقد وجدتُ في كتبهم ما يشهد لذلك الحق الذي بين أيدينا نحن معشر المسلمين ، ويدمغهم بالحجة القاطعة من هذا الكلام الذي بين أيديهم ، مما يعدُّونه مصدراً مقدساً معتمداً لديهم كما هو معلوم .

يقول يوحنا في سفر الرؤيا : إن عيسى المسيح الحق عليه السلام إذا نزل ، فإنه يعمل فيما يعمل أن يُهلك « الذين كانوا يُدمِّرون الأرض »[١] .

وحاصل ذلك ومفاده أن هؤلاء الذين كانوا يُدمِّرون الأرض ، أو يخططون لتدميرها بهرمجدون أو غيرها . سيكونون من أعداء المسيح الحق عيسى عليه السلام ومناوئيه . وسيقاتلهم ويهلكهم .

ولتقرير ذلك نُحاجج هؤلاء القوم . فنقول : مَنْ هم الذين يُخططون لتدمير الأرض بهرمجدون ؟

---

(١) سفر الرؤيا - يوحنا (١١ : ١٨) .

ومَنْ هم الذين يمارسون تنفيذ ذلك المخطط بالفعل . فيُنتجون آلاف بل عشرات آلاف الرؤوس النووية ، الكافية لتدمير الأرض ، كل الأرض عدة مرات ؟

ومَنْ هم الذين ينصبون الصواريخ النووية اليوم ، الموجَّهة إلى كل عواصم العالم ومدنه الرئيسة ؟ .

ومَنْ الذين يقومون بتلويث هذا الكوكب بالملوثات الصناعية والحرارية والنفايات السامة والنووية ؟

ومَنْ الذين يقومون باستنفاد خيرات الأرض واستنضابها بشرهٍ بالغ ؟

: نحن أم هم ؟

لا أشك واحداً في المليون ، أن أكثر أفراد الجنس البشري اليوم يعرفون الجواب قطعاً .

ويجزمون جزماً باسم أولئك الذين تنطبق عليهم هذه الصفة ، دون أن يُخالط ذلك شكٌ أو ريبٌ أو تردد .

فأول أعداء المسيح الحق المنتظر عيسى ابن مريم عليه السلام بحق ، هم نصارى اليوم الذين يزعمون أنهم يترقبون مجيئه بشغفٍ بالغ ، ويتحرَّون خروجه قريباً .

وهو عليه السلام سيكون ذابحهم الأعظم ، وكاسرهم الأكبر ، ومُظهر بطلانهم ، وفاضح أكاذيبهم وافتراءاتهم عليه ، والمتبرِّي مما اخترعوه وادعوه وزعموه ونسبوه إليه زوراً وبهتاناً .

المبحث التاسع

العُقْدَة الكبرى : إرغام المنتظر على الظهور

أخطر ما في معتقدهم عن المنتظر على الإطلاق ، هو ذلك الجانب العملي منه . أو فقل : خطواتهم الفعلية لإجبار المنتظر على الظهور ، وإرغامه على التدخل لصالحهم هم .

فهم يضعون المخططات الواقعية والترتيبات العملية لاستنفاد كل علامات المجيء الثاني ، ويسعون كذلك جاهدين إلى إشعال معركة هرمجدون العالمية المدمِّرة ، لإجبار المنتظر على التدخل سريعاً ، كما صرح بذلك بعضهم حرفياً ، حين قال : « إن إرهابيين يهوداً سينسفون المكان المقدس عند المسلمين وسيستفزون العالم الإسلامي للدخول في حربٍ مقدسة مدمِّرة مع إسرائيل ، تُرغم المسيح المنتظر على التدخل »[1] .

ولو أردنا أن نتأمَّل الواقع العالمي الذي نعيشه الآن ، وما فيه من مفردات ومصطلحات شائعة ، وتطبيقاتٍ لتلك المصطلحات ، لأمكننا أن نفهم سر تلك المصطلحات العائمة ومغزاها على ضوء معتقدهم في المنتظر .

١ - فالعولمة مثلاً : وهي أشهر المصطلحات العالمية شيوعاً هذه الأيام ، ليست إلا الوعاء الفكري الذي يُمهِّد لمملكة منتظرهم العالمية .

وهي النسخة العصرية الأكثر حداثةً وتطوراً للتعبير عن « المُلْك الألفي » .

٢ - وقل مثل ذلك في « النظام العالمي الجديد » ، الذي هو على الحقيقة في المصطلح السياسي ، ليس إلا صورةً براقة وجذابة ، وإعادة صياغةٍ لفكرة « مملكة المسيح المنتظر العالمية » .

---

(١) بواسطة : رحلات للديار المباركة - أنس القوز (٢٤٢) .

وإن أردت شاهداً ينصر ذلك ، فاعلم أن هذا المصطلح لم يخترعه الرئيس الأمريكي السالف جورج بوش (حكم ما بين / ١٩٨٨م - ١٩٩٢م) بعقب انهيار الاتحاد السوفييتي ، وانتصار أمريكا على العراق (العام / ١٩٩١ م) .

بل سبقه إلى الترويج له الرئيس الأمريكي السابق ، الجنرال : دوايت أيزنهاور قائد جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (حكم ما بين / ١٩٥٢ م - ١٩٦٠ م) .

وكان يظن أن ذلك الوقت هو الوقت المناسب لإعلان ذلك بعد الانتصار على ألمانيا والقضاء نهائياً على الفوهرر والرايخ الثالث ، رغم وجود القطب الثاني : الاتحاد السوفييتي .

بل هو موجودٌ في أدبيات الاستقلال الأمريكي منذ الأيام الأولى لإنشاء هذه الدولة .

٣ - و « القرية الكونية » إذا تم التعبير عن ذلك في عالم الاتصالات ، وثورة المعلومات ، ليس إلاَّ تعبيراً لطيفاً ناعماً عن تلك المملكة الوادعة ، المحشوَّة سِلْماً وأمناً .

٤ - و « الإنترنت » ليست إلا وسيلة اتصال متطورة . تربط أجزاء هذه « المملكة العالمية » بعضها ببعض . ويتم استخدامها قبل ذلك في ترقب وقوع هذا الحدث ومتابعته على الهواء مباشرةً . كما هو الواقع فعلياً من تسليط كاميرات متابعة ، مرتبطة بشبكة الإنترنت على مدار اليوم ، على البوابة الذهبية الشرقية لبيت المقدس ، مكان نزول المنتظر في اعتقادهم . كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين[١] .

وقل مثل ذلك في « القنوات الفضائية العالمية » ، و « الأقمار الصناعية » المخصصة للاتصالات ، إلى غير ذلك .

وكل هذه مما يُعدُّ منجزاتٍ علمية ، ومشاريع مدنية لا غبار عليها . لا يتشكك معظم الناس فيها ، ولا يقبلون ما يُقال عنها . ويعدُّون مثل هذا الكلام حولها هراءً لا وزن له .

---

(١) انظر : حمى سنة ٢٠٠٠ م (٢٤٨) .

لكنَّ الحقائق تكشف نفسها رغماً عنا . فما كـان بالنسبة لنـا أوهامـاً وهـراءً في ١٩١٤ م و١٩١٦ م و١٩١٧ م ، أصبح آلاماً وغصصاً نتجرعـها حتى نهاية ذلـك القرن الميلادي البائس . وأصبحنا نردد بعد خمسـين سـنة أن جـذور تلـك المشـكلة أو هذه ، بدأت منذ العام كذا وكذا . ونمضي في مسيرتنا هكـذا بغبـاءٍ مفـرط . دون أن نستفيد من عبر التاريخ هذه . لكأنما قد أصاب بلاؤهـا قومـاً سـوانا . أو كـأن الأمـة أضحت تشتري كل صباحٍ ذاكرةً جديدةً ، كما تشـتري الخبز والخضـار والجرائـد . وتمحو ما مرَّ بها بالأمس وتنساه . وتتخلَّص منه كما تتخلَّص كل البيوت مـن أكـوام الزبالة ، وبقايا الأشياء .

٥ - ومن أوضح الأمثلة الكاشفة لهذا المســار ، مشـاريع « غـزو الفضـاء » ، الـتي تنفق عليها أمريكا وحدهـا مئـات المليـارات مـن الـدولارات ، ليـس العشـرات ، بـل المئات .

ولطالما سمعنا عن مشاريع فضائيةٍ عجيبة ، تُكلِّف الخزينة الأمريكية مبالغ طائلـة ، من أجل البحث عن كوكبٍ أو كويكبٍ أو مذنبٍ أو مجراتٍ بعيدة ، أو مكانٍ مـا في الفضاء يصلح للسكنى .

ولا يُعقل أن يكون كل ذلك من أجل التنافس والفخر والخيلاء ، أمام الـروس أو غيرهم . أو من أجل هدفٍ علمي غير أساسي ، أو قليل الجدوى والعائد .

بل لكل ذلك أهدافه العسكرية والسياسية والاقتصادية والعلمية ، لكنَّ الأهـداف الاستراتيجية تبقى على رأس القائمـة . ومـن تلـك الأهـداف الاسـتراتيجية : التمـهيد لظهور المنتظر . أو إرغامه على الظهور .

ويكون ذلك بأن يُوضع قيد التنفيذ : مجموعة مشاريع ، مثل مشاريع البحث عن مناطق مأهولةٍ في الفضاء ، أو البحث عن كواكب أخرى تصلـح لسـكنى البشـر . أو التصنت على الفضاء ، أو إرسال إشاراتٍ راديَوية إلى أعماق الفضاء ، عسـى أن تجد استجابةً . وغيرها الكثير . كأنما يبحثون عن « سمـاءٍ وأرضٍ جديدتـين » وعدهـم بـها

يوحنا في سفر الرؤيا ، سينتقلون إليها بعد أن يتم تدمير هذا العالم القديم بضربة هرمجدون النووية .

٦ - وإنتاج الأسلحة النووية الكافية لتدمير هذا العالم كله مراتٍ ومراتٍ . ليس جنوناً كما يظنه بعض المتأمِّلين ، ولا هو من فعل شركاتٍ تجارية انتهازية تخصصت في صنع الأسلحة ، وبيعها على تلك الدول الكبرى ، والاستنفاع من وراء قراراتٍ طائشة يتخذها سياسيو تلك الدول ، فهم هناك لا يعيشون في العالم الثالث ، ولا يعيشون بعقلية القرن التاسع عشر .

لكنَّ حقيقة ما يجري هي أن القوم يستعدون لتنفيذ هرمجدون ، التي تقضي على هذا العالم القديم وتدمِّره تماماً ، ولضمان تنفيذ ذلك بالتمام والكمال ، لابد من إنتاج كمياتٍ هائلةٍ من السلاح النووي ، وإضافة كمياتٍ احتياطية أخرى ، حتى يمكن ضمان تدمير هذا العالم بالكلية .

٧ - ومنظمة التجارة العالمية (الجات) هي الوحدة الاقتصادية المرتقبة والمطلوبة ، للربط بين كل أجزاء مملكة المنتظر . ومن خلالها تُسخَّر كل إمكانيات العالم الاقتصادية وطاقاته ، لخدمة هدفٍ واحد ، وجهةٍ واحدة .

هذا كله غير مخططاتهم العملية القائمة على قدمٍ وساق . لتنفيذ كل علامات المجيء الثاني الواردة في « سفر الرؤيا » وغيره .

ولعلَّ أهمها على الإطلاق : مشروع إعادة اليهود إلى فلسطين ، / وإقامة دولة إسرائيل الصغرى تمهيداً لإقامة دولة إسرائيل الكبرى ، / ومشاريع السدود المائية التركية الضخمة لتجفيف نهر الفرات المدعومة أوروبياً وأمريكياً وإسرائيلياً ، /

هذا غير المشاريع الثقافية : كنشر الإنجيل بكل اللغات واللهجات في كل العالم / وإرسال حملات التنصير الضخمة المدعومة بكل ما أوتي القوم من طاقات وتقنيات

وأموالٍ وخبرات إلى كل بلدٍ في العالم يمكنهم أن يدخلوه لجلب المزيد من الأتباع إلى دائرة ديانتهم ، أو إفساد ديانات الآخرين وتفجيرها من الداخل على أقل تقدير .

هذا في الجانب الذي أنجزوه وفرغوا منه .

أما في الجانب الذي يُعدُّ قيد الدرس وتحت إمكانية التنفيذ ، فمن تلك المشاريع : مشروع هدم الأقصى وإعادة بناء الهيكل الثالث مكانه / ومشروع إشعال معركة هرمجدون العالمية النووية المدمِّرة / .

وهم يُصرِّحون بمثل هذه المخططات ، ولا يجعلونها سراً . كما سقنا ذلك من كتبهم ونقلناه من نصوصهم فيما سبق ، في موضعه من الفصل الثالث من هذا الباب .

وكل هذه الأمور التي تحدثنا عنها ، تتجه لخدمة جهةٍ واحدةٍ ، لا يعرف العالم عنها اليوم إلا أنها : أمريكا . ولهذا يتحدث الجميع عن « الأمركة » و« الهيمنة الأمريكية » و« القطبية الأحادية » . إذا تحدثوا عن هذه الأشياء .

والولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، تعيش مآسي كالتي يعيشها غيرها ، فجزءٌ كبيرٌ من شعبها يُعدُّ في خانة الفقراء حسب ما تتحدث الإحصائيات (٣٥٪ حسب أحد الإحصاءات الحديثة) .

لكنْ في أمريكا نفسها توجد قاعدة مملكة المنتظر ، التي تُمهِّد لقدومه ، وتُروِّج لمجيئه ، وتُحقق علامات مجيئه على أرض الواقع .

ومن بين أهلها يظهر أولئك الذين يزعقون في أفواه الميكروفونات ، مهددين بهرمجدون نووية مثل جيري فالويل وغيره .

ومن بين كل رؤساء العالم ، خرج رئيس أمريكي فقط ، ليقول : إن النهاية قريبة ، وأن النهاية ستكون نووية ، وأنه يتوقع أن يشارك في النهاية . فماذا يعني كل هذا ؟

إنه ولاشك يعني شيئاً واحداً هو: أن أمريكا تضم مجموعةً أنجلوساكسونية بيضاء ، هي التي تُجهِّز للحملة المنتظرية ، وتُعدُّ العدة لذلك عملياً لا نظرياً .

تلك النخبة المسيطرة هي التي تقود نفسها ، وتقود أمريكا من ورائها ، ثم العالم كله من وراء أمريكا ، إلى الهاوية السحيقة ، الهرمجدونية بالطبع .

هذه الفئة النخبوية التي كان فريقٌ منها يُسمِّي أمريكا قبل قرنين من الزمان : « أرض الميعاد » و« أورشليم الجديدة » . كانت تعني ما تقوله ، وهي تُمهِّد من أورشليم الجديدة لاستعادة « أورشليم القديمة » من أيدي البرابرة ، ومن ثَمَّ الانتقال بعد ذلك إلى « أورشليم الكبرى » ، « أورشليم الأحدث » ، حيث السماء والأرض الجديدتان ، وحيث لا يوجد إلا المنتظر وأحبابه فقط . ولتذهب كل الأمم وكل الديانات إلى الجحيم .

والجميع اليوم يُساهم في هذه المسيرة الأمريكية بالرضا ، أو بسيف الحياء ، أو بالإكراه والغصب ، أو بسيف العقوبات والحصار ، أو بسيف الموت .

فأمريكا هي التي تفاوض الصين بشعبها الهائل حتى تدخلها في منظمة التجارة العالمية ، لكنها هي هي التي تستثني البترول من تلك البضائع التجارية التي يتم الاتفاق عليها ، حتى يستمر تدفقه بشبه المجان ، وإن أدى ذلك إلى وقف عجلة التنمية في الدول الصديقة ، فهذا لا يهمها .

ولماذا التنمية ، والمسيح على الأبواب ، وهرمجدون بالمرصاد لكل تلك المنجزات . ألا نجد هذا متوافقاً مع ما صرح به وزير الداخلية الأمريكي الأسبق جيمس وات حين قال أمام لجنةٍ من مجلس النواب الأمريكي مختصةٍ بشئوون الغابات والأنهار : إنه لا يقلق كثيراً بشأن تدمير مصادر الأرض . لأنه لا يعرف كم من الأجيال المقبلة سوف « نعتمد عليها قبل أن يعود الرب »[1] .

إذن فلا حرج أن يكون هناك تلويث مُتعمَّدٌ وهائل الحجم للبيئة ، ولا إشكال من وجود ثقبٍ للأوزون ، ولا بأس بوجود تغييراتٍ مناخية مؤثرة على الأرض وعلى الناس ، ومدمِّرةٍ أحياناً تكون ناتجةً عن ارتفاع نسبة الملوثات الصناعية في الجو . وليذهب اتفاق « كيوتو » إلى الجحيم .

وعلى الجميع أن يقبل بهذه النتيجة الحتمية الحاضرة الآن ، وعليه كذلك أن يقبل بالنتيجة الحتمية القادمة ممثلةً بهرمجدون النووية ، ومملكة المنتظر العالمية . وعلى الجميع أن يسعى لتحقيق كل هذه الأهداف ، لتخرج إلى الوجود « مملكة المنتظر العالمية » و« ينزل المسيح » رغماً عنه حينئذٍ ، إذ لا يبقى له بعدئذٍ أي عذرٍ يمنعه من النزول ، فقد استتب الأمن ، وأقام أتباعه المملكة الأرضية ، فليهبط بسلام .

---

(١) غريس هالسل (١٤) .

كأنهم يظنون به الخور والجبن ، والخوف من تكرار تجربته الفاشلة الأولى في اعتقادهم .

فهم بأفعالهم هذه ، يوطئون له الأرض ، ويذلّلون له أكنافها ، ويهيئون له الملك ، ويقيمون له الدولة ، ليجيء فيملك فحسب . مرشداً روحياً للثورة المنتظرية ، وزعيماً رمزياً للمملكة الألْفية .

ولهذا لن نعجب إذا علمنا بعد كل هذا الذي قلناه : أن أول من دعا بصراحةٍ إلى تسريع وتعجيل قيام هذه المملكة العالمية في العقد الأخير من القرن الميلادي المنصرم ، على نحو ما صرحت به البروتوكولات في أول عقدٍ من ذلك القرن الميلادي ، هو الرئيس السوفياتي السابق : ميخائيل غورباتشوف . آخر رئيسٍ لِمَا كان يعرف بالاتحاد السوفييتي .

ويزداد العجب حين يكون ذلك التصريح صادراً من رئيس دولةٍ كانت زعيمة الإلحاد وقائدة الملحدين وملهمة الشيوعيين في العالم كله . - هذا في الظاهر - . وباسم الجلاسنوست والبيرويسترويكا (المصارحة وإعادة البناء) ساهم المذكور في انحلال دولته لا جنوناً ولا حمقاً ولا خيانةً . ولكن من أجل إقامة « الحكومة العالمية » كما صرح بذلك بنفسه في خطابه الذي ألقاه في كلية وستمنستر بولاية ميسوري الأمريكية سنة ١٩٩٢ م . بعد خروجه من الحكم . حين دعا في ذلك الخطاب إلى تشكيل « حكومةٍ عالمية » وأكّد على ضرورة قيام مثل تلك الحكومة .

فهل يُعقل أن يكون ذلك الفعل (هدم الدولة) ثم هذا الخطاب منه ، ضرباً من الجنون ، أم أنه كان يعني ما يقول ، ونفذ بالفعل ما أراد قبل أن يتكلم ، وسلّم مقاليد الأمور كلها للوطن الأم (أمريكا) . مع أنه كان ينافسها في كل شيء ، ويملك ترسانة نووية مثل ترسانتها ، ويملك من السلاح والعتاد والجيوش ومصانع السلاح مثلها أو أكثر . ومع هذا سلّم لها القياد ، بعد أن التقى ريغان في قمة ريكيافيك الحاسمة (١٩٨٦ م) . وفتحت بعد ذلك أمريكا أبوابها للمافيا الروسية .

معلناً بذلك أن الشرق والغرب يختلفان في كل شيء . ثم يتفقان على هذا الشيء ، ويجتمعان على إزالة معوقاته : وعلى رأسها الأصولية والإرهاب ، أو فقل بعبارةٍ أصرح وأوضح : الإسلام وأهل الإسلام .

فهم ولا شك - أي المسلمون - أعداء المنتظر الكذاب ، وهادمو دولته .

أما هؤلاء النصارى ومؤيدوهم ، فإنهم يجتهدون في وضع هذه الأمور موضع التنفيذ ، (نرى ذلك عياناً بياناً ولا نُحدَّث به) لصالح مسيحهم المنتظر ، الذي هو : المسيح الدجال المخرِّب اللعين ، لا المسيح الحق مسيح الهدى عيسى ابن مريم عليه السلام .

المبحث العاشر

أسطورة الخطف

نسمع عن الخطف في عـالم اليـوم كثيراً ، فَمِنْ خطـف الطـائرات ، إلى خطـف رهائن آدمية للمقايضة والمسـاومة ، إلى خطـف الصفقـات والوظـائف والأرزاق ، إلى خطف الأحذية عند أبواب المساجد .

كل هذا خطف ، وكل هذا وارد ، وكل هذا معقول .

لكنَّ الخطـف الـذي نحـن بصـدده الآن : خطـفٌ مـن نـوعٍ آخـر . إنـه خطـف الأحباب ، ومن الحب ما قتل .

زعم بولس بعد أن زعم أنـه طلَّق اليهوديـة ثلاثـاً ، ودخـل في ديـن المسـيح عليـه السلام ، أن عيسى عليه السلام سيخطف أتباعه ومحبيه ذات يومٍ ، غِبَّ شـتاءٍ نـووي ، لا يُبقي ولا يذر . حسب ما فصَّل ذلك ورتَّبه وقرره بعض أتباعه المتأخرين ، المشابهين له في سعة الخيال ، والجرأة على التأليف واختراع العقائد حسب متطلبات كل زمان .

وأسطورة الخطف هذه ، لا نجدها بهذا التصريـح إلا عنـد بولـس . فـهي إذاً مـن خزعبلاته ، وبدعةٌ من بدعه .

ما نطق بها عيسى عليه السلام ، ولا نسب إليه هذا الاعتقاد أحدٌ من حوارييـه ، أو أحدٌ من تلاميذه ، أو أحدٌ من كتبة الأناجيل .

فعيسى عليه السلام إذاً بـريءٌ مـن هـذا الاعتقـاد الأسـطورة . بشـهادتهم هـم ، وشهادة أناجيلهم المعتمدة عندهم .

ومردُّ هذه العقيدة إنمـا هـو إلى بولـس اليـهودي الدعـيّ ، فـهو الـذي جـهر بـها ونشرها معتقداً . وأبدأ فيها وأعاد ، محيلاً فيـها لا علـى كلمـةٍ تُنسـب للمسـيح عليـه السلام ، وإنما على كلامـه هـو - أي بولـس - . كأنمـا رأى في لفـظ لسـانه قدسـيةً

ترفعه إلى مرتبة الوحي الإلهي ، أو كأنه يزعم أنه إنما يقول ذلك حكايةً عن الله على سبيل الإلهام ، وأنه من هنا اكتسب كلامه ذلك العصمة والتصديق والقدسية .

ولا إخال البحث من هذا الطريق مجدياً في نسف هذه العقيدة الأسطورة عند النصارى . فديانة هؤلاء القوم - كما بيَّنا قبلاً - قائمةٌ على اللامعقول .

ورسائل بولس عندهم مثبتةٌ في العهد الجديد كباقي الأناجيل .

فهي بمثابة الوحي المقدس عندهم . لا يشكك فيها . ولا يُقبل فيها كلام مشككٍ مجادل .

وإنما المدخل عليهم هاهنا من ناحية أخرى ، فيقال لهم :

مَنْ الذي سيقوم بهذا العمل نيابةً عنهم ؟ هل هم بنو إسرائيل (اليهود) .

الجواب : نعم . هذا هو ما صرحت به بعض نصوص العهد القديم التي اعتمدوها .

فإن كان الأمر كذلك ، فالظافرون في هذه المعركة إذاً هم : اليهود ، ولأجلهم فعل المسيح المنتظر ما فعل . بينما ظل جمهور النصارى المخلَّصين ، معلَّقين بين السماء والأرض . فالمستفيد الحقيقي على هذا على تراب المعركة وفوق أرضها بعد انتهائها هم اليهود . وليسوا النصارى . الذين لا يُدرى أينزلون إلى الأرض بعد ذلك ، أم سيرتفعون إلى السماء ، أم سينتقلون إلى كوكبٍ جديد خاصٍ بهم . يعيشون فيه وحدهم .

فكأنهم باعتقادهم هذا إنما يُصححون عقائد اليهود ، ويجعلون أنفسهم وعقائدهم فداءً لهم .

وكأنهم لفرط غبائهم يُقرِّرون هذا اللامعقول ، ليصب في مصلحة ذلك الأمل المعقول الذي يُقرِّره معشر يهود في عهدهم القديم .

وهل هم على الحقيقة يسعون إلى تنصير اليهود وإدخالهم في ملكوت المنتظر ، أم يسعون من حيث لا يشعرون إلى تهويد النصرانية . لتكتمل مسيرة تهوُّدها وتعبرنها - إن صح التعبير - ، حتى في أعظم طموحاتها وآمالها . وهي غافلةٌ عن حقيقة ما يُراد بها .

فالخطف إذاً :

١ - أسطورةٌ بولسيةٌ في مبتدأ أمره .

٢ - ثم هو بعد ذلك كله : مكيدةٌ يهوديةٌ حاكها ذلك الخبيث بولس اللعين ، يهدم بها رسالة المسيح عليه السلام ، ليُعلي بنقضها العهد القديم ونصوصه وأهله ونبوءاته .

٣ - وبين هذين المقصدين . يُدخلها طور اللامعقول ، لتنبذها ألباب العقلاء ، وتأنف منها النفوس الصحيحة ، والعقول القويمة والفطر السليمة ، لتنقلب بعدئذٍ إلى اليهودية تتخذها ديناً ومذهباً . إذ لم يكن يومئذٍ على وجه الأرض دينان سماويان غير اليهودية والنصرانية .

ونستنتج من كل هذا :

أن الرجل (بولس) خبيث ، بعيد الغور ، عظيم المكيدة ، حـادّ الذكـاء ، حفـر حُفَراً للقوم لم يحن حتى اليوم وقت سقوطهم في بعضها .

ومع هذا ، فلهذه الديانة واضحـة البطـلان الـتي أَلَّفـها لهـم ، رواجٌ في كثـيرٍ مـن أصقاع الدنيا .

فاعجبْ لهؤلاء الغافلين : كيف تروج بضاعتهم في عالم المغفلين .

واعجبْ لهذه الدنيا المنتكسة : كيف لا يُفلح فيها إلا هؤلاء البطَّالون .

المبحث الحادي عشر

دعوى بركة إسرائيل

دعوى بركة إسرائيل التي يدندن حولها التيار الأصولي الإنجيلي ، وعلى الأخص في الولايات المتحدة الأمريكية في أيامنا هـذه . ناشئةٌ في الحقيقة عن دعوى اليهود أنفسهم أنهم « شعب الله المختار » .

وهي دعوىً يتخذ منها الأصوليون الإنجيليون هناك سوطاً يُلهبون به ظهر الساسة الأمريكان والسياسة الأمريكية ، ويُلوِّحون به في وجه المواطن المغلوب على أمره إرعاباً وترهيباً . حتى يشكر نعمة الله عليه ، ولا يقول لإسرائيل في أي يومٍ يخطر على باله : لا ، خشية أن تزول النعمة التي هو فيها . حتى وإن كانت في حقيقتها نقمة .

كما يُمارِس من خلالها هؤلاء الأصوليون الأسطوريون عملية حشد المزيد من التأييد الإجباري لإسرائيل وسياساتها في صفوف أولئك الذين تتوهم فيهم أنهم يقفون على الحياد من هذه القضايا .

ويربط هؤلاء بخبثٍ ، بين ذلك التفوق الأمريكي في كثيرٍ من المجالات ، وذلك الدعم اللامحدود لإسرائيل من المهد إلى اللحد .

وبالبحث عن المرتكز العقدي لهذه الأسطورة ومعرفته ، يمكننا حينئذٍ أن ننسفها في هدوءٍ ، حتى لا تبقى سيفاً مسلطاً على رقاب من لا يملك حولاً ولا قوةً في هذه المجالات المعرفية ، أو لا يملك إيماناً يجعله يعتقد جازماً أن لهذا الطغيان والعلوِّ نهايةً ، مهما طال مداه .

ما طار طيرٌ وارتفع   إلا كما طار وقع

وأن سنن الله الكونية تقول : إن طير القوم قد أوشك أن يخرَّ ساقطاً .

تنطلق هذه الأسطورة من مرتكزٍ عقدي ورد في سفر التكوين يقول :

إن الرب قال لإبراهيم عليه السلام « أجعلك أمةً عظيمة وأباركك وأعظِّم اسمك ، وتكون بركةً . وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه »[1] .

وبتعريض هذا المرتكز لنار النقد الممحِّصة ، ندرك أن دعوى البركة ، قصةٌ مفبركة . فإلى هذه المآخذ التي تُسقط هذه الدعوى برمتها ، وتجعلها كأن لم تكن :

١ - على فرض صحة ما نقلوه في نسبة هذا الوعد لله سبحانه وتعالى . وهم أكذب خلق الله طراً . يقال لهم : إن الوعد قد صدر من الله - تعالى ذكره - ، لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام . فيشمل الوعد بالبركة كل ذريته . ولم يقل أحدٌ قط إن بني إسرائيل هم وحدهم ذرية إبراهيم دون غيرهم .

بل من المعلوم المتواتر بالضرورة أن أمماً عظيمة كثيرة متعددة من أمم البشر اليوم ، هم من ذرية إبراهيم عليه السلام . فالروم من ذرية ابنه إسحاق ، وهم شركاء بني إسرائيل في إسحاق . وأكثر العرب من ذرية ابنه إسماعيل .

فأين ذهب نصيب هؤلاء من الوعد بالبركة ، وَلِمَ يرث بنو إسرائيل أباهم إبراهيم دونهم . ما نصت كتبهم على اختصاصهم بالوعد دون غيرهم ، ولا نطق الوعد بإخراج الأمم الأخرى من نسل أبي الأنبياء - عليه السلام - منه .

بل لفظ الوعد شاملٌ لكل ذرية إبراهيم عليه السلام .

فلبني إسماعيل إذاً نصيبهم من الأرض ، ونصيبهم من البركة ، ومع هذا فهم أبغض الخلق إلى أرباب هذا التيار الأصولي الإنجيلي .

أم أن الأمر كله لا يعدو كونه تقريراً لحقيقةٍ سياسيةٍ واقعةٍ لها سرٌّ خفي ، ويُراد لها أن تظهر بلبوس الحقيقة الدينية . إخفاءً لذلك الوجه الأهم من أوجهها .

(١) التكوين (١٢ : ٢ - ٣) .

٢ - تضمَّن لفظ الوعد وصفاً لا نـراه متحققـاً في بـني إسـرائيل اليـوم . بـل هـو أقرب إلى التحقق في بني إسماعيل ، ألا وهو : أن يجعلهم أمةً عظيمة أي كثيرة العدد . فبنو إسماعيل إذاً أولى بالوعد . وهم إلى انطباق وصفه عليهم أقرب .

وإن زعموا أن المقصود بـ« أمةٍ عظيمة » . أن يكونوا ذوي عزٍ ومنعةٍ وإن كـانوا قليلي العدد ، حتى ينطبق الوصف على ما يريدونه من صرف الوعد لبني إسرائيل دون غيرهم .

قلنا لهم : قد صدر الوعد لإبراهيم - كما تزعمون - قبـل آلاف السـنين . ومَـا تحقق بزعمكم إلا في هذه الأيام الأخيرة لبني إسرائيل .

ثم أي شيءٍ تحقق لهـم . أخـذوا فلسـطين ، بـل بعـض فلسـطين فحسـب . فأيـة عظمةٍ وأي عزٍ وأية منعةٍ هذه . هي كذلك بالقياس لِمَا كانوا فيه من الشتات والـذل والمهانة .

ثم يُقال لهم : أليس بنو إسماعيل أحق بهذا الوعد حتى على هذا التأويل .

أَوَ مَا خرجوا من جزيرتهم (جزيرة العرب) قبـل ألـفٍ وأربعمائـة سـنة ، وهـم قليلو العدد. فأصبحوا أسياد الدنيا . وملكوا ثلث العالم المعروف آنذاك من الصـين إلى المغرب ، ومن طشقند إلى عدن . هذا هو العز وهذه هي المنعة وهذه هي العظمة .

فأي شيءٍ هي فلسطين ، بالنسبة إلى هذا العز المكين ، والسلطان الواسع .

أَوَ مَا تحقق فيهم الوعد ، فأورثهم الله تلك الأرض (أرض فلسطين) . وأضعاف أضعافها من الأراضي ، وكل مكانٍ مقـدس عرفه البشـر حتـى يومـذاك . فضمـوا في دولتهم الحرم بمكة ومسجد المدينة والقدس والطور . وكل بلاد الأنبياء من أرض هودٍ إلى أرض شعيب إلى أرض يونـس ، ثـم إبراهيـم عليـه السـلام وأرض أولاده إسـحاق ويعقوب ويوسف وإسماعيل . وأرض مملكة موسـى ويوشـع بـن نـون ، وأرض مملكـة داود وسليمان عليهم السلام جميعاً .

إن لم يكن ذلك الوعد قد تحقق فيهم - على فرض صحته - فلا والله لا يتحقق في أحدٍ أبداً . وقد طوى الزمان عليه آلاف السنين .

٣ - بعض اليهود الحاضرين المعاصرين ، الطامعين في فلسطين ، المدَّعين لأنفسهم أنهم وعدوا بها . وأنهم نسل إبراهيم المبارك . الذين يتبرّك بهم الإنجيليون وينصرونهم بشكلٍ منقطع النظير .

لا ليس بعضهم . بل أكثرهم من اليهود الخزر - كما أثبت ذلك بعض الباحثين الغربيين المتأخرين(١) - وليسوا من نسل بني إسرائيل الأقدمين ، ولا من ذرية إبراهيم عليه السلام . فكيف يكون هؤلاء محل بركة ، أو يُقال : إن الوعد يشملهم .

ولفظ الوعد صريحٌ في أنه لا يشمل إلا إبراهيم ومَنْ تناسل منه . فالضمير عائدٌ إليه (أجعلك / أباركك) .

فهؤلاء الحاضرون في فلسطين إذن اليوم - (والحكم إنما يكون على العموم لا على قلةٍ شاذة لا تزيد نسبتها عن ٨ ٪) - ليسوا محل الوعد ولا موضعه . ولا داخلون في البركة المزعومة .

هذا غير ما دخل في هذه الدولة الحاضرة من متهوِّدة البلدان النائية البعيدين كل البعد أن يكونوا من ذرية إبراهيم ، كاليهود الهنود ، واليهود اليمنيين ، واليهود الفرس ، ويهود المغرب . وغيرها من البلدان .

فالوعد إذن قد يكون صحيحاً وقد لا يكون ، والبركة على ذلك قد تتحقق أَوْ لا . فإذا افترضنا صحته . فالبركة ليست من نصيب إسرائيل هذه الدولة التي

---

(١) منهم بنيامين فريدمان في رسالته الصغيرة : يهود اليوم ليسوا يهوداً . وفيها قرر أن (٩٢ ٪) من يهود اليوم ليسوا من نسل بني إسرائيل المتقدمين . بل من نسل يهود الخزر ذوي الأصول الآسيوية التركية . وأن أكثر يهود روسيا وأوربا الشرقية من نسل هؤلاء الخزر . وأكثر المؤسسين الأوائل لدولة إسرائيل منهم .

يتبركون بها ، ولا من نصيب أهلها . فعامتهم ليسوا من نسل إبراهيم عليه السلام فلا يدخلون إذاً .

وعلى فرض أن طائفة قليلة منهم هي التي تصح نسبتها لإبراهيم عليه السلام . فإن لهم شركاء في ذلك الميراث . فلهم إذن نصيبٌ من ذلك الميراث بقدر حصتهم . ولبني إسماعيل وهم أضعاف أضعاف عددهم ، النصيب الأوفر والميراث الأكبر من ذلك الوعد وتلك البركة .

فلم لا يُبدأ بالأكبر فالأكبر . والمهم والأهم قبل الشواذ الأفراد القلائل ، الذين يُذكرون إلحاقاً لقلة شأنهم .

هذا الذي يفعله الإنجيليون – على فرض تصحيحه – قلبٌ للموازين وتقديم للرذل القليل والنزر اليسير على الجمهور الأعظم والطائفة الكبرى . فبأي ميزانٍ يأخذون ، وإلى أي قسطاسٍ مستقيم يعودون .

إنْ هو إلا الهوى ، ومسايرة الواقع السياسي ، ثم تبريره ، وإيجاد دلائله الدينية بعقب ذلك .

فنُسفت بذلك : دعوى بركة إسرائيل ، من أساسها . ومن ذلك يظهر واضحاً أن دعوى البركة هي حلقةٌ في سلسلة الأساطير التي تُمثِّل صلب الديانة النصرانية ، ومن قبلها اليهودية .

المبحث الثاني عشر

البشارة بمحمد ﷺ في الإنجيل وأسفار العهد الجديد

كل البشارات الواردة في أسفار العهد القديم بحق النبي محمد ﷺ ، ملزمةٌ للنصارى حجةٌ عليهم ، لأنهم يأخذون بأسفار العهد القديم مصدراً من مصادر دينهم ، معتقدين أنها وحي مقدس .

لكننا في هذا المبحث سنقصر حديثنا على ما جاء من تلك البشارات في الأناجيل وباقي أسفار العهد الجديد . لأننا قد تناولنا بالذكر في مبحث سابق في الباب السابق عن « المسيح المنتظر عند اليهود » تلك البشارات الواردة في أسفار العهد القديم .

وليس مرادنا هنا استقصاء كل ما ورد من تلك البشارات في أسفار العهد الجديد . فهذا عملٌ جليلٌ طويلٌ نهض به العديد من الباحثين ، فأخرجوا من ذلك رسائل وأجزاء ومجلدات[1] . هذا غير ما يوجد في ثنايا كتب المتقدمين من استخراج الكثير من تلك البشارات . فهذا أمرٌ معروفٌ منتشر .

لكننا سنختار هنا نماذج فيها من الدلالة والوضوح والبيان ما يكفي ويشفي . تكون كالعنوان لِمَا بقي ، والنموذج الكاشف عما غاب .

---

(١) من تلك الأبحاث : كتاب « محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى » للبروفيسور عبد الأحد داود . (القسيس سابقاً) . وكتاب : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل / للدكتور أحمد حجازي السقا في مجلد ضخم ضَمَّ جزئين الثاني منهما في بشارات الأناجيل . وأصله رسالة دكتوراه (نوقشت بمصر عام ١٩٧٧ م) . وكتاب محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن - لإبراهيم خليل أحمد (القس سابقاً) .

وكتاب : البشارات بالرسول ﷺ في الكتب المقدسة عند غير المسلمين من إعداد : أحمد الصاوي . ضمن مشروعٍ لهيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي . وهو من أنفس هذه الكتب وأجمعها وأوسعها وأكثرها دقة . صدر في أكثر من أربعمائة صفحة .

ومن تلك البشارات الواردة في أناجيل النصارى وباقي أسفار عهدهم الجديد :

١ - البشارة المنسوبة إلى يحيى عليه السلام بمحمد ﷺ ، الواردة في إنجيل متى . إذ يقول : « أنا أعمِّدكم بالماء لأجل التوبة ، ولكن الآتي بعدي هو أقدر مني ، وأنا لا أستحق أن أحمل حذاءه . هو سيعمِّدكم بالروح القدس ، وبالنار »[(١)] .

وعيسى كان معاصراً ليحيى عليه السلام ، وكان يُعمِّد مثله بالماء . فهي بشارةٌ بسيد المرسلين محمد ﷺ الآتي بعد عصر يحيى وعيسى عليهما السلام الذي دعا الناس إلى الحق بلسانه . ثم قاتلهم عليه بالسيف حتى أطاعوا ودخلوا في دين الله الحق .

٢ - البشارة المنسوبة إلى عيسى عليه السلام باقتراب ملكوت الله . كما في متى « قد اقترب ملكوت السماوات » وفي مرقس : « قد اكتمل الزمان واقترب ملكوت الله »[(٢)] .

ولو كان يشير إلى بعثته هو لقال : إنه جاءهم بملكوت الله أو نحو ذلك . لكنه كان يشير إلى من سيجيء بعده . ثم إنه وصف صاحب ذلك الملكوت وأمة ذلك النبي في بشاراتٍ سنذكرها بأوصافٍ لا تنطبق إلا على محمد ﷺ وأمته .

٣ - الوعيد الذي ينسبونه لعيسى عليه السلام - على ما نقلوه في كتبهم - لبني أمته من بني إسرائيل بأن ملكوت الله (الحكمة والنبوة) سيُنزع منهم ويُعطى لأمةٍ غيرهم .

يقول كما في متى : « إن ملكوت الله سينزع من أيديكم ويُسلَّم إلى شعبٍ يُؤدِّي ثمره . فأيُّ من يقع على هذا الحجر يتكسر . ومن يقع الحجر عليه يسحقه سحقاً »[(٣)] .

---

(١) متى (٣ : ١١) . وانظر مناقشة هذه البشارة للبروفيسور عبد الأحد داود : محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (١١٠ - ١١١) .

(٢) متى (٤ : ١٧) مرقس (١ : ١٥) .

(٣) متى (٢١ : ٤٣ - ٤٤) .

وأيم الله لقد نزع منهم هذا الملكوت فأعطي لأمة محمد ﷺ . ونصر الله هذا الدين . لا يُماري في ذلك إلا غافل أو متغافل . ولم يقف في وجهه أحد . وتكسرت إمبراطورية فارس ، وتحطمت على يديه إمبراطورية الرومان العظيمة التي لم يستطع الوقوف في وجهها عبر التاريخ منذ قيامها أحد .

أما أكثر الأناجيل بشارةً بهذا النبي الموعود . فهو يوحنا في « إنجيله » ثم في « سفر الرؤيا » له أيضاً . آخر أسفار العهد الجديد وأعجبها .

ومما جاء من تلك البشارات في ذلك الإنجيل وذلك السفر (الرؤيا) :

٤ – نعته لذلك النبي الموعود بأنه سيد العالم . مثل الذي ينسبونه لعيسى عليه السلام كما في يوحنا : « لن أكلمكم كثيراً بعد . فإن سيد هذا العالم قادم »[١] .

ومحمد ﷺ هو سيد ولد آدم . وسيد الأولين والآخرين . وما قَدِمَ بعد عيسى عليه السلام مَنْ يُنعت بهذا النعت غيره .

٥ – ثم زاد في بشارة أخرى قوله : « عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم إلى الحق كله ، لأنه لا يقول شيئاً من عنده ، بل يخبركم بما يسمعه ، ويُطلعكم على ما سوف يحدث ، وهو سيُمجدني »[٢] .

والنبي ﷺ ما كان يأتي بشيء من عنده ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٣] . ومجّد عيسى عليه السلام ونزّهه عما قاله الضالون من اليهود والنصارى فيه .

---

(١) يوحنا (١٤ : ٣٠) .

(٢) يوحنا (١٦ : ١٣ – ١٤) .

(٣) سورة النجم – الآية رقم (٤) .

٦ – وفي بشارةٍ أخرى جاء نعته ﷺ بـ« المعيْن » أو « المعزِّي » أو « الفـارقليط » . كما في يوحنا : « سوف أطلـب مـن الآب أن يعطيكـم معينـاً آخـر يبقـى معكـم إلى الأبد ، وهو روح الحق » ... « وقد قلت لكم هذه الأمور وأنا ما زلت عندكم . وأما الروح القدس ، المعينُ الذي سيرسـله الآب .. فإنـه يعلِّمكـم كـل شـيء ، ويذكركـم بكل ما قلته لكم »[1] .

وقـال في موضـع آخـر : « وعندمـا يـأتي المعـينُ الـذي سأرسـله لكـم مـن عنـد الآب .... فهو يشهد لي »[2] .

وقال بعد ذلك بقليل : « ولكني أقول لكم الحق : من الأفضل لكـم أن أذهـب ، لأني إن كنت لا أذهب ، لا يأتيكم المعين ، ولكني إذا ذهبت أرسله إليكم . وعندمـا يجيء يُبكِّت العالم على الخطيئة »[3] .

وهي بشارات صريحة واضحة . لا تزال مرقومةً في هـذا الإنجيـل المعتمـد عندهـم حتى يومنا هذا . إذ أنهم في واقعهم الحاضر لا ينتظرون إلا عودة عيسى عليـه السـلام مسيحاً منتظراً في آخر الزمان .

فمن هو إذاً هذا المعين أو المعزِّي – كما سُمِّي في نسخٍ أخرى للعهد الجديد – أو الفارقليط – كما هو في النسخ القديمة جداً للأناجيل[4] – ؟ وَمَنْ هو هذا المرسل من

---

(١) يوحنا (١٤ : ١٦ – ١٧ / ٢٥ – ٢٦) .

(٢) يوحنا (١٥ : ٢٦) .

(٣) يوحنا (١٦ : ٧ – ٨) .

(٤) وردت هذه الكلمة في الأناجيل القديمة بلفظ : الفارقليط . كما نقل ذلك عدد من المتقدمين عن الأناجيل التي كانت بأيديهم . ومعنى الفارقليط بالعربية أحمد (هداية الحيارى لابن القيم / ٥٥) (تحفـة الأريـب للترجمان / ٢٦٧) (محمـد ﷺ كمـا ورد في كتـاب اليـهود والنصـارى – لعبـد الأحـد داود / ١٤٠ – ١٤٣) (إظهار الحق لرحمة الله الهندي / ٤٤٧ – ٤٥٣) . وهي مصداق قول الله تعـالى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ سورة الصف – جزء من الآية رقم (٦) . ثـم إنـهم أبدلوهـا بعد ذلك في بعض النسخ بكلمة المعزِّي أو المعين . وهي كلمةٌ بمعناها . أو هي كالترجمة أو التفسير للفظ البارقليط (إظهار الحق لرحمة الله الهندي / ٤٤٨ – ٤٤٩) وكتاب : (البشارات بالرسول ﷺ في الكتب المقدسة عند غير المسلمين – أحمد الصاوي / ١٤٨ – ١٥١) من إصدار وطبـع رابطـة العـالم الإسـلامي بمكة – طبعة وتاريخ : بدون .

عند الله الذي سيجيء ليبكت الناس على خطاياهم وليشهد بصدق نبوة عيسى عليه السلام ويرد على مكذبيه من اليهود ؟ ومَنْ هو هذا الذي يبقى معهم شرعه إلى الأبد ؟ ومن هو هذا الذي سيعلّم الناس كل شيء ؟

إن لم يكن نبي الإسلام محمداً ﷺ الذي اجتمعت فيه كل هذه الشروط والأوصاف . فلن يكون أحداً غيره .

وهاهم الآن ما عادوا بعد ألفي سنة من ظهور المسيح عليه السلام ينتظرون ذلك المرسل ولا يتحدثون عنه . وإنما نراهم يترقبون عودة المسيح عيسى عليه السلام ونهاية العالم عن قريب .

أَفَتُرى كان المسيح يعني بكل ذلك الحديث نفسه ؟ هذا محالٌ ومناقضةٌ لصريح النصوص ومكابرةٌ بالباطل .

أم ترى كان ذلك كله لغواً وكلاماً لا فائدة منه ؟

إذن فهو - على الرغم منهم - بشارةٌ بنبيٍ موعودٍ يجيء بعد عهد عيسى عليه السلام يؤيد ويشهد بصدق نبوته . ويستمر على سيرته في الدعوة إلى دين الله الحق وإرشاد الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة وحده سبحانه .

وأيم الله لقد ظهر ذلك النبي المبشَّر به . وما هو إلا محمد ﷺ نبي الإسلام . لكنهم يَعْمون أو يتعامون عما يرون من الحق الذي بقي بين أيديهم . وما هذا إلا خذلانٌ مبينٌ وضلالٌ ماحق ، أعاذنا الله من اتباع الهوى . ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾[1] ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾[2] .

(١) سورة الأعراف - جزء من الآية رقم (١٨٦) .

(٢) سورة الزمر - جزء من الآية رقم (٣٧) .

يقول أبو محمد عبد الله الترجمان الميورقي[1] (ت ٨٣٢ هـ) أحد رهبان نصارى الأندلس الذين أسلموا حين تبينت له حقيقة تلك البشارة ووفقه الله فهداه للإسلام : « بارقليط ... تفسيره بالعربية أحمد .... (و) هو نبينا محمد ﷺ ..... ولم يظهر بعد المسيح نبي بهذه الصفة غير نبينا محمد ﷺ فهو المراد بهذه البشارة الجليلة وإن رغمت بذلك أنوف خنازير النصارى لعنهم الله »[2] .

٧ – وآخر بشارةٍ نوردها من إنجيل يوحنا ، بشارةٌ تقول : إن امرأةً قالت لعيسى عليه السلام : « آباؤنا عبدوا الله في هذا الجبل ، وأنتم اليهود تُصرُّون على أن أورشليم يجب أن تكون المركز الوحيد للعبادة » . فأجابها عيسى : « صدّقيني يا امرأة ، ستأتي الساعة التي فيها تعبدون الأب لا في هذا الجبل ولا في أورشليم »[3] .

وفي هذا من الإشارة إلى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة ما فيه .

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقي – كما سمَّى نفسه بعد أن أسلم – كان راهباً من رهبان نصارى الأندلس يدعى : انسلم تورميدا . تتلمذ لأحد كبار قساوسة نصارى الأندلس وخدمه – سماه : نقلاو مرتيل – ولازمه عشر سنين . وحضر مرةً مجلساً لبعض علمائهم فاختلفوا في أمر البارقليط المبشَّر به . فعاد الميورقي منهم إلى أستاذه هذا فسأله . فأخبره بحقيقة الأمر . وقال له إن البارقليط اسم من أسماء النبي محمد ﷺ . وأشار عليه باللحاق ببلاد المسلمين والدخول في دين الإسلام . فرحل عنه إلى تونس وأسلم . والتحق بخدمة سلطانها حتى مات سنة ٨٣٢ هـ . قيل : قتل في غارة للنصارى على تونس . انظر ترجمته وقصته في كتابه : تحفة الأريب (٦١ – ٧٦) ومقدمة محقق كتابه هذا : عمر وفيق الداعوق (٢٣ – ٣١) .

(٢) تحفة الأريب (٢٦٧ – ٢٦٩) .

(٣) يوحنا (٤ : ١٩ – ٢١) .

وفي سفر الرؤيا أورد يوحنا بشاراتٍ أخرى . ومن تلك البشارات :

٨ – حديثه عن البشارة الأبدية . يقول : « بشارةٌ أبدية يُبشِّرُ بها أهل الأرض وكلَّ أمةٍ وقبيلةٍ ولغةٍ وشعب ، وهو ينادي عالياً : اتقوا الله ومجِّدوه »[١] .

وما جاء أحدٌ بعد عيسى عليه السلام ببشارةٍ كهذه البشارة . ولا قال هذا القول إلا محمدٌ ﷺ الذي جاء مبشراً ونذيراً للناس كافة .

٩ – إشارته إلى الحج . يقول في سِفْره : « رأيت حَمَلاً واقفاً على جبل صهيون ومعه مئةٌ وأربعةٌ وأربعون ألفاً ... يُنشدون ترتيلةً جديدة أمام عرش الله ... ولم يستطع أحدٌ أن يتعلَّم هذه الترتيلة إلا المئة والأربعة والأربعون ألفاً المشتَرَوْنَ من الأرض ، فهؤلاء لم يُنجِّسوا أنفسهم مع النساء لأنهم أطهارٌ ، وهم يتبعون الحَمَل حيثما ذهب ، ..... لم تنطق أفواههم بالكذب ، ولا عيب فيهم »[٢] .

وهذه إشارةٌ إلى حجة الوداع التي حضرها مع النبي ﷺ أكثر من مئة ألف من أصحابه .

وأما الترتيلة الجديدة فهي التلبية ، التي لم يكن يعرفها في ذلك الوقت أحدٌ غيرهم . وهم في حال الحج يتنزهون عن النساء لاشتراط ذلك في النسك . ويتبعون النبي ﷺ أينما ذهب ليتعلَّموا منه مناسكهم وليقتدوا به .

وأما عدم نطقهم بالكذب . فهذا هو المعلوم من حال أصحاب رسول الله ﷺ الذين اشتهروا وعُرِفوا بالصدق في القول والعمل مع المؤمن والكافر .

---

(١) سفر الرؤيا (١٤ : ٦ – ٧) .

(٢) سفر الرؤيا (١٤ : ١ – ٥) .

وفي الإشارات من الوضوح والصراحة ما يهدي الله به من أراد الحق وطلبه واجتهد في تحصيله . أما من كان حاله كحال الكفار المتقدمين القائلين : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[1] . فهذا لا تفيد معه كل الدلالات .

ومع هذا فقد جاء في إنجيل برنابا الذي لم يعتمدوه دلالات أشد صراحة نطقت باسم النبي محمد ﷺ وسمّته بالاسم الصريح (محمد)[2] . وهي موجودة متوافرة لمن شاء الاطلاع عليها . أما إيرادها بالتفصيل هنا فلا يُحتاج إليه . لأن النصارى لا يقبلون هذا الإنجيل مطلقاً ولا يعترفون به .

وقد اعترف بعض كبراء النصارى بهذه الحقيقة . وأقروا بها[3] . لكن الإقرار أو المعرفة وحدها لا تكفي . بل لابد من الإقرار الذي يتبعه إعلان الإيمان . والهداية بيد الله .

---

(١) سورة الزخرف – جزء من الآية رقم (٢٣) .

(٢) انظر : إنجيل برنابا (٤٤ : ٣٠) (٥٤ : ٩) (٥٥ : ٢٠) (٩٧ : ٥ – ٦ / ١٤ – ١٥ – ١٦ – ١٧) (١١٢ : ١٣ – ١٧) (٢٢٠ : ١٩ – ٢٠) .

(٣) أورد أمثلة على ذلك ابن القيم في هداية الحيارى (٩١ / ٩٥) والترجمان في تحفة الأريب حيث ذكر قصة معلمه الذي كان من كبار قساوسة النصارى بالأندلس وأقر بأنه عرف هذه الحقيقة من تلك البشارات على كِبَر . فلذا لا يطيق مخالفة أهل بلده وأتباعه حتى لا يقتلوه أو ينفوه إلى بلاد المسلمين فيعيش فقيراً ذليلاً (تحفة الأريب / ٦٥ – ٧١) .

الباب الرابع

المسيح المنتظر عند المسلمين

الباب الرابع

المسيح المنتظر عند المسلمين

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة فصول ، على النحو التالي :

- **مقدمة** : في تسمية المسيح عيسى عليه السلام مسيحاً منتظراً عند المسلمين .
- **الفصل الأول** : المسيح عيسى عليه السلام في القرآن والسنة .
- **الفصل الثاني** : علامات نزول المسيح عيسى عليه السلام .
- **الفصل الثالث** : نزول مسيح الهدى المسيح الحق عيسى عليه السلام وعودته في آخر الزمان (القدوم المنتظر) .
- **الفصل الرابع** : النهاية .

المقدمـــــة

مقدمة : في تسمية المسيح عيسى عليه السلام مسيحاً منتظراً عند المسلمين

المسيح عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر عند المسلمين بإجماعٍ واتفاقٍ من كل طوائفهم المعتبرة ، التي تقرر معتقد نزول عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان ، وتأخذ به .

وأهل السنة والجماعة يقررون في كل عقائدهم المكتوبة ، أن نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام ، هو مسيح آخر الزمان المنتظر قدومه ، ويجزمون بذلك جزماً قاطعاً لا مجال معه لشكٍ أو تشككٍ أو ريب . بناءً على النصوص الصحيحة الصريحة الواردة . وهم متفقون على أن المسيح المنتظر الموعود في آخر الزمان : هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل في آخر الزمان .

لكنْ قد يجادل مجادلٌ في إطلاق هذه التسمية على عيسى عليه السلام وعودته المنتظرة في آخر الزمان ، معتمداً في ذلك على أن هذه الصيغة (المسيح المنتظر) لم تَرِدْ في حق عيسى عليه السلام ونزوله المنتظر في آخر الزمان ، في النصوص الشرعية . فلذلك لا يُجزم بإطلاقها . مع مطابقتها لواقع الحال .

والجواب على هذا الاعتراض أن يقال : أيْ نعم ، إن ذلك لم يرد بلفظه في النصوص الشرعية ، لكنَّ هذا الإطلاق ليس من الأمور التعبدية التوقيفية التي لا يُسوَّغ تجاوز النص فيها .

ثم إن الإطلاق المذكور مناسبٌ ومطابقٌ لواقع الحال الذي تسرده النصوص الشرعية في السنة النبوية بتفصيل . فما المانع أن يُوجد لذلك عنوانٌ يجمع ما تفرق من هذا المعنى ، ويُوحِّدُ بين أجزائه .

كما فعل علماء أصول الفقه حين أطلقوا هذا المسمَّى على فنهم ، معَ أنه لم يرد في نصوص الشرع ، لكنه يتطابق مع واقع الحال ويشمله النص بمبناه ومعناه .

وكما فعل المحدثون حين أطلقوا علم التخريج ودراسة الأسانيد وعلم أصول الحديث ، على فنونٍ علميةٍ مرتبطةٍ بالسنة النبوية لا انفكاك لها عنها ، مع أن هذه الإطلاقات لم ترد في نص الشرع وصريح لفظه . وإنما تضمنها بمعناه .

فهو إذن توسعٌ في الإطلاق لا أكثر ، وليس زيادةً على ما في الشرع .

فإن كان المعترض ممن لا يجرؤ على مثل هذه الإطلاقات إلا متكئاً على عصا أحد المتقدمين . فلنا في كلام الإمام ابن القيم رحمه الله غنية ، يقول : « المسلمون واليهود والنصارى تنتظر مسيحاً يجيء في آخر الزمان ، فمسيح اليهود هو الدجال ، ومسيح النصارى لا حقيقة له ، .... ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو عبد الله ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول عيسى ابن مريم (عليه السلام) » .

إلى أن قال : « فهذا منتظر المسلمين لا منتظر المغضوب عليهم والضالين ، ولا منتظر إخوانهم من الروافض المارقين »[1] .

وحاصل الكلام : أن ذلك الإطلاق (المسيح المنتظر) على المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، ووصف نزوله الآتي في آخر الزمان بهذا النعت ، أمرٌ لا بأس به ، ولا حرج منه ولا فيه .

ويتأكَّدُ ذلك حين يُحتاج إليه في علم دراسات مقارنات الأديان ، كما هو عليه الحال في رسالتنا هذه .

فبمثل هذه المقارنات - وإن كانت تحت هذه الإطلاقات المستحدثة والتسميات المتأخرة - تنكشف زيوف باطل أولئك الكفرة الكذبة ، وتنجلي غياهب الظلام عن عيون المبصرين إزاء الحق الذي نملكه ونغفل عنه . وبمثل هذه المقارنة ينكشف ما نحن عليه من حق ، وما عليه أولئك المغضوب عليهم والضالون من باطلٍ وضلال .

---

(١) هداية الحيارى (١١١) .

الفصل الأول

المسيح عيسى عليه السلام في القرآن والسنة

الفصل الأول

المسيح عيسى عليه السلام في القرآن والسنة

هذا الفصل مختصٌ بحديث القرآن والسنة عن المسيح عيسى عليه السلام . يُقدِّم لنا صورة المسيح عيسى عليه السلام في الإسلام ، وموقف المسلمين منه . بناءً على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية .

يشتمل هذا الفصل كما هو واضحٌ من العنوان على قطاعين في مبحثين :

المبحث الأول : المسيح عيسى عليه السلام في القرآن .

المبحث الثاني : المسيح عيسى عليه السلام في السنة .

وهو خاصٌ بحديث السنة عنه وعن بعثته إلى قومه بني إسرائيل ، ودعوته إلى دين الله إلى أن رفع .

فأما جملة الأحاديث في السنة عن عيسى عليه السلام فهي كثيرة ، تستوعب الباب كله ، وتتفرق في كل فصوله . وليس المراد حصر كل الأحاديث في شأنه ، فهذا عسير ، ولا هو مقصد بحثنا .

وإنما المراد عرض أمثلةٍ من ذلك ، كالشاهد لِمَا غاب .

المبحث الأول

المسيح عيسى عليه السلام في القرآن

يحدثنا القرآن الكريم عن نبي الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حديثاً وافياً متكاملاً ، ويُقدِّم للمسلمين صورةً كاملةً عن تلك المرحلة من حياته ، من لحظة حمل أمه به ، حتى لحظة رفعه . ليكفيهم بذلك عن مطالعة المصادر الأخرى ، وليحميهم من الالتفات إليها وأخذ ما فيها من الباطل .

ويجيء حديث القرآن في أول الأمر عن نبي الله عيسى عليه السلام مرتبطاً بالحديث عن بقية الأنبياء ، وضرورة إيمان المسلم بكل هؤلاء الأنبياء ، يقول تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾[1] .

فجاء الخطاب داعياً كل مسلم إلى الإيمان بنبوة كل الأنبياء إجمالاً وتفصيلاً ، ومنهم نبي الله عيسى عليه السلام : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2] ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة - جزء من آية رقم (٢٨٥) .

(٢) سورة البقرة - الآية رقم (١٣٦) .

(٣) سورة آل عمران - الآية رقم (٨٤) .

ثم بدأ بعد ذلك الحديث التفصيلي عن حياة نبي الله عيسى عليه السلام وقصته هو وأمه . فحدثنا الله سبحانه وتعالى عن حال عيسى وحال أمه إجمالاً . فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[1] . وقوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾[2] .

قال الطبري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ : « جعلنا ابن مريم وأمه حجةً لنا ... على قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل »[3] .

وقال ابن كثير : « جعلهما آيةً للناس : أي حجةً قاطعةً على قدرته على ما يشاء ، فإنه خلق آدم من غير أبٍ ولا أم ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى »[4] .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ : « أي مؤمنة به مصدقة له . وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبية ، كما زعمه ابن حزم وغيره ... والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[5] . وقد حكى

(١) سورة المؤمنون – الآية رقم (٥٠) .

(٢) سورة المائدة – جزء من الآية رقم (٧٥) .

(٣) تفسير الطبري المسمَّى : جامع البيان في تأويل القرآن / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٩ : ٢١٧) دار الكتب العلمية – بيروت / ط. ثانية / ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م .

(٤) تفسير القرآن العظيم / للحافظ ابن كثير – تحقيق: سامي السلامة (٥ : ٤٧٦) .

(٥) سورة يوسف – جزء من الآية رقم (١٠٩) .

الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله ، الإجماع على ذلك »[١] .

ثم حدثنا القرآن بالتفصيل عن مريم أم عيسى عليه السلام ، وفضلها ، وخبرها ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] .

وقبل هذا ساق قصتها وقصة أمها من قبلها . يقول تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٣] .

ودون أن ندخل في التفاصيل الطويلة الجميلة لهذه القصة نكتفي بما سرده القرآن هاهنا وقرره ، ففيه ما يكفي ، « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق » .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ١٥٨ - ١٥٩) .

(٢) سورة آل عمران - الآية رقم (٤٢) .

(٣) سورة آل عمران - الآيات رقم (٣٥ - ٣٧) .

ويسرد القرآن الكريم قصة حمل مريم بالمسيح عيسى عليه السلام، وكيفية حدوث ذلك ، ثم قصة ولادتها إياه . يقول تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] .

وجاء تفصيل ذلك في موضعٍ آخر . يقول تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا

---

(١) سورة آل عمران - الآيات رقم (٤٥ - ٤٧) .

فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[1] .

قال المفسرون في بيان هذه الآيات وشرحها : انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً أي اعتزلت أهلها وانفردت عنهم في مكانٍ من قبل المشرق. قال ابن عباس رضي الله عنه : إني لأعلم خلق الله لأي شيءٍ اتخذت النصارى المشرق قبلة ، ... اتخذوا ميلاد عيسى قبلةً ... فصلوا قِبَل مطلع الشمس[2] .

قال ابن كثير رحمه الله : ذهبت إلى شرق المسجد المقدس[3] ، وقال البغوي : إلى مكانٍ في الدار مما يلي المشرق[4] .

(١) سورة مريم - الآيات (١٦ - ٣٦) .

(٢) تفسير الطبري (٨ : ٣١٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٥ : ٢١٩) .

(٤) تفسير البغوي « معالم التنزيل » / للإمام الحسين بن مسعود البغوي / تحقيق : عثمان ضميرية وآخرون / (٥ : ٢٢٢) / دار طيبة - الرياض / ط. رابعة / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ قال الطبري : جبريل (عليه السلام) .. مثّله الله (لها) بشراً سوياً ... فتشبَّه لها في صورة آدمي سويّ الخلق .

قال الطبري : « فخافت مريم .. إذ تمثّل لها بشراً سويّاً ، وظنته رجلاً يريدها على نفسها » . فقال لها : ﴿ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ . ونفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت (على عيسى)[١] .

وحين جاءتها الولادة ألجأها المخاض إلى جذع النخلة ، فقالت ما قالت ، فناداها من تحتها أي من تحت النخلة جبريل عليه السلام قائلاً : لا تحزني ، قد جعل ربك تحتك سَرِيّاً ، أي جدول ماء ، أو نهراً صغيراً يُشرب منه ، فاشربي من مائه وكلي من ثمر النخلة[٢] ، « واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : كان الحمل والولادة في ساعةٍ واحدة . وقيل : كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء » . وبينهما أقوالٌ متفاوتات[٣] .

ثم أتت به قومها تحمله ، فقال لها قومها من بني إسرائيل لَمَّا رأوا الغلام معها : ﴿ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ أي عظيماً[٤] يريدون بذلك الفاحشة .

﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ نسبوها إلى رجلٍ صالحٍ في بني إسرائيل يقال له هارون ، أي : يا شبيهة هارون في الصلاح ، وليس هو بنبي الله هارون عليه السلام ، فهذا بعيد العصر عنها . إذ كان في زمان أخيه نبي الله موسى عليه السلام ، قبل وقتها بقرون . وإنما هو اسمٌ على اسمه[٥] . ويشهد لذلك حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : « لَمَّا قدمتُ نجران سألوني [وكانوا نصارى] فقالوا : إنكم تقرؤون :

---

(١) تفسير الطبري (٨ : ٣٢٠ - ٣٢٢) .

(٢) تفسير الطبري (٨ : ٣٢٣ / ٣٢٦ - ٣٢٩) .

(٣) تفسير البغوي (٥ : ٢٢٤ - ٢٢٥) .

(٤) تفسير الطبري (٨ : ٣٣٥) .

(٥) تفسير الطبري (٨ : ٣٣٥ - ٣٣٦) ، وتفسير ابن كثير (٥ : ٢٢٦ - ٢٢٨) .

﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ . وموسى قبل عيسى بكذا وكذا . فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك . فقال : إنهم كانوا يُسمُّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم »[١] .

وقيل : أو لأنها من ذرية هارون عليه السلام[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ قال الطبري : « والأَمَنة من الله عليّ من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني .. ويوم أموت ، من هول المطلع ، ويوم أبعث حياً يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس .. » ثم قال : « يخبرهم .. عن نفسه أنه لا أب له وأنه سيموت ثم يبعث حياً » . « ولَمَّا كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ، ثم سكت عيسى عليه السلام ، فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان » .

قال ابن كثير رحمه الله : (في هذه الآية) « إثباتٌ منه لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق .. يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق »[٣] .

وقد قررت هذه الآية أموراً ، منها :

١ - أن مريم بُشِّرت بولدٍ اسمه المسيح عيسى .

٢ - يكلِّم الناس في المهد .

٣ - أنها حملت به بطريقٍ غير اعتيادي ، أي من غير أبٍ . وهذا ما سيأتي بيانه وتفصيله أكثر .

---

(١) صحيح مسلم (١١٨٠) الحديث رقم (٢١٣٥) / كتاب الآداب - باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء / طبعة : دار المغني - الرياض / أولى / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

(٢) تفسير الطبري (٨ : ٣٣٦) وانظر كذلك : تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم الرازي (٧ : ٢٤٠٧) تحقيق : أسعد محمد الطيب / ط. أولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م / مكتبة نزار الباز - مكة .

(٣) تفسير الطبري (٨ : ٣٤٠) ، والبغوي (٥ : ٢٣١) ، وابن كثير (٥ : ٢٣٠) .

٤ - أن قومها من بني إسرائيل بهتوها ورموها بالزنا، قبل أن يتبينوا حقيقة الأمر، فهم - معشر اليهود - قوم بهت وأهل شر . قال تعالى عنهم : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾[١] .

٥ - أنه حين نطق في المهد ، قرر أنه عبدٌ لله ، وليس ابناً لله - تعالى عن ذلك - كما زعم بعد ذلك طائفة النصارى .

أما تبشيرها بولدٍ من غير أبٍ ، وكيفية حصول ذلك ، فإن القرآن يحتج لمثل هذه الحالة بحالة آدم عليه السلام أبي البشر ، فلا عجب أن يحصل ذلك لمريم ، وأن ترزق بعيسى عليه السلام دون أن يكون له أبٌ ، فليس لقدرة الله حدود ، وهو بهذا يقطع الطريق ليس أمام بهت اليهود لها فحسب ، وإنما أمام غلو النصارى فيه على أساس هذه المعجزة (أنه ولد من غير أبٍ) ، فآدم قبله ولد من غير أبٍ .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[٢] .

أي هذا هو الحق من ربك ، فعيسى مثل آدم خُلِقَ بـ : كُنْ فيكون ، بلا أبٍ .

ثم سردت الآيات القرآنية الكريمة صفات هذا النبي الكريم والمسيح العظيم ، ومهماته ، وبعثته بالنبوة ، وقيامه بما أمره الله به من تبليغ الرسالة وأداء الأمانة على النحو التالي :

١ - ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿ وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٣] .

---

(١) سورة النساء - الآية رقم (١٥٦) .

(٢) سورة آل غمران - الآيتان رقم (٥٩ - ٦٠) .

(٣) سورة آل عمران - جزء من الآيتين رقم (٤٥ - ٤٦) .

٢ - من صفاته ومعجزاته ، أنه ﴿ يُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾[١] . قال تعالى ممتناً على عبد الله ونبيه عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾[٢] .

٣ - أنه مؤيدٌ بروح القدس . وقد ورد هذا في الآية السابقة ، وفي غيرها ، يقول تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[٣] .

قال الطبري : « روح القدس .. هو جبريل عليه السلام » وهو « أولى التأويلات في ذلك بالصواب » ... « وإنما سمّى الله تعالى جبريل « روحاً » وأضافه إلى « القدس » لأنه كان بتكوين الله له روحاً من عنده ، من غير ولادة والدٍ ولده ، فسمّاه بذلك « روحاً » وأضافه إلى « القدس » - و« القدس » هو الطهر - » .

أو أن القدس هو « الرب تعالى ذكره » . فيكون المعنى على هذا : أن الله أيّد عيسى بروحه[٤] . أي قوّيناه وأعنّاه (بروح القدس) يعني بروح الله . وهو جبريل[٥] .

واستشهد ابن كثير رحمه الله بعدة أدلة على ترجيح القول بأن روح القدس هو جبريل عليه السلام[٦] .

---

(١) سورة آل عمران - جزء من الآية رقم (٤٦) .

(٢) سورة المائدة - جزء من الآية رقم (١١٠) .

(٣) سورة البقرة - جزء من الآية رقم (٨٧) ، والمقطع كذلك جزء من الآية رقم (٢٥٣) من نفس السورة .

(٤) تفسير الطبري (١ : ٤٤٨ - ٤٥٠) .

(٥) تفسير الطبري (٣ : ٣ - ٤) .

(٦) تفسير ابن كثير (١ : ٣٢١ - ٣٢٣) .

٤ – أنه مرسلٌ إلى بني إسرائيل ، لإكمال مهمة مَنْ قبله من الأنبياء ، المبعوثين إلى بني إسرائيل ، الذين شغبوا على أنبياء الله ، وعصوا كلام الله .

يقول تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(١) . وفي آيةٍ أخرى جاء بيان ذلك وتوضيحه ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾(٢) .

٥ – ﴿ يُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾(٣) وامتنّ الله عليه بذلك في الآية الأخرى ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾(٤) فهو إذن نبي يوحى إليه . قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ .. ﴾ إلى أن قال ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾(٥) .

٦ – كتابه الإنجيل . وقد ورد هذا في الآيتين السابقتين . وجاء ببيانٍ أكثر في قوله تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٦) . وفي قوله تعالى : ﴿ وقَفَّيْنَا

---

(١) سورة آل عمران – جزء من الآية رقم (٤٩) .

(٢) سورة الصف – جزء من الآية رقم (٦) .

(٣) سورة آل عمران – الآية رقم (٤٨) .

(٤) سورة المائدة – جزء من الآية رقم (١١٠) .

(٥) سورة النساء – جزء من الآية رقم (١٦٣) .

(٦) سورة المائدة – الآية رقم (٤٦) .

بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾[١] .

وقد نسخ الله الإنجيل بالقرآن . وجاء تبيان ذلك وتوكيده في قوله تعالى بعد كل هذه الآيات مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[٢] .

أي أن « القرآن أمينٌ على الكتب المتقدمة ، فما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منها فهو باطل » . كما قال ابن عباس رضي الله عنه : « مهيمناً أي حاكماً على ما قبله من الكتب »[٣] .

قال الشوكاني رحمه الله : (معناه) « أن القرآن صار شاهداً بصحة الكتب المنزلة ومقرراً لما فيها مما لم ينسخ وناسخاً لما خالفه منها ، ورقيباً عليها وحافظاً لما فيها من أصول الشرائع ، وغالباً لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ ، ومؤتمناً عليها لكونه مشتملاً على ما هو معمول به منها وما هو متروك »[٤] .

قال الطبري رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[٥] أي : ليظهر دينه الذي أرسل به رسوله على كل دينٍ سواه[٦] . وقال في الآية الأخرى ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى

---

(١) سورة الحديد - جزء من الآية رقم (٢٧) .

(٢) سورة المائدة - جزء من الآية رقم (٤٨) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣ : ١٢٨) .

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / للإمام الشوكاني = محمد بن علي بن محمد (٢ : ٦١) راجعه وعلق عليه : هشام البخاري وخضر عكاري / ط. أولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م / المكتبة العصرية - بيروت .

(٥) سورة الصف - جزء من الآية رقم (٩) .

(٦) تفسير الطبري (١٢ : ٨٣) .

ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ أي : « لِيُعلي الإسلام على الملل كلها »[1] .

ثم ينتقل القرآن الكريم بعدئذٍ إلى الحديث عن دعوة نبي الله عيسى عليه السلام إلى الله . فيقرر أولاً أن الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله ، وإثبات الوحدانية ، وذم الشرك ، والبراءة منه ومن أهله ، هي لبّ دعوة المسيح عيسى عليه السلام ، كما هي لبّ دعوة كل الأنبياء قبله ، ثم خاتمهم بعده محمدٍ ﷺ .

وهذا هو الذي أكدت عليه الآيات الكريمات عندما تذكر قصة بعثة المسيح عيسى عليه السلام ، فعندما سرد الله سبحانه وتعالى قصة المسيح عليه السلام في سورة آل عمران ختم ذلك ببيان أن دعوة عيسى عليه السلام كانت لإفراد الله بالعبادة وتوحيده ، قال تعالى على لسان المسيح عيسى عليه السلام في بيانه لحقيقة دعوته ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ .. ﴾ إلى أن قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[2] . وفي آيةٍ أخرى جاء بيان حقيقة الدعوة بكل جلاءٍ ووضوح في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ . وفي الآية التي بعدها جاءت تتمة ذلك في قوله تعالى مقرراً دعوة نبيه المسيح عيسى عليه السلام : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

---

(١) تفسير الطبري (٦ : ٣٥٦) .

(٢) سورة آل عمران – جزء من الآية رقم (٥٠) والآية رقم (٥١) بكاملها .

(٣) سورة المائدة – جزء من الآيتين رقم (٧٢ – ٧٣) .

وفي آيـاتٍ أخـر قـال : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ إلى أن قـال ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[1] . وقـال أيضـاً : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[2] .

وفي موضعٍ آخر نعى على مَنْ يزعمون أنهم أتباع المسيح ابن مريم ، أنهم اتخذوا مع الله إلهاً آخر . قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3] .

أما الذين اتبعوا المسيح عليه السلام فيما جاء به من عند الله من الحق والهدى وعبادة الله وطاعته ، فقد ذكرهم الله في كتابه العزيز وأثنى عليهم . وسمّاهم « الحواريين » ، يقول تعالى في ذكر قصتهم مع المسيح عيسى عليه السلام والتحاقهم بدعوته إلى دين الله ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ

---

(١) سورة مريم - الآيتان (٣٤ / ٣٦) .

(٢) سورة الزخرف - الآيتان (٦٣ - ٦٤) .

(٣) سورة التوبة - الآيتان (٣١ - ٣٢) .

ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[١] . وقال عنهم أيضاً في موضع آخر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[٢] .

وقد ذكر الله قصصهم في موضعٍ آخر بتوسعٍ وتفصيل . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] .

والإيحاء هنا لا بمعنى الوحي الذي ينزل على الأنبياء . بل هو بمعنى : أنه قذف في قلوبهم ، أو ألهمهم ذلك[٤] .

---

(١) سورة آل عمران - الآيتان (٥٢ - ٥٣) .

(٢) سورة الصف - الآية رقم (١٤) .

(٣) سورة المائدة - الآيات (١١١ - ١١٥) .

(٤) انظر : تفسير الطبري (٥ : ١٢٩) .

أما قصة المائدة التي سُمِّيت باسمها السورة ، فإن أولئك النفر من أصحاب عيسى عليه السلام سألوه أن يسأل الله لهم أن يُنزل عليهم مائدةً من السماء .

قال ابن كثير رحمه الله : « كل .. الآثار دالةٌ على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل ، أيام عيسى ابن مريم ، إجابةً من الله لدعوته ، وكما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ الآية . وقد قال قائلون : إنها لم تنزل . .... وقد يتقوّى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما يتوفر الدواعي على نقله ، وكان يكون موجوداً في كتابهم متواتراً ، ولا أقل من الآحاد ، والله أعلم . ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت ، وهو الذي اختاره ابن جرير ، قال : لأنه تعالى أخبر بنزولها بقوله تعالى : ﴿ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال : ووعد الله ووعيده حقٌّ وصدق . (قال ابن كثير :) وهذا القول هو - والله أعلم - الصواب ، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم »[1] .

وقد أجاب عن هذا الاستشكال (بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى) بجوابٍ جيدٍ ، الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره . قال : « كتب النصارى من الأناجيل وغيرها قسمان : أحدهما قانوني وهو ما أقرته الكنيسة واعتمدته ، والثاني غير قانوني وهو ما رفضته الكنيسة ولم تعتمده ، ومنه إنجيل برنابا الذي صرح فيه بالتوحيد الخالص والبشارة بنبوة محمد ﷺ ، وإنجيل الطفولية (؟) الذي ذكر فيه مسألة جعله هيئةً من الطين كهيئة الطير نفخ فيها فطارت ، فيجوز أن يكون خبر هذه القصة في بعض الأناجيل التي رفضتها الكنيسة وَفُقِدَتْ بعد ذلك »[2] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٥ : ١٣٦) وتفسير ابن كثير (٣ : ٢٣٠ - ٢٣١) .

(٢) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا (٧ : ٢٥٨ - ٢٥٩) .

ثم جَوَّز أن تكون هي القصة المروية في إنجيل يوحنا بمعنى قريبٍ من ذلك . وفيها أن عيسى عليه السلام أطعم خمسة آلاف بخمسة أرغفة شعير وسمكتين صغيرتين ، أوان عيد الفصح اليهودي على ضفاف بحيرة طبرية . وأن ذلك الطعام القليل قد باركه الله . فكفى كل الحاضرين وسدَّ جوعة الخمسة آلاف . وفَضُلَ من ذلك شيء . وذكروا ذلك في معجزاته وآياته . ثم ألقى عليهم موعظةً من يوم غدٍ حول تلك الآية[1] .

ثم علق رشيد رضا على ذلك قائلاً : « فهذه القصة أولها يشير إلى المائدة الجسدية ، وآخرها يشير إلى المائدة الروحية ، وهي قد وقعت في عيد الفصح المتفق عليه عند اليهود والنصارى إلى اليوم ، ولا يزال النصارى يحتفلون به ويأكلون فيه خبزاً ويشربون خمراً باسم المسيح ويسمونه العشاء الرباني . فهذا دليلٌ على أن لهذه الآية أصلاً عندهم »[2] .

وقد ذكر الله خصيصةً اختص بها بعض هؤلاء النفر من أتباع المسيح عليه السلام . خصيصةً ابتدعوها وزادوا بها على دين الله الذي جاءهم به المسيح ابن مريم عليه السلام اجتهاداً منهم . فقال جلّ من قائل ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[3] .

---

(١) إنجيل يوحنا (٦ : ١ - ٥٩) .

(٢) تفسير المنار (٧ : ٢٥٩ - ٢٦٠) .

(٣) سورة الحديد - جزء من الآية رقم (٢٧) .

قال ابن الجوزي رحمه الله عند تفسير هذه الآية : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ « أي جاؤوا بها من قِبل أنفسهم ، وهي غلوهم في العبادة ، وحمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح ، والتعبدُ في الجبال »[١] .

ومراده بذلك ما وقع من رهبان النصارى من التبتل ، والانقطاع عن الخلائق في الكهوف والغيران والصوامع والأديرة النائية في الجبال والصحاري ، وامتناعهم عن الزواج ، وتقليل الملبس أو التعرّي أحياناً ، وتقليل المطعم والمشرب ، تقرباً إلى الله بذلك ، مع أن الله لم يطالبهم بذلك ولا ألزمهم به كما قالت الآية : ﴿ مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ ثم لم يستطيعوا الالتزام بها لصعوبتها ، ومناقضتها لنوازع النفس البشرية وحاجاتها الفطرية ، وهذا هو حال متصوفة كل الأمم . في غالب الأحوال[٢] .

وقد ذكر الله هؤلاء الأتباع في موضع آخر في كتابه ، فقال عنهم : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[٣] .

أي ناصرُ مَنْ اتبعك على الإسلام . ويدخل في عداد أتباعه كل أهل الإسلام . فهم منصورون على أهل الشرك إلى يوم القيامة . وهم الطائفة المنصورة الظاهرة إلى يوم القيامة كما ورد في الحديث المشهور . وقد كان هذا هو فهم الصحابة لمعنى هذه الآية . وهو الذي ذكره أهل العلم في تفسير هذه الآية[٤] .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير / للإمام ابن الجوزي (٨ : ١٧٦) ط. رابعة / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م / المكتب الإسلامي - بيروت .

(٢) وقد بسط الإمام ابن الجوزي رحمه الله علائم هذا المنهج وأفردها بقطعةٍ كبيرةٍ من مصنفه الشهير « تلبيس إبليس » الذي نقض به أحوال متصوفة زمانه ومقتدمي متصوفة المسلمين الذين شابهوا أولئك الرهبان في المنهج والمشرب ، وقلدوهم في بعض الأحايين .

(٣) سورة آل عمران - جزء من الآية رقم (٥٥) .

(٤) راجع : تفسير ابن أبي حاتم (٢ : ٦٦٢ - ٦٦٣) حيث ذكر هذا التفسير ، وأسنده إلى بعض الصحابة .

ومضمون الآية كما يقول الإمام الطبري على هذا : مختصٌ بتلك الطائفة التي آمنت بالدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام من عند الله من طائفة الحواريين . ومعنى الآية على ذلك :

« أي جاعلُ الذين اتبعوك على منهاجك وملّتك من الإسلام وفطرته ، فوق الذين جحدوا نبوتك ، وخالفوا سبيلهم من جميع أهل الملل »[1] .

وقد ختم الله بمحمدٍ ﷺ كل الرسل . وورثت أمته كل الأمم ، وآمنت بكل الرسل والأنبياء ، ومنهم عيسى عليه السلام ، ولا يزالون مُقدَّمين ظاهرين على كل مَنْ خالف تعاليم أنبياء الله . ولا يقبل الله مِنْ أحدٍ ديناً غير دينه الحق : الإسلام . وشاهد ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2] .

فلا يدخل إذاً تحت مضمون قوله تعالى : ﴿ جَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ كل مَنْ انتسب إلى عيسى عليه السلام زوراً وبهتاناً من النصارى ، ولا يشمله هذا الوعد .

بل هو مختصٌ بتلك الطائفة المؤمنة الأولى من الحواريين ، وكذلك جميع مَنِ اتبعوه على ما جاء به من الحق .

أما باقي طائفة النصارى ممن ضلّوا وزيفوا وحرفوا وأشركوا بالله وابتدعوا البدع والطوام ، فلا يدخلون في عداد هذه الطائفة التي ذكرتها الآية الكريمة .

لأن رسالة عيسى عليه السلام التي بُعث بها ، هي دين الله الحق الإسلام الذي بعث الله – تعالى – به جميع أنبيائه ورسله – صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين – فمن اتبعه على ذلك ، فهو تابعه حقاً . وهو الذي تشمله الآية الكريمة .

---

(١) تفسير الطبري (٣ : ٢٩٠) .

(٢) سورة آل عمران – الآية رقم (٨٥) .

قال الطبري رحمه الله عند تفسير قول الله تعـالى : ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[١] .

« هذا خبرٌ من الله عز وجل أن الإسلامَ دينُه الذي ابتعث به عيسى والأنبياء قبله ، لا النصرانية ولا اليهودية ، وتبرئةٌ من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها ، كما برأ إبراهيم من سائر الأديان غير الإسلام »[٢] .

يقول الرازي في تفسيره معلقاً على قول الله تعـالى : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ إن لتفسير الآية وجهان : « الأول : أن المعنى : الذين اتبعوا دين عيسى يكونون فوق الذين كفروا به ، وهم اليهود بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة ، فيكون ذلك إخباراً عن ذُلِّ اليهود وأنهم يكونون مقهورين إلى يوم القيامة ، فأما الذين اتبعوا المسيح عليه السلام فهم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله ، .... أما النصارى فهم وإن أظهروا من أنفسهم موافقته فهم يخالفونه أشد المخالفة من حيث إن صريح العقل يشهد أنه عليه السلام ما كان يرضى بشيءٍ مما يقوله هؤلاء الجهال ، ومع ذلك فإنا نرى أن دولة النصارى في الدنيا أعظم وأقوى من أمر اليهود ، فلا نرى في طرفٍ من أطراف الدنيا مَلِكاً يهودياً ولا بلدةً مملوءةً من اليهود ، بل يكونون أين كانوا بالذلة والمسكنة ، وأما النصارى فأمرهم بخلاف ذلك .

(الوجه) الثاني : أن المراد من هذه الفوقية الفوقية بالحجة والدليل »[٣] .

ويقول ابن كثير رحمه الله معلقاً على هذه الآية أيضاً : « نسخ الله .. شريعة

---

(١) سورة آل عمران – جزء من الآية رقم (٥٢) .

(٢) تفسير الطبري (٣ : ٢٨٦) .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣ : ٢٣٩) ط. أولى / ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م / دار إحياء التراث العربي – بيروت .

جميع الرسل بما بعث به محمداً ﷺ من الدين الحق ، الذي لا يُغيَّر ولا يُبدَّل إلى قيام الساعة ، ولا يزال قائماً منصوراً ظاهراً على كل دين . فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها ... ولهذا لَمَّا كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقاً ، سلبوا النصارى بلاد الشام وأجْلَوهم إلى الروم ... ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة »[(١)] .

وفي مقابل هؤلاء الأتباع الأنصار (أنصار الله) من الحواريين المؤمنين بنبوة عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وبما جاء به من عند الله . كان هناك المعارضون من اليهود من بني إسرائيل ، الذين كذَّبوا نبي الله عيسى عليه السلام ، ورموا أمه مريم بالزنا زوراً وبهتاناً .

وقد كان لنبي الله عيسى عليه السلام موقف قوي صارم من هؤلاء الفجار قتلة الأنبياء ومكذِّبيهم ، المعارضين لدين الله المحادِّين لأوليائه ، جاء ذلك في قول الله تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾[(٢)] .

ولا أقل من اللعن في حق كل من رأى تلك المعجزات والآيات الصادرة عن عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم ، المؤكدة لنبوته ، المصدقة لكلامه ، المؤيدة له .

وعن هذه المعجزات حدثنا القرآن فذكر منها : إبراء الأكمه والأبرص / إحياء الموتى بإذن الله / إنزال مائدةٍ من السماء / : يقول تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ : ٤٨) .

(٢) سورة المائدة - الآية رقم (٧٨) .

إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[1] .

ويقول عز من قائل : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ .... إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾ إلى آخر تلك الآيات التي ذكرت قصة طلب الحواريين إنزال مائدةٍ من السماء عليهم من عيسى عليه السلام وتحقق ذلك بأمر الله[2] .

(١) سورة آل عمران – الآيتان (٤٩ – ٥٠) .

(٢) سورة المائدة – الآية (١١٠) والآيات (١١٢ – ١١٥) .

وكما أورد القرآن المجيد قصة نبي الله المسيح عيسى ابن مريم ، وفصَّل المهم من أحداثها ، وبيَّن حاله مع بني إسرائيل وحقيقة دعوته .

فإن القرآن العظيم كذلك ، عُنِيَ ببيان وتفنيد دعاوى أهل الكتاب من الفريقين : اليهود الذين كفروا بالمسيح عليه السلام ، والنصارى الذين غلوا فيه .

وَلْنُورد ذلك تحت رؤوس المسائل التالية ، ضبطاً للكلام وترتيباً له .

المسألة الأولى : ذمُّ غلو النصارى في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وفي أمه مريم .

وقد نعى القرآن الكريم عليهم ذلك ، وشنَّع عليهم غلوهم في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، يقول تعالى ذاكراً ما حصل من النصارى من الغلو في حق نبي الله عيسى ، وينهاهم عن ذلك ويحذرهم من التمادي فيه ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾[1] .

وفي موضعٍ آخر ذمَّ غلوهم في المسيح وأمه ، وبراءة المسيح من ذلك الذي فعلوه . قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾[2] .

---

(١) سورة النساء – جزء من الآية رقم (١٧١) .

(٢) سورة المائدة – الآية رقم (١١٦) .

المسألة الثانية : نقض دعواهم في ألوهيته .

يقول تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[1] . وفي آيةٍ أخرى قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾[2] .

والقرآن هنا يثبت الرد على النصارى بما قاله المسيح وقرره لأتباعه أثناء بعثته . فقد بيَّن لهم أن العبادة يجب أن توجه لله وحده سبحانه وتعالى دون ما سواه . وأن الله ربُّه كما هو ربهم ، وأن عيسى عليه السلام مخلوقٌ مثلهم يتعبد لهذا الرب عز وجل بربوبيته له وخلقه إياه .

وردَّ عليهم كذلك بجوابٍ آخر فيما ذكره الله لنا في كتابه العزيز ، هو أن عيسى عليه السلام أجاب عما نسبه إليه الضالون من النصارى من القول بإلاهيته بجوابٍ هو : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾[3] .

مؤكداً عز وجل أن هذه الدعوى من محض خرافات النصارى وخيالاتهم ، وعيسى بريءٌ منها كل البراءة . يقول تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة المائدة – جزء من الآية رقم (١٧) .

(٢) سورة المائدة – جزء من الآية رقم (٧٢) .

(٣) سورة المائدة – جزء من الآية رقم (١١٧) .

(٤) سورة التوبة – الآية رقم (٣٠) .

أما حقيقة المسيح عليه السلام كما يصورها القرآن : فهي أنه عبدٌ رسول ، كغيره من عباد الله ، إلا أن الله سبحانه وتعالى اختصه بالنبوة واصطفاه بالرسالة وأيده بالمعجزات وأرسله إلى قومه من بني إسرائيل خاصةً .

وقد قررت هذا المعنى عدة آيات كريمات :

- يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ .

وفي الآية التي بعدها قال لتأكيد هذا المعنى ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾[١] .

- وفي آيةٍ أخرى قرَّر أن المسيح رسولٌ بشر ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾[٢] .

- وفي آيةٍ أخرى قرَّر على لسان المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام اعترافه بعبوديته لله : ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾[٣] .

- وفي آيةٍ أخرى . قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ ... إلى أن قال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٤] أي : آيةً لبني إسرائيل[٥] .

---

(١) سورة النساء - جزء من الآيتين رقم (١٧١ - ١٧٢) .

(٢) سورة المائدة - جزء من الآية رقم (٧٥) .

(٣) سورة مريم - الآية رقم (٣٠) .

(٤) سورة الزخرف - الآيتان رقم (٥٧ / ٥٩) .

(٥) تفسير الطبري (١١ : ٢٠٣) .

– وفي آيةٍ أخرى . قال تعـالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم ﴾[1] .

وهو كذلك كلمـة الله وروحٌ منـه ، كمـا قـال تعـالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[2] . « أي إنمـا هو عبدٌ من عباد الله وخلقٌ من خلقه ، قال لـه : كـن ، فكـان ، ورسـولٌ مـن رسـله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، أي : خلقه بالكلمة التي أرسـل بـها جـبريل عليـه السـلام إلى مريم ، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل ، فكان عيسى بإذن الله عز وجـل ، ... ولهذا قيل لعيسى : إنه كلمة الله وروحٌ منه ، لأنه لم يكن له أبٌ تولَّـد منـه ، وإنمـا هـو ناشيءٌ عن الكلمة التي قال له بها : كن ، فكان . والروح التي أُرسل بها جبريل » .

... « وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف ، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله »[3] .

قال الطبري : سماه الله عز وجل « كلمته » لأنه كان عن كلمته ، كما يقـال لِمَـا قدَّر الله من شيء : « هذا قدر الله وقضاؤه » ، يعني به : « هذا عـن قـدر الله وقضائـه حدث »[4] .

« وسمّاه « روحاً » لله ، من أجل تكوينه له روحـاً مـن عنـده من غـير ولادة والـدٍ ولَدَه »[5] .

---

(١) سورة الصف – جزء من الآية رقم (٦) .

(٢) سورة النساء – جزء من الآية رقم (١٧١) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢ : ٤٧٧ – ٤٧٩) .

(٤) تفسير الطبري (٣ : ٢٦٨) .

(٥) تفسير الطبري (١ : ٤٤٩) .

المسألة الثالثة : نفي البنوة .

زعم النصارى أن المسيح عيسى عليه السلام ابن الله ، فجاء القرآن مكذباً دعواهم ، دافعاً لها . يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾[1] . وقال أيضاً : ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ ثم قال بعدها ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾[2] .

المسألة الرابعة : دفع التثليث .

وقد قال تعالى ناقضاً ما قرروه من معتقد التثليث ، وناهياً لهم عن اعتقاد هذه المقالة وتقريرها ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

وقال في آية أخرى ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ... ﴾ إلى أن قال ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾[4] .

---

(١) سورة النساء - جزء من الآية رقم (١٧١) .

(٢) سورة مريم - الآيات (٣٠ / ٣٤ - ٣٥) .

(٣) سورة المائدة - الآية رقم (٧٣) .

(٤) سورة النساء - جزء من الآية رقم (١٧١) .

المسألة الخامسة : إنكارهم بشارة عيسى عليه السلام، بنبوة محمدٍ ﷺ مِنْ بعده. فقد بشرهم نبي الله عيسى عليه السلام بنبوة نبيٍ يأتي من بعده ، وسمّاه لهم (محمداً) أو (أحمداً) .

لكنهم حرّفوا كتابهم بعد ذلك ، وأخفوا ذلك البرهان الواضح .

وجاء القرآن الكريم ليكشف تزييفهم الأعظم، وليفضح تلاعبهم بكلام الله ، وتحريفهم لكتابه ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾[1] .

مثبتاً هذه الحقيقة ، مؤكداً لها .

وجاء القرآن ليثبت هذه الحقيقة الغائبة المغيبة عند النصارى ، وليظهرها من جديد ، بعد أن اجتهدوا في إخفائها ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2] .

---

(١) سورة المائدة – جزء من الآية رقم (١٣) .

(٢) سورة الصف – الآيتان (٦ / ٨) .

ولئن كانت هذه المسائل الخمس التي أوردها القرآن الكريم وعرض لها ، هي في الرد على النصارى ودفع شبههم ، في حق المسيح عيسى عليه السلام ، ودين المسيح دين الله الحق .

فإن القرآن الكريم قد عرض كذلك لمسألتين تتعلقان بالمسيح عليه السلام ، غير هذه المسائل :

أولاهما : في دفع دعوى اليهود حول صلبهم المسيح عيسى عليه السلام ، وقتله ، وبيان حقيقة ما حصل .

الثانية : تقرير العودة المنتظرة والمجيء الثاني للمسيح عيسى عليه السلام . وتأكيد ذلك .

فلنتناولهما على التوالي :

المسألة الأولى : دفع دعوى اليهود حول قتله وصلبه .

وقد تناول القرآن الكريم هذا الموضوع من عدة زوايا .

فقرر أولاً أن المسيح عيسى عليه السلام لم يُصلب و لم يُقتل كما يعتقد ذلك النصارى . يقول تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ .

مبيناً حقيقة الأمر وواقع الحال ، ومجلّياً غموضه ، في تتمة الآية الكريمة حين يقول ﴿ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾[1] .

وهاهنا خمس وقفاتٍ في هذه الآية الكريمة :

- الأولى : قوله ﴿ شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾ ، كيف كان ذلك ؟

- الثانية : إذا قيل : ألقي شبهه على أحدٍ . فمن هو ؟

- الثالثة : ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ ﴾ ؟

- الرابعة : وما معنى قوله تعالى أيضاً : ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ ﴾ ؟

- الخامسة : وما معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ ؟

---

(١) سورة النساء - الآيتان رقم (١٥٦ - ١٥٧) .

وقد تكلم المفسرون في تفسير هذه الآيات بنوع تطويل . فإلى زُبَد أقوالهم وخلاصة مقالهم :

الأولى : عند قوله تعالى : ﴿ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ .

قال الطبري : « اختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي شبِّه لليهود في أمر عيسى .

١ - فقال بعضهم : لَمَّا أحاطت اليهود به وبأصحابه ، أحاطوا بهم وهم لا يُثبتون معرفة عيسى بعينه ، وذلك أنهم جميعاً حُوِّلوا في صورة عيسى ، فأشكل على الذين كانوا يريدون قتل عيسى ، عيسى مِنْ غيره منهم ، وخرج إليهم بعض مَنْ كان في البيت مع عيسى ، فقتلوه وهم يحسبونه عيسى . ...

٢ - وقال آخرون : بل سأل عيسى مَنْ كان معه في البيت أن يُلقى على بعضهم شبهه ، فانتدب لذلك منهم رجل ، فأُلقي عليه شبهه ، فقتل ذلك الرجل ، ورُفِع عيسى ابن مريم عليه السلام »[١] .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره : ﴿ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ : « صلبوا رجلاً غير عيسى يحسبونه إياه » (أسنده إلى مجاهد)[٢] .

وقال البغوي : ألقى الله تعالى شَبَه عيسى عليه السلام على الذي دلّ اليهود عليه[٣] . وهو الأقرب ، والله أعلم .

الثانية : على مَنْ ألقي شبهه ؟ وقد جاء جواب ذلك فيما مضى : قيل على كل الحواريين المجتمعين معه فحين خرج أحدهم قُتِل ظناً أنه عيسى / أو أن عيسى سأل

---

(١) تفسير الطبري (٤ : ٣٥١ - ٣٥٢) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤ : ١١١٠) .

(٣) تفسير البغوي (٢ : ٣٠٧) بتصرف .

أحد الحواريين أن ينتدب ليُلقى عليه شبهه ، فانتدب لذلك أحدهم فألقي عليه شبهه ، فقتل ظناً أنه عيسى ، ورفع عيسى / أو أن الذي ألقي الشَبَه عليه هو ذلك الحواري الذي باع نفسه لليهود ودلهم على مكان عيسى بثمنٍ معلوم (يهوذا الإسخريوطي حسب رواية النصارى) وهو الذي ذكره البغوي ، وأشار إليه الطبري من قبله في ثنايا القصة في تفسيره .

قال : وبعض النصارى يزعم أن ... (الذي دلهم عليه) هو الذي شُبِّه لهم ، فصلبوه وهو يقول : « إني لست بصاحبكم ! أنا الذي دللتكم عليه » ! ثم علق قائلاً: « والله أعلم أيّ ذلك كان » . والطبري يُسمِّي الرجل « يودس زكريا يوطا »[1] ، وهو كالتحريف لـ« يهودا الاسخريوطي » /

أو أن شبهه ألقي على رجلٍ كان يحرسه ورُفِع عيسى ، فأخذوا الرقيب الذي كان يحرسه يظنونه هو[2] .

الثالثة : عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنۡهُۚ ﴾ .

قال الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية : « يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ اليهودَ الذين أحاطوا بعيسى وأصحابه حين أرادوا قتله . وذلك أنهم كانوا قد عرفوا عدة من في البيت قبل دخولهم ، فيما ذُكِر . فلما دخلوا عليهم ، فقدوا واحداً منهم ، فالتبس أمر عيسى عليهم بفقدهم واحداً من العدة التي كانوا قد أحصوها ، وقتلوا مَنْ قتلوا على شكٍ منهم في أمر عيسى » .

قال : « وهذا التأويل على قول من قال : لم يُفارق الحواريون عيسى حتى رفع ودخل عليهم اليهود .

---

(١) تفسير الطبري (٤ : ٣٥٢ - ٣٥٣) .

(٢) تفسير البغوي (٢ : ٣٠٧) . وانظر : التفسير الكبير للفخر الرازي (٤ : ٢٦١) .

وأما تأويله على قول من قال : تفرقوا عنه من الليل ، فإنه : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ في عيسى ، هل هو الذي بقي في البيت منهم بعد خروج من خرج منهم من العدّة التي كانت فيه ، أم لا ؟ ﴿ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ يعني : مِنْ قتله ، لأنهم كانوا أحصوا من العدَّة حين دخلوا البيت أكثر ممن خرج منه ومن وُجِدَ فيه ، فشكوا في الذي قتلوه : هل هو عيسى أم لا ؟ من أجل فقدهم مَنْ فقدوا من العدد الذي كانوا أحصوه ، ولكنهم قالوا : قتلنا عيسى ، لمشابهة المقتول عيسى في الصورة »[١].

الرابعة : عند قوله تعالى : ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ .

أي « أنهم قتلوا من قتلوه على شكٍّ منهم فيه واختلافٍ ، هل هو عيسى أم هو غيره ؟ من غير أن يكون لهم بمن قتلوه علم ، مَنْ هو ؟ هو عيسى أم هو غيره ؟ ﴿ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ ... اتبعوا ظنهم فقتلوه ، ظناً منهم أنه عيسى، وأنه الذي يريدون قتله، ولم يكن به »[٢] .

الخامسة : عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ .

تأكيداً منه عز وجل لِمَا حصل عندهم من الوهم . وتأكيداً على نجاته وسلامته من القتل . أي : « ما قتلوه متيقنين أنه هو ، بل شاكّين متوهمين »[٣]. قال البغوي : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ « أي وما قتلوا عيسى يقيناً »[٤] . وفي هذا المعنى من زيادة التوكيد على سابقه ما فيه . فهو أولى بالاعتبار ، ولمَا فيه كذلك من الاتساق مع السياق .

---

(١) تفسير الطبري (٤ : ٣٥٥) .

(٢) تفسير الطبري (٤ : ٣٥٥) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢ : ٤٤٩) .

(٤) تفسير البغوي (٢ : ٣٠٧) .

إذن فأين ذهب المسيح عيسى عليه السلام ؟

تجيب الآيات القرآنية عن ذلك بكل جلاءٍ ووضوح . يقول عز وجل بعد ختام تلك الآية السالفة ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1] .

وقال في آيةٍ أخرى : ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[2] .

إذن فقد صعد المسيح إلى السماء. أو فلنقل حسب التعبير القرآني: رفعه الله إليه. والنصارى يتفقون في الاعتقاد مع المسلمين في هذه الجزئية فحسب ، دون الدخول في تفاصيلها . أو الاتفاق معهم في كل التفاصيل .

أسند ابن جرير إلى الحسن عند قوله تعالى : ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ أنه قال : « رفعه الله إليه ، فهو عنده في السماء »[3] .

قال ابن أبي حاتم في تفسيره : « رفعه الله إلى السماء »[4] .

وقال ابن كثير : « أخذت عيسى عليه السلام سنةٌ من النوم ، فرفع إلى السماء وهو كذلك »[5] .

قال الرازي في تفسيره عند قول الله تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ : رَفْعُ عيسى عليه السلام إلى السماء ثابتٌ بهذه الآية ، ونظير هذه الآية قوله في آل عمران : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[6] .

---

(١) سورة النساء – الآية رقم (١٥٨) .

(٢) سورة آل عمران – جزء من الآية رقم (٥٥) .

(٣) تفسير ابن جرير (٣ : ٢٨٩) . ونقله بلفظٍ قريبٍ منه : ابن أبي حاتم في تفسيره (٢ : ٦٦١) .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٤ : ١١١٢) .

(٥) تفسير ابن كثير (٢ : ٤٤٩) .

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤ : ٢٦٢) .

لكنْ ماذا حدث قبل الرفع ؟

هل اقتيد المسيح إلى المقصلة كما يروي ذلك النصارى ؟ وعُلِّق على خشبة الصليب كما يزعمون ؟ ثم أنجاه الله من بين أيديهم . أم أنه أنجاه قبل ذلك كله .

الذي في كتاب الله أن اليهود ما قتلوه وما صلبوه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ بدون ذكر تفاصيل أخرى . وإنما جاء تمام الآية بقوله تعالى تأكيداً لهذا المعنى في الجملة ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ والخلاصة أنهم ما قتلوه يقيناً . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[1] .

(١) سورة النساء – أجزاء من الآيتين رقم (١٥٧ / ١٥٨) .

إذن فالمسيح لم يُعلَّق على خشبة الصليب ، كما قال تعالى : ﴿ ومَا صَلَبُوهُ ﴾ .

لكنْ هل حصل له بعض الأذى أو الاعتقال قبل تلك الواقعة ؟ :

ليس في كتاب الله زيادةٌ على ذكر نفي القتل والصلب ، ولا نجد فيه مزيد تفصيلٍ ولا بيانٍ أكثر مما ذكر .

ثم لا نجد بعد ذلك في السنة النبوية بياناً يفيض في شرح هذه التفاصيل .

ولو علم الله في بيان هذه التفاصيل خيراً وفائدةً لنا ، لساقه إلينا . وما حجب ما حجب إلا لحكمة .

واليقين عندنا أن الله سبحانه وتعالى قد أنجاه من القتل .

ثم يأتي تساؤلٌ آخر : هل رفعه الله إليه وهو حيٌّ يُرزق ؟

أم أنه أماته كما يموت باقي الخلائق ثم رفعه إليه ؟

ذلك أنه عز وجل ذكر بعد كلمة الرفع جملةً تُثير الاستفهام . قال تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[١] .

وقال في موضعٍ آخر حول هذه المسألة ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[٢] .

وقال في موضعٍ ثالث على لسان عيسى ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٣] .

فهل رُفِعَ المسيح عيسى عليه السلام حياً . وسينزل في آخر الزمان ثم يموت بعد ذلك الميتة الطبيعية المقررة له كغيره من البشر ؟

أم أن الله سبحانه وتعالى توفاه وقبض روحه ثم رفعه إليه . وسيحييه بعد ذلك . ثم ينزل من السماء في آخر الزمان ؟

---

(١) سورة النساء - الآيتان رقم (١٥٨ - ١٥٩) .

(٢) سورة آل عمران - جزء من الآية رقم (٥٥) .

(٣) سورة المائدة - الآية رقم (١١٧) .

الجواب :

اختلف أهل العلم في معنى لفظ (التوفّي) في الآيتين الكريمتين على أقوال :

القول الأول : قال بعضهم : في الآية تقديم وتأخير ، قالوا : هذا من المقدَّم والمؤخَّر . تقديره : إني رافعك إلي ومطهِّرك من الذين كفروا ومتوفّيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا في آخر الزمان[١] .

أسند ابن أبي حاتم في تفسيره إلى قتادة في قوله : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ قال : هذا من المقدَّم والمؤخَّر أي رافعك إلي ومتوفيك[٢] .

قال ابن الجوزي : « الفائدة في إعلامه بالتوفّي (على هذا القول تكون) تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته »[٣] .

والنتيجة على قول هؤلاء : أن عيسى عليه السلام رُفِعَ حياً ، وسينزل في آخر الزمان . ثم يموت بعد ذلك .

---

(١) تفسير الطبري (٣ : ٢٨٩) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢ : ٦٦١) . ونقله ابن كثير وقدمه على غيره من الأقوال عند عرضها (تفسير ابن كثير / ٢ : ٤٦) .

(٣) زاد المسير (١ : ٣٩٧) .

القول الثاني : قول بعضهم أن المقصود بلفظ التوفّي هاهنا : وفاة نومٍ .

أي أن عيسى عليه السلام نام ، فَرُفع وهو نائمٌ (ميتٌ ميتةً صغرى) . ثم لـمَّا صعد إلى السماء أقامه الله من نومه ، فهو حي الآن هناك . ويكون معنى الآيـة على مذهبهم : إني مُنيمك ورافعك في نومك[١] .

والنتيجة على قول هؤلاء : أنهم لم يقولوا برفعه ميتاً ، ولم يصرحوا كذلـك بأنـه رفع في حال اليقظة . بل قالوا برفعه نائماً .

وخلاصة مقالتهم على هذا : أنه رُفع حيـاً ، لأن النـائم معـدودٌ في الأحيـاء لا في الأموات ، وأنه الآن حي في السماء . فمقالتهم كمقالة متقدميـهم (أصحـاب القـول الأول) ، وإنما الخلاف بينهم في توصيف حال عيسى حين رفـع . أكـان مسـتيقظاً أم نائماً . والخلف سهل .

وقد عدّ ابن كثير هذا القول الثاني قول الأكثرين[٢] . ورجحه في تاريخه ، خلافاً لما سنراه لاحقاً من ترجيحه لقـول القـائلين بـأن المـراد بلفـظ التـوفي : الأخـذ والرفـع والاستيفاء .

يقول في تاريخه : « أخـبر تعـالى أنـه رفعـه إلى السـماء بعدمـا توفـاه بـالنوم علـى الصحيح المقطوع به ، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان »[٣] .

---

(١) تفسير الطبري (٣ : ٢٨٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ : ٤٧) .

(٣) البداية والنهاية (٢ : ٩١) .

القول الثالث : وقال آخرون بإجراء الآية على ظاهرها ، دون توهم تقديمٍ وتأخير ، ودون الحاجة إلى تأويل ، وأن المراد بالتوفِّي هنا : الموت حقيقةً .

وأن المعنى أن الله سبحانه وتعالى يخبر عبده عيسى عليه السلام أنه سيميته الميتة الطبيعية ، والوفاة المعروفة عند كل بني البشر ، ثم يرفعه بعد ذلك من بين يدي أعدائه إلى السماء بعد أن مات .

وقد روي هذا المعنى عن ابن عباسٍ رضي الله عنه أنه قال في تفسير قول الله تعالى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي : إني مميتك . وقد ساق ذلك ابن جرير بإسناده إلى ابن عباس ، وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم في تفسيره مسنداً إلى ابن عباس .

ثم ذكروا بعد ذلك أقوالاً : قالوا : توفاه الله ثلاث ساعاتٍ من النهار حتى رفعه إليه ./ ونقل بعضهم أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه / وقال بعضهم : أماته الله ثلاثة أيام ، ثم بعثه ، ثم رفعه . (كما قال النصارى) / وقال غيرهم : بل توفاه ورفعه إلى السماء (هكذا فحسب)[1] .

ويَرِدُ على قول هؤلاء إشكالٌ ذكره ابن جرير . قال : « لو كان قد أماته الله عز وجل ، لم يكن بالذي يميته ميتةً أخرى ، فيجمع عليه ميتتين ، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم ، كما قال جل ثناؤه ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ »[2] .

ونتيجة مقالة هؤلاء : أن عيسى قد مات الميتة الطبيعية ، قبل الرفع .

فإن قيل : هل يلزم من القول بموته قبل رفعه إنكار نزوله من السماء في آخر الزمان ، كما ذهبت إلى ذلك بعض الطوائف التي أنكرت نزوله عليه السلام ، وقرروا

---

(١) تفسير الطبري (٣ : ٢٨٩) وتفسير ابن أبي حاتم (٢ : ٦٦١) وتفسير البغوي (٢ : ٤٦) والتفسير الكبير للرازي (٣ : ٢٣٧) وتفسير ابن كثير (٢ : ٤٧) .

(٢) تفسير الطبري (٣ : ٢٩٠) والآية التي استشهد بها جزء من الآية رقم (٤٠) من سورة الروم .

أنه لا مسيح يُنتظر في آخر الزمان ؟ وأن كل ذلك إنما هو على سبيل التخييل وضرب الأمثال ؟

قيل : الجواب عن هذا أن سيد من نُقل عنهم القول بالموت هو ابن عباسٍ رضي الله عنه ، كما نقل ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم .

وهو رضي الله عنه نُقل عنه كذلك في تفسير هذه الآيات : إثبات القول بنزول عيسى حتى يؤمن به أهل الكتاب في آخر الزمان ، مع أنه نقل عنه القول بموته قبل رفعه إلى السماء .

فقد أسند ابن جرير إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير قول الله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ : أي قبل موت عيسى ابن مريم[١] .

وجاء بيان ذلك في إيضاحٍ أشمل ، وتفصيلٍ أكثر فيما روي عنه أنه قال : « إذا نزل إلى الأرض (يعني عيسى ابن مريم في آخر الزمان) لا يبقى يهودي ولا نصراني ، ولا أحدٌ يعبد غير الله إلا اتبعه وصدّقه ، وشهد أنه روح الله وكلمته ، وعبده ونبيه »[٢] . فلا حجة إذن لمن رتَّب على هذا القول الثالث في تفسير لفظ (التوفي) بالموت ، : إنكار نزول عيسى ابن مريم عليه السلام بالكلية بدعوى أنه قد مات ، وأن ذلك ثبت في القرآن ، أما القول بنزوله فمصدره أحاديث آحاد لا يؤخذ بها . ولا متكأ له في عبارة ابن عباس في تفسير الآية . فإن مراده من التفسير هو ومن قال مثله بذلك عدم إنكار نزوله ثانيةً . وإنما كان المقصود تفسير الآية بأقرب أوجه تفسير اللفظ إليه ، دون دفع ما ثبت في الأحاديث الصحاح من أنه سينزل في آخر الزمان . ذلك أنهم قرروا أنه مات ثم أحياه الله بعدما رفعه بثلاث ساعات أو ثلاثة أيامٍ كما ذكروا . وعلم ذلك عند الله .

---

(١) تفسير الطبري (٤ : ٣٥٦) .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٢ : ٢٤٨) .

القول الرابع : أن التوفي هنا معناه : الأخذ والقبض والاستيفاء والرفع . وليس المراد به الموت حقيقةً ، ولا قدَّروا وجود تقديمٍ وتأخيرٍ في الآية . ولا قالوا بأنها وفاة نومٍ .

بل قالوا : إنَّ المقصود بهذا اللفظ غير ما يُعهد من تفسيره بالموت ، وأن معناه من التوفي بمعنى الاستيفاء ونحوه .

وقد ذكروا لهذا اللفظ من المعاني ما يأتي :

قالوا : معنى التوفّي هنا : القبض . « كما يقال : توفيت من فلان مالي عليه ، بمعنى قبضته واستوفيته » . فالتوفي إذاً هنا هو القبض كما يقال : وفاني فلان دراهمي وأوفاني وتوفيتها منه[1] .

وقال بعضهم : معنى التوفّي الأخذ والاستلام . فقوله (إني متوفيك) أي : إني متسلّمك ، من قولهم: توفّيت منه كذا ، أي تسلّمته .

وقال بعضهم : التوفّي هنا بمعنى الاستيفاء ..من قولهم : توفّيت كذا واستوفيته إذا أخذته تاماً[2] .

وقال بعضهم : معنى التوفّي هنا : الرفع . فرفعه إياه إليه هو توفّيه إياه ، والتوفي الوارد في الآية على هذا المعنى هو : الرفع إلى السماء . كما فسر الآية بذلك ابن الجوزي في أحد قوليه . فتوفّيه هو رفعه .

قال أحدهم في تفسير الآية : (متوفيك) و(رافعك) واحد[3] .

والألفاظ الأربعة كلها كالمترادفات ، مرادهم بها جميعاً تقرير الرفع حياً .

---

(١) تفسير الطبري (٣ : ٢٨٨) وتفسير الرازي (٣ : ٢٣٧) .

(٢) تفسير البغوي (٢ : ٤٥) .

(٣) انظر : تفسير الطبري (٣ : ٢٨٨ - ٢٨٩) وزاد المسير لابن الجوزي (١ : ٣٩٦) وتفسير ابن كثير (٢ : ٤٧) .

ويكون معنى الآية على قولهم هذا : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾ أي : قابضك من الأرض حياً إلى جواري ، وآخذك إلى ما عندي بغير موتٍ ، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك[١] . أو هو بعبارةٍ مقاربةٍ : قابضك من الأرض وافياً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً[٢] .

قال الرازي في تفسيره : « التوفي هو القبض ... وقد يكون .... بمعنى استوفى ، وعلى كلا الاحتمالين كان إخراجه من الأرض وإصعاده إلى السماء توفّياً له .

فإن قيل : فعلى هذا الوجه كان التوفّي عين الرفع إليه ، فيصير قوله : ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ تكراراً . قلنا : قوله ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ يدلُّ على حصول التوفّي . وهو جنسٌ تحته أنواع : بعضها بالموت ، وبعضها بالإصعاد إلى السماء ، فلما قال بعده ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ كان هذا تعييناً للنوع و لم يكن تكراراً »[٣] .

وقد ذكر الرازي في تفسيره قبل ذلك وجهان عجيبان طريفان في تفسير هذا اللفظ ، قال : « التوفّي أخذ الشيء وافياً ، ولـمَّا علم الله أن من الناس مَنْ يخطر بباله أن الذي رفعه الله هو روحه لا جسده ، ذكر هذا الكلام ليدلّ على أنه عليه الصلاة والسلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه وبجسده » .

ثم ذكر وجهاً آخر في تأويل هذه الآية . قال :

« الوجه السابع : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي أجعلك كالمتوفّى ، لأنه إذا رفع إلى السماء ، وانقطع خبره وأثره عن الأرض كان كالمتوفّى ، وإطلاق اسم الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصه وصفاته جائزٌ حسن »[٤] .

---

(١) تفسير الطبري (٣ : ٢٨٨) .

(٢) زاد المسير (١ : ٣٩٦) .

(٣) تفسير الرازي (٣ : ٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٤) تفسير الرازي (٣ : ٢٣٧) .

وفي هذا نظر . إذ لم ينقطع خبره ولا أثره عليه السلام . لا عن الأرض ، ولا من الأرض ، ولا على الأرض .

وحاصل مقالة هؤلاء : أن الله رفع إليه نبيه وعبده عيسى عليه السلام حيّاً .

قال مجاهد : « رفع الله إليه عيسى حيّاً »[١] .

قالوا : رُفِعَ وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنةً ، من بيت المقدس[٢] .

وهو الآن حيٌّ في السماء .

قال الحسن : « رفعه إليه وهو عنده في السماء »[٣] . وفي روايةٍ أخرى عنه ، قال : « والله إنه الآن حي عند الله »[٤] .

ترجيح هذا القول على ما عداه من الأقوال :

قال الطبري : « وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا ، قولُ مَنْ قال : « معنى ذلك : إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ » ، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ، ثم يمكث في الأرض ... ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه »[٥] .

ويشهد لذلك الآية التالية في الموضع الثاني لذكر هذه القضية في القرآن . إذ قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾[٦] .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤ : ١١١٢) .

(٢) أسند ذلك ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه - تفسير ابن أبي حاتم (٤ : ١١١١) وانظر : تفسير البغوي (٢ : ٤٥) وزاد المسير (١ : ٣٩٧) .

(٣) انظر : تفسير الطبري (٣ : ٢٨٩) وتفسير ابن أبي حاتم (٢ : ٦٦١) .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير (٢ : ٤٥٣) .

(٥) تفسير الطبري (٣ : ٢٨٩) . وانظر أصل الرواية ولفظها في حديث أبي هريرة عند أحمد (مسند أحمد بتحقيق الأرناؤوط / ١٥ : ١٥٣ - ١٥٤) وهو حديث صحيح .

(٦) سورة النساء - جزء من الآية رقم (١٥٩) .

وفي حديث أبي هريرة الصحيح عند أحمد : « ينزل عيسى .. (ثم تلا أبو هريرة هذه الآية) قال : يؤمن به قبل موته : عيسى . قال الراوي : فلا أدري ، هذا كله حديث النبي ﷺ ، أو شيءٌ قاله أبو هريرة ؟ »[١] . ففسر الكلمة (موته) بأن الضمير فيها عائدٌ إلى عيسى ، أي قبل موت عيسى .

وأخرج الطبري في تفسيره بسنده عن ابن عباسٍ رضي الله عنه أنه قال في تفسير هذه الآية : إن معنى الآية « أنه سيدرك أناسٌ من أهل الكتاب حين يبعث عيسى ، فيؤمنون به » وقال غيره في تفسيرها : يعني « إذا نزل عيسى ابن مريم فقتل الدجال » وقال الحسن « (قبل موته) أي قبل موت عيسى .... إذا نزل آمنوا به »[٢] .

وهو الوجه الأقوى في تفسير هذه الآية . على ما رجحه الطبري وابن كثير .

قال الطبري : « أولى .. الأقوال بالصحة والصواب ، قول مَنْ قال : تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلاَّ ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى » .

ثم استدل لترجيحه وعلّله . وردّ ما عداه من الأوجه في تفسير هذه الآية[٣] .

قال ابن كثير : « وهذا القول هو الحق » . ثم علق على ترجيح ابن جرير لهذا القول ، قائلاً : « لاشك أن هذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح ، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلَّم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شُبِّه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه ، (وأنه) باقٍ حي ، (وأنه) سينزل قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ... فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية - يعني : لا يقبلها

(١) مسند أحمد - بتحقيق الأرناؤوط (١٣ : ٢٨٠ - ٢٨١) .

(٢) تفسير الطبري (٤ : ٣٥٧) بتصرف .

(٣) انظر : تفسير الطبري (٤ : ٣٦٠ - ٣٦١) .

من أحدٍ من أهل الأديان ، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف - فأخبرت هذه الآية الكريمة أن يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ (؟) »[١] .

وعلى هذا فالآية تدل دلالةً قاطعةً على أن عيسى عليه السلام لم يمت ، وأنه لا يموت إلا بعد نزوله في آخر الزمان ، وإيمان فئةٍ من أهل الكتاب به حينذاك . ثم يموت بعد أن يقيم دولة الإسلام ويشيدها ، ويدفن كغيره من البشر في الأرض . كما سنبينه لاحقاً[٢] .

وقد اختار الرازي في تفسيره كذلك هذا القول ، وعيَّنه عندما بلغ تفسير الآية الثالثة ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال : « المراد منه ، وفاة الرفع إلى السماء » . دون أن يشير إلى ما عداه من الأقوال[٣] .

ونتيجة هذا القول وحاصله : أن عيسى عليه السلام رفع حياً بجسده وروحه إلى السماء ، وأنه سينزل في آخر الزمان لقتل الدجال ونشر الإسلام في العالم كله ، على ما ثبت في الأحاديث الصحيحة المتواترة ،. ثم يموت بعد ذلك ويدفنه المسلمون كباقي البشر .

وهو القول الراجح : لشواهده القوية ، ودلائله المتينة ، لاسيما في دلالة قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ التي جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ .

(١) تفسير ابن كثير (٢ : ٤٥٣ - ٤٥٤) .

(٢) انظر ما أخرجه الطبري في تفسيره (٤ : ٣٦١) .

(٣) تفسير الرازي (٤ : ٤٦٦) .

ولهذا رجح كبار المفسرين هذا القول واختاروه . مثل الطبري والرازي وابن كثير كما تقدم ، والقرطبي[١] .

يقول القرطبي عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ : « قيل: هذا يدل على أن الله عز وجل توفاه قبل أن يرفعه » ثم علّق قائلاً: « وليس بشيء ، (أي هذا القول أو الاستنتاج) لأن الأخبار تظاهرت برفعه ، وأنه في السماء حي ، وأنه ينزل ويقتل الدجال ... وإنما المعنى : فلما رفعتني إلى السماء . قال الحسن : الوفاة في كتاب الله عز وجل على ثلاثة أوجه : وفاة الموت . وذلك قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[٢] . يعني وقت انقضاء أجلها . ووفاة النوم ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾[٣] يعني الذي ينيمكم . ووفاة الرفع ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾[٤] .... »[٥] انتهى كلامه .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٤ : ١٠١) تحقيق : عبد الرزاق المهدي / ط. أولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م / دار الكتاب العربي - بيروت .

(٢) سورة الزمر - جزء من الآية رقم (٤٢) .

(٣) سورة الأنعام - جزء من الآية رقم (٦٠) .

(٤) سورة آل عمران - جزء من الآية رقم (٥٥) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي (٦ : ٣٤٨) .

ولنا قبل أن ننتقل عن هذه المسألة وقفتان تتعلقان بالمسائل والقضايا التي نناقشها في هذا البحث من بدايته إلى نهايته .

الوقفة الأولى : تحطَّطَ الزمخشري في تفسيره على أهل السنة والجماعة ، أهل الحديث . وكال لهم ما شاء له لسانه الذرب أن يكيل من شتائم . حتى إذا بلغ قول الله تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ الآية .

سكت عن الآية الأولى كأن لم تكن، أو كأنه يُفسِّر بعض آي القرآن دون بعض. ثم قال في تفسير الآية الثانية أمراً عجباً .

إذْ جوَّز وقوع ما اعتقده النصارى من قيامة الأموات (من النصارى) عند نزول المسيح ، من قبورهم ، وإدراكهم لذلك المجيء .

وجعل ذلك وجهاً من وجوه تفسير هذه الآية . ولم يذكر له سلفاً في ذلك . ولا وجهاً في التأويل يُستند إليه .

قال : « يجوز أن يراد أنه لا يبقى أحدٌ من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به ، على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ، ويُعْلِمهم نزوله وما أنزل له ، ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم »[1] .

وهو عين ما قرره يوحنا في سفر الرؤيا من قيامة الأموات من قديسي النصارى لحظة نزول المسيح ومجيئه الثاني[2] .

---

(١) الكشاف للزمخشري (١ : ٥٧٦ - ٥٧٧) تصحيح : محمد عبد السلام شاهين / ط. أولى/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م / دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) سفر الرؤيا - يوحنا (٢٠ : ٤ - ٥) وهو يُسمِّي تلك القيامة : القيامة الأولى ، ويقرر أن هؤلاء سيملكون مع المسيح في مملكة الألف سنة (الملك الألفي) .

فالتقطه الزمخشري ، وجعله هاهنا وجهاً في تفسير هذه الآية ، دون أن يتكيء فيه على معتمدٍ شرعي أو عقلي مقبول . اللهم إلا ما كان من التذوق العقلي المحض ، والاجتهاد الذي لا يعتمد على سندٍ من عقلٍ أو نقل .

والآية أبعد ما تكون عن الدلالة على هذا المعنى الذي أقرّه في تفسيره .

الوقفة الثانية : لا يُلتفت بعد كل ما قررناه وأكدناه من مذهب السلف في تفسير هذه الآيات الكريمات . إلى ما مال إليه بعض متأخري مفسري الخلف . مثل محمد رشيد رضا في تفسيره . وشيخه الإمام محمد عبده .

يقول رشيد رضا في تفسيره عند قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ : « أما تطهيره من الذين كفروا فهو إنجاؤه مما كانوا يرمونه به أو يرومونه منه ويريدونه به من الشر . هذا ما يفهمه القارئ الخالي الذهن من الروايات والأقوال » . متناسياً أن هذه القطعة من الآية قد اشتملت على ثلاث قضايا : قضية التوفّي = متوفّيك / قضية الرفع = رافعك / قضية الإنجاء = مطهرك / وأن هذا الذي يتحدث عنه إنما يتعلق بالقضية الثالثة وحدها دون ما سبقها ، وليس فيها رواياتٌ أو أقاويل . وليس الخلاف فيها ولا حولها . وإنما الخلاف في ما سبقها من قضايا : الوفاة ، والرفع . لكنْ كان مراده من كل ذلك ، الغمزُ الخفي ، والحطُّ على متقدِّمي المفسرين ، ممن أخذ بالروايات المتواترة في نزول المسيح آخر الزمان، وجمع بينها وبين ما في الآية من ذكر التوفّي قبل الرفع . إذ يقول بعدئذٍ : « لأنه هو المتبادر من العبارة ... » .... « ولكنَّ المفسرين قد حوَّلوا الكلام عن ظاهره لينطبق على ما أعطتهم الروايات من كون عيسى رُفِع إلى السماء بجسده » وهنا : إنتقل إلى طور النقد المباشر .

ثم أبعد النجعة فاتكأ في غاية محصوله وجهده ، على أستاذه الشيخ محمد عبده . فنقل عنه أنه قال في تفسير هذه الآية :

« للعلماء هاهنا طريقتان : إحداهما وهي المشهورة : أنه رفع حياً بجسمه وروحه ، وأنه سينزل في آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى . ...

والطريقة الثانية : أن الآية على ظاهرها ، وأن التوفِّي على معناه الظاهر المتبادر .. قال : ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان :

أحدهما : أنه حديث آحاد متعلقٌ بأمرٍ اعتقادي لأنه من أمور الغيب ، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي لأن المطلوب فيها هو اليقين . (وهي شنشنة المعتزلة ومن سلك سبيلهم من الأشاعرة وغيرهم من قديم الزمان في اطِّراح ما لا يروق لهم من دلائل السنة النبوية : المصدر الثاني للتشريع) .

قال : « وليس في الباب حديثٌ متواتر » (وهي دعوىً باطلة مردودة عليه) .

« وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس » . (وهذا تأويلٌ متهافتٌ بعيدٌ جداً) .

ثم نقل عنه أيضاً أنه : سُئِل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له ، فقال : « إن الدجال رمزٌ للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحِكَمها » . (وهذا من جنس تأويلات الباطنية) .

وما زاد رشيد رضا على التعليق على كلام أستاذه بقوله : « هذا ما قاله الأستاذ الإمام ... ولكنَّ ظواهر الأحاديث الواردة في ذلك تأباه » . ثم اعتذر له بأن قال : « لأهل هذا التأويل أن يقولوا : إن هذه الأحاديث قد نُقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث ، والناقل للمعنى ينقل ما فهمه »[1] .

---

(١) تفسير المنار - محمد رشيد رضا (٣ : ٣١٦ - ٣١٧) .

وفي هذا من الجنف ، والإزراء بالمصدر الثاني (السنة النبوية) ما فيه .

ثم اعتذر عما فعله هاهنا في موضعٍ آخر ، عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ فقال : « قد فسرنا آية آل عمران في الجزء الثالث ، وذكرنا ما قاله الأستاذ الإمام (يقصد الشيخ محمد عبده) فيها ، وفي مسألة نزول عيسى في آخر الزمان كما ورد في الأحاديث . وقد أنكر بعض الباحثين ما أوردناه في ذلك ، وهو يحتاج إلى تمحيصٍ وبيانٍ ليس التفسير بمحلٍ له ، لأن القرآن لم يُثبت لنا هذه المسألة »[1] . يقصد مسألة نزول عيسى ابن مريم .

ونقول : إن القرآن لم يثبت لنا كذلك رجم الزاني المحصن .

وأما قوله : إن هذا ليس محله ، فَيُعلَّق عليه بأن يقال : أفإثبات مقالاته في هذا الشأن هو وشيخه ، محلها التفسير ، وأما الحق الثابت فليس ذلك مكانه ؟!

أو لم ير في ذلك شيئاً من الشطط أن يعتمد في تفسير كلام الله تعالى وجهة نظره هو وشيخه العارية من الدليل ، وأن لا يلتفت إلى ما قررته السنة النبوية التي أخذ بها وبأدلتها السلف المتقدمون .

ولقد كان الأَوْلَى به أن يُعْرِض عن كل ذلك ، ما دام عاجزاً عن التمحيص والبيان ، أو غير متفرغٍ له . دون أن يضعف أو ينخذل مجاراةً لأفكار أهل ذلك العصر .

وقد ختم كلامه ذلك في هذا الشأن ، بآبدةٍ من أوابده حين قرر جازماً أن : « الحق أنه ليس في القرآن نصٌ يُثبت أن عيسى ينزل من السماء ، ويحكم في الأرض »[2].

(١) تفسير المنار (٦ : ٢١) .

(٢) تفسير المنار (٦ : ٥٩) .

مخالفاً بذلك كل ما قرره السلف في تفسير الآيات السالفات .

ثم إن في هذا الجزم من الجرأة ما فيه .

وكان الأَوْلَى به أن يمتنع عن مثل ذلك القطع الجازم ، مع توارد الروايات ، وتكاثف الإشارات ، وتتابع التفسيرات .

المسألة الثانية : تقرير عودته ومجيئه حين ينزل من السماء في آخر الزمان لنصرة دين الله الحق .

وقد وردت بضع إشاراتٍ في بعض الآيات القرآنية ملمحةً إلى ذلك .

الإشارة الأولى : في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ ذكر ذلك بعد أن قال ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[1] .

وفي ذلك إشارةٌ إلى أنه سينزل بعد ذلك الرفع ، ثم يؤمن به بعض المنتسبين إليه من أهل الكتاب بعد أن تتبين له حقيقة الدين الصحيح ، والقول الصواب في أمر المسيح عيسى عليه السلام .

وأنه ما هو إلا عبدٌ رسول . ليس بإلهٍ ولا بابن إله . وحينئذٍ يُؤمن بدعوته الصحيحة ودينه الحق ، دين الله (الإسلام) .

ومن ثَمَّ يموت المسيح بعدئذٍ كما يموت غيره من البشر تأكيداً لهذا المعنى وتقريراً له (بشريته وعدم إلـهيته) .

وقد بسطنا الكلام حول هذه الآية . والقول الصواب في دلالتها ، قبل قليلٍ فيما مضى ، بما يُغني عن إعادته .

الإشارة الثانية : في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ... ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[2] .

---

(١) سورة النساء – الآيتان رقم (١٥٨ / ١٥٩) .

(٢) سورة الزخرف – الآيتان (٥٧ / ٦١) .

قال الطبري رحمه الله : « اختلف أهل التأويل (يعني حول تفسير هذه الآية) .... فقال بعضهم .... معنى الكلام : وإن عيسى ظهوره عِلْمٌ يُعلم به مجيء الساعة ، لأن ظهوره من أشراطها ، ونزوله إلى الأرض دليلٌ على فناء الدنيا ، وإقبال الآخرة » .

ثم أسند عن ابن عباسٍ رضي الله عنه أنه قال في تفسير هذه الآية :

(يعني) « خروج أو نزول عيسى ابن مريم »[1] . وفي روايةٍ أصرح منها قال : « هو خروج عيسى بن مريم قبيل يوم القيامة »[2] . وروي عنه أنه كان يقول : « ما أدري علم الناس بتفسير هذه الآية أم لم يفطنوا لها ؟ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ . قال : نزول عيسى ابن مريم » .

ثم ذكر الطبري أن بعض القراء قرأ الآية خلاف القراءة التي نقرأ بها . فقرأ ﴿ وإنه **لَعَلَمٌ للساعة** ﴾ بفتح العين لا بكسرها .

قال : « اجتمعت قراء الأمصار .. على كسر العين من العلم . وروي عن ابن عباسٍ ... فتحها » . ثم نقل الطبري عن مجاهد وقتادة وغيرهما تفسير الآية على هذا الوجه بأن المراد به : « آيةٌ للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة » . كما قال مجاهد[3] .

أو كما قال قتادة : « نزول عيسى ابن مريم علمٌ للساعة : القيامة »[4] .

---

(١) تفسير الطبري (١١ : ٢٠٤) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠ : ٣٢٨٥) .

(٣) تفسير الطبري (١١ : ٢٠٥) . وقد ذكر الطبري أن أبياً قرأها (وإنه لذكرٌ للساعة) . وقد جعل الطبري معنى قراءة أبي كمعنى قراءة باقي القراء بكسر العين (لَعِلْمٌ) . وجعلها مصححةً ومقويةً لها . انظر (الطبري / ١١ : ٢٠٦) .

(٤) تفسير الطبري (١١ : ٢٠٥) .

قال البغوي في تفسير هذه الآية : « ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ يعني عيسى عليه السلام . ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ يعني نزوله من أشراط الساعة يُعلم به قربها ، وقرأ ابن عباسٍ وأبو هريرة وقتادة : ﴿ وإنه لَعَلَمٌ للساعة ﴾ بفتح اللام والعين . أي أمارةٌ وعلامة »[١] .

وقال الرازي في تفسيره : « ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي عيسى ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ شرطٌ من أشراطها تُعلم به ، فسمي الشرط الدالّ على الشيء عِلْماً لحصول العلم به ، وقرأ ابن عباس ﴿ لَعَلَمٌ ﴾ وهو العلامة »[٢] .

وقريباً من هذا ذكر ابن الجوزي في تفسيره[٣] .

وصحح هذا القول ابن كثير في تفسيره . قال : « الصحيح أنه (أي الضمير في : وإنه لَعِلْمٌ) عائدٌ على عيسى عليه السلام ... (و) المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ... » إلى أن قال : « ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى : ﴿ وإنه لَعَلَمٌ للساعة ﴾ أي : أمارةٌ ودليلٌ على وقوع الساعة .... وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة »[٤] .

الإشارة الثالثة :

وثمة إشارةٌ ثالثةٌ خفيةٌ ، ذكرها المفسرون عند قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ إلى

---

(١) تفسير البغوي (٧ : ٢١٩) .

(٢) تفسير الرازي (٩ : ٦٤٠) .

(٣) انظر : زاد المسير (٧ : ٣٢٥) .

(٤) تفسير ابن كثير (٧ : ٢٣٦) .

أن قـــال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[١] .

قـال الطبري رحمه الله : « قوله : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ يقــول : ليظهر دينه الذي أرسل به رسوله على كل دينٍ سواه ، وذلك عند نـزول عيسى ابـن مريم ، وحين تصير الملة واحدة ، فلا يكون دينٌ غير الإسلام » .

ثـم أسند إلى أبي هريرة رضي الله عنه : أنه قـال في تفسير قـول الله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ « قال : خروج عيسى ابن مريم » . أي أن ذلك يكون « حين خروج عيسى ابن مريم »[٢] .

الإشارة الرابعة :

ومثلها من الإشارات الخفية ما ذكره بعض السلف عند قـول الله تعـالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾[٣] . والآيات التي بعدها . قيل له : هل تجد نزول عيسى في القرآن ؟ قال : نعم : ﴿ وَكَهْلًا ﴾ ولم يكتهل في الدنيا . وإنما معناه : وكهلاً بعد نزوله من السماء . نقل ذلك البغوي[٤] .

وقـال بعضهم : « ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ قال : رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً ، قال : وينزل كهلاً » . وقـال أيضاً : « قد كلمهم .. في المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال ، وهو يومئذٍ كهل »[٥] .

(١) سورة الصف – جزء من الآيتين رقم (٦ / ٩) .
(٢) تفسير الطبري (٦ : ٣٥٦) و(١٢ : ٨٣) .
(٣) سورة آل عمران – جزء من الآية رقم (٤٦) .
(٤) تفسير البغوي (٢ : ٣٨ / ٤٦) .
(٥) تفسير الطبري (٣ : ٢٧١ / ٢٨٩) .

الإشـارة الخامسـة : في قـول الله تعـالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾[1] وهي كسابقتها .

(١) سورة المائدة - جزء من الآية رقم (١١٠) .

المبحث الثاني

المسيح عيسى عليه السلام في السنة

لا نجد في السنة النبوية الكريمة شيئاً يذكر عن المسيح عيسى عليه السلام في بعثته الأولى . مع أننا نجد كثيراً من الأحاديث التي تتكلم عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام . لكنَّ أكثر تلك الأحاديث بل جُلَّها ، إنما يتحدث عن المسيح في عودته المرتقبة المنتظرة (نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان) .

وبينما نجد في المقابل أكثر آيات القرآن الكريم ، بل جُلَّها ، التي تتحدث عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، إنما تتحدث عن بعثته ودعوته ، وحاله مع قومه من بني إسرائيل آنذاك . ولا نجد من بين ذلك العدد الكثير من الآيات إلا بضع آياتٍ تتحدث بطريق الإشارة عن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان . كما أسلفنا بيان ذلك وبسطه في المبحث السابق .

نجد أمام ذلك كما قلنا أكثر أحاديث السنة النبوية تتحدث عن النزول المرتقب والعودة المنتظرة .

لكأنما اختص القرآن الكريم بالحديث عن البعثة الأولى ، وأشار إلى قضية النزول إثباتاً لها وتأكيداً عليها .

بينما لم تلتفت السنة النبوية بشكلٍ أساسي إلى مرحلة البعثة والدعوة تلك ، وكان فيما ذُكِرَ في القرآن الكريم عنها كفاية .

وكان اهتمام السنة النبوية ودقائق تفصيلها بشكلٍ أساسي عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان .

وسأعرض بعضاً منها كالأنموذج لِمَا بقيَ منها مما غاب عني ، أو خفيَ مكانه في ثنايا كتب وأجزاء السنة النبوية .

ومن تلك الأحاديث :

١ – حديثٌ في صحة نسب أمه . وأنها مريم ابنة عمرانٍ آخر ، ليس بعمران أبي هارون وموسى عليهما السلام . فبين هارون وموسى وبين مريم من الزمن قرون ، ولا يعقل أن تكون أختهما . وقد احتج بهذا الأمر نصارى نجران على رسول رسول الله ﷺ إليهم ، فتحيَّر ، فحين عاد إلى المدينة ذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فأخبره بحقيقة الأمر . وأن عمران والد مريم ليس بعمران أبي هارون وموسى . وإنما هو اسمٌ على اسم .

أخرج مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة قال : « لَمَّا قدمت نجران سألوني ، فقالوا : إنكم تقرأون : ﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا . فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك . فقال : إنهم كانوا يُسمُّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم »[1] .

٢ – الحديث الثاني : جاء فيه ذكر القرابة بين عيسى ويحيى عليهما السلام . وهو قطعةٌ من حديث المعراج الطويل . أورده البخاري في صحيحه . وفيه : « فلما خلصتُ إذا يحي وعيسى وهما ابنا خالةٍ »[2] .

٣ – الحديث الثالث : جاء فيه ذكر ولادة عيسى عليه السلام . وأنه لم يستهلَّ صارخاً حين ولد . وأن أمه وقع لها ذلك من قبل حين ولدت .

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من بني آدم مولودٌ إلا يمسه الشيطان حين يُولد فيستهلُّ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤ : ١١٦ – ١١٧) .

(٢) صحيح البخاري – طبعة : دار السلام (٧٩٥) كتاب مناقب الأنصار – باب المعراج – الحديث رقم (٣٨٨٧) . وأورد الشاهد منه في موضع آخر (٧٠٦) كتاب أحاديث الأنبياء – الباب (٤٣) : باب قول الله تعالى ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ إلى قوله ﴿ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا ﴾ الحديث رقم (٣٤٣٠) .

صارخاً من مسِّ الشيطان . غير مريم وابنها » . ثم يقول أبو هريرة ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[1] »[2] .

وأخرجه في موضعٍ آخر بلفظ : « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعيه حين يُولد ، غيرَ عيسى ابن مريم ذهب يطعن ، فطعن في الحجاب »[3] .

وأخرجه مسلم كذلك في صحيحه بألفاظٍ قريبة من هذه[4] .

وهو في مسند أحمد بإسنادٍ صحيح[5] .

٤ – الحديث الرابع : في كلامه في المهد . وقد ورد ذلك في الحديث الطويل المشهور الذي فيه قصة جريج العابد .

وقد أخرج البخاري قطعةً منه في صحيحه . وفيه الشاهد الذي نريد . وهو في أول الحديث .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، ... »[6].

٥ – عدة أحاديث وردت فيها صفة نبي الله عيسى عليه السلام ، وصفه النبي ﷺ لأصحابه لَمَّا رآه ليلة أسري به . حتى لا تختلط عليهم صفته بصفة مسيح الضلالة الدجال أخزاه الله .

---

(١) سورة آل عمران – جزء من الآية رقم (٣٦) .

(٢) الحديث في صحيح البخاري (٧٠٦) كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ... ﴾ إلخ – الحديث رقم (٣٤٣١) . وانظره كذلك في كتاب التفسير – آيات سورة آل عمران – الحديث رقم (٤٥٤٨) .

(٣) صحيح البخاري (٦٧٠) كتاب بدء الخلق – باب صفة إبليس وجنوده – الحديث رقم (٣٢٨٦) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ : ١٢٠) كتاب الفضائل – فضائل عيسى عليه السلام .

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل – تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون (١٢ : ١٠٦) مسند أبي هريرة – الحديث رقم (٧١٨٢) . ط. أولى / ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م / مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٦) صحيح البخاري (٧٠٧) كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ﴾ الباب رقم (٤٨) ، والحديث رقم (٣٤٣٦) .

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : ليلة أسريَ بي لقيتُ موسى ... إلى أن قال : « ولقيت عيسى – فنعته النبي ﷺ فقال – : رَبْعَةٌ أحمر كأنما خرج من ديماس يعني الحمّام » .

وفي حديثٍ آخر بعده لابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « رأيت عيسى وموسى ... فأما عيسى فأحمر جَعْدٌ عريض الصدر » .

وفي لفظٍ ثالث وصفه بأنه « رجلٌ آدم كأحسن ما يُرى من أُدْم الرجال ، تضرب لِمَّتُهُ بين منكبيه ، رَجِلُ الشَّعر يقطر رأسه ماءً » .

وفي لفظٍ آخر : « رجلٌ آدَمُ ، سَبْطُ الشَّعر ... يَنْطِفُ رأسه ماءً ، أو يُهراق رأسه ماءً »[١] .

٦ – ذكر نبوته . وبيان أن ما جاء به هو والسابقون عليه من الأنبياء هو دين الله الحق الذي اختاره لعباده .

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد عَلاّتٍ ، ليس بيني وبينه نبي ».

ورواه بلفظٍ آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً، أنه قال: قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوةٌ لِعَلاَّتٍ ، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد »[٢] .

---

(١) صحيح البخاري (٧٠٨ – ٧٠٩) كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ﴾ الباب رقم (٤٨) – والأحاديث برقم (٣٤٣٧ / ٣٤٣٨ / ٣٤٤٠ / ٣٤٤١) .

(٢) صحيح البخاري (٧٠٩) كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ﴾ الباب رقم (٤٨) – والحديثان رقمهما (٣٤٤٢ / ٣٤٤٣) .

ورواه بعدة ألفاظٍ قريبةٍ من ذلك مسلم في صحيحه[١] .

قال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم : « قال العلماء أولاد العَلاَّت بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم الإخوة لأبٍ من أمهاتٍ شتى ، .... قال جمهور العلماء : معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة ، فإنهم متفقون في أصول التوحيد ، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف . وأما قوله ﷺ : « ودينهم واحد » . فالمراد به : أصول التوحيد ، وأصل طاعة الله تعالى ، وإن اختلفت صفتها »[٢] .

٧ – الإيمان بنبوة عيسى عليه السلام ورسالته .

بل الإيمان بكل أنبياء الله ورسله عليهم السلام على الإجمال والتفصيل . على حد قول الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[٣] .

وقد ورد في هذا الشأن الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . وفيه : « الرجلُ ... إذا آمن بعيسى ، ثم آمن بي فله أجران »[٤] .

والمراد به والله أعلم : مَنْ كان مِنَ النصارى المؤمنين على الوجه الصحيح بنبوة عيسى عليه السلام عبداً لله ورسولاً له . ثم أدرك نبوة نبينا محمدٍ ﷺ فأسلم وآمن به .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ : ١١٩) كتاب الفضائل – باب فضائل عيسى عليه السلام .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ : ١١٩ – ١٢٠) .

(٣) سورة البقرة – جزء من الآية رقم (٢٨٥) .

(٤) صحيح البخاري (٧٠٩) كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ ﴾ الحديث رقم (٣٤٤٦) .

غير أنه من الحق المقرر ، المعلوم من الدين بـالضرورة ، أن كـل مسـلمٍ ، مُطـالَبٌ بأن يؤمن بكل أنبياء الله عليهم السلام ، ومنهم عيسى رسول الله . كما قررت ذلـك الآية الكريمة ، وكما هو معلومٌ من اعتقاد المسلمين بالضرورة .

أما باقي الأحاديث التي تذكر عيسى عليه السلام - وهي كثـيرة - فإنـها تتنـاول نزوله في آخر الزمان ، وعودته المرتقبة ، وما سيجري على يديه ، وما سـيجري لـه ، وفي عصره ، من الأحداث والفتن والملاحم . مما ستراه مسطوراً في المباحث والفصول اللاحقة ، موزعاً بينها كلٌّ بحسب اختصاصه . والله الموفق .

الفصل الثاني

علامات نزول المسيح عيسى عليه السلام

الفصل الثاني

علامات نزول المسيح عيسى عليه السلام

ليس لنزول المسيح عيسى عليه السلام عند المسلمين غير علامتين ظاهرتين كبيرتين .

أما إحداهما فشرطٌ من أشراط الساعة الكبار ، كنزول عيسى ذاته ، وهي خروج الدجال . وأما الأخرى فمقدمةٌ لعلامات الساعة الكبار وتمهيدٌ لها . وهي ظهور المهدي .

لكنْ في جوف كل واحدةٍ من هاتين العلامتين ، علاماتٌ كثيرة . وفي كل واحدةٍ من هاتين العلامتين كلامٌ طويلٌ ، ومقالٌ عريضٌ ، وأخذٌ وردٌّ . وتفصيلٌ لا مزيد عليه ، استقلَّت به في أنحاء مختلفةٍ منه ، رسائل جامعيةٌ باهرةٌ معتمدة ، ومصنفات مستقلة .

والذي سنذكره هاهنا هو الخلاصة من كل ذلك ، فيما يخص هاتين العلامتين . وهو كذلك كالمدخل لبحث مسألة : المسيح المنتظر عند المسلمين : مَنْ هو ؟ وكيف يَقْدُم ؟ وما علامات ذلك ؟

لذا استوجب ذلك أن نُفرد هاتين العلامتين بحديثٍ مستقل ، يتناول ما قيل فيهما . والراجح في مذهب أهل السنة والجماعة عنهما .

وهاكَ حديث العلامتين الكُبْرَيَيْن في مبحثين مستقلين يحويهما هذا الفصل على النحو التالي :

المبحث الأول : في ظهور المهدي . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : في ثبوت أمر المهدي .

المطلب الثاني : في أقوال الناس في المهدي المنتظر .

المطلب الثالث : في تفصيل أحوال المهدي . حسب ما جاء في السنة النبوية.

المبحث الثاني : في خروج مسيح الضلالة ، المسيح الدجال .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ما قبل الخروج . أي ما يتعلق بالدجال وخبره قبل خروجه على الناس .

المطلب الثاني : ما بعد الخروج . أي ما يتعلق بالدجال وقصته بعد خروجه على الخلق .

المبحث الأول

ظهور المهدي

المبحث الأول

ظهور المهدي

المهدي رجلٌ صالحٌ من المسلمين ، وإمامٌ عادلٌ من آل بيت النبي ﷺ ، يجيء في آخر الزمان ليعيد بناء دولة الإسلام بعد أن كادت تزول ، وليرفع ما انخفض من عز الإسلام ورفعته ، بعد أن كاد الدين يضمحل ، والمنبع يجفّ .

يجيء كالممهِّد لعودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، والموطِّيء لنزوله ، لإظهار دين الإسلام على الدين كله ، وعلى الدنيا كلها .

وَوَصْفُهُ بالمهدي ليس أمراً خاصاً به . بل ورد إطلاق هذا الوصف على الخلفاء الراشدين المهديين وغيرهم[1] .

لم يردْ ذكر المهدي في القرآن الكريم ، لكنه جاء في السنة ، وورد ذكره وذكر حاله مفصلاً في أحاديث صحيحة وآثار كثيرة .

وأصبح الاعتقاد به مقالة جمهور أهل السنة والجماعة بناءً على ذلك . وأنه « المهدي المنتظر » والرجل الصالح من آل بيت النبي ﷺ ، الذي سيجيء في آخر الزمان ليزيح الظلم عن كواهل الناس ، ولينصر الملة ، ويرفع راية الأمة .

وقد نشأ عن ذلك في الفكر الإسلامي مصطلح أو فكرة : المهدوية ، ودار نقاشٌ حاد بين مؤيدين ومعارضين لهذه الفكرة ، داخل دوائر أهل السنة . وكان السبب الرئيس في اندلاع مثل هذا الخلاف هو الاستغلال السياسي السيء لهذه العقيدة في كثيرٍ من الأحيان .

فمنذ القرن الأول الهجري ، ودعاوى المهدوية لا تتوقف ، من أناسٍ شتى ، من زاهدٍ مغفلٍ ، إلى سياسي ماكر ، إلى داعية بدعةٍ يُروِّج لبدعته بدعواه تلك ، إلى

---

(١) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر - للشيخ حمود بن عبد الله التويجري (٤٧) سبق توثيقه .

صوفي مهووسٍ بالألقاب الفخيمة ، من قطبٍ وغوثٍ وما إلى ذلك ، والمهدوية في قمة القمة من الفخامة في هذا الإطار .

بل بلغ الأمر حداً أصبحت معه هذه الفكرة نهباً متاحاً لكل مدّعٍ من الحمقى والمغفلين ، والسكارى والمجانين ، والممرورين والمعتوهين . وامتلأت كتب التاريخ والأدب والنوادر والأخبار بالشيء الكثير من ذلك .

ولا يزال هذا المركب سهل المأخذ قريب المنال حتى يومنا هذا ، لكل من سوّلت له نفسه أن يصعد إلى المعالي رَغْماً ، غِبَّ هلوسةٍ فكرية ، أو شعورية ، أو لا شعورية .

وَسَيَرِدُ الحديث في هذا المبحث في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : في ثبوت أمر المهدي .

المطلب الثاني : أقوال الناس في المهدي المنتظر .

المطلب الثالث : تفصيل أحوال المهدي .

المطلب الأول

ثبوت أمر المهدي

مع أن المهدي لم يذكر في القرآن الكريم لا تصريحاً ولا تلميحاً . فإن خبره قد جاء في السنة النبوية تصريحاً وتلميحاً . وهذا هو الذي حمل بعضهم على التشكيك في أمره .

لكننا حين نتذكر أن السنة قرينة القرآن وهي الوحي الثاني ، وأن النبي ﷺ لا ينطق من عنده كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1] .

وحين نعلم أنه قد ثبت بعد البحث الطويل والفحص الدقيق العميق ، ثبوت عددٍ من الأحاديث والآثار الصحيحة الصريحة وغير الصريحة في أمره ، وقد كان يكفينا منها خبرٌ واحد صحيح صريح فحسب .

ندرك أن المسألة محسومة ، وأنه لا يُماري في شأنه من يأخذ بمنهج أهل السنة في الاعتقاد . ومن ذلك الاحتجاج بأخبار الآحاد ، ما دامت قد ثبتت نسبتها إلى رسول الله ﷺ وصحت .

لكن الذي زاد الطين بلةً ، وزاد في تعقيد المسألة ، وقوع هذا المعتقد بين فكي رحى السياسة قديماً ، فانتشر الوضع في هذه المسألة انتشاراً فاحشاً . وكثرت الأحاديث غير الثابتة في شأن المهدي ، واختلط الحابل بالنابل ، وزاد المسألة سوءاً ، أن من اهتم بها وأفردها بالتأليف من العلماء بعد القرون المتقدمة لم يُولها الاهتمام الكافي ، فكثر الاستشهاد في تلك الكتب حتى وقتٍ قريب بالأحاديث الموضوعة

---

(١) سورة النجم - الآيتان رقم (٣ - ٤) .

والضعيفة ، التي أوجدت خبطاً وخلطاً في هذه المسألة الاعتقادية ، وأضاعوا الأعمار في محاولة الجمع بين هذه الأحاديث التي تضمَّن بعضها أشياء غير معقولة ، بما صح من الأحاديث التي ذكرته ، وجعلهم ذلك هدفاً لإنكار المنكرين لأمره . وجعل المدخل عليهم في الرد ظاهراً من أسهل ما يكون .

وقد قام أحد الباحثين المعاصرين بالتفرغ لكل هذه المرويات في رسالةٍ علمية معتمدة مطبوعة حديثاً[1] . فخرج بنتيجةٍ ، قضت على كل الشكوك ، ومحصت بين كل الروايات . وكانت نتيجة ذلك :

- ثبت في شأن المهدي : ثمانية أحاديث صريحة في أمره . فيها الصحيح وفيها الحسن . واثنان وعشرون حديثاً غير صريح في أمره . ومنها التي في البخاري ومسلم .

- وثبت في أمره من الآثار الصريحة أحد عشر أثراً .

ومن الآثار غير الصريحة خمسة آثار[2] .

وسنفصِّل أحوال المهدي لاحقاً بناءً على ما ثبت في هذه الأحاديث والآثار الصحيحة فحسب .

---

(١) هو الدكتور : عبد العليم عبد العظيم البستوي في بحثه الرائع عن المرويات في المهدي المنتظر . نال به درجة الماجستير من جامعة مكة سنة ١٣٩٨ هـ .

وأكثر الإحالات التالية ستكون على كتابه ، وسنرمز لها باسمه (البستوي) . اكتفاءً بما قام به الباحث المذكور من الجمع والرصد والإحالة والتوثيق ، ومنعاً لتكرار الجهد العلمي المبذول ، لا قصوراً عن الرجوع إلى نفس المصادر التي رجع إليها . وليستدل كذلك القاريء الكريم على خلاصة ما قيل وجمع في رواية الحديث ، والحكم عليه كذلك ، إن أراد مراجعته .

(٢) المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة (١ : ٣٥٥) للدكتور : عبد العليم عبد العظيم البستوي .

وأصل كتابه هذا رسالة علمية لنيل درجة الماجستير بعنوان : الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل .

أما الشيخ حمود التويجري فذكر أنه صح لديه في المهدي عشرة أحاديث ، لكنه لم يبين صريحة هي أم لا (إقامة البرهان / ٥ - ٦) .

غير أن هذا الكم المحدود من المرويات الصحيحة ، قد اختلط عند جميع المؤلفين تقريباً ، بما يقارب الثلاثمائة من الأحاديث والآثار الصريحة وغير الصريحة في أمره ، (بلغت تحديداً اثنين وتسعين ومئتي حديثٍ وأثر)[١] . مما لا تثبت صحته من الضعاف والموضوعات . وقد استوفاها جمعاً وتخريجاً ، الباحث المنوّه عنه أولاً (الدكتور عبد العليم البستوي) فجمع وأوعى ، ولا ترك شاردةً في المرعى ، ولا واردةً تسعى ، إلا نهض إليها بسيف الجرح وميزان التعديل . فعدَل بذلك ما مال من حق هذا المعتقد ، وما شانه من زيف تلك المرويات الطويلة الغريبة العجيبة ، الباهظة التكاليف ، الواضحة التكلف ، التي طالما حيَّرت العلماء ، وأذهلت المتأملين ، في هذا العلم العجيب (أشراط الساعة والملاحم وأخبار الفتن) .

وهاكَ منها نماذج مما اشتهر على الألسنة ، وانتشر كالنار في الهشيم في كتب الملاحم والفتن وأشراط الساعة ، بل بعض كتب العقائد كذلك .

فمن تلك الأحاديث والآثار المشهورة في أمره ، الضعيفة في أقل الأحوال وأهونها :

- حديث « المهدي في وسط الأمة ، وعيسى في آخرها »[٢] .

- حديث « من أنكر خروج المهدي فقد كفر »[٣] (موضوع / أثر الوضع بادٍ عليه) .

---

(١) الأحاديث الصريحة منها : اثنان وأربعون ، والآثار الصريحة : مئة وسبعة وأربعون ، والأحايث غير الصريحة : ثلاثة وأربعون ، والآثار غير الصريحة : اثنان وثلاثون ، وثمانية وعشرون حديثاً وأثراً لم يجد لها البستوي أسانيد بالمرّة .

(٢) بواسطة البستوي (٢ : ٥٨ - ٥٩ / ١٣٢ - ١٣٣) . وقد حاول التويجري أن ينهض به وبغيره ، قال : « هذه الأحاديث وإن كان في إسنادها بعض الضعف والغرابة ، فهي مما يقوي بعضها بعضاً ويشد بعضها ببعض » (الاحتجاج للتويجري / ٣٠) وهو معاكسٌ لكل معاني الأحاديث التي تذكر لقاء المهدي بعيسى عليه السلام .

(٣) بواسطة البستوي (٢ : ٨٣ - ٨٦) .

- حديث « أن في لسانه ثقلاً »[١] . أي به عاهةٌ خَلْقية .

- حديث « أنه يهرب من المدينة إلى مكة ، فيستخرجه الناس وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام » . أو أنه يخرج من الصفا[٢] .

- ما ورد في أن المهدي اسمه أحمد ، ابن أربعين سنة ، يملك أربع عشرة سنة ، أو عشرين سنة ، أو إحدى وعشرين ، أو اثنين وعشرين ، أو ثلاثين ، أو تسع وثلاثين ، أو أربعين سنة . يأتيه أبدال الشام ، ونجباء مصر ، وعصائب أهل المشرق[٣] .

---

(١) بواسطة البستوي (٢ : ١٢٣) .

(٢) البستوي (٢ : ١٣٠ - ١٣١ / ١٤٩ / ٣٠٥ - ٣٠٨ / ٣٢٤ - ٣٣٥ / ٣٣٦ - ٣٣٨) . وأصرح حديثٍ في هذا المقام وأقربها إلى الصحة حديث أم سلمة وفيه : « يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام ، وعصائب أهل العراق فيبايعونه ، ثم ينشأ رجلٌ من قريش ، أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ، ويعمل في الناس بسنة نبيهم ، ويلقى الإسلام بجرانه في الأرض .. » رواه أبو داود . وأحمد في المسند من طريق أم سلمة وأبي سعيد . وغيرهما . وقد اجتهد بعض الأئمة في تصحيحه . قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وقال فيه ابن القيم : « الحديث حسن ، ومثله مما يجوز أن يقال فيه : صحيح » . (المنار المنيف / ١٤٤ - ١٤٥) . وقال الشيخ حمود التويجري : « روى حديث أم سلمة رضي الله عنها جماعة من أهل العلم بالحديث والعلل والرجال منهم الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم والطبراني و لم يقدح فيه أحدٌ منهم .. وصرح بعضهم بتصحيحه » . (الاحتجاج للتويجري / ١٦ - ١٧ / ٢٥٤) . / لكنَّ الألباني حكم بضعفه وأخرجه من صحيح سنن أبي داود حين خرَّجها ، وتابعه البستوي (٢ : ٣٢٤ - ٣٣٥) وجزم بضعفه . وجمع كل طرق الحديث . وخرج من كل ذلك بأن مدار الحديث بكل طرقه على قتادة ، وطرق قتادة إلى مَنْ فوقه من الرواة ، كلها كما تتبعها البستوي منقطعة ، ما عدا طريقين ، وكلاهما عن قتادة عن صالح عن صاحبٍ له . والذي يترجح عندي : أن قول مَنْ قال بضعف الحديث ، أقوى مِنْ مقالة مَنْ صححه ، ولكلٍّ وجهته .

(٣) البستوي (٢ : ٩٠ / ١١٨ - ١٢٠ / ١٢١ - ١٢٢ / ١٦٨ / ١٩٢ / ١٩٦ / ١٩٩ - ٢٠٠ / ٣٢٤ - ٣٣٥ / ٣٣٦ - ٣٣٨) . وهو مُعارِضٌ لِمَا صح من أن اسمه محمد بن عبد الله .

- ما وردَ في الفتى التميمي صاحب راية المهدي ، أو شعيب بن صالح التميمي الذي يُمهِّد للمهدي . ومن أشهر ما فيه : « يخرج بالري رجلٌ ربعةٌ أسمر ، مولىً لبني تميم ، كوسج ، يقال له : شعيب بن صالح ... على مقدمة المهدي ، لا يلقاه أحدٌ إلا فَلَّه »[١] .

فانظر كيف ركبوا هذا المتن لهذا المولى الكوسج . وذكروه لرداءة عقولهم باسمه واسم أبيه ، وصفته ، ومواليه ، ومُقامه . هكذا بتفصيلٍ . لا نجده في الصحاح مجتمعاً في حديثٍ واحدٍ ، حتى في خبر المهدي . فويلٌ لهؤلاء الكذابين من الله .

- وأخبار الرجل المسمَّى بالسفياني ، وخروجه مع المهدي ، أو عليه واقتتالهما ، أو أن السفياني هو الذي يدفع إليه الخلافة . وأن المرأة تجلس على فخذ السفياني بمحراب مسجد دمشق (وما كان بدمشق على زمن رسول الله ﷺ مسجد) .

وقد روي في ذلك الكثير من الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة[٢] ،

---

(١) نقله البستوي (٢ : ١٧٤) وانظر جملةً من المرويات عنه في (البستوي / ٢ : ١١٧ / ١٣٧ / ١٦٣ - ١٦٤ / ١٧٠ - ١٧١ / ٢٠٧ - ٢٠٨ / ٣٥١ / ٣٦٩ - ٣٧٠) .

(٢) جمع الكثير من المرويات الضعيفة والموضوعة في شأن هذا الرجل - السفياني - البستوي في كتابه ، لتعلقها بأخبار المهدي ، ولم يصحح منها شيئاً بالمرة ، وهي من الكثرة بمكان . على أنه يمكنك مطالعة بعض تلك الأمثلة العجيبة في : البستوي (٢ : ٦٢ - ٦٣ / ١١٧ - ١٦٨ / ١٧٠ - ١٧٤ / ١٩٣ - ١٩٧ / ٢١٠) .

وقد أشكل أمر هذا الرجل السفياني على بعض أهل العلم . وما وجدوا معتمداً في ذلك يصح من جملة هذه الأحاديث إلا خبراً واحداً عند الحاكم في مستدركه وهو مَنْ قد علمت في التساهل في أمر التصحيح . وهو أهون هذه الأحاديث ضعفاً ، وأقلها بأساً ، وأقربها إلى الصحة من حيث إسناده . وهو من حديث أبي هريرة . وفيه : « يخرج رجلٌ يُقال له : السفياني في عمق دمشق ، وعامة مَنْ يتبعه من كلب ، فيقتل حتى يقر بطون النساء ويقتل الصبيان ، فتجمع لهم قيس فيقتلها ، .... ويخرج رجلٌ من أهل بيتي في الحرَّة فيبلغ السفياني ، فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم ، فيسير إليه السفياني بمن معه ، حتى إذا صاروا ببيداء من الأرض خُسف بهم ، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم » . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي (المستدرك / ٥ : ٧٢٧ / ط. دار المعرفة - بيروت / أولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) . ونزع إلى تصحيحه وأطنب في ذلك ، الشيخ حمود التويجري الذي اجتهد في إثبات صحته . قال : رواه الحاكم في مستدركه في ذكر السفياني والمهدي ، رواته كلهم ثقات (الاحتجاج بالأثر / ٣٨) .

=

....

= لكنَّ الظاهر من حال الشيخ أنه يتساهل في أمر التصحيح في هذه الأحاديث وأشباهها ، بحيث لا يكاد يردّ منها شيئاً إلا قليلاً مما هو متهافتٌ ظاهر الضعف جداً .
أما البستوي فنقله وتوقف في الحكم عليه (٢ : ٢٤٣ - ٢٤٥) .
وشطره الأخير موافقٌ لما خرّجه مسلم من الخسف بجيشٍ في البيداء . (صحيح مسلم بالنووي / ١٨ : ٤ - ٧) .
وفي أخبار أهل التواريخ والسير : قصة رجلٍ يُقال له السفياني ، موافقةٍ في أكثر أحوالها لأكثر ما في هذه المرويات ، قالوا : كان من أهل العلم والرواية . وكان يطمح إلى الخلافة والملك . وأكثر تلك المرويات التي فيه كانت تتحدث عن سلبه لملك بني العباس وقوة شكيمته وفتحه للعراق ، وما يفعله بأهل الكوفة ، وفتحه للزوراء (بغداد) مدينة الجبابرة . وما بنيت بغداد إلا بعد عهد النبي ﷺ بقرنٍ ونصف قرنٍ تقريباً . فجاء هذا وشيعته يركبون الأحاديث في شأنها . وعارضه شيعة بني العباس بأحاديث تذكر أن الملك يدوم في بني العباس إلى قيام الساعة ، وأنهم لا يسلمونها إلا لعيسى ، فجاء هذا فعارضهم بأنه لا يُسلِّم الخلافة إلا إلى المهدي . أو أنهما يتنازعان الأمر ، فينفرد كل واحدٍ منهما بناحية .
وواتت الرجل فرصةٌ حين اختلف الأمين والمأمون . واختلف بنو العباس . وانشغلوا بأنفسهم ، في تلك الحرب الأهلية إن صح التعبير . فظهر هذا الرجل المنتسب إلى العلم يدعو إلى نفسه في عمق دمشق . وكان يُدعى : السفياني . لأنه من ذرية معاوية بن أبي سفيان . ويقال له : علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية . وفي بعض تلك المرويات التنصيص على أنه من ولد خالد بن يزيد ، حتى لا ينازعه في ذلك أحد . فخرج وأخذ الخلافة بدمشق وأراد إعادة دولة آبائه وأجداده ، وهو ابن تسعين سنة ، ولم ييأس ، وتبعه عامة كلب . وقاتل قيساً . وناصبهم العداء وفعل بهم الأفاعيل . وكان أصحابه يسمونه : مهدي الله . أرادوا كذلك أن يحوزوا له المهدوية بعد أن حازوا له السفيانية . وتعصبت له اليمانية . ولقي منه القيسية بلاءً شديداً . وامتد سلطانه حتى بلغ صيدا والسواحل الشامية . ثم إن القيسية اجتمعوا له فنهضوا إليه فأخذوا منه دمشق وظفروا به وهرب في ثياب النساء - على عكس ما تمنى هو وأصحابه في تلك المرويات - وتوفي شريداً طريداً كبير السن سنة ١٩٨ هـ . عن عمرٍ يناهز الثالثة والتسعين . وأقام القيسية الخطبة بدمشق للمأمون .
انظر خبر خروج هذا السفياني . واسمه : علي بن عبد الله ، ويكنيه خصومه بأبي العميطر . في :
- الكامل لابن الأثير (٥ : ١٤٧) وفيه يذكر أن الرجل كان معروفاً بحسن السيرة والعلم الكثير قبل خروجه ، وأن الناس استفادوا منه علماً كثيراً .
- البداية والنهاية لابن كثير (١٠ : ٢٢٧) .
- شذرات الذهب (١ : ٣٤٢ / ٣٥٦) .
- وانظر ترجمته في (الأعلام للزركلي / ٤ : ٣٠٣) .

وهو مما امتلأ به كتاب نعيم بن حماد[١] في الفتن . وكتاب أبي الحسين ابن المنادي[٢] في الملاحم .

(١) نعيم بن حماد الخزاعي المروزي . من تلاميذ الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة . روى عنه البخاري مقروناً ، وأبو داود والترمذي وابن ماجه بواسطة . في قوة روايته نزاع ، كما قال الذهبي ، مع تقدمه وإمامته لغلطه ، رد عليه تلميذه يحيى بن معين مرةً في مجلسه شيئاً من هذا . كان جهمياً في أول أمره ، ثم رجع عن ذلك ، واشتغل بالرد على الجهمية ، حتى ألف في الرد عليهم على ما قيل ثلاثة عشر كتاباً . قال الذهبي : نعيم من كبار أوعية العلم ، لكنه لا تركن النفس إلى رواياته . ثم قال : لا يجوز لأحدٍ أن يحتج به ، وقد صنف كتاب « الفتن » فأتى فيه بعجائب ومناكير . توفي مسجوناً في محنة القول بخلق القرآن سنة ٢٢٨ هـ . ولم يُكفن ولم يُصلّ عليه ، بل جُرَّ بقيوده فألقي في حفرةٍ . انظر ترجمته في (سير الذهبي / ١٠ : ٥٩٥ - ٦١٢) .

(٢) أبو الحسين أحمد بن جعفر البغدادي المشهور بابن المُنَادي ، صنف في علوم القرآن كتباً كثيرة . بلغت أربعمائة وأربعين ونيفاً على ما قيل . شيخ من شيوخ الحنابلة . كان جده من أصحاب الإمام أحمد ، وكتاب الملاحم له جمع فيه ما هب ودبّ، ثم زعم أنه أخذ بعض ذلك من كتاب دانيال - يقصد سفر دانيال - وانتقده على ذلك الحافظ أبو الخطاب بن دحية نقداً لاذعاً - ذكر ذلك القرطبي في التذكرة (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة / للإمام القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري / تعليق وتخريج : محمد خلف يوسف / ٦٣٢ - ٦٣٣ / ط. أولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م / مكتبة المأمون - جدة) . توفي ابن المنادي سنة ٣٣٦ هـ .

انظر ترجمته في (طبقات الحنابلة / ٢ : ٣ - ٦) (المنتظم / ٦ : ٣٥٧ - ٣٥٨) (السير الذهبي / ١٥: ٣٦١ - ٣٦٢) (البداية والنهاية / ١١ : ٢١٩) .

ومن الآثار المشهورة غير الثابتة في أمره :

- علامة المهدي إذا خسف بجيشٍ في البيداء[1] .

ولا يصح نقلاً . وإنما هو من تركيب معاني بعض الأحاديث على بعض .

فالذي ثبت في صحيح مسلم[2] أنه يُخسف بجيشٍ في البيداء ، يغزو البيت الحرام ، وقد عاذ به عائذ ، وليس في تلك الأحاديث تسميته ولا نعته بالمهدي . لكن قالوا : إن أولى ما تفسر به هذه الأخبار وتُحمل عليه ، أن يقال : إنها في المهدي ، وأنه هو الذي يعوذ بالبيت ، وأن الجيش الذي يقصده فيُخسف به هو جيش السفياني ، الذي صحح بعضهم في ذكره ذلك الخبر اليتيم في « مستدرك الحاكم »[3] . وفيه أنه يخرج رجلٌ من آل البيت بالحرَّة بالمدينة ، فيبعث إليه السفياني جنداً ، ثم يسير إليه بنفسه . فيُخسف به وبجيشه ببيداء من الأرض .

فما أدري كيف ركَّبوا هذا على هذا. والذي في مسلم إنما فيه ذكر الحرم ومكة، وأنه يعوذ بهما عائذ ، والذي في الحاكم في خبر السفياني ليس فيه إلا ذكر المدينة والحرة . وإنما اتفقا في أنه يُخسف بذلك الجيش في بيداء من الأرض .

فحتى يستقيم هذا التركيب لابد من وضع افتراضاتٍ مفادها : أن المهدي يخرج بالمدينة أولاً ، فيبعث إليه السفياني جنده ، فيهرب منهم المهدي إلى مكة ، فيسير إليه السفياني بعسكره ، فيُخسف بجيشه في « بيداء المدينة »[4] .

---

(١) البستوي (٢ : ١٦١ - ١٦٢) .

(٢) صحيح مسلم بالنووي (١٨ : ٤ - ٧) .

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري (٥ : ٧٢٧) .

(٤) وهو تفسير بعض رواة أحد الأحاديث التي في مسلم (صحيح مسلم بالنووي / ١٨ : ٥) .

ومن تلك الآثار غير الثابتة أيضاً :

- علامة المهدي إذا انساب عليكم الترك ، وخُسف بغربي مسجد دمشق[١] .

- ما ورد أنه لا يُراق بسببه دمٌ[٢] ، فالثابت الصحيح المناقض لهذا أنه يُقَاتِلُ ويُقاتَلُ ، ويذبح أعداء الله ، ويخوض الملاحم . وكل ذلك واضحٌ صريح في أخباره ، جهاداً منه لأعداء الله ، ونصرةً لدين الله .

- ما ورد أن علامة خروجه انكساف القمر لأول ليلةٍ من رمضان ، وانكساف الشمس في النصف منه ، أو انكسافها مرتين في رمضان[٣] . (خلافاً لسنة الله الكونية في ذلك) فهذا من وضع كذابٍ أشرٍ ، يهزأ بدين الله ، وبرسول الله ﷺ .

- وأنه يسكن أنطاكية ، ويُخرج التوراة والإنجيل وتابوت السكينة منها ، فيحكم بها بين أهلها[٤] . فهذا من وضع كتابيٍّ كافرٍ لاشك . فلا والله يخوض هو ونبي الله عيسى كل تلك الملاحم من أجل أن يحكما بالتوراة والإنجيل . بل الثابت الصحيح الصريح أن عيسى (وهو صاحب ملةٍ) لا يحكم إلا بشريعتنا .

- وكذا ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عند قول الله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٥] . قال : « أما خزيهم في الدنيا ، فإنهم إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية قتلهم . فذلك الخزي »[٦] . فإنه لا يثبت . وغاية

---

(١) البستوي (٢ : ١٦٢) .

(٢) البستوي (٢ : ١٦٦) .

(٣) البستوي (٢ : ١٦٩ / ١٨٣) .

(٤) البستوي (٢ : ١٧٩ / ١٨٣ - ١٨٤ / ١٨٦ / ٢١٢ - ٢١٣ / ٣١٤ - ٣١٧) .

(٥) سورة البقرة - جزء من الآية رقم (١١٤) .

(٦) تفسير الطبري (١ : ٥٤٨) . نقله بإسناده إلى السدي . لا يزيد عليه . وهو بهذا الإسناد ضعيف . لا يرفعه إلى أحدٍ بعد السدي . ولم يسنده بروايةٍ عن غيره .

ما يبلغ : أنه نُقل بإسنادٍ ضعيف[1] .

وعلى ما في ابن جرير : بنى بعض الناس دعواه في أن المهدي ذُكِرَ في القرآن تلميحاً[2] .

- أو أن من علامات خروجه الخسف بقريةٍ في غوطة دمشق تُسمَّى « حرستا »[3].

- أو بروز كفٍ من السماء ، أو ينادي منادٍ من السماء إثر قتالٍ وفتنة[4] .

- ومثله ما فيه ذكر : الحارث بن حراث ، على مقدمته رجلٌ يقال له : منصور[5] .

- وكل خبرٍ فيه أن المهديين أكثر من واحد ، أو أن المهدي من ولد العباس ، أو من بني عبد شمس ، أو أن المهدي هو عيسى[6] . فكل هذا ظاهر الوضع والضعف ، متعارضٌ مع ما ثبتت صحته .

- ومثله ما فيه أن رجلاً يقال له : القحطاني هو الذي يخلف المهدي في ملكه ، لِمَا فيه من معارضة ما صح في نزول عيسى ولقائه بالمهدي ، وملكه[7] .

---

(١) البستوي (٢ : ٢١٣) .

(٢) انظر : المهدي بينات وعلامات - للمدعو : محمد عزت محمد عارف (١٣) ط. أولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م / دار الفنون للطباعة - جدة .

(٣) البستوي (٢ : ١٩١) .

(٤) البستوي (٢ : ٣٦٢ - ٣٦٤ / ٣٦٨ - ٣٧٠) .

(٥) البستوي (٢ : ٢١٧ - ٢١٨) .

(٦) البستوي (٢ : ١١ - ١٤ / ٤٦ - ٤٨ / ٩٤ / ١٠٤ / ١٧٣ - ١٧٤ / ١٧٦ / ١٧٨ / ١٨٥ / ٢٠٩ / ٢١٢ / ٢٨٢ - ٢٨٣ / ٣٠٢ - ٣٠٤) .

(٧) البستوي (٢ : ٢٨٩ - ٢٩٣) .

نعم . صح ذكر رجلٍ من قحطان يسوق الناس بعصاه[١] . أو ملكٍ (ظالمٍ) من قحطان (قبل قيام الساعة)[٢] .

وورد بإسنادٍ جيد عند أحمد أن رياسة العرب تعود إلى اليمن - حمير[٣] - كما كانت قديماً .

لكنْ ليس في هذه الأحاديث ذِكْرُ أن القحطاني هذا سيكون خليفة المهدي . وهو مُعَارَضٌ بما صح في نزول عيسى عليه السلام أثناء ملك المهدي . وأن عيسى هو الذي يتولّى الأمر مِنْ حينئذٍ فيملك أربعين سنة .

- ومثله ما فيه ذِكْرُ تواريخ محددة . مثل : في ذي القعدة كذا وكذا . وفي رجب وشعبان وفي رمضان . بسرد عدةٍ أشهرٍ على هذه الشاكلة . ينطوي كل واحدٍ منها أو يختص ببليةٍ معينة . فهذا مما أشار العلماء إلى أنه يُجزم بوضعه[٤] .

---

(١) صحيح البخاري - طبعة دار السلام (١٤٩٣) كتاب الفتن - باب تغيُّر الزمان . وصحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٣٦) كتاب الفتن .

(٢) مسند أحمد (٢٨ : ٦٤ - ٦٥) بإسناد صحيح على شرط البخاري . وانظر : النهاية لابن كثير (١ : ٢٠٥) إلى ما فيه تحت عنوان : إشارة إلى ظهور ظالم من قحطان قبل قيام الساعة .

وقد بحث مسألة القحطاني هذا مستقلةً الدكتور : رضاء الله المباركفوري في تحقيقه لكتاب السنن لأبي عمرو الداني . وخلص إلى أنه لم يردْ فيه شيء يصح عن النبي ﷺ في خلافته للمهدي . وأنه لا يثبت فيه إلا ما رواه البخاري ومسلم من قيامه قبل الساعة وسوقه الناس بعصاه ، كنايةً عن قسوته وعنفه معهم . وهو الذي ذكرناه .

أما ما عدا ذلك فكله مأخوذٌ من بعض الآثار المقطوعة . أو من الإسرائيليات . (طالع تعليق الدكتور رضاء الله المباركفوري في تحقيقه لكتاب السنن لأبي عمرو الداني / ٥ : ١٠١٦ - ١٠١٩) ط. أولى / ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م / دار العاصمة - الرياض .

(٣) مسند أحمد (٢٨ : ٣٤ - ٣٥) .

(٤) انظر : المنار المنيف لابن القيم (٦٣ - ٦٤ / ١١٠ - ١١١) وانظر أمثلةً على ذلك في البستوي (٢ : ٣٠٥ - ٣٠٨ / ٣١٨ - ٣٢٠) .

- وكل حديثٍ أو أثرٍ فيه أن الخلافة لا تخرج من يد بني العباس إلاَّ إلى عيسى[١] . فإنه لا يصح . لثبوت وقوع خلاف ذلك . كأنه إنما وضع تزلفاً لبني العباس ، رجاء أن يمتد ملكهم إلى نزول عيسى وقرب قيام الساعة[٢] .

(١) من أمثلة ذلك في البستوي (٢ : ٢٨٧ - ٢٨٨ / ٣٥٥ - ٣٥٦) .

(٢) وقد زال ملك بني العباس ببغداد بآخر خلفائهم المستعصم المقتول على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ . ثم زالت خلافتهم الإسمية على سلاطين مصر بسقوط دولة المماليك واستيلاء الأتراك بني عثمان على مصر وتسليم آخر الخلفاء العباسيين المتوكل لسلطان بني عثمان مقاليد الخلافة سنة ٩٢٢ هـ . وبها سمَّى بنو عثمان أنفسهم خلفاء وجعلوا إستنبول عاصمة الخلافة وجعلوا دولتهم دولة الخلافة . فكسب بنو العباس بمثل هذه المرويات ثلاثمائة سنة من السلطة الشكلية الروحية على العالم الإسلامي . وتلك هي السياسة .

المطلب الثاني

أقوال الناس في المهدي المنتظر

ويمكننا أن نوجز أشهر مقالات الإسلاميين ، والمنتسبين إلى الإسلام كذلك ، في هذه المسألة في الفقرات التالية :

القول الأول :

قول جمهور أهل السنة والجماعة على أن المهدي حق ، وأنه رجلٌ صالح من آل البيت ، وإمامٌ عادل ، يخرج في آخر الزمان ، فيقيم مملكته ، ويخرج المسيح الدجال في أيامه . فينزل عيسى ابن مريم آنئذٍ ليقتل الدجال ، فيصلي خلف هذا المهدي الهاشمي . كما ثبت ذلك في عددٍ من الأحاديث والآثار الصحيحة . وجاء بيان ذلك وتفصيله فيها . مما سنشير إليه في ختام هذا المبحث عند الكلام على تفصيل أحوال المهدي من خلال المرويات الثابتة .

قال الإمام أبو محمد البربهاري[1] شيخ الحنابلة في زمانه في شرح كتاب السنة في ذكر عقائد أهل السنة : « والإيمان بالمسيح الدجال (أي بخروج المسيح الدجال) . والإيمان بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ينزل فيقتل الدجال ، ويتزوج ويصلي خلف القائم من آل محمدٍ ﷺ »[2] .

---

(١) الحسن بن علي بن خلف الإمام الفقيه . من شيوخ الحنابلة في بغداد في القرن الثالث الهجري . بل هو رأسهم . اشتهر بقوته في الحق وبشدته على السلطان . لوحق فاستتر حتى توفي . له « شرح كتاب السنة » في العقائد . ومن تلاميذه : ابن بطة العكبري . توفي سنة ٣٢٨ هـ . انظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء / ١٥ : ٩٠ - ٩٣) .

(٢) نقل ذلك ابن أبي يعلى في ترجمته في (طبقات الحنابلة / ٢ : ١٨ / ٢٠) طبعة دار المعرفة - بيروت / طبعة وتاريخ : بدون .

وقال الإمام أبو الحسن الآبُري[١] : « قد تواترت الأخبار ، واستفاضت وكثرت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بخروجه ، وأنه من أهل بيته ، وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً ، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام ، فيساعده على قتل الدجال بباب لُدٍّ بأرض فلسطين ، وأنه يَؤُمُّ هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه »[٢] .

وقال ابن كثير رحمه الله : « المهدي الذي يكون في آخر الزمان .. هو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ... نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ أنه يكون في آخر الدهر »[٣] .

قال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري في أحد كتبه في المهدي : رداً على من قال : « إن هذه المرويات من الأحاديث والأخبار ، في شأن ... المهدي لا متعلق لها بالعقيدة ، ... وأن العقيدة الإسلامية قائمةٌ على .. (أركان الإيمان الستة المعروفة) :

« جواب هذا من وجهين : أحدهما أن يقال : كل ما أخبر به رسول الله ﷺ فالإيمان به متعلقٌ بالعقيدة ، لأنه لا يتم الإيمان بالرسول ﷺ إلا بالإيمان بأخباره ، ...

الوجه الثاني أن يقال : إن أهل السنة والجماعة قد تلقوا ما جاء عن النبي ﷺ في ظهور المهدي ، ... بالقبول »[٤] .

---

(١) الإمام الحافظ محمد بن الحسين بن إبراهيم السجستاني . محدث سجستان بعد ابن حبان ، وصاحب كتاب « مناقب الإمام الشافعي » . من تلاميذ الإمام ابن خزيمة . توفي سنة ٣٦٣ هـ . ترجمته في (السير للذهبي / ١٦ : ٢٩٩ - ٣٠١) . وقد نقل عبارته المشهورة هذه بلفظٍ قريبٍ من هذا الذي ذكرناه : ابن القيم في (المنار المنيف / ١٤٢) .

(٢) نقل ذلك السخاوي في كتابه : أشراط الساعة - لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (٥٩ - ٦٠) تحقيق : عصام الحرستاني ومحمد إبراهيم الزغلي / ط. أولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م / دار البيارق - بيروت / ودار عمار - عمان .

(٣) النهاية في الفتن والملاحم - ابن كثير (١ : ٤٩) .

(٤) إقامة البرهان - حمود التويجري (١٦) .

وقد نص على تواتر أحاديث المهدي من العلماء غير الآبري ، وغير مَنْ وافقه ونقل كلامه من الأئمة مثل : القرطبي والمزي وابن القيم وابن حجر العسقلاني والسخاوي والسيوطي وابن حجر الهيثمي والملا علي القاري ومرعي الكرمي والبرزنجي . وغير هؤلاء مثل : السفاريني والشوكاني وصديق حسن خان .

واحتج العلماء من قديم الزمان - ولا يزالون يحتجون - بأحاديث المهدي . وقد نُقل ذلك عن سفيان الثوري والإمام أبي حاتم والخطابي والبيهقي . وغيرهم كثير[١] .

يقول الشيخ حمود بن عبد الله التويجري : إن الأئمة المحققين ، ومنهم عبد الرزاق وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والخطابي وابن حبان والحاكم وأبو جعفر العقيلي والبيهقي والحافظ أبو الحجاج المزي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والذهبي ونور الدين الهيثمي والحافظان زين الدين العراقي وابن حجر العسقلاني ، وابن الأثير والقرطبي وابن كثير ، والسيوطي ، والسخاوي وابن حجر الهيثمي ، ومن المتأخرين الصنعاني والشوكاني والسفاريني وصديق حسن خان وأحمد محمد شاكر وغيرهم . صححوا كثيراً من الأحاديث الواردة في المهدي ، وكلهم محققون مجتهدون . وذكر غير واحدٍ منهم أنها متواترة[٢] .

---

(١) جمع هذه النماذج ونقل شواهدها البستوي في كتابه (١ : ٤٠ - ٥٩) فانظره .

(٢) كرر ذلك وفرقه في عدة صفحات من كتابه : الاحتجاج بالأثر (٢٧ / ٢٩ / ٤٢ - ٤٤ / ٧٣ / ١٠٩ / ٣٧٢) منقولٌ بتصرف .

القول الثاني : أن المهدي هو عيسى .

قال بعض المنتسبين إلى أهل السنة أن المهدي هو عيسى ابن مريم نفسه ، اعتماداً على حديثٍ ضعيفٍ في ابن ماجه . وبضعة آثارٍ هي الأخرى ضعيفة كذلك . وليس لهؤلاء معتمدٌ غير ذلك .

أما الحديث فقد أخرجه ابن ماجة في سننه . وهو عن أنسٍ أن رسول الله ﷺ . قال : « لا يزداد الأمر إلا شدة . ولا الدنيا إلا إدباراً . ولا الناس إلا شحاً . ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس . وَلاَ المهديُّ إلا عيسى بنُ مريم »[1] .

وقد ضعَّف هذا الحديث الكثير من الأئمة . وكاد العلماء أن يتفقوا على نكارة هذا الحديث .

صرح بكونه حديثاً منكراً الإمام النسائي . قال : هذا حديثٌ منكر . نقل ذلك عنه ابن الجوزي[2] .

وردَّه الحاكم النيسابوري على تساهله وقال : ذكرته تعجباً لا محتجاً[3] .

وردَّه البيهقي ، على ما نقله ابن الجوزي في العلل . وأورده ابن الجوزي في الأحاديث الواهية[4] .

وضعفه القرطبي في التذكرة . ثم قال : « والأحاديث عن النبي ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتةٌ ، أصح من هذا الحديث ، فالحكم لها دونه »[5] .

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢ : ٣٧٥) وعلة إيراد الألباني لهذا الحديث في صحيح السنن أن فيه جملةً صحيحة هي جملة « ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » . وإلا فالألباني نفسه قال عنه : أي عن بقية الحديث ، ومنه جملة « ولا المهدي إلا عيسى » إنه : ضعيف جداً .

(٢) انظر : العلل المتناهية في الأحاديث الواهية - لابن الجوزي (٢ : ٣٨٠) .

(٣) المستدرك للحاكم (٤ : ٤٤٢) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت .

(٤) انظر : العلل (٢ : ٣٧٩ - ٣٨٠) .

(٥) التذكرة للقرطبي (٦٣٨) .

وضعفه كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية . قال : « الحديث الذي فيه « لا مهدي إلا عيسى بن مريم » رواه ابن ماجة ، وهو حديث ضعيف ... لا تقوم بإسناده حجة ... وليس مما يُعتمد عليه » وغلَّط مَنِ احتج به[١] .

والذهبي قال في الميزان : إنه خبر منكر[٢] .

وابن القيم رحمه الله ضعَّفه وقال : إنه منقطع ، قال : « والأحاديث على خروج المهدي أصح إسناداً » . وقال عنه أيضاً : « أنه لا يصح »[٣] .

وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة[٤] .

والألباني في المتأخرين قال : إنه منكر ، وقال عنه كذلك : إنه ضعيفٌ جداً[٥] .

ونتيجة البحث في تخريج هذا الحديث هي : أنه ضعيف الإسناد ، منكر المتن[٦] .

وأما الآثار ، فقد نُقل في ذلك أربعة آثار ، ثلاثة منها عن الحسن البصري ، وواحدٌ عن مجاهد ، كلها ضعيفة لا يُحتج بها . ولو ثبتت فإنها لا تصمد للأحاديث الصحاح . أما الحسن فقال : « المهدي عيسى ابن مريم » ، وقال مجاهد : « المهدي عيسى ابن مريم »[٧] . فصرحا بذلك غاية التصريح ، على ما في تلك الآثار . لكنْ كلُّ أسانيد هذه الآثار إليهما ضعيفة ، فلا يُجزم بنسبة تلك المقالة إليهما .

---

(١) منهاج السنة (٤ : ١٠١ - ١٠٢) (٨ : ٢٥٦) تحقيق د. محمد رشاد سالم / طبعة جامعة الإمام / أولى / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(٢) نقلاً عن : البستوي (٢ : ١٠٣) .

(٣) المنار المنيف (١٤١ - ١٤٣) و (١٤٨) .

(٤) نقلاً عن : البستوي (٢ : ١٠٣) .

(٥) صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢ : ٣٧٥) وانظر كذلك : البستوي (٢ : ١٠٤) .

(٦) البستوي (٢ : ١٠٤) . وقد جمع مقالات العلماء في هذا الحديث وتضعيفهم له : البستوي في كتابه هذا عند تخريجه لهذا الحديث (٢ : ٩٧ / ١٠٢ - ١٠٣) .

(٧) بواسطة البستوي (٢ : ١٧٤ - ١٧٦ / ١٧٨) .

تنبيه : في كلام ابن كثير رحمه الله في تاريخه ما يُوهم أنه من أصحاب هذا الرأي ، القائلين بأن المهدي هو عيسى . على غير المشهور المعروف عنه ، الذي قرره في كتابه الأساس في هذه المسألة « النهاية في الفتن والملاحم » من أن المهدي غير عيسى .

يقول في تاريخه : « سنورد ذلك مستقصىً في كتاب الفتن والملاحم عند أخبار المسيح الدجال ، فنذكر ما ورد في نزول **المسيح المهدي عليه السلام** من ذي الجلال، لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي إلى الضلال »[١] .

وتوجيه ذلك أن يقال : إنه قال ذلك : بمعنى أن عيسى مهديٌّ من جملة المهديين[٢] ، لا أنه المهدي الموعود ، المعيَّن في الأحاديث الثابتة . وابن كثير محدِّثٌ إمامٌ حافظ ، لا يفوته مثل هذا .

وهذا هو الذي قرره وذكره بكل جلاء في كتابه المقرِّر لهذه القضايا : النهاية في الفتن والملاحم[٣] .

وربما كانت تلك العبارة (المهدي) من زيادة النساخ . ونحو هذا .

---

(١) البداية والنهاية (٢ : ٩٢) .

(٢) وهو معنىً قرره ابن القيم . وفسر به ما يرد عند بعض الأئمة في تسمية عيسى بالمهدي . أو في تأويل الحديث « لا مهدي إلا عيسى » إن صح . انظر : المنار المنيف (١٤٨ - ١٥٠) .

(٣) انظر : النهاية في الفتن والملاحم (١ : ٤٩) وما بعده .

القول الثالث : أنْ لا مهدي يُنتظر .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « هذه الأحاديث (يعني أحاديث المهدي) غَلِطَ فيها طوائف : طائفةٌ أنكروها »[١] .

وهي مقالة طائفةٍ من أفراد بعض المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة ، الداخلين فيهم في العموم ، إلا في هذه المسألة فقد خرجوا عن قول جمهورهم . أذهلهم كثرة ما حدث من الفتن والمصائب والدعاوى والأكاذيب بسبب محاولة كثيرين ابتزاز جمهور المسلمين في اعتقادهم بهذه المسألة ، بنصب شراك الدعاوى والمزلاّت لهم في هذا الباب .

فحين رأوا كثرة سلبيات هذه الفكرة - المهدوية - أنكروها بالمرَّة ، وظنوا أنهم أغلقوا بذلك باب فتنةٍ ، مع أنهم منْ حيث يشعرون أو لا يشعرون أوقعوا أنفسهم في مأزقٍ أطمَّ وأعظم ، ألا وهو رد شيءٍ من حديث رسول الله ﷺ والتكذيب به ، والذنب في ذلك أعظم ، والجرم أشد ، فهو ردٌّ لقول رسول الله ﷺ ، ثم هو كذلك ردٌّ لقول الله تعالى ، لأن الله أمرنا أن نأخذ بقول رسول الله . قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[٢] ففي رد ذلك ردٌّ لهذا الأمر الإلهي ، وإعراضٌ عنه . غير أن لأصحاب هذا المذهب في ردِّ ذلك تأويلات وتمحكات .

قالوا :

إن الأحاديث في أمره لا تثبت . فهم على زعمهم لا يردون قول رسول الله ، بل ينفون عن سنته الكذب . غير أن مثل هذا القول يظلُّ دعوىً لا تثبت إلا بحضور دليلها .

---

(١) منهاج السنة النبوية (٨ : ٢٥٦) .

(٢) سورة الحشر - جزء من الآية رقم (٧) .

وكما وقع ذلك بين طائفةٍ من العلماء المتقدمين . فقد استشرى هذا القول بين طائفةٍ من العصريين . وحين جوبهوا بأن الأحاديث قد صحت في المهدي ، وبكلام الأئمة في التأكيد على ذلك والتنبيه إليه . كقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « الأحاديث التي يُحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة »[1] .

رجعوا في ذلك ، لا إلى أقوال المحققين من أئمة الحديث والسنة ، وإنما أخذوا بكلماتٍ متفرقاتٍ ، من هنا وهناك ، من كلام غير أهل الاختصاص . ككلمة ابن خلدون في « المقدمة » .

والعجيب أن ابن خلدون فتَّش تلك الأحاديث ودقَّقها ، فوجد فيها مجموعةً صحيحة . لكنه مع ذلك عمد بعدئذٍ إلى التهوين من شأنها والتشكيك في أمرها ، وردَّ الجميع ما صح منها وما لم يصح . قال بعد أن سرد جملةً من تلك الأحاديث : « فهذه جملة الأحاديث التي خرَّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان ، وهي كما رأيت لم يَخْلُص منها من النقد إلا القليل والأقل منه » .

ثم رد حتى هذا الأقل - كما زعم - بحديثٍ واحدٍ ضعيف اعترف هو بضعفه قبل غيره . قال : « ربما تمسَّك المنكرون لشأنه » (أي المهدي) .... بحديث « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » . ثم قال في آخر ذلك بعد أن ساق الكلام في الحديث « فالحديث ضعيف مضطرب »[2] . وقد أشرنا إلى تضعيف الأئمة لهذا الحديث في ما مضى ، وفي أول الرسالة .

وحديثٌ واحدٌ من تلك الصحاح التي ردها يكفي وحده للرد على هذا الحديث الضعيف جداً ، الذي ساقه واستمسك به .

---

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨ : ٢٥٤) .

(٢) مقدمة ابن خلدون (٣٢٢) . الفصل الثاني والخمسون .

وقد أفرد في الرد على ابن خلدون بتأليفٍ مستقل : أحمد بن محمد الغماري ، في كتابٍ له سماه : إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون (أشار إليه التويجري في : الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر / ١٤٢) .

فجاء هؤلاء المتأخرون من المنكرين فأخذوا بعبارته واعتمدوها ، وتركوا اعترافه بثبوت جملةٍ من تلك الأحاديث .

١ - والذي يظهر لي أن هذا التيار من المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة في العموم ، المنكرين لأمر المهدي ، قد تأثروا في توجههم هذا بالتيار العقلاني الذي كان يرفض الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد ، فهم يعدونها على أحسن الأحوال أخبار آحاد لا يستفاد منها عقائد . أما ما يُحكى من تواتر بعضها فإنهم لا يأخذونه مأخذ الجد ، بل يرونه كالتعصب من المؤمنين بهذه الفكرة لها . وقد حاول بعض الباحثين تتبُّع شبهات المنكرين . وتتبع أسباب إنكارهم فوجد غير هذا الذي ذكرناه سببين هما :

٢ - الاستغلال السياسي البشع لهذه الفكرة .

٣ - تصوير المهدي بصورة خيالية يأباها العقل ، خلقها الوضاعون من بنات أفكارهم ، ولم يستطع هؤلاء التمييز بين صحيح الحديث وسقيمه ، فردوا كل ما ورد جملةً وتفصيلاً[١] .

ومن أشهر هؤلاء المنكرين لأمر المهدي في العصور المتأخرة : السيد محمد رشيد رضا ، في تفسيره وفتاويه . وأحمد أمين في بعض كتبه ، وعلى الأخص كتابه « ضحى الإسلام » . وقد رددا شبهات بعض المستشرقين في هذا الشأن مثل المستشرق : دونالدسن (؟)[٢] .

أما رشيد رضا فقد تأثر في هذا المقام بفكر المدرسة الفلسفية الأوروبية المادية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وأخذ ذلك عن أعز شيوخه إليه : الإمام محمد عبده . وهو عن جمال الدين الأفغاني . وقد أشار إلى ذلك تلميذ السيد رضا :

---

(١) انظر : البستوي (١ : ٣٥٩ - ٣٦١) .

(٢) انظر : الاحتجاج بالأثر للتويجري (٥٩ / ٧٨ / ١٧٤ / ٢٩١) .

الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة المجاور بمكة وإمام المسجد الحرام بعدئذٍ . يقول عن ذلك : هو « أستاذي .. وأترحم عليه .. ولكن ذلك لا يمنعني أن أخالفه إلى ما يظهر لي من الحق »[١] .

ثم جاء محمد فريد وجدي في دائرة معارفه فكرر هذه المزاعم في مادة « المهدي »[٢] . وكرر مقالات هؤلاء باحثٌ متأخر في كتاب له سماه : المهدية في الإسلام ، هو الدكتور : سعد محمد حسن . والأستاذ : عبد الكريم الخطيب في بعض مقالاته ، وعليه رد الشيخ حمود التويجري بكتابه : إقامة البرهان .

وذهب أبو الأعلى المودودي المصلح الباكستاني المعروف، إلى مثل ما ذهبوا إليه ، في رسالةٍ له سمَّاها « البيانات عن المهدي » . وزعم أن معيار ذلك أن المرويات في المهدي لم تثبت أمام مقياس البخاري . ولا رواها مسلم[٣] . وهي عين شبهة سابقيه . وردد مقالات هؤلاء الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية بقطر ، وألف في ذلك كتابه الشهير « لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر » . وعليه رد الشيخ حمود بكتابه القيِّم « الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر » .

أما شبهات المنكرين فنشير إليها فيما يلي ، وسنورد - بحول الله تعالى - كل شبهةٍ بجوابها دفعاً لها .

قالوا :

١ - أحاديث المهدي لم يُخرجها البخاري ومسلم[٤] .

---

(١) نقلاً عن : الاحتجاج بالأثر (٢٨٨ - ٢٩٠) .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي (١٠ : ٤٧٥ - ٤٨١) . وانظر تعليق الشيخ حمود التويجري على ما قاله فريد وجدي (الاحتجاج / ١٤٤ - ١٤٨) .

(٣) انظر : الاحتجاج بالأثر للتويجري (٩٣) .

(٤) انظر : الاحتجاج للتويجري (٥٩ - ٦١) . والبستوي (١ : ٣٦٢ - ٣٦٣) .

والجواب عن ذلك أن يُقال : إن البخاري ومسلم ما زعما أنهما استوعبا السنة في كتابيهما . قال البخاري : « تركت من الصحاح لملال (لحال) الطول » . وقال مسلم : « ليس كل شيء عندي صحيحٌ وضعته هاهنا »[١] . ومن المجزوم به وجود أحاديث صحيحة في غير كتابيهما .

قال ابن كثير رحمه الله : « إن البخاري ومسلماً لم يلتزما بإخراج جميع ما يُحكم بصحته من الأحاديث ، فإنهما قد صححا أحاديث ليست في كتابيهما »[٢] .

ثم إن هذا لا يصح على إطلاقه . فقد أخرج البخاري ومسلم في شأن المهدي أحاديث ، لكنها من غير الصريحة في أمره .

وممن ردد هذه الشبهة رشيد رضا في تفسيره[٣] .

٢ – قالوا : ثمة أحاديث تنكره ، ولم يجدوا مستنداً على هذا في غير ذلك الحديث الضعيف جداً ، الذي تمسك به كل صاحب شبهة . وهو « لا مهدي إلا عيسى » . وقد ذكرنا فيما سبق تضعيف الأئمة له .

٣ – قالوا : كل أحاديثه ضعيفة . وهي شبهةٌ أضعفُ مِنْ أنْ يُتكلَّم عنها[٤] . فقد صحح الأئمة فيه جملةً من الأحاديث والآثار الصريحة وغير الصريحة ، ذكرنا تعدادها فيما سبق . وسنفصل أحوال المهدي لاحقاً بناءً على ما فيها .

---

(١) نقل ذلك ابن الصلاح في مقدمته – انظر : مقدمة ابن الصلاح (٢٦) مع شرحها : التقييد والإيضاح للحافظ العراقي / تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان / ط. ثانية / ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م / مكتبة ابن تيمية – القاهرة .

(٢) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث – للحافظ ابن كثير (٨) طبعة دار الفكر – طبعة وتاريخ : بدون .

(٣) تفسير المنار (٩ : ٤٩٩) .

(٤) انظر : البستوي (١ : ٣٦٣ – ٣٦٤ / ٣٦٦) .

ومعتمد مرددي هذه الشبهة على ما قرره غير العالمين بالسنة مثل ابن خلدون ونحوه . وابن خلدون لم يستوفها جمعاً كذلك، وإنما أورد جملةً منها . فحكم على الكل بالبعض[١].

وممن ردد هذه الشبهة من المتأخرين محمد فريد وجدي في دائرة معارفه ، وزعم أن أكثر أئمة المسلمين قد ضعفوها ، واعتبروها مما لا يجوز النظر فيه ، على حد قوله[٢] .

٤ – قالوا : كل رواياته من وضع الشيعة . وهذه فريةٌ باطلة . فقد ثبت بعد التتبع لتلك الأحاديث أن أكثرها لا يوجد في رواتها مَنْ رُمِيَ بالتشيع[٣] .

٥ – وزعم آخرون أنها من وضع كعب الأحبار ووهب بن منبه . وممن ردد هذه الشبهة رشيد رضا في تفسيره[٤] . والذي ثبت أن ما صح في أمره من الأحاديث والآثار ، ليس فيها رواية واحدة من طريق كعب الأحبار . ولا ورد من طريق وهب ابن منبه إلا حديثٌ واحدٌ منها[٥] . فليتركوه وليأخذوا ببقيتها .

٦ – قال بعضهم : فكرة المهدي تخالف العقل السليم . وهذا مردود . فعقل مَنْ هذا الذي يحدد ما سلم مما لم يسلم ؟ وعقل مَنْ هذا الذي يكون عليه المعوَّل في القبول والرد ، والتمييز بين السليم وغير السليم ؟

هذه دعوىً لا تكاد تستقيم على قاعدةٍ سليمة ، ولا يُسلِّم بها أحد .

بل كلٌّ سيدعي أن عقله هو المقياس . فما قبله أخذه . وما رده رفضه .

ثم كيف تُعارَض الأحاديث الصحيحة بالعقل ؟[٦].

---

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون (٣١١ – ٣٢٢) .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين (١٠ : ٤٨١) .

(٣) انظر : البستوي (١ : ٣٦٧ / ٣٧٥) .

(٤) انظر : تفسير المنار (٩ : ٥٠٣ – ٥٠٤ / ٥٠٧) .

(٥) البستوي (١ : ٣٧٧ – ٣٧٨) .

(٦) انظر : البستوي (١ : ٣٧٨) .

٧ - زعم بعضهم أن روايات المهدي متعارضة . ومن أشهر مَنْ ردد ذلك رشيد رضا . قال : « التعارض في أحاديث المهدي .. أقوى وأظهر ، والجمع بين الروايات فيه أعسر ، والمنكرون لها أكثر »[1]. وهذا قول من لم يُطالع هذه الروايات و لم ينظر فيها . وإنما تَرِدُ شبهة التعارض بين ما صح منها وما لم يصح أو كان ضعفه شديداً . وليست القاعدة في تناول النصوص الشرعية هي رمي كل ما تعارض منها وإهماله بالمرَّة . وإلاَّ لَمَا اشتغل العلماء بالجمع بين الأحاديث المتعارضة وتوجيه الآيات المشكلة . ولكانوا يرمون بكل دليلين تعارضا . ولو فعلوا ذلك لكانوا أئمة الجهل لا أئمة العلم . فهذا هو لب عملهم في العلم ، وآية تقدُّم الواحد منهم وتميزه على أقرانه .

٨ - قالوا : نظرية المهدي أنتجت الفتن والقلاقل . قال رشيد رضا : كان (يعني هذا المعتقد) « أكبر مثارات الفساد والفتن ... إذ تصدى كثيرٌ من محبي الملك والسلطان، ومن أدعياء الولاية وأولياء الشيطان ، لدعوى المهدوية » . وقال أيضاً : « كانت (أي فكرة المهدوية) مثار فتنٍ عظيمة .... »[2] .

فكان ينبغي على مثل هذا القائل أن يُبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن ينكر مشروعية الجهاد ، والرد على أرباب الفرق الضالة ، والجهر بالحق ، وأن يمتنع عن الأخذ بفكرة الخلافة في مسألة الإمامة ، كل ذلك من أجل ما جرى من فتنٍ وقلاقل في بعض الدول والعصور بسبب الاختلاف على شيءٍ من ذلك .

بل كان ينبغي عليه ألا يذكر معشر يهود والنصارى إلا بخير ، خشية الفتنة وإثارة القلاقل . وهذا هو المنهج الانهزامي الذي لا يقف تخاذله عند حدٍ معين . الذي أرسى قواعده هذا وأمثاله ، فيما ألَّفوه ، مسايرةً لواقع العصر ، وأحوال الناس ، وإن كانت فاسدة .

---

(١) تفسير المنار (٩ : ٤٩٩) .

(٢) تفسير المنار (٦ : ٥٧) و (٩ : ٤٩٩) .

٩ - قالوا : فكرة المهدي حملت الناس على التواكل ، وترك العمل على تحسين الأوضاع ، وبث الخير ، وتحقيق العدل ، ترقباً لظهوره ، وقيامه بذلك . وممن ردد هذه الشبهة رشيد رضا في تفسيره . قال : « من ضررها ... انتظار المسلمين لها ، ويأسهم من إعادة عدل الإسلام ومجده بدونها »[١] .

١٠ - وزعم بعضهم أن خرافات المتصوفة صدرت عن فكرة المهدي .

والمطلع المتتبع لأحوال المتصوفة يعلم أن هذا غير صحيح . ويعلم أن للقوم منهجاً في مصادر التلقي أكبر من أن يُحصر بهذه المسألة . وما التفتوا إلى هذه المسألة إلا بعد مرور زمنٍ على بزوغهم . فأما في أول أمرهم فإنهم لم يلتفتوا إليها ، ولا ذكروها في مقالاتهم[٢] .

ويُقال لهؤلاء المنكرين : لا حاجة بكم إلى إنكار ما ثبت وصح في المهدي لأجل ما ذكرتم . فمتى بزغ مدعٍ يزعم أنه المهدي ، فَأَلْزِمُوه بإخراج الدجال وإنزال عيسى ابن مريم[٣] ، كما ثبت في الصحاح من تزامن الثلاثة وتوافقهم ، حتى ينقطع . وأنّى له أن يفعل . فإن صفة عيسى ثابتةٌ في الصحاح ، ولن تخفى على الناس أحواله . وكذا

---

(١) تفسير المنار (٦ : ٥٧) وأشار إليها كذلك في (٩ : ٤٩٩) .
وطالع تفصيل الشيخ الألباني في إيراد هذه الشبهة ، والنقض على قائليها في كتابه = قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه .... - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٣٦ - ٣٧) / ط. أولى / ١٤٢١ هـ / المكتبة الإسلامية - عمّان - الأردن . قال (بتصرف) : هذا هو الذي حدا بعض المتأخرين إلى نبذ هذه العقيدة . أخطأوا مرتين : سايروا العامة في هذا الوهم (التواكل اعتماداً على أن المهدي هو الذي يصلح الأمور) ثم أخطأوا في الحزم (بنفي ورود هذه النصوص الصحيحة الصريحة) في كلام طويل جميل .

(٢) أشار إلى هذه الشبهة : البستوي في كتابه (١ : ٣٨٢) . ولربما كان من أوائل من التفت إلى هذه القضية من شيوخ المتصوفة الحكيم الترمذي ، ثم وسَّع الكلام فيها وبنى على ما رتبه : ابن عربي الحاتمي بعدئذٍ . والربط عندهم هنا بين المهدوية وبين خاتم الأولياء ، هو مرتكز حديثهم وكلامهم فيها .

(٣) أشار إلى قريبٍ من هذا التويجري في : إقامة البرهان (٢٤) .

الدجال ، جاءت صفته ثابتةً في الصحاح ، كما ثبت ما يقع على يديه من الخوارق .

فليأتِ بهما أولاً ، قبل أن يُنظر في أمره .

وممن اشتغل بالرد على هذه الطائفة وتوسع في ذلك ، وجمع المصنفات في ذلك ، من مشايخ عصرنا : الشيخ حمود بن عبد الله التويجري . وله في هذا المقام على الأخص ، مجلدٌ في أكثر من أربعمائة صفحة، ردَّ فيه على كل هؤلاء المجازفين ، سماه : « الاحتجاج بالأثر على مَنْ أنكر المهدي المنتظر » (طبع) .

وله كذلك رسالة لطيفة سمّاها : « إقامة البرهان في الرد على مَنْ أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان » وهي مطبوعة كذلك .

وقد استشرى القول بهذه البدعة[1] بعد ظهور المدعي القحطاني بمكة في عصرنا الحاضر عام ١٤٠٠ هـ . فنهض لهم الشيخ حمود بالأجوبة والردود ، فقطع وأفحم ، وجمع ما افترق من كلام الأئمة في هذا الباب . فكفى مَنْ بعده المؤونة .

---

(١) وممن لهج بذلك من أشياخ العصر المتأخرين ، واجتهد الشيخ حمود في الرد عليه ، وألف ما ألف لأجل ذلك : الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية بدولة قطر حتى وفاته قبل بضع سنوات ، وقد ألف ابن محمود رسالةً سماها: لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر » وعليه رد الشيخ حمود بكتابه : الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر .

القول الرابع : مهدي الشيعة الإمامية الاثني عشرية .

زعم الشيعة أن لهم مهدياً منتظراً معروفاً غائباً مختفياً في سردابٍ بسامراء بالعراق ، وسيخرج بعدُ خروجَه الأكبر ، فهو منتظرهم . ويزعمون أنه محمد بن الحسن العسكري الهاشمي ، المختفي في سرداب سامراء ، من ذرية علي الرضا بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قالوا : دخل السرداب في سامراء (بعد ٢٦٠ هـ) وهو صغير ، له من العمر بضع سنوات[١] .

والذي ثبت تاريخياً أن الحسن العسكري (الذي يزعمون أنه والد محمد المهدي المزعوم) لم يكن له نسل ولا عقب . وقد ذكر الطبري في تاريخه خبراً يفيد تأكد الدولة العباسية آنذاك من عدم وجود عقبٍ للحسن بعد أن ادعى مدعٍ أنه ولده . وأن الهاشميين ببغداد آنذاك احتجوا على دعوى هذا المدعي ، وطالبوا بمعاقبته أشد العقوبة[٢] .

ويحتج الشيعة بثبوت ما يقولونه فيه بمرويات أهل السنة الثابتة في أمر المهدي[٣] . والذي ثبت في المرويات يهدم كل ما قرروه . فهم يزعمون أنه محمد بن الحسن ، والنبي ﷺ قد ذكر أن اسمه كاسمه (أي اسم المهدي كاسم النبي = محمد) واسم أبيه كاسم أبيه ، أي أن اسمه : محمد بن عبد الله ، ومهديهم هذا اسمه محمد بن الحسن .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رد ذلك عليهم : « لفظ الحديث حجةٌ عليكم لا لكم ، ... فالمهدي الذي أخبر به النبي ﷺ اسمه محمد بن عبد الله لا محمد بن الحسن »[٤] . وقد انتحلوا في التوفيق بين هذا وهذا تأويلات وأجوبة متهافتة .

---

(١) انظر : منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤ : ٨٧ - ٨٨) (٨ : ٢٦١) . وتفسير المنار (٩ : ٥٠١) .

(٢) تاريخ الطبري (١١ : ٤٩ - ٥٠) .

(٣) طالع : منهاج السنة (٤ : ٩٤ - ٩٥) .

(٤) منهاج السنة (٤ : ٩٥) .

فحذف بعضهم اسم الأب من الحديث ، وهذا تلاعبٌ بالنصوص ، وردٌّ لبعض ما فيها .

وقال بعضهم : جده الحسين كنيته أبو عبد الله (يقصدون الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما جده الأبعد) فمعناه - على ما زعموا - محمد بن أبي عبد الله . فجعلوا الكنية اسماً . وهذا تأويلٌ بعيد جداً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في نقض ذلك عليهم : « من له أدنى نظرٍ ، يعرف أن هذا تحريف صريح ، وكذبٌ على رسول الله ﷺ ، فهل يفهم أحدٌ من قوله : « يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي » إلاّ أن اسم أبيه عبد الله ؟ وهل يدل هذا اللفظ على أن جدّه كنيته أبو عبد الله ؟ ثم أي تمييزٍ يحصل له بهذا ؟ فكم من ولد الحسين مَنِ اسمه محمد ، وكل هؤلاء يُقال في أجدادهم : محمد بن أبي عبد الله ، كما قيل في هذا . وكيف يعدل مَنْ يريد البيان إلى من اسمه محمد بن الحسن ، فيقول : اسمه محمد بن عبد الله ، ويعني بذلك أن جده أبو عبد الله »[1].

وزعم بعضهم أن الصواب في الرواية « اسم أبيه اسم ابني » يعني الحسن . واختلق بعضهم أحاديث في أن اسمه محمد بن الحسن[2] .

قال ابن القيم رحمه الله : « الرافضة الإمامية .. لهم قولٌ ... هو أن المهدي .. محمد بن الحسن العسكري المنتظر ، من ولد الحسين بن علي ، لا من ولد الحسن ، الحاضر في الأمصار ، الغائب عن الأبصار ، ... دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمس مئة سنة ، فلم تره بعد ذلك عين ، ولم يُحسَّ فيه بخبر ولا أثر . وهم ينتظرونه كل يوم ! يقفون بالخيل على باب السرداب ، ويصيحون به أن يخرج إليه : أُخرج يا مولانا ، أُخرُج يا مولانا . ثم يرجعون بالخيبة والحرمان . فهذا دأبهم

---

(١) منهاج السنة (٨ : ٢٥٧) .

(٢) انظر : الإشاعة لأشراط الساعة - لمحمد بن رسول البرزنجي الحسيني (١٩٢) بتعليق : محمد زكريا الكاندهلوي / ط. ثانية / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م / دار المنهاج - جدة .

وانظر كذلك : البستوي (١ : ٨٢) .

ودأبه . ولقد أحسن مَنْ قال :

ما آن للسرداب أن يلد الذي	كلَّمتموه بجهلكم ، ما آنا ؟
فعلى عقولكمُ العَفَاء فإنكم	ثلَّثتم العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم ، وضُحْكَةً يسخر منهم كل عاقل »[(١)] .

ويزعمون أنه سيخرج في يوم عاشوراء (العاشر من محرم) في الحرم المكي الشريف ، ثم يسير من مكة حتى يأتي الكوفة والنجف ، ويملك سبع سنين كسبعين سنة ، ويحيي الله له أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فيصلبهما على شجرة ، ويُخرج مصحف فاطمة .

ولهم دعاء مشهور يذكرونه إذا رددوا اسم المهدي ، يقولون : عجل الله فرجه ، أو عجل الله خلاصه ، ويرمزون له في الكتابة بـ(ع . ج) أو (عج)[(٢)] .

هذا عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية .

أما بقية طوائفهم الغلاة منهم وغير الغلاة ، فلهم مقالات أخرى .

١ - فالسبئية منهم أتباع ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي ، زعموا أن المهدي المنتظر ، إنما هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(٣)] .

---

(١) المنار المنيف (١٥٢ - ١٥٣) .

(٢) انظر : تفسير المنار (٩ : ٥٠١) . وانظر تعليقات : محب الدين الخطيب على مختصر محمود شكري الآلوسي للتحفة الاثني عشرية لشاه ولي الله الدهلوي - تعريب : غلام محمد محيي الدين الأسلمي (١١٨) طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث بالرياض / ١٤٠٤ هـ / طبعة : بدون .

وانظر كذلك : المهدي المنتظر للبستوي (١ : ٧٨ - ٨٠) .

(٣) الفرق بين الفرق (٢٣٣ - ٢٣٥) .

٢ - والكيسانية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وكان يدعو إلى مهدية محمد ابن الحنفية (محمد بن علي بن أبي طالب) . وحين مات زعم بعضهم أنه لم يمت ، وأنه حيٌّ مقيمٌ بجبل رَضْوَى[١] . عنده عسلٌ وماء (عينان نضاختان تجريان بماءٍ وعسل)[٢] . وأنه سيعود بعد الغيبة ، فهم ينتظرونه[٣] .

وبعضهم نقلها بعد موت ابن الحنفية إلى : عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولَمَّا مات قالوا : إنه حي بجبال أصفهان لم يمت ، ولا يموت حتى يلي أمور الناس ، وهو المهدي الذي بشّر به النبي ﷺ[٤] .

٣ - والجارودية من الزيدية ، اعتقد بعضهم أن النفس الزكية : محمد بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، الذي تلقَّب بالمهدي ، وخرج على المنصور العباسي فقتل سنة ١٤٥ هـ . هو المهدي المنتظر الذي يخرج فيملك الأرض. وزعم بعضهم في اثنين من الثائرين الهاشميين أيام العباسيين بعدئذٍ مثل ذلك[٥] .

---

(١) جبلٌ من أكبر وأشهر جبال الحجاز . يقع إلى الشرق من مدينة ينبع .

(٢) ومن أصحاب هذا المعتقد : الشاعر الأموي المشهور كُثيِّر عزة ، والشاعر العباسي السيد الحميري ، يقول كُثيِّر عزة في أبياتٍ له :

ألا إن الأئمة من قريشٍ ... ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبطٌ سبط إيمانٍ وبرٍ ... وسبطٌ غيَّبته كربلاء

وسبطٌ لا يذوق الموت حتى ... يقودَ الخيل يقدمه اللواء

تغيَّب لا يُرى فيهم زماناً ... برضوى عنده عسلٌ وماء

(الفرق بين الفرق / ٤١ / ٤٣) و (الملل والنحل للشهرستاني / ١٥٠) .

(٣) الفرق بين الفرق (٢٣ / ٣٩) ، والملل والنحل (١٤٧ - ١٥٠) ، والبداية والنهاية (٩ : ٣٨) .

(٤) مقالات الإسلاميين - لأبي الحسن الأشعري (١ : ٩٧) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / مكتبة النهضة المصرية - القاهرة / ط، ثانية / ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

(٥) مقالات الإسلاميين (١ : ١٤١ - ١٤٢) والفرق بين الفرق (٣١ - ٣٢) . وانظر قصة النفس الزكية وادعائه المهدوية ومقتله بعد ذلك في البداية والنهاية (١٠ : ٨٠ - ٩٠) .

وقال بمقالتهم فيه طوائف أخرى من الرافضة : كالمغيرية ، من الغلاة ، والمحمدية ، إلا أنهم زادوا على أولئك فزعموا أنه حي مقيم بنجد ، لم يُقتل . إلى أن يُؤمر بالخروج فيخرج[١] .

٤ - والباقرية من الرافضة ، قالوا بأن الباقر : محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، هو المهدي المنتظر .

٥ - والناووسية منهم ، جعلوا ابنه جعفر الصادق : المهدي المنتظر .

٦ - والموسوية (من فرق الإسماعيلية) قالوا : إن موسى بن جعفر الصادق ، هو المهدي المنتظر ، وأنه حي لم يمت[٢] .

٧ - وقال بعض طوائف الاثني عشرية : إن الحسن العسكري هو القائم المنتظر . وأنه لم يمت[٣] .

٨ - والقرامطة ، قالوا : إن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق هو المهدي ، وأنه حي لم يمت ، ولا يموت حتى يملك الأرض[٤] .

٩ - والشميطية من الرافضة ، قالوا : إن المنتظر من ولد محمد بن جعفر الصادق[٥] .

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ : ٩٨) والفرق بين الفرق (٥٦ - ٥٩) .

(٢) الفرق بين الفرق (٥٩ - ٦٣) والملل والنحل (١٦٦) .

(٣) الملل والنحل (١٧٠) .

(٤) مقالات الإسلاميين (١ : ١٠٠ - ١٠١) .

(٥) الفرق بين الفرق (٦١ - ٦٢) .

القول الخامس : أن المهدي هو المهدي العباسي :

والمراد به محمد الملقَّب بالمهدي ابن عبد الله المنصور العباسي ، ابن محمد بن علي ، ابن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، حبر الأمة .

ومحمد المهدي هذا هو ثالث الخلفاء العباسيين . ولم يدَّعِ المهدوية لنفسه ، وإنما سماه أبوه المنصور محمداً ولقَّبه بالمهدي[١] ، رجاء أن يكون هو ، وقطعاً لمطامع الطالبيين في هذا الشأن ، لاسيما بعد ثورة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن حسن الهاشمي بالمدينة على المنصور ، وتلقيبه نفسه بالمهدي طمعاً أن يكون هو ، كما يقول ابن كثير رحمه الله[٢] .

فجاء المنصور ، فنقض عليه ما برمه بعدما قتله ، وفتل في خيوط دعوىً أخرى ساقها لابنه محمد ليسكن الناس إلى ذلك ، ولتنطفيء دعوى الطالبيين في ذلك .

وجاء بعض الوضاعين فساق في هذا الشأن أحاديث يرفعها إلى النبي ﷺ ، لعله كان يتقرب بها إلى بني العباس ، مثل « المهدي من ولد العباس عمي » . وهو موضوع[٣] ، لا تثبت نسبته إلى الرسول ﷺ ، وجاء بعدُ مَنْ يجتهد في الجمع بينه (دون أن يعلم بجلية أمره) وبين الأحاديث الواردة في أنه من ولد الحسن[٤] .

ولم يَرِدْ لفظ « المهدي من ولد العباس » إلا بإسناد ضعيف عن كعب الأحبار ، فهو أثرٌ ضعيفٌ ، ومنقولٌ من كلام كعب الأحبار[٥] .

نعم ، ورد في ذكر هذا المهدي العباسي أثرٌ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « منا ثلاثة : منا السفاح ، ومنا المنصور ، ومنا المهدي » . وإسناده حسن[٦] .

---

(١) انظر : منهاج السنة (٤ : ٩٨) .

(٢) انظر البداية والنهاية (١٠ : ٨٤) .

(٣) البستوي (٢ : ١١ / ١٤) .

(٤) كما فعل البرزنجي في الإشاعة (١٩٤) .

(٥) البستوي (٢ : ١٨٥ - ١٨٦) .

(٦) البستوي (١ : ٢٠٨ / ٢١٢) .

ولا يصح رفعه إلى النبي ﷺ ، - ضعيفٌ بذلك الإسناد[١] - .

وكذا لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ بلفظ « منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي ... » . وهو بهذا اللفظ ضعيف الإسناد ، منكر المتن[٢] .

ومع ذلك ، فليس هذا المهدي العباسي هو المهدي المقصود ، وإن صح فيه ما صح .

ولا تُعارض الأحاديث الصحيحة في أن المهدي المقصود من ولد فاطمة ، بما نُقل عن كعب بإسناد ضعيف ، ولا يقوم لها .

ولا تُعارض كذلك بما روي هنا في ذكر بعض خلفاء بني العباس ومنهم المهدي . فهذا غير هذا .

قال ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد بعض ما ورد في شأن هذا المهدي العباسي وصح : « قد نطقت هذه الأحاديث التي أوردناها آنفاً بالسفاح والمنصور والمهدي ، ولاشك أن المهدي الذي هو ابن المنصور ثالث خلفاء بني العباس ، ليس هو المهدي الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره ، وأنه يكون في آخر الزمان »[٣] .

يقول ابن القيم رحمه الله رادّاً على من زعم أن هذا المهدي العباسي هو المهدي المقصود : ليس فيما استدلوا به « دليلٌ على أن المهدي الذي تولى من بني العباس هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ، بل هو مهدي من جملة المهديين .... وكما أن بين يدي الدجال الأكبر .... دجالين كذابين ، فكذلك بين يدي المهدي الأكبر مهديون راشدون »[٤] .

---

(١) البستوي (٢ : ٥٤ / ٥٧) .

(٢) البستوي (٢ : ٨٠ / ٨٢) .

(٣) البداية والنهاية (٦ : ٢٤٧ - ٢٤٨) .

(٤) المنار المنيف (١٥٠) .

القول السادس : قول الصوفية :

الصوفية في هذا الباب على ما يبدو ، كانوا في أول الأمر داخلين في مقالة أهل السنة والجماعة في العموم ، أو في مقالة مخالفيهم من المعتزلة المنكرين لأمره ، بحسب مشربهم في الاعتقاد . قال ابن خلدون : « أما المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم يخوضون في شيءٍ من هذا ، وإنما كان كلامهم في المجاهدة »[1] .

(١) المقدمة لابن خلدون (٣٢٢) .

لكنَّ الاهتمام الصوفي بهذه المسألة بدأ يتركز ويظهر بوضوح من حين تكلم الحكيم الترمذي ت (حوالي ٣٢٠ هـ) عن خاتم الأولياء ، في كتابه " ختم الولاية "[١] .

(١) انظر : السير للذهبي (١٣ : ٤٤١) في ترجمة الحكيم .

ثم جاء ابن عربي الحاتمي الصوفي (٦٣٨ هـ) الباطني الشهير ، فصنع لهـم مقالـةً محـددةً في الشـأن ، ومنـه تفرعـت المقـالات ، وعنـه أخـذ زعمـاء هـذا التيـار البـاطني الصوفي، كابن سبعين[١] ، وغيره[٢] .

(١) عبد الحق بن إبراهيم ابن سَبْعِين الإشبيلي . من أتباع ابن عربي في القول بوحدة الوجود . لـه مؤلفـات في الحروف والأسرار . وطبع له " رسائل ابن سبعين " . وله أتباع يعرفون بالسبعينية . اشتهر عنه أنـه قال : لقد تحجر ابن آمنة (يعني النبي ﷺ) واسعاً بقولـه « لا نـبي بعـدي » . يُعـرف في أوروبـا بسـبب جواباته الفلسفية وهو بالأندلس على سؤالات أحد ملوكهم . مات بمكة سنة (٦٦٩ هـ) . (ترجمتـه في الأعلام / ٣ : ٢٨٠) ومن كان هذا اعتقاده في النبوة ، كيف يكون اعتقاده في الولاية والمهدوية .

(٢) أكـثر مـن تكلـم في هـذا المقـام منـهم : أحمـد بـن الحسـين بـن قِسِـي (٥٤٦ هــ) في كتابـه : " خلـع النعلين في الوصول إلى حضـرة الجمعـين " . وابـن عربـي في كتابـه " عنقـاء مغـرب " ، وابـن سـبعين ، وابـن أبـي وأصـل تلميذه في شـرحه لكتـاب خلـع النعلـين . طـالع (المقدمـة لابـن خلـدون / ٣٢٣) و (الأعلام / ١: ١١٦) .

خلاصة هذه المقالة : أن النبي محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء ، وهو لبنة الذهب[١] ، وأن المهدي هو خاتم الأولياء ، وهو لبنة الفضة . فكما أن الله ختم بمحمدٍ ﷺ النبوات ، فكذلك سيختم بالمهدي الولاية والأولياء[٢] .

فالمهدي على هذا وليٌّ من الأولياء ، وقطبٌ من أقطاب الصوفية ، بل هو قطب أقطابهم .

وهو في نفس الوقت كما ثبت في النصوص : من ولد الحسن ، فلذلك حرص أشياخ كل طريقةٍ من طرق الصوفية أن ينتهي نسبهم إلى الحسن ، إنْ صدقاً وإنْ كذباً .

ولهج الصوفية بعد عصر ابن عربي في ترقب ذلك المهدي بين كبارهم ، ورجا كل واحدٍ من أولئك الأكابر أن يكونَ هو . وكثرت دعواهم بعدئذٍ في هذا الشأن. لاسيما وأن الرجل (ابن عربي) ورهطه ، قد زعموا أن زمن المهدي قد اقترب ، وأن أوان ظهوره قد أزف . بل زعم ابن عربي أن ظهوره تحديداً سيكون سنة ٦٨٣ هـ . ثم لما فات هذا الموعد ولم يخرج ، جعلوا زمنه بعد ٧١٠ هـ[٣] . اعتماداً منهم في ذلك - زعموا - على الكشف (وهو كهانة المتصوفة) . وأخذاً بحساب الجُمَّل (حساب اليهود) وهي كهانةٌ من نوع آخر ؟ زعموا أنهم جمعوا عدد الحروف المقطعة من أوائل السور ، فظهرت لهم تلك الدلالات في هذه التواريخ المجزوم بها . وكذبوا .

---

(١) يأخذ ذلك على حد زعمه مما في الحديث الصحيح الذي أورده البخاري في كتاب المناقب - في باب خاتم النبيين - عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنةٍ من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » (صحيح البخاري / طبعة دار السلام / ٧٢٧) . لكن ليس في الحديث إلا التصريح بلبنة واحدة . واللبنة الثانية الفضة من اختراع ابن عربي .

(٢) لخص مقالتهم هذه ابن خلدون في مقدمته (٣٢٤) .

(٣) ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته (٣٢٤ - ٣٢٥) .

وتجارى بمشايخ الصوفية هذا الوهم ، وكثر المدعون للمهدوية بينهم[1] . وتلاعبت بهم الشياطين . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « أعرف في زماننا غير واحدٍ من المشايخ ، الذين فيهم زهدٌ وعبادةٌ ، يظن كلٌّ منهم أنه المهدي ، وربما يُخاطَبُ أحدهم بذلك مراتٍ متعددة ، ويكون المخاطِبُ له بذلك الشيطان ، وهو يظن أنه خطابٌ من قِبَل الله .

ويكون أحدهم اسمه : أحمد بن إبراهيم ، فيقال له : محمد وأحمد سواء ، وإبراهيم الخليل هو جد رسول الله ﷺ ، وأبوك إبراهيم ، فقد واطأ اسمك اسمه ، واسم أبيك اسم أبيه »[2] .

---

(١) ضرب أمثلةً على ذلك مما وقع في المغرب في عصره وما قبله ابن خلدون في المقدمة (٣٢٨) . وفيما بعد ادعى متصوف هندي يقال له : محمد بن يوسف الجونفوري ، المهدوية بالهند ، ثم حج سنة ٩٠١ هـ ودعا إلى نفسه بمكة . ذكره المتقي الهندي (٩٧٥ هـ) صاحب كنز العمال في كتابه : « البرهان في علامات مهدي آخر الزمان » وكتابه الآخر « الرد على من حكم وقضى أن المهدي قد جاء ومضى » . (بواسطة البستوي / ١ : ٥٥ / ٩٧ - ٩٨) .

ومنهم المهدي السوداني الثائر على الإنجليز القريب العهد : محمد أحمد بن عبد الله الحسيني النسب (ت ١٣٠٢ هـ) . ادعى المهدوية وثار على الإنجليز وأخذ السودان منهم ، ولما مات انقرضت دولته تقريباً وقضى الإنجليز على أتباعه . لكنْ لا يزال لأتباعه وذريته نفوذ هائل في السودان . ويُسمَّى أتباعه اليوم : الأنصار ، وزعيمهم من ذريته : الصادق المهدي ، خريج كلية فيكتوريا بالإسكندرية ، ورئيس وزراء السودان قبل انقلاب البشير عام ١٩٨٩ م . عن المهدي السوداني الدعي . انظر ترجمته في : (الأعلام للزركلي / ٦ : ٢٠) و (البستوي / ١ : ٩٤ - ٩٧) .

(٢) منهاج السنة (٨ : ٢٥٩ - ٢٦٠) .

أدعياء المهدوية عبر التاريخ :

وقد ادعى المهدوية بين المسلمين عبر التاريخ كثيرون يصعب حصرهم . ولا يزال باب هذه الدعوى مفتوحاً حتى يأتي المهدي الصادق .

وقد كان من أشهر هؤلاء المدّعين :

١ - مهدي الطالبيين :

محمد بن عبد الله الحسني ، النفس الزكية ، الثائر بالمدينة المنورة على أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين . وقتل سنة ١٤٥ هـ . وقد أثار بدعواه تلك الكثير من التساؤلات والإشكالات في ذلك العصر المتقدم[١] .

٢ - مهدي العبيديين الفاطمي المزعوم ، جد خلفاء الدولة الفاطمية القائمة بمصر والمغرب في عهد بني العباس : عبيد الله بن ميمون القداح ، ادعى أنه فاطمي النسب ، وأنه المهدي ، ليجمع لنفسه شيعةً ، وليصنع لنفسه دولةً ، وإلا فأصله يهودي ، كما حقق ذلك بعض الأئمة والمؤرخين[٢] .

وتوفي سنة ٣٢٢ هـ . بعد أن أسس دولةً له بشمال إفريقية ورثها عنه أولاده ، وبنى لنفسه مدينةً سماها المهدية بالقرب من تونس ، وفتح حفيده المعز بن المنصور بن القائم بن عبيد الله الملقّب نفسه بالمهدي : مصر ، وهو الذي بنى القاهرة ، وأسس جامعها الأزهر[٣] . واستمرت دولتهم في مصر قرابة المئتي عام ، وخُطِبَ لهم ببغداد

---

(١) حتى لقد قيل : إن أبا جعفر المنصور نفسه ، ممن تابعه حين كان يستخفي أواخر أيام بني أمية . انظر : (البداية والنهاية / ١٠ : ٨٠) .

(٢) انظر : منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤ : ١٠٠) والبداية والنهاية (١١ : ١٦١) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٦) دار الفكر / طبعة وتاريخ : بدون .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١١ : ١٧٩) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٦٢ / ٣٦٩ / ٣٧٢) .

في بعض السنين عاماً كاملاً[١] . حتى أزال الله دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي[٢] .

٣ - مهدي المغاربة : محمد ابن تُومَرْت . ادعى المهدوية ، وسمَّى أتباعه الموحدين . وقاد ثورةً في المغرب ، أسس على إثرها دولة . وصفه ابن القيم بأنه « رجلٌ كذابٌ ظالمٌ متغلِّبٌ بالباطل ... قتل النفوس ، وأباح حريم المسلمين ... وكان شراً على الملة » .. « كان يودع بطن الأرض في القبور جماعةً من أصحابه أحياء ، يأمرهم أن يقولوا للناس : إنه المهدي .. ثم يردم عليهم ليلاً لئلا يكذبوه بعد ذلك . وسمَّى أصحابه الجهمية : الموحدين ... واستباح قتل مَنْ خالفهم من أهل العلم والإيمان » [٣] .

وتوفي سنة ٥٢٤ هـ[٤] .

٤ - ومن آخر أشهر المشاهير منهم ، ومؤسسي الدول : **مهدي السودان** المتوفى سنة (١٣٠٢ هـ) ، وقد أشرنا إليه قبل قليل .

وما يقصم ظهر دعوى كل مدعٍ أنه المهدي المنتظر : أن يقال له : فأين الدجال وعيسى ؟ أخرج لنا الدجال وأنزل علينا عيسى أولاً ، ثم ننظر في أمرك وصفتك ونسبك إلى بقية أحواله[٥] .

---

(١) كان ذلك سنة (٤٥٠ - ٤٥١ هـ) . انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٨٦) .

(٢) انظر كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا المدعي ودولته وأتباعه في : منهاج السنة (٤ : ٩٩ - ١٠١) (٨ : ٢٥٨) .

(٣) المنار المنيف (١٥٣) .

(٤) انظر ترجمته في : وفيات الأعيان لابن خلكان (٥ : ٤٥ - ٥٥) وتاريخ وفاته في (٥ : ٥٣) . وله رسالة مشهورة سماها : المرشدة . انظر كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية عنه حول ادعائه للمهدية في : منهاج السنة (٤ : ٩٨ - ٩٩) (٨ : ٢٥٨ - ٢٥٩) .
وفي ترجمته أنه رحل إلى المشرق في طلب العلم . فلقي أبا حامد الغزالي بالعراق والطرطوشي وغيرهما (وفيات / ٥ : ٤٦) .

(٥) انظر : إقامة البرهان (٢٤) والبستوي (١ : ٣٨٣ - ٣٨٤) .

شبهةٌ وردُّها : المهدي الصهيوني :

ذكر البستوي في كتابه شيئاً سماه : المهدي الصهيوني[1] . يقصد به الأشوري الذي لهج بذكره سعيد أيوب في كتابه عن « المسيح الدجال » . ونقله من تفسيرات أهل الكتاب[2] .

و لم أجد الرجل (سعيد أيوب) قد سمَّى هذا الرجل الآشوري بالمهدي الصهيوني. فهي عبارةٌ – على ما يبدو – أطلقها البستوي على سبيل المجاز لا التحقيق في وصف هذا الرجل .

لكنها . لا هي بصائبةٍ ولا دقيقة . ثم هي مما لا يليق إطلاقه . ولا نعرف إلا المهدي الهاشمي .

أما أن يكون ثمة مهدي صهيوني ، فهي فِرْيةٌ غير مسبوقةٍ بإطلاق :

١ – لا يعرفها المسلمون . ولا وردت في آية أو حديث ، بل لم ترد في خبر أو أثرٍ موضوع أو مكذوب . فكيف بما صح .

٢ – ولا يطلقها النصارى على منتظر أحبابهم من يهود ، ولا على أي واحدٍ من أعدائه . ولا يطلقونها كذلك على منتظرهم .

٣ – ولا يدعيها اليهود لأنفسهم . ولا يذكرون أحداً من منتظريهم يعرف بهذا الاسم أو اللقب أو النعت .

---

(١) البستوي (١ : ١٠٢ – ١٠٨) .

(٢) المسيح الدجال – سعيد أيوب (١٦٤ – ١٧٣) دار الاعتصام – القاهرة / ط. أولى / ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

المطلب الثالث

تفصيل أحوال المهدي

بناءً على ما ثبت من الأحاديث والآثار وصح فحسب ، دون ما سواها من الموضوع والضعيف . على التفصيل الآتي سرده وذكره :

١ – **اسمه** : الثابت الصحيح في اسمه ، أنه : محمد بن عبد الله ، على اسم النبي ﷺ . فقد صح عنه ﷺ أنه قال : « يواطيء اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي »[(١)] .

٢ – **نسبه** : الثابت الصحيح أنه من آل البيت ، من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما . فقد صح عنه ﷺ أنه قال عنه : « رجلٌ من أهل بيتي »[(٢)] . وفي ذلك من التصريح التام ما فيه . وورد بلفظ « المهدي منا أهل البيت »[(٣)] . وهو أصرح .

وصح كذلك عنه ﷺ أنه قال : « المهدي من ولد فاطمة » وفي لفظٍ : « المهدي من عترتي ، من ولد فاطمة » . وكلاهما حديث صحيح[(٤)] .

---

(١) حديث حسن صحيح – صحيح سنن أبي داود للألباني (٣ : ٨٠٧ / ٨٠٨) كتاب المهدي . وورد الشطر الأول من هذه الجملة في حديثين حسنين صحيحين كذلك في الترمذي – انظر : صحيح سنن الترمذي للألباني (٢ : ٤٨٨) كتاب الفتن – باب ما جاء في المهدي / مكتبة المعارف – الرياض / ط. أولى / ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

(٢) ورد هذا اللفظ في حديثين حسنين صحيحين في الترمذي – انظر : صحيح سنن الترمذي للألباني (٢ : ٤٨٨) . وورد هذا اللفظ كذلك في حديث حسن صحيح . أخرجه أبو داود – صحيح سنن أبي داود للألباني (٣ : ٨٠٨) . وفي حديث صحيح آخر بلفظ « رجلاً من أهل بيتي » في أبي داود كذلك (٣ : ٨٠٨) .

(٣) حديث حسن أخرجه ابن ماجه في سننه – انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢ : ٣٨٩) . كتاب الفتن – باب خروج المهدي .

(٤) صححهما الألباني في : صحيح سنن ابن ماجه (٢ : ٣٨٩) وصحيح سنن أبي داود (٣ : ٨٠٨) .

أما أنه من ولد الحسن بن علي دون الحسين . فقد ذكره بعض أهل العلم . و لم أجد معتمدهم في ذلك من صحيح السنة والأثر[١] .

قال ابن القيم رحمه الله : « وفي كونه من ولد الحسن سرٌّ لطيف ، وهو أن الحسن رضي الله تعالى عنه ترك الخلافة لله ، فجعل الله من ولده مَنْ يقوم بالخلافة الحق ، المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض . وهذه سنة الله في عباده أنه مَنْ ترك لأجله شيئاً أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه . وهذا بخلاف الحسين رضي الله عنه ، فإنه حرص عليها ، وقاتل عليها ، فلم يظفر بها ، والله أعلم »[٢] .

وذكر غيرهم أن للحسين فيه ولادة . وللعباس فيه ولادة . والأخيرة مكذوبة[٣] .

٣ – صفته الخَلْقية : ورد في وصفه أنه :

- أجلى الجبهة .
- أقنى الأنف[٤] .

والجلاء : هو انحسار الشعر عن مُقَدَّم الرأس ، واتساع الجبهة . أو هو خفيف شعر النزعتين من الصدغين ، مع انحسار الشعر عن الجبهة .

والقنا في الأنف : طوله ، ودقة أرنبته (رأس الأنف) مع حَدَبٍ في وسطه . وارتفاعٍ في أعلاه[٥] .

---

(١) ذكره ابن القيم (المنار المنيف / ١٥١) وذكره من المتأخرين : الشيخ حمود التويجري (الاحتجاج بالأثر / ٤٧ / ٢٠٩) .

(٢) المنار المنيف (١٥١) .

(٣) الإشاعة للبرزنجي (١٩٤) .

(٤) حديث حسن = صحيح سنن أبي داود للألباني (٣ : ٨٠٨) . وانظر تخريجه بتوسعٍ في البستوي (١ : ١٦٦ – ١٧٥) .

(٥) راجع : معالم السنن شرح سنن أبي داود لأبي سليمان الخطابي (٤ : ٣١٧) طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت / ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م / طبعة : بدون / وانظر كذلك : لسان العرب لابن منظور (١١ : ٣٣٠) طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت / ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م / طبعة ثانية / والإشاعة للبرزنجي (١٩٥) .

وهذا هو ما ثبت لنا ، بما صح لدينا ، من الأحاديث في صفته .

وإلا ففي صفته أكثر من هذا في غيرها .

وخلاصة المعنى في صفته : أنه رجلٌ واسع الجبهة ، أو عريض الجبهة ، قد انحسر شعر رأسه عن جبهته ، فجلَتْ عن صدغيه . طويل الأنف دقيقه . في وسط أنفه حُدْبَة .

٤ – **يصلحه الله في ليلةٍ**[1] (**توبته**) : ومعنى هذا أنه يكون غافلاً أو حائداً عن جادة الصلاح ، فيهديه الله ويُحوِّل قلبه ويتوب عليه ويقبله ويصلحه ، ويهيئه لهذا الأمر في ليلةٍ واحدة .

٥ – **علامات خروجه** : وقد صح في الأحاديث والآثار التي تثبت ، ذكر خمس علاماتٍ لخروجه ، وقد ثبتت العلامة الأولى بحديث صحيح وآخر حسن ، أما باقي العلامات فبآثارٍ ثابتة . والعلامات هي :

العلامة الأولى : أن تمتليء الأرض ظلماً وعدواناً . وقد ثبت ورود هذه العلامة في حديثٍ صحيحٍ أخرجه أحمد في مسنده ، وبحديثٍ آخر صحيحٍ لغيره[2] .

---

(١) خرجه الألباني بتوسع في السلسلة الصحيحة (٥ : ٤٨٦) برقم (٢٣٧١) وجزم بتحسينه (سلسلة الأحاديث الصحيحة / للشيخ محمد ناصر الدين الألباني / مكتبة المعارف - الرياض / طبعة : بدون / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) .

والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه - انظر : صحيح سنن ابن ماجه / للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢ : ٣٨٩) . وقد صحح هذا الحديث جماعة من العلماء - انظر (البستوي / ١ : ١٥٦) . وانظر تخريج هذا الحديث بتوسع في (البستوي / ١ : ١٤٧ - ١٥٧) . وقد خلص إلى ما خلص إليه الألباني من تحسين الحديث دون تصحيحه . أما الشيخ شعيب الأرناؤوط ومن معه في تخريج أحاديث المسند ، فقد مالوا إلى تضعيفه (مسند أحمد بتحقيق الأرناؤوط / ٢ : ٧٤ - ٧٥) .

(٢) الصحيح أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . والصحيح لغيره أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، وخرجهما البستوي في كتابه فصححهما (البستوي / ١ : ٣٠٦ - ٣١١ / ٣١٢ - ٣١٤) .

وجاء بسياقٍ آخر أنها تمتليء ظلماً وجوراً ، في حديثٍ حسن عنــد أبـي داود في سننه[١] .

(١) حديث حسن . انظر (صحيح سنن أبي داود للألباني / ٣ : ٨٠٨) .

٦ - ظهوره ، وقدوم أنصاره :

يأتي أنصاره من المشرق . ومن خراسان[١] تحديداً . براياتٍ سوداء .

وقد ثبت في ذلك حديثان . أحدهما صحيح . والآخر حسن لغيره .

أما الصحيح فهو حديث ثوبان المشهور مولى النبي ﷺ . وهو خبرٌ عجيبٌ جداً ، لِمَنْ تأمَّله بعينٍ ثاقبةٍ وذهنٍ فاحص .

---

(١) خراسان اليوم مقسمة بين عدة دول . جزءٌ منها في شمال شرق إيران . ومن أشهر وأهم مدنه : نيسابور ، ومشهد (طوس سابقاً) والقسم الثاني منها يقع شمال وشمال غرب أفغانستان . ومن أشهر مدنه : هراة (هيرات) عاصمة الشمال الغربي في أفغانستان . وبلخ (مزار شريف حالياً) عاصمة الشمال الأفغاني . وجزء ثالث ضمن جمهورية تركمانستان ، إحدى جمهوريات آسيا الوسطى المستقلة حديثاً (١٩٩١ م) عن الاتحاد السوفييتي البائد . ومن أشهر مدنها هناك : عشق آباد عاصمة تركمانستان الحالية القائمة على أنقاض مدينة نسا القديمة . ومرو عاصمة خراسان القديمة . ومن خراسان شطر صغير يقع الآن ضمن جمهورية أوزبكستان . ومن أشهر مدنه : ترمذ الواقعة على نهر جيحون على الحدود مع أفغانستان .
وخراسان موطن كثير من علماء الإسلام وأئمته . ويكفيها أن منها : مسلم والترمذي والنسائي . ولذلك وُصِفت مدنها قديماً بأنها « مدن الإسلام » . وللنووي والسبكي في ذلك كلام منقول .
عن هذه التقسيمات الجديدة . وأحوال خراسان الآن : انظر الكتابين القيمين للدكتور : محمد علي البار : المسلمون في الاتحاد السوفييتي / وأفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي / ومنه نقلنا .
انظر : المسلمون في الاتحاد السوفييتي (٢ : ٥٥٥ / ٥٥٧ / ٥٥٩) ط. أولى / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م / دار الشروق - جدة . وأفغانستان (٣٥٢ / ٣٩١) ط. أولى / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م / دار العلم - جدة .

وفيه عنه ﷺ أنه قال : « يقتتل عند كنزكم ثلاثةٌ كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحدٍ منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قِبَل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يُقتله قوم » ثم ذكر شيئاً لا أحفظه . فقال : « فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي »[1] .

ومع أن البستوي قد صحح إسناده ، فإني لم أعوِّل على ذلك كثيراً لكثرة وقوة مَنْ ضعفه . ولولا ما في الحديث من إشاراتٍ هي كالنبوءات ما التفتُّ إليه .

فإنه يقول في الحديث : « يقتتل عند كنزكم ثلاثة .... » والخطاب ولاشك للعرب والمسلمين في أيامه ﷺ . وقد احتوتهم آنذاك جزيرة العرب فحسب . ولم يكن للعرب يومئذٍ كنز . ولا اجتمع فيهم أبناء ثلاثة خلفاء أو ملوك في وقتٍ واحد ، كلهم يصلح للملك ويطمح إليه . ولمّا فُتحت عليهم الدنيا ما جاءهم كنزٌ فائق الهول يدعوهم إلى التنازع عليه والاقتتال دونه قتالاً مفنياً ، لا يصل معه إلى أحدٍ منهم لتفانيهم . ولا كانوا من أهل الدنيا .

وقد اجتمعت من هذه الثلاث علامات ، في حاضرنا أمام ناظرنا علامتان ، وبقيت الثالثة . فاللهم سلّم سلّم . (كنز / وثلاثة بل أكثر كلهم ابن خليفة ، في أكثر من بلدٍ في آنٍ واحد) . ولا يشك عاقلٌ منصف مسلماً كان أم كافراً : أن

---

(١) خرجه ابن ماجه في سننه . لكن الألباني في صحيح سنن ابن ماجه تحاشاه ولم يذكره في الصحيح ، كأنه يحكم بضعفه .

قال ابن كثير رحمه الله عن هذا الحديث : « تفرد به ابن ماجه ، وهذا إسنادٌ قوي صحيح » .

قال ذلك بعد أن نقله بإسناد ابن ماجه عن عبد الرزاق (انظر : النهاية في الفتن والملاحم / ١ : ٥٤ - ٥٥) .

وقد ذكر البستوي في كتابه أن البيهقي ، وابن الجوزي في العلل ، والذهبي في الميزان ، وابن القيم في المنار المنيف ، والألباني ، قد ضعفوا هذا الحديث .

أما البستوي فاختار تصحيحه ، بعدما ظهر له صحته بعقب تخريجه إياه ومتابعته لطرقه ، ومتابعةً لِمَنْ سبقه إلى تصحيحه مثل : الحاكم ، وابن كثير ، والذهبي في موضعٍ آخر ، والبوصيري . انظر (البستوي / ١ : ١٨٤ - ١٩٢) .

بترول الخليج كنزٌ لا يعادله كنزٌ في الدنيا ، لا يتنازع عليه أصحابه فحسب ، بل كـل أمم الدنيا (يُقدَّرُ احتيـاطي البـترول في دول الخليـج بـ ٤٧٪ مـن الاحتيـاطي العـالمي المؤكد من البترول اليوم) . ولا يشك كذلك أن جزيرة العرب لم تعرف كـنزاً كـهذا الكنز منذ خلقها الله . ولو وقع ذلك لَذُكِرَ لنا منه طَرَفٌ في آيةٍ أو حديث ، أو تناقلته أفواه الرواة وكتب المؤرخين . وهذا مما يُجمع الخلق كلهم على أنهم لم يسمعوا بـه ، ولا بمثله .

وعلامة المهدي على ما في هذا الحديث إذا خرج وظهر ، وليست علامةً لخروجه ، بل هي علامته بعد خروجه . أن يَقدُم من قِبَل المشرق في جيشٍ راياته سود ، ويظفر بالكنز بعدئذٍ - وهذا هو مفهوم الحديث لا نصه - فيستعين به على مجاهدة ومجالدة أعداء الله من اليهود والنصارى (الدول الكبرى) .

ولعل المراد بهذا الكنز المذكور في هذا الحديث ، ذلك الكنز المذكور في الحديث الصحيح « يوشك الفرات أن يحسر عن كنزٍ (وفي لفظٍ : جبلٍ) من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً »[1] .

وفي لفظٍ لمسلم « لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب يقتتل الناس عليه فيُقتل من كل مائةٍ تسعةٌ وتسعون ، ويقول كل رجلٍ منهم : لعلّي أكون أنا الذي أنجو » .

---

(١) صحيح البخاري - طبعة دار السلام (١٤٩٣) كتاب الفتن - باب خروج النار . الحديث رقم (٧١١٩) . وهو كذلك بلفظيه في مسلم بشرح النووي (١٨ : ١٩) كتاب الفتن . وهو عند أبي داود (انظر / صحيح سنن أبي داود / ٣ : ٨١٣) كتاب الملاحم - باب حسر الفرات عن كنز .

وفي لفظٍ رابعٍ له أيضاً « يوشك الفرات أن يحسر عن جبلٍ من ذهب ، فإذا سمع به الناس ساروا إليه ، فيقول مَنْ عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه لَيُذهبنَّ به كله . قال : فيقتتلون عليه فيُقتل من كل مائةٍ تسعة وتسعون »[١] .

ويكون المراد بذلك كله - والله أعلم - : أن هذا الكنز يكون بأرض الفرات وما كان أسفل منها ، ونهر الفرات يصب في خليج جزيرة العرب ، وأن هذا الكنز من ذهبٍ ، وقد يكون المراد به : الذهب الأسود (البترول) ، وأن أمم الدنيا تتصارع عليه لِمَا يتعلق به من مصالحها الاستراتيجية ، حتى إذا اقتتل عليه أهله ، واصطرع على الاستيلاء عليه ثلاثةٌ من المسلمين كلهم ابن خليفةٍ أو سلطان أو ملكٍ ونحو ذلك، استنجد كل واحدٍ منهم بأمةٍ من أمم الأرض لتنصره على غرمائه ، فأقبلت أمم الأرض إليهم ، واقتتلت الأمم والشعوب والخلق كلها عليه ، كلٌّ يرجو أن يكون هو الظافر به . فحينئذٍ تقع في الأمم المتصارعة المتداعية على الكنز ، وعلى أمة الإسلام التي ظهر هذا الكنز ببلادها ، (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم)[٢] مذبحةٌ عظيمة ، حتى لا ينجو من كل مئةٍ من المتقاتلين إلا واحدٌ ، لشدة القتال عليه ، وضراوة المعركة ، وتفنن كل فريقٍ في السلاح والقتال واستبساله في ذلك .

ثم لا يظفر واحدٌ منهم بالكنز ، بل يحترق الكنز . ولهذا عجبتُ حين رأيتُ البخاري رحمه الله ساق حديث الكنز في باب خروج النار ، وساق قبله حديث « أول أشراط الساعة نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » وهي ولا شك غير النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم ، تبيت معهم حيث باتوا . فلعل المراد بذلك أن استفتاح العلامات بنار المشرق ، واختتامها بالنار الحاشرة من قعر عدن .

وفي أثناء تلك المقتلة على الكنز يخرج المهدي فيملك العرب ثم يُنهي تلك المواجهة البائسة على ذلك الكنز الملعون .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ١٨ - ١٩) كتاب الفتن .

(٢) سيأتي تخريجه وبسط دلالته في المبحث التالي .

وليس في حديث الكنز الأول « يقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة » ذكرٌ ولا إشارةٌ إلى أن المهدي هو الذي يظفر بالكنز . فدل على أن الكنز قد يزول أو يحترق ، ولا يظفر به حينئذاك أحد . لكنَّ المهدي يُزيل أسباب الاختلاف ويقضي على الخصومة والخصماء ، وينصرف إلى مجالدة أعداء الله . فيظهر بأثر ذلك الدجال ، وتنطلق العلامات بعد نار المشرق والدجال ككرِّ حبات المسبحة .

وأما قوله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات » ، فالمراد به والله أعلم ، أن وقوع ذلك من علامات الساعة الصغرى التي وقع أكثرها ، لا الكبرى فإنها العشر المعروفة .

وقد ظن بعض المتعجلين والمتمنِّين على الله الأماني من المتقدمين ، ثم تابعهم في وهمهم هذا بعض المتأخرين ، أن ما ذُكِر في حديث الرايات السود الآنف الذكر قد حصل ، وأن الرايات السود هي رايات بني العباس حين خرجوا من خراسان (المشرق) وساحوا في الأرض فاكتسحوا دولة بني أمية آنذاك . وأن المهدي المذكور في الحديث هو مهدي بني العباس ثالث خلفاء بني العباس .

وليس الأمر كذلك .

ويُرَدُّ على هؤلاء بثلاثة أمور :

- لم يكن ثمة كنز .

- لم يصطرع عليه حينئذٍ ثلاثة كلهم ابن خليفة (أو ملك) .

- والمهدي إنما جاء وولي بعد أن وطأ له الملك أبوه المنصور وعمه السفاح . فاستلم حين ولي دولةً قائمةً على أقدامها . ولم يأت من المشرق بجيوشٍ ليقيم دولة . ولا ليقضي على الثلاثة المتخاصمين على الملك . ولا ذُكِر عنه أنه قتل في بني قومه العرب مقتلةً مشهورة . فكيف ينطبق عليه الحديث . وهو أبعد ما يكون عنه .

قال ابن كثير رحمه الله عند هذا الحديث : « هذه الرايات السود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني ، فاستلب بها دولة بني أمية في سنة ١٣٢ هـ . بل رايات سودٌ أُخَرْ ، تأتي بصحبة المهدي .... يصلحه الله في ليلة ... ويؤيده بناسٍ من أهل المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه .. وتكون راياتهم سوداء أيضاً ... لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء » إلى أن قال : « والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل خروجه وظهوره من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت »[١] .

وقد طعن رشيد رضا في الحديث دون أن يُخرِّجه ، أو يتتبعه . وزعم أنه وُضِعَ للعباسيين وضعاً لأن شارتهم السواد . وحطّ على عبد الرزاق بن همام الصنعاني صاحب المصنف الإمام المشهور وعرَّض به قائلاً : إن عمه وهب بن منبه « وناهيك به »[٢] .

ويُردُّ عليه بأمرين :

١ - أن الحديث قد ثبت من طريقٍ ليس فيها عبد الرزاق . لا بل من طريقين .

٢ - أن الثورات التي سبقت ثورة العباسيين رفعتْ راياتٍ سوداء[٣] رجاء أن تكون هي المقصودة بالحديث . والعباسيون فعلوا ذلك أيضاً . فلو كان الحديث من وضع شيعة بني العباس لم يفطن له مَنْ سبقهم[٤] .

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم - لابن كثير (١ : ٥٥ - ٥٦) .

(٢) تفسير المنار (٩ : ٥٠٣) .

(٣) كثورة الحارث بن سريج سنة ١٢٨ هـ على مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية .

(٤) أشار إليهما البستوي في كتابه (١ : ١٩٣) .

هذا شيء . وثمة شيء آخر : ألا وهو أن هذا ليس معناه متابعة كل من ادعى هذه الدعوى ، وأتى ببعض هذه الأوصاف . يقول الإمام سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١ هـ) : « وإنْ مَرَّ بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس »[١] .

فمتى اجتمعت فيه كل الأوصاف والعلامات والأمارات ، وبايعه الخلق وأظهر الله أمره . فحينئذٍ يُعلم أنه المهدي ، ويتأكد ذلك ويتحقق بخروج الدجال عليه ، ونزول عيسى على إثره ، وإلا فلا .

وأما الحديث الآخر الحسن لغيره[٢] . فهو « إذا أقبلت الرايات السود من خراسان فائتوها فإن فيها خليفة الله المهدي » .

فليس فيه مزيد تفصيلٍ إلا ذكر أن تلك الرايات تقدم من خراسان في المشرق تحديداً.

---

(١) انظر : البستوي (١ : ٤٧) .

(٢) حسب تخريج البستوي (١ : ١٥٨ - ١٦٢) . مع أن ابن الجوزي ذكره في الموضوعات كما نقل ذلك البستوي نفسه . لكن ابن الجوزي كما هو معلوم ، قد يضع في الموضوعات ما ليس منها . وقد تعقبه على ذلك عددٌ من الأئمة .

٧ - المهدي يملك العرب :

وهذا الذي أنت واجده في الأثر الصحيح عن علي رضي الله عنه ، السابق ذكره، من أن المهدي ينتصر على أهل السبع رايات ، ويجمع الناس على الحق في أُلْفةٍ ونعمةٍ . ليس مما اقتُصر على ذكره هناك . بل صح في معنىً قريبٍ من معناه ذكر ذلك في : حديثٍ حسنٍ صحيحٍ ، خرّجه أبو داود والترمذي . وفيه : « لا تذهب الدنيا (أو لا تنقضي الدنيا) حتى يملك العرب ، رجلٌ من أهل بيتي ، يُوَاطِيءُ اسمه اسمي »[1] .

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني (٣ : ٨٠٨) كتاب المهدي . وقال فيه الألباني : حسن صحيح . وصحيح سنن الترمذي للألباني (٢ : ٤٨٨) كتاب الفتن - باب ما جاء في المهدي .

فهو إذاً : يملك العرب كل العرب أو جلّهم . فالعبرة بالأغلب الأعم . لا باستيفاء أفراد الجنس فرداً فرداً[1] .

(١) أما أنه يملك الدنيا كلها فهذا مما لم تتبين صحته . وإنما أخرجه ابن الجوزي في أحد كتبه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان . والكافران نمرود وبخت نصر . وسيملكها خامس من أهل بيتي » وبحث عنه البستوي فلم يجد له إسناداً بالمرة حتى يحكم عليه . وأثبت ذلك (البستوي / ٢ : ٣٧٦) .

وفي متن هذا المنقول ما ينقضه . فإن سليمان عليه السلام لم يملك الأرض كلها . ولا نمرود وبختنصر الكافران . فأقل ما يقال عنه إن ظهر له إسناد أن يُقال فيه : منكر المتن .

٨ - عِزُّ الأمة في عصره :

وقد جاء ذكر ذلك في حديث صحيح الإسناد . عنه ﷺ أنه قال : « يخرج في آخر أمتي المهدي » ... وفيه : « وتعظم الأمة »[1] . أي في أيامه . وهي تفيد معنى الكثرة والزيادة والغلبة والنصر والإدالة على أمم الكفار الأخرى .

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه . ونقل البستوي عن الذهبي ثم الألباني تصحيحهما للحديث . وجزم بعدئذٍ بصحة إسناده (البستوي / ١ : ١٦٣ / ١٦٥) .

٩ - رد الرسول ﷺ على مَنْ استبعد أمره ، واستبطأ خروجه ، ومال به ذلك إلى إنكار أمره :

يقول ﷺ : « لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني . أو من أهل بيتي ، يواطيء اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً »[١] .

وفي حديثٍ آخر . قال : « لو لم يبق من الدهر إلا يوم ، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي ، يملأها عدلاً ، كما ملئت جوراً »[٢] .

وفي الترمذي : « لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ ، لطوَّل الله ذلك اليوم ، حتى يَلِيَ »[٣] .

---

(١) حديث حسن صحيح - أخرجه أبو داود في سننه في كتاب المهدي - انظر (صحيح سنن أبي داود للألباني / ٣ : ٨٠٧ - ٨٠٨) .

(٢) حديث صحيح - انظر (صحيح سنن أبي داود للألباني / ٣ : ٨٠٨) .

(٣) حديث حسن صحيح - انظر : صحيح سنن الترمذي للألباني (٢ : ٤٨٩) . كتاب الفتن - باب ما جاء في المهدي .

١٠ - كثرة الخير في عصره ، وحلول البركة ، وكثرة المال :

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في شأن المهدي تلميحاً في صحيح مسلم . بلفظ « يكون في آخر أمتي خليفةٌ يحثي المال حثياً لا يعدُّه عدداً » .

وبلفظ « يكون في آخر الزمان خليفةٌ يقسم المال ولا يعدُّه »[1] .

وجاء بيان ذلك والتصريح به في غير هذين الحديثين . ففي ابن ماجه : « يكون في أمتي المهدي . ... فتنعم فيه أمتي نعمةً لم ينعموا مثلها قط . تُؤتَى أُكُلَهَا . ولا تدخر منهم شيئاً . والمال يومئذٍ كُدُوسٌ . فيقوم الرجل فيقول : يا مهدي ! أعطني . فيقول : خذ »[2] .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٣٨ - ٣٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة .

(٢) حديث حسن - انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢ : ٣٨٩) كتاب الفتن - باب خروج المهدي .

وفي الترمذي : « إن في أمتي المهدي .... فيجيء إليه رجلٌ ، فيقول : يا مهدي ! أعطني أعطني - قال - ، فيحثي له في ثوبه ، ما استطاع أن يحمله »[١] .

وفي هذه الأحاديث ما فيها من الدلالة على كثرة الخير والغنى والمال في عصره . وأن عصره عصر وفرةٍ مادية ورفاهٍ اقتصادي لأهل مملكته .

وليس ما سقناه من الأحاديث في الدلالة على هذا المعنى هو كل ما ورد في ذلك. بل لقد تكاثرت الأحاديث والآثار التي بسطت ذلك . وفي بعضها تنوُّع ألفاظٍ . وفي هذا البعض الآخر ذكرُ ما يكون من البركة في الأرض والزرع ، غير المال وكثرته . ففي الحديث الصحيح الذي خرّجه الحاكم في مستدركه : « يخرج في آخر أمتي المهدي ، يسقيه الله الغيث ، وتُخرج الأرض نباتها ، ويعطي المال صحاحاً ، وتكثر الماشية »[٢] . وفي غيره : « تُخرج الأرض نباتها وتُمطر السماء قطرها » زاد بعضهم : « وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعشه قبل ذلك »[٣] . وفي بعض الآثار الثابتة ، في صفته : أنه « يبذل المال ويشتد على العمّال ويرحم المساكين »[٤] . وفي بعضها : « يأتيه رجلٌ فيسأله فيقول : ادخُلْ بيت المال فخذ . فيدخل فيأخذ . فيخرج فيرى الناس شباعاً فيندم فيرجع إليه فيقول : خذ ما أعطيتني . فيأبى ويقول : إنَّا نُعطي ولا نأخذ »[٥] .

ومردُّ ذلك والله أعلم : إمَّا إلى بركةٍ يطرحها الله في أرزاق الخلق / أو إلى سعةٍ في الرزق وكثرةٍ في المال وخصبٍ في الأرض والضرع / أو إلى انشغال الناس عن الدنيا

---

(١) حديث حسن - انظر : صحيح سنن الترمذي للألباني (٢ : ٤٨٩) .

(٢) ذكره البستوي وجزم بصحته - انظر ما ذكرناه عنه قبل قليل ص (٩٠٢) - هامش (٣) (البستوي / ١ : ١٦٣ / ١٦٥) .

(٣) قطعة من حديث حسن . انظر : البستوي (١ : ١٧٦ / ١٧٩) .

(٤) قطعة من أثرٍ حسن الإسناد إلى طاووس - انظر : البستوي (١ : ٢٢١ - ٢٢٢ / ٢٢٤) .

(٥) من أثرٍ صحيح الإسناد (البستوي / ١ : ٢٢٦ - ٢٢٧) .

وملذاتها بالطاعة والعبادة والجهاد ، فيكفيهم عُشْرُ ما كان يكفيهم في غابر أيامهم حين كانوا بدنياهم مغرمين ، ولها محالفين / وقد يكون مردُّ ذلك إليها جميعاً . غير أن التصريح بالكثرة الحسية المادية المنظورة للخير ثابتةٌ صريحةٌ لا تُردُّ ولا تُنكر ولا تؤول. وإنما المقصود أن يجمع الله إليها ما عداها من الأسباب . فتكون أزيد في البركة ، وأكثر للخير .

١١ - ومن صفات المهدي : الكرم . وأنه يحثو المال حثواً ولا يعدُّه ، وأنه يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ولا يرفع بالدنيا رأساً ، ولا إليها طَرْفاً . وأنه يُعطي الواحد قدر ما يطيق حمله من مال . وهو شيءٌ عظيمٌ بكل مقياس . فإن النقد وَرِقاً كان أم وَرَقاً من أخف الأوزان وأسهل الأشياء حملاً . وقد سلف ذكر ذلك بنصه في الأحاديث والآثار الواردة في الفقرة السابقة .

١٢ - ومن صفات المهدي : العدل والإنصاف . وأن الله يعدل به ما انقلب من موازين هذه الدنيا العجيبة الحاضرة ، التي جعلت الحق باطلاً والباطل حقاً . والمحق مبطلاً ، والمبطل مُحِقّاً .

يقول ﷺ في شأنه : « يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً » ، وفي لفظٍ « يملأها عدلاً ، كما ملئت جوراً » . وفي لفظٍ « كما ملئت جوراً وظلماً »[1].

---

(١) الأول حديث حسن صحيح - انظر : صحيح سنن أبي داود للألباني (٣ : ٨٠٧ - ٨٠٨) . والثاني منها حديث صحيح . واللفظ الثالث من حديثٍ حسن . أوردها جميعاً أبو داود في كتاب المهدي . وانظر كذلك تخريج الحديث الثالث منها في البستوي إن شئت (البستوي / ١ : ١٦٦ / ١٧٥) . وزاد البستوي عليه حديثاً مثله (حسن) . أخرجه أحمد في مسنده . وفيه أنه « يملأ الأرض قسطاً وعدلاً » (البستوي / ١ : ١٧٦ / ١٧٩) .

١٣ - لقاؤه بعيسى عليه السلام ، وإمامته إياه :

وصلاة المهدي إماماً بعيسى عليه السلام ، تكرمةٌ لهذه الأمة . وإعلامٌ وإعلانٌ بأن عيسى سيحكم بدين وشريعة محمدٍ ﷺ .

وقد ورد ذكر ذلك تلميحاً في حديثٍ متفق عليه . وفيه : « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم »[١] . وهو الحديث الوحيد في التلميح دون التصريح بأمر المهدي في البخاري .

وجاء بيانه وتفصيله في حديث آخر في صحيح مسلم ، لم يذكر أمر المهدي كذلك إلا تلميحاً . وفيه « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم ﷺ ، فيقول أميرهم : تعال ، صلِّ لنا . فيقول : لا . إن بعضكم على بعضٍ أمراء . تَكْرِمَةَ الله هذه الأمة »[٢] .

وجاء بيان هذا الأخير . والتصريح باسم المهدي في حديث آخر صحيح كذلك لم يُخرِّجاه . وفيه : « ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي : تعال ، صلِّ بنا . فيقول : لا . إن بعضهم أميرُ بعض . تكرمة الله لهذه الأمة »[٣] .

فإنْ لم يقبل رشيد رضا وأمثاله هذا الحديث الأخير ، لأن في إسناده وهب بن منبه وابن أخيه عقيل بن معقل بن منبه ، على توثيق الأئمة لهما . فليأخذ بالحديثين الأولين اللذين في البخاري ومسلم . وليدع لنا هذا . على أنك ترى ألفاظ هذا الأخير

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء - باب نزول عيسى (صحيح البخاري / ٧١٠) طبعة دار السلام . وهو كذلك في مسلم . في كتاب الإيمان - باب بيان نزول عيسى ابن مريم ﷺ حاكماً . انظر (صحيح مسلم بشرح النووي / ٢ : ١٩٣) .

(٢) صحيح مسلم بالنووي (٢ : ١٩٣ - ١٩٤) .

(٣) خرجه البستوي في كتابه وصحح إسناده . وذكر أن الحارث ابن أبي أسامة أخرجه في مسنده . انظر (البستوي / ١ : ١٨٠ / ١٨٢) . وراجع كلامه في توثيق الأئمة لوهبٍ وابن أخيه (١ : ١٨١ - ١٨٣) .

من ألفاظ سابقه . فهذا من ذاك . والتصريح فيه باسم الأمير وأنه المهدي زيادة بيان ، لا يضر سقوطها .

وليس في الأحاديث بعد ذلك ذكرٌ لشيءٍ ما ، حول العلاقة بين عيسى عليه السلام ، والمهدي .

فمن يا تُرى يقود الجيوش ؟ عيسى أم المهدي ؟

ففي النصوص السابقة ذكر مُلْك المهدي ، ومعاركه ، وسيأتي ذكر مدته .

وفي أحاديث عيسى بعد هذ اللقاء غبَّ نزوله : ذِكْرُ مُلْكه ، وحكمه .

فهل يا تُرى يكون الحال كما كان عليه الأمر في زمن العباسيين المتأخرين ، من وجود قيادةٍ سياسية ممثلةٍ بالخليفة ، وقيادةٍ عسكرية ممثلةٍ بالسلاطين ؟

أم أن المهدي يموت في تلك الأيام أو المعارك . ويستلم عيسى عليه السلام القيادة والملك .

أم أن المهدي يحكم المدة المقررة المذكورة في النصوص ، ويملك قبل نزول عيسى . فإذا نزل عيسى سلَّم له مقاليد الأمور والملك . وتكون قمة إمامة وتقدم المهدي في الملك والدين والإمامة ، هذه الصلاة الأخيرة . ثم يُسلِّم القيادة لعيسى عليه السلام ؟

ربما كان هذا هو الأرجح والأقرب . وهو الموافق لِمَا في الأحاديث الصحاح التي تذكر مملكة عيسى وحكمه بالشريعة إلى آخره .

١٤ - مدة المهدي :

وهي على ضوء ما تقدم . لا يُدرى أهي مدته في الملك قبل نزول عيسى ؟ أم هي مدته في الملك قبل وبعد نزول عيسى ؟ أم هي مدته في الدنيا من حين يخرج إلى حين يموت ؟

والمُدَدُ التي وردت له في الأحاديث هي :

١ - خمس سنين[1] .

٢ - سبع سنين[2] .

٣ - ثمان سنين[3] .

٤ - تسع سنين[4] .

وفي بعض ألفاظ هذه المرويات تلميحٌ إلى مصيره بعدئذٍ .

---

(١) ورد ذلك في حديث حسن . انظر (صحيح سنن الترمذي للألباني / ٢ : ٤٨٩) .

(٢) ورد ذلك في حديث صحيح أخرجه الحاكم في مستدركه . وصححه البستوي (١ : ١٦٣ / ١٦٥) . وورد ذلك في أربعة أحاديث حسنة . واحدٌ منها في أبي داود (انظر : صحيح سنن أبي داود / ٣ : ٨٠٨) والثاني في ابن ماجه (انظر : صحيح سنن ابن ماجه / ٢ : ٣٨٩) والثالث في الترمذي (انظر : صحيح سنن الترمذي / ٢ : ٤٨٩) . والرابع أخرجه الإمام أحمد في مسنده . وقال البستوي عنه : حسنٌ لشواهده (١ : ١٧٦ / ١٧٩) .

(٣) وقد صرح بذلك الحديثان السالف الإحالة عليهما في الهامش السابق . الصحيح الذي في المستدرك وخرجه البستوي في كتابه وصححه (١ : ١٦٣ / ١٦٥) والحسن الذي في المسند لأحمد ، وحكم عليه البستوي بأنه حسن (البستوي / ١ : ١٧٦ / ١٧٩) .

(٤) حديث حسن (صحيح سنن ابن ماجه للألباني / ٢ : ٣٨٩) وحديث آخر حسن في (صحيح سنن الترمذي للألباني / ٢ : ٤٨٩) وهي كذلك - أي ذكر هذه المدة - في الحديث الحسن الذي في المسند لأحمد . وخرجه البستوي وحكم عليه (١ : ١٧٦ / ١٧٩) .

فالذي في الترمذي فيه : أنه **يعيش** هذه المدة . وهو كذلك لفظ الحديث الصحيح الذي في المستدرك . وهو مضمون رواية المسند . وفيها « إنْ طال عمره أو قصر عاش ... » كذا وكذا سنة .

ومعنى هذا : أنه يموت بعد فراغ هذه المدة . لكنْ هل تفرغ هذه المدة بنزول عيسى ولقائه به ؟ أم تفرغ بعد ذلك بزمنٍ ؟ الله أعلم .

والذي في أبي داود : أنه **يملك** . ومعنى هذا : أن هذه المدة هي مدة ملكه فحسب . ثم قد تنقضي هذه المدة وينتهي ملكه بنزول عيسى وتملُّكه . ثم يعيش المهدي بعدئذٍ ، لكنْ لا في رئاسة الملك . بل كغيره من أفراد الناس وآحادهم . أي نعم . هو من أعيانهم وكبارهم . في زمن مملكة عيسى . كقائدٍ من قواده ، أو رجلٍ من كبار رجالات دولته .

والوجه الأول أقوى وأقرب : لتواتر الروايات عليه . فيُحمل عليه معنى الرواية التي في أبي داود .

فعلى هذا يعيش هذه المدة في الملك ثم يموت بعد فراغ هذه المدة ، لقوله : « إنْ طال عمره أو قصر » ، فهو حديثٌ عن عمره إذنْ .

١٥ - مواعيد مكذوبة في توقيت خروجه :

أوعب الكذَبة ، والمتصوفة منهم على الأخص ، في تحديد زمان خروج المـهدي ، وتعجُّلِ ذلك ، بل بلغ الأمر ببعضهم أن ترقَّبَ أن يكون هو المهدي .

ومن تلك المواقيت الزمانية التي ذكروها لخروجه :

١ - سنة (٢٠٠ هـ) .

٢ - سنة (٢٠٤ هـ) .

أخذهما صاحب الإشاعة من نعيم بن حماد . فناسبه وشابهه .

وهي رواياتٌ مكذوبةٌ موضوعةٌ قطعاً . والعجيب أن صاحب « الإشـاعة » ، أراد بعدئذٍ أن يحملهما على أن المراد بهما نصرة ما قرره فيما سنذكره بعد قليـل ، مـن أن خروج المهدي يكون عند المئتين بعد الألف . فحملهما على هذا المحمـل . وهـذا مـن أعجب ما رأيت في الاستدلالات . الألف سنةٍ فيها كلا شيء[١] .

(١) طالع : الإشاعة (٣٨٨) .

٣ - سنة (٦٨٣ هـ) . وهي مما تعجله المتصوفة وقرروه . وليس كلهم . بل هو ابن عربي وزمرته . استخرج ذلك بحساب الجُمَّل كما زعم .

٤ - فلما انصرم ذلك الموعد ، و لم يخرج صاحبهم. قالوا : أريد به تاريخ مولده (أي المهدي) ، أما زمن ظهوره فيكون بعد (٧١٠ هـ)[1] .

(١) طالع : مقدمة ابن خلدون (٣٢٤ - ٣٢٥) .

ولو بقوا زمناً طويلاً بعد ذلك ، لمضوا هكذا يؤجلون ميقات خروجه مرةً بعد مرة ، كما يُؤجَّل إعلان الدولة الفلسطينية المستقلة الحرة على الأرض بدلاً من بقائها معلقةً هكذا في الهواء ، المرة تلو المرة .

٥ - ذكر السيوطي أن بعض العلماء في عصره ، أفتى : بأن في المائة العاشرة يكون خروج المهدي . (٩٠٠ - ١٠٠٠ هـ) . وهي فتوىً مردودةٌ على مفتيها . وكذبةٌ لا يعرف بانيها . وقد نقله صاحب « الإذاعة » السيد صديق حسن خان . ورده عليه[١] .

(١) انظر : الإذاعة (١٨٣ - ١٨٤) ونقله رشيد رضا في تفسيره كذلك (٩ : ٤٧٧) .

٦ / ٧ / ٨ / ٩ - وقد زعم صاحب « الإشاعة » أن خروجه قد يكـون سـنة : (١٠٦٠ هـ) / أو : (١٠٧٠ هـ) / أو : (١٠٩١ هـ) / أو : (١٠٩٣ هـ) / ومستنده في كل ذلك تخرصاته وظنونه .

ثم زاد احتمالين آخرين ، هما :

١٠ – أن يخرج على رأس المئة (١١٠٠ هـ) .

١١ – ويحتمل أن يتأخر للمائة الثانية بعد الألف ، ولا يفوتها قطعاً كما زعم .

(أي خلال القرن الثاني عشر الهجري / ١١٠٠ - ١٢٠٠ هـ) .

بنى كل ذلك على ما قرره السيوطي من أن الأمة تتجاوز الألف سنة ، ولا تبلغ الزيادة لها خمسمائة سنة . (أي ألف وخمسمائة سنة منذ الهجرة النبوية ، استخرج السيوطي ذلك واستنتجه من مرويات ابن جرير الطبري المنقولة عن التوراة في عمر الدنيا من أنها سبعة آلاف سنة ، وأن النبي ﷺ بُعث على رأس الألف السابعة ، ويُزاد لأمته خمسمائة سنة أو قريباً من ذلك ثم تنتهي الدنيا) .

ثم استخرج البرزنجي من ذلك وقت الساعة كما زعم . وجعل موعدها سنة ١٤٠٧ هـ ، ثم أنقص من ذلك مدةً لِمَا بين النفختين (٤٠ سنة) وقبلها مدةً لِمَا

بعد طلوع الشمس من مغربها (١٢٠ سنة) ومدةً قبلها لعصر عيسى (٤٠ سنة) وسبع سنين دجالية قبله . فيكون خروج الدجال سنة ١٢٠٠ هـ . وخروج المهدي قبله حتماً من ١٢٠٠ هـ فصاعداً[1] .

وهو استخراجٌ أقل ما يقال فيه أنه من الرجم بالغيب . ووهمٌ باطلٌ ، عقلاً وواقعاً .

وأما تحديده موعد الساعة بسنةٍ معينة فهذا من أخطر ما ذكر ، وأشده نكارةً .

---

(١) انظر : الإشاعة (٣٨٦ - ٣٨٩) . وقد سبقه إلى ذكر مثل هذه المواقيت واحتسابها حتى يستخرج أزماناً محددة لأشياء محددة السيوطي في رسالته . نقل ذلك صديق حسن خان في الإذاعة . وذكر تعليق الصنعاني ابن الأمير عليه . ثم رد ذلك وأبطله وقال « هذا الحساب ليس بصحيح » (الإذاعة / ١٨٤) . وعلى منهاجه سار الصنعاني في الحساب . أشار إلى ذلك صديق حسن في الإذاعة (١٨٥) . وفيه ذكر أن ابن حجر أبطل رفع خبر المئة وعشرين سنة التي ذكروها لِمَا بعد طلوع الشمس من مغربها .

مسألة : هل يُقال في شأن المهدي عند ذكره « عليه السلام » ؟

الجواب : لم نجد ذلك لا في الأحاديث ولا في الآثار التي صحت في شأنه ، ولا أُمِرْنا به . ولا هي عادة السلف ولا طريقتهم . وإنما هي عادة الشيعة وطريقتهم عند ذكرهم أئمتهم من آل البيت ، حتى يبلغوا بهم ابن الحسن العسكري الذي زعموه . فيذكرونه على أنه المهدي . ويُسلِّمون عليه . ثم انتشر ذلك منهم إلى غيرهم .

هذا ما عليه الحال .

أما الأصل فما ورد في أحدٍ إحالة السلام عليه وهو غائبٌ ، غير النبي ﷺ في دعاء التشهد « السلام عليك أيها النبي » .

هذا هو الأصل في هذا الشأن فالزمه .

هذا آخر ما لدينا في المهدي . وبه ينتهي هذا المبحث عنه .

